سلسلة المحاضرات الرمضانية

ألقاها السيد

عبد الملك بن بدر الدين الحوثي

رمضان ١٤٤١هـ

إخراج الوحدة الفنية
بمكتب السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ

كل الحقوق محفوظة

لمكتب السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي

موقع شبكة البينات .... http://www.albayynat.net/

سلسلة المحاضرات الرمضانية ١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شهر رمضان
الرؤية المتكاملة والمعطيات الكبرى

أُعُوذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُولُهُ خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

ومباركٌ لكم ولكل أبناء أمتنا الإسلامية قدوم الشهر المبارك: شهر رمضان.

ومباركٌ أيضاً بتهنئةٍ وتبريكٍ خاص لكل الإخوة المرابطين في الجبهات، في ميادين الشرف والجهاد والبطولة والثبات.

ونفتتح في هذه الليلة **المحاضرات الرمضانية بالحديث** على نحوٍ إجماليٍ عن أهمية الاستفادة من هذا الشهر المبارك، وقبل ذلك نتحدث بتمهيد موجزٍ ومختصر عن النظرة المنتشرة في أوساط الساحة الإسلامية تجاه هذه

المناسبة، وتجاه هذه الفريضة المهمة، وتجاه هذا الركن من أركان الإسلام.

لا شك أنَّ النظرة السائدة في أوساط الساحة الإسلامية هي نظرة إجلالٍ لهذه الفريضة، ولهذا الشهر المبارك بصيامه وقيامه، واعترافٍ بفضله وقدره وعظيم منزلته، وكذلك النظرة إليه على أنه ركنٌ من أركان الإسلام، كما هو كذلك، بكل ما يمثِّل ذلك من أهمية كبيرة في موقع هذه الفريضة الدينية في الدين الإسلامي.

أمَّا كيفية التعامل مع هذه الفريضة، ومع شهر رمضان المبارك بصيامه وقيامه، فالنظرة السائدة لدى الأكثر من أبناء الأمة هي التعامل الروتيني، والنظرة الروتينية لهذه الفريضة المباركة ولهذا الشهر المبارك، باعتبار هذا الشهر شهراً مباركاً، والاعتياد لصيامه، والاعتياد لبعض الأعمال الصالحة فيه، وكذلك العمل على توفير المسابح، والالتفات بشكلٍ أكثر إلى القرآن الكريم، وإلى ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه نظرة سائدة، وقد تكون لدى الكثير من أبناء الأمة الإسلامية، وينظرون إلى أنَّ الأجر فيه مضاعف، والأعمال الصالحة فيه تمثل قربةً عظيمةً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعليها الأجر الكبير... إلى غير ذلك.

البعض كذلك ينظرون إليه على هذا النحو، ويتجهون عملياً إلى التركيز على جانب القربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالأعمال الصالحة، فتركيزهم بشكلٍ رئيسي يتجه نحو ما في هذا الشهر المبارك من أجرٍ كبير على الأعمال الصالحة فيه، وما فيه من مضاعفة الحسنات والأجور عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد- كذلك- يلتفتون إلى حدٍ ما إلى الاستفادة من الأجواء الروحية فيه، التي تعالج عند الإنسان قسوة القلب، وتساعده على الخشوع، والشعور بالقرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على نحوٍ أفضل مما عداه من الشهور، وهذه نظرة متقدِّمة بعض الشيء، ولكنها لا تزال ناقصة.

هناك البعض ينظرون إلى هذا الشهر الكريم بصيامه وقيامه وأجوائه، إلى أنه يمثِّل بالنسبة لهم مشكلة، وأنه يمثِّل عبئاً إضافياً إلى ما هناك من

مشاكل هذه الحياة ومتاعبها، **وأنه يعرقل عليهم الكثير من برامج عملهم في اهتماماتهم في هذه الدنيا:** اهتماماتهم التجارية، اهتماماتهم الاقتصادية، اهتماماتهم المعيشية... إلى غير ذلك. كما أنهم يتضايقون إلى حدٍ كبير من فريضة الصيام، وما فيها من التزامات، **مثل:** الامتناع عن الطعام والشراب، الامتناع عن المفطِّرات، الامتناع عن المعاشرة الزوجية بالمباشرة للزوجة... إلى غير ذلك. ويرون في ذلك أنه يمثِّل مشكلةً كبيرةً بالنسبة لهم، وقيوداً غير مرغوبٍ فيها، ويعتبرونه شيئاً لا علاقة له ولا إيجابية له في واقع الحياة؛ **وإنما** هو بهدف الآخرة، وأتى بشكلٍ يمثِّل عبئاً عليهم.

لنستوعب الرؤية المتكاملة عن الشهر المبارك

ما يقدِّمه لنا القرآن الكريم، وما ركَّز عليه الرسول ﷺ بخطاباته وأقواله على ضوء القرآن الكريم، يقدِّم لنا رؤيةً متكاملةً عن هذا الشهر المبارك، وعن صيامه وقيامه، وهي النظرة التي ينبغي أن نستوعبها جيداً كمسلمين؛ **حتى** نستفيد بشكلٍ أفضل، وحتى نستغل هذه الفريضة المباركة وهذا الشهر العظيم على نحوٍ متكامل، فالرؤية الناقصة قد تجعل الإنسان يخرج من هذا الشهر المبارك كذلك بتوجهٍ عمليٍ ناقص، وبنتائج ناقصة، وقد تصل الحالة في بعض الأمور إلى أن يخرج الإنسان خاسراً غير رابح، **(رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلَّا الجوع والظمأ، ورُبَّ قائمٍ ليس له من قيامه إلَّا السهر والتعب).**

الله سبحانه وتعالى **في كتابه المبارك عندما أمرنا بفريضة الصيام في شهر رمضان المبارك قال -جلَّ شأنه-:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، الآيات المباركة التي وردت في سورة البقرة، والتي في بدايتها هذه الآية، وتحدثت عن صيام شهر رمضان المبارك، آياتٌ مهمة، وتقدِّم صورةً متكاملة عن هذه الفريضة المهمة، وعن الإيجابية العالية لها، والقيمة

١- البقرة: الآية ١٨٣

الكبيرة لها، والأثر الإيجابي لها. من المعلوم أنَّ الله ﷻ في كل ما شرعه لنا، وفي كل ما أمرنا به وأرشدنا إليه؛ **إنما** ذلك من منطلق رحمته، ومن منطلق حكمته وعلمه بما هو الخير لنا، **ولذلك** فأيٌّ من توجيهات الله وأوامره وإرشاداته وتعليماته، وأيٌّ من فرائضه والأعمال التي وجهنا إليها، لا يمثِّل حاجةً لله ﷻ، ولا منفعةً له، هو الغني ﷻ، الغني عنَّا، الغني عن أعمالنا، ولكنه -جلَّ شأنه- الرحيم بنا، والخالق لنا، والعالم بما هو خيرٌ لنا، وهذه الآية المباركة قدَّمت عنواناً عاماً وعظيماً ومهماً للغاية، جعلته الثمرة الرئيسية لصيام شهر رمضان المبارك، هذه الثمرة المهمة هي في قول الله ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

أشرنا في المحاضرات الرمضانية للعام الماضي أنَّ مصدر الخطر على الإنسان هي الأعمال السيئة، ونتائجها السيئة، هنا يتلخص الخطر الكبير على الإنسان: الأعمال السيئة، ونتائجها وآثارها السيئة، التي تطالنا في واقع حياتنا في أنفسنا وفي واقع حياتنا، **ولذلك** الإنسان **إمَّا** من خلال تصرفاته هو كفرد، **أو** المجتمع كمجتمع؛ **لأن** الإنسان كفرد هو أيضاً جزءٌ من مجتمع، حياته مترابطة مع هذا المجتمع، وآثارها ونتائجها أيضاً عامة تنزل إلى الواقع الفردي وتتوزع في نهاية المطاف على الواقع الفردي، وقد تكون- أيضاً- الأعمال السيئة بآثارها السيئة من بعض البشر تترك تأثيرات سيئة في واقع الحياة بشكلٍ عام، ولذلك يحتاج الإنسان حاجة ملحة وماسة إلى ما يساعده في عملية الانضباط، والمسؤولية، وحسن التصرف، والرشد في أعماله؛ **حتى** يزن هذه الأعمال وفق الحكمة، ويزنها أيضاً بميزان الحق والعدالة، ويضبطها بضابط القيم والأخلاق، وحينها أيضاً تكون النتائج في واقع الحياة نفسها، النتائج الإيجابية والطيبة التي تسعد بها البشرية، يرتاح بها الإنسان، لها الأثر الإيجابي على المستوى النفسي وعلى المستوى العملي، ثم في النتائج في واقع الحياة، ومن هنا تأتي أهمية هذه المحطة السنوية في أثرها التربوي الكبير **جدًّا** على

نفسية الإنسان، على مشاعره، ما تُكسِبُه من قدرة على السيطرة على غرائزه، والسيطرة على رغباته وأهوائه، وتساعده على أن يضبط- كما قلنا- تصرفاته وأعماله بمعيار الحكمة وبضوابط الأخلاق، وبما هو مشروع من قبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم ما نكتسبه من هذه الفريضة المباركة من قوةٍ في العزم، قوةٍ في الإرادة، قوةٍ في الصبر والتحمل، الإنسان يتروَّض خلال هذا الشهر المبارك على الصبر والتحمل أمام الرغبات والشهوات، وهو يضبط نفسه عنها، أو يسيطر على نفسه تجاهها، وأمام الصعوبات والمشاق، وهو يتحملها، وهو يتعوَّد عليها، وهو يتمرن عليها؛ **حتى** تصبح أشياء روتينية اعتيادية في حياته إلى حدٍ كبير؛ **فلذلك** يمثِّل هذا الشهر المبارك بصيامه، وقيامه، وبرامجه، وبركاته، وآثاره، محطةً تربويةً عظيمةً **جدًّا**، تُكسِبُ الإنسان- كما قلنا- قوة الإرادة، وقوة التحمل، والجَلَد، والصبر، تُكسِبُ أيضاً الأثر الروحي، والأثر العظيم والمهم في زكاء نفسه، وفي معالجة الكثير من ترسُّبات مشاكل هذه الحياة، التي عادةً ما تكون قد تركت أثراً سلبياً في مشاعر الإنسان، ونظرة الإنسان، واهتمامات الإنسان، وتصرفات الإنسان، فشهر رمضان المبارك بأجوائه العامة، بما فيه من صيام وقيام وأعمال صالحة...إلخ. هو يثمر ثمرةً عظيمة، ويترك أثراً إيجابياً لمن يغتنمه، لمن يتجه منذ البداية إلى اغتنام هذه الفرصة الثمينة **جدًّا**، وهذه المحطة العظيمة فيتزود منها التقوى.

من معطيات الشهر الكريم (التقوى)

عندما نأتي إلى عنوان التقوى، الإنسان بفطرته يرغب فيما يقيه من الكثير من المشاكل، أو من كل الكوارث والمصائب والشرور والمخاطر، الإنسان بفطرته رحيمٌ بنفسه، ويريد لنفسه الخير، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[1]، ويتمنى أن يمتلك ما يقيه من الشرور والمخاطر الكبيرة على نفسه وعلى

١- العاديات: الآية ٨

حياته، والوقاية هي خلاصة ما يعنيه تعبير التقوى، أنه يشكّل وقايةً لنا من كثيرٍ من الأشياء السيئة التي هي نتاجٌ طبيعيٌ للأعمال والتصرفات الخاطئة والسلبية والسيئة، بكل تأثيراتها السيئة علينا في واقع الحياة، الأعمال السيئة والأعمال المنحرفة تلحق بالناس **ضرراً كبيراً في حياتهم:** في أمنهم، في معيشتهم، في اقتصادهم، في استقرارهم الاجتماعي، وهذه هي المشاكل التي تعاني منها البشرية إلى حدٍ كبير، وهذه- بعينها- هي المشاكل الكبيرة التي تصيح منها المجتمعات البشرية في مختلف أقطار الأرض: ارتفاع نسبة الجرائم بأنواعها، الاختلالات الأمنية المؤذية للناس، الأزمات الاقتصادية التي تتفاقم، الفساد الذي يضر بالناس في كل شؤون حياتهم... وهكذا مختلف أنواع الشرور التي تمثّل مشكلةً حقيقيةً للناس في واقع حياتهم.

ومن هنا يتضح لنا أنَّ صيام شهر رمضان، وأنَّ شهر رمضان المبارك بكل ما فيه من صيام وقيام وأعمال صالحة، وما يتهيأ فيه من البركات والآثار الإيجابية والخيِّرة، لا يمثل عبئاً إضافياً إلى مشاكلنا في هذه الحياة؛ **بل إنَّ له** علاقة مهمة **جدًّا** بصلاح حياتنا هذه، **بل إنَّ له أهمية كبيرة فيما يمكن أن يشكِّله من تأثير إيجابي وعظيم في نفس واقع حياتنا:** في انخفاض نسبة الجرائم، في ارتفاع نسبة الأعمال الصالحة بأثرها الصالح والإيجابي في واقع الحياة، في النتائج الإيجابية التي تعود علينا نفعاً على مستوى مشاعرنا، أن نعيش ونكتسب مشاعر الطمأنينة، مشاعر السكينة، القرب من الله ﷻ، التخفيف إلى حد كبير من مشاعر القلق، من الشعور بالضيق في واقع النفوس، أن يروِّينا من حالة الجفاف على المستوى الروحي، فنعيش حالة الاطمئنان بذكر الله ﷻ والمشاعر الإيجابية والإنسانية الراقية والمؤثرة إيجاباً في مشاعر الإنسان ونفسيته وأعماله، بكل ما لذلك من أثر طيب **جدًّا** في نفوس الناس وفي واقع حياتهم، فهو نعمةٌ عظيمةٌ من الله ﷻ، **ووسيلة مساعدة عملية تحقق هذه النتائج المهمة:** وسيلة مساعدة لتحصيل الوقاية من كل

تلك الشرور، للارتقاء في واقعنا النفسي والأخلاقي والعملي والسلوكي، لنكتسب منها أيضاً قوة الإرادة، والصبر، والتحمل، والقوة النفسية في مواجهة أعباء هذه الحياة، وتحديات هذه الحياة، ونكتسب منها قوة التحمل للنهوض بمسؤولياتنا في هذه الحياة، وقوة التحمل لمواجهة المشاكل التي نعاني منها في هذه الحياة، فهو شيءٌ نحتاجه بكل ما تعنيه الكلمة، وشيءٌ مهمٌ **جدًّا**.

الإنسان يعيش في هذه الحياة مخاطر كثيرة، مخاطر الانهيار النفسي في مواجهة صعوبات وتحديات هذه الحياة، البعض من الناس يصلون إلى مستوى الانهيار النفسي أمام كثيرٍ من الصعوبات، والمشاكل، والأزمات، والتعقيدات في هذه الحياة. البعض من الناس يعيشون حالةً من الاضطراب، والتوتر، وفقدان الاتزان في تصرفاتهم ومواقفهم، ويعيشون حالةً من الانفلات والفوضى النفسية، وينطلقون في واقع هذه الحياة بضغط هذه المشاكل والغرائز بدون انضباط، وبدون وعي، وبدون حتى أي مستوى من الرشد، فيتصرفون بطريقة لا مسؤولة، لها نتائج وخيمة عليهم في أنفسهم وفي واقع حياتهم. والبعض من الناس يعيشون حالة الانحراف، الانحراف بشكلٍ رهيب عن القيم، عن الأخلاق، عن الضوابط الشرعية، عن التوجيهات الإلهية، يترتب على ذلك مفاسد كبيرة **جدًّا**، فيخسرون في الدنيا، ويخسرون أيضاً في الآخرة- والعياذ بالله.

فشهر رمضان المبارك محطة مهمة جدًّا في عطائها التربوي، وعطائها الأخلاقي، وأثرها في واقع الحياة، **نحن نركِّز جدًّا على هذه النقطة**: الأثر المهم في واقع الحياة؛ **حتى** لا يظن الإنسان أنها تمثِّل عبئاً إضافياً لا قيمة له في واقع حياته. لها أهمية في واقعك النفسي وفي واقع حياتك، وما يترتب عليها أيضاً من جانب الله ﷻ من البركات والخيرات والعطاء الإلهي الواسع.

الشهر الكريم: موسم تجارة رابحة مع الله

الجانب الآخر الذي ينبغي التركيز عليه أيضاً فيما يتعلق بشهر رمضان المبارك: ما يمثله من قربة عظيمة إلى الله سبحانه وتعالى، وما يترتب عليه من عطاء إلهي في الدنيا والآخرة، فهو موسم خيرٍ عظيم، موسم خير، الأجر فيه كبير، الفضل فيه كبير، القيمة للأعمال الصالحة فيه قيمة عالية **جدًّا**، فهو موسم تجارةٍ رابحةٍ مع الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن يتحقق للإنسان خلال هذا الشهر المبارك من أثر الأعمال الصالحة، ومن نتائجها، وما يُكتَب عليها، ما لا يتحقق في غيره على مدى عمرٍ كامل وأكثر، أحياناً على مستوى أكثر من عمرٍ كامل، **ولذلك** يمكن أن يشكِّل هذا الشهر المبارك في أثره المبارك، وفيما يترتب على الأعمال فيه من نتائج وأجر مضاعف، أن يمثِّل رصيداً كبيراً **جدًّا** يضاف إلى أعمال الإنسان الصالحة، رصيداً عظيماً **جدًّا** يضاف إليها، فهو يمثِّل فرصة، نحن بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى، بحاجة إلى العمل الصالح، بحاجة إلى ما يقرِّبنا من الله، بحاجة إلى ما يساعدنا أن نحظى من خلاله برضوان الله سبحانه وتعالى ونأتي يوم القيامة ولنا من الأعمال الصالحة ما يثقِّل موازيننا، ألَّا نأتي يوم القيامة خاسرين، مفلسين من الأعمال الصالحة.

وفي هذا السياق نتحدث على ضوء نصٍ من رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله رواه عنه الإمام عليٌّ عليه السلام **حيث قال: (خطب رسول الله -صلى الله عليه وآله- في آخر جمعةٍ من شهر شعبان)؛ وهو** يسعى إلى التهيئة للمسلمين لاستقبال هذا الشهر المبارك بوعي، وإدراك لقيمته وأهميته، **(فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس، إنه قد أظلَّكم شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر)**، وهذا من المزايا العظيمة لشهر رمضان المبارك، شهر رمضان من أوله إلى آخره هو شهرٌ مبارك، والأعمال فيه تضاعف عليها الأجور والحسنات، والبركات فيه من أول لحظةٍ يبدأ إلى آخره، ولكن مع هذا هناك ليلة في هذا الشهر المبارك ليلة اسمها: ليلة القدر، لها بركاتها

الكبيرة **جدًّا**، والتي قال الله ﷻ عنها: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1].

(شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر)، وطبعاً ليلة القدر لم تحدد بشكلٍ قاطع في ليلةٍ معينة؛ **حتى** يبقى الإنسان مهتماً بالشهر المبارك بشكلٍ عام، **(وهو شهر رمضان، فرض الله عزَّ وجل صيامه)**، **يعني**: جعل صيامه فريضةً من فرائض الدين، وركناً من أركان الإسلام، وإلزامياً؛ **لأن** الكثير من الناس لو بقي شهر رمضان مندوباً، أو مستحباً، أو مجرد عملٍ صالح من الأعمال التي يأتي الأجر عليها وليس إلزامياً، لما صاموه، لتركوه، لكن يبقى إلزامياً؛ **لأهميته**، وحاجتنا الملحة إليه.

(فرض الله عزَّ وجل صيامه، وجعل قيام ليلةٍ منه بتطوع صلاةٍ، كمن تطوع سبعين ليلةً فيما سواه من الشهور)، لاحظوا هذه المضاعفة الكبيرة، تطوع صلاة فيه **(كمن تطوع سبعين ليلةً فيما سواه من الشهور)**، إلى هذا المستوى الكبير من مضاعفة الأجر والثواب، ومن الأثر الإيجابي لما يقدَّم فيه من الأعمال الصالحة، **(وجعل لمن تطوَّع فيه بخصلةٍ من خصال الخير والبر)**؛ **لأن** مجال الخير ومجال البر واسع، يشمل أعمالاً كثيرة مما أمر الله بها وأرشد إليها في كتابه الكريم، فالله **(جعل لمن تطوع فيه بخصلةٍ من خصال الخير والبر، كأجر من أدَّى فريضةً من فرائض الله عزَّ وجل فيما سواه)**؛ **لأن** الفرائض أجرها كبير، وموقعها في الأعمال الصالحة موقعٌ عظيم، هي في المستوى الأعلى من الأهمية والأجر والفضيلة، ومع ذلك ترتقي الأعمال التطوعية لتصل إلى مستوى الفرائض فيما عدا شهر رمضان من حيث القيمة، والبركة، والأجر، والفضل، **يعني**: فضل عظيم، وأجر كبير.

(ومن أدَّى فريضةً من فرائض الله عزَّ وجل فيه، كمن أدَّى سبعين فريضةً من فرائض الله عزَّ وجل فيما سواه من الشهور)، فالمضاعفة إلى سبعين، **(وهو شهر الصبر)**، في هذا الشهر نتعلم الصبر، ونتعود على التحمل وقوة التحمل،

١- القدر: الآية ٣

الصبر بكل ما يمثله من أهمية، وهو في منزلته من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، لا بدَّ منه، لا يتحقق الإيمان إلَّا به، ولا يتحقق الفوز إلَّا به، ولا النجاة إلَّا به، **(وهو شهر الصبر)**، فالصبر يعتبر مكسباً عظيماً، حيث نتروض ونتعود على الصبر الذي لا بدَّ منه في هذه الحياة لتحمل الأعباء، **وكذلك** المواجهة للصعوبات والشدائد، ولامتلاك القدرة على التحمل للمسؤوليات والأعمال الصالحة.

(وإنَّ الصبر ثوابه الجنة)، الصبر له هذه الأهمية الكبيرة: **(ثوابه الجنة)**، **(وهو شهر المواساة)**، من الأعمال المهمة في هذا الشهر المبارك المواساة، المواساة بين المؤمنين، المواساة بين المجتمع الإسلامي، العناية بالفقراء، بالضعفاء، بالمحتاجين، المناصرة للمظلومين، الغوث للملهوفين، **(وهو شهرٌ يزيد الله تعالى فيه في رزق المؤمن)** هذا جانبٌ من بركات هذا الشهر على مستوى رزق الإنسان المؤمن.

(ومن فطَّر فيه مؤمناً صائماً كان له عند الله -عزَّ وجلَّ- بذلك عتق رقبة، ومغفرةٌ لذنوبه فيما مضى)، **كذلك** أجر عظيم على الإطعام والإحسان للناس في احتياجاتهم الغذائية؛ **لأن** البعض قد يواجهون الظروف المعيشية الصعبة، لا سيما في هذه المراحل، بما فيها من أحداث كبيرة، وتحديات وظروف صعبة: حروب، أزمات اقتصادية، معاناة على المستوى الاجتماعي، فهناك أجر كبير وفضل عظيم لمن يساهم ويتعاطف ويقدِّم للآخرين طعاماً يفطرون عليه؛ **احتياجاتهم** الغذائية، **إلى هذا المستوى العظيم: (كان له عند الله -عزَّ وجلَّ- بذلك عتق رقبة)**، وهذا أجر كبير، وفضل عظيم **جدًّا**، ومغفرةٌ أيضاً، الإنسان يكسب المغفرة إذا كان من المنيبين إلى الله، الراجعين إلى الله، والمقلعين عن الكبائر.

(فقيل له: يا رسول الله ليس كلنا يقدر على أن يفطِّر صائماً)؛ **لأن** البعض قد تكون لهم ظروف صعبة، فكيف يفعلون لينالوا هذا الفضل، ليحصلوا على هذا الأجر، **فقال: (إنَّ الله تعالى كريم، يعطي هذا الثواب من لا يقدر إلَّا على مذقةٍ من لبنٍ يفطِّر بها صائماً، أو بشربةٍ من ماءٍ عذبٍ، أو تُميرات**

لا يقدر على أكثر من ذلك)، من لديه ظروف صعبة، كان منتهى قدرته أن يقدم ولو شربةً من ماءٍ عذب، يحصل على هذا الأجر الكبير، ولا يحرم منه.

(ومن خفف فيه عن مملوكه، خفف الله -عزَّ وجلَّ- حسابه، فهو شهرٌ أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره إجابةٌ وعِتقٌ من النار)، شهر مبارك، شهر عظيم، شهر يعتبر موسماً مهماً من مواسم الخير العظيمة، **(أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره إجابةٌ وعتقٌ من النار)**، فالإنسان بحاجة إلى أن يهتم من أوله، وأن يسعى للعناية به من أوله، ولذلك عندما ندرك أهمية هذا الشهر المبارك على المستوى التربوي، أيضاً الأثر العظيم له على مستوى ما يتعلق بواقع الحياة، وعلى مستوى القربة إلى الله ﷻ، أيضاً على المستوى الصحي، من أهم ما فيه أنه يدخل ضمن المعنى العام للوقاية على المستوى الصحي أيضاً، وهذه النقطة- إن شاء الله- سنتحدث عنها لاحقاً في المحاضرات القادمة بإذن الله؛ **لأنها** نقطة مهمة، على المستوى الصحي هناك أهمية كبيرة **جدًّا** لصيام شهر رمضان، وآثار إيجابية للغاية، سنتحدث عنها- إن شاء الله- لاحقاً.

إذاً كيف نتعامل مع هذ الشهر المبارك؟

إذاً عندما ندرك أنَّ هذا الشهر له هذه الأهمية، وهذه الفريضة لها هذه الآثار والنتائج الطيبة، فكيف نتعامل مع هذا الشهر المبارك؟

أولاً: ماذا نركِّز عليه في هذا الشهر المبارك؟ ينبغي أن يحرص الإنسان أن يدخل في هذا الشهر المبارك بتوجهٍ صادق إلى الله ﷻ، وسعيٍ للتخلص من المعاصي والذنوب، أن يبتدأ شهره هذا بالتوبة إلى الله، والاستغفار، وأن يعزم عن الإقلاع عن المعاصي، وعن الكبائر، وعن الذنوب، ويحرص على الاستقامة، ويتخلص من المظاهر السيئة، والأعمال السيئة؛ **حتى** يتقبل الله منه صيامه وعمله، الإنسان إذا دخل هذا الشهر وهو مستمر على ذنوب ومعاصي ومفاسد، فاستمراره على ذلك سيحبط عمله، لن يتقبل الله منه عمله ابتداءً، فإذا حدث شيءٌ من

ذلك قد يحبط عمله، خصوصاً الكبائر، الكبائر تحبط الأعمال الصالحة، وتمثِّل خطورة كبيرة على الإنسان، وتفقد الإنسان الاستفادة من هذا الشهر المبارك.

الحرص أيضاً أنه خلال شهر رمضان المبارك يحترم حدود الله ﷻ، ويحذر من الحرام، يحذر من المعاصي، يحذر من الأعمال السيئة، يستقيم على طاعة الله ﷻ، ويحذر مما يسبب له الانزلاق، بعض المقدِّمات للأعمال الفاسدة والأعمال السيئة تهوي بالإنسان وتورطه، يحذر منها ابتداءً، يحذر من خطوات الشيطان من أول خطوة، ويحرص على الاستقامة والصلاح في هذا الشهر المبارك؛ **ليؤسس** لذلك فيما بعده.

يحرص الإنسان على القيام بفرائض الله ﷻ، وواجباته العملية بكل أنواعها: الصلاة، الصيام، الأعمال الصالحة، الجهاد، الإنفاق... كل الأعمال التي تدخل في نطاق المسؤوليات المهمة والأعمال الأساسية التي فرضها الله ﷻ علينا.

الاهتمام بشكل كبير جدًّا بذكر الله ﷻ: باللسان، وبالوجدان والقلب والمشاعر: بحيث يكثر الإنسان من الاستغفار، من التسبيح، **وهذا أمرٌ متاح أينما كان الإنسان:** في الجبهة يستطيع أن يكثر من ذكر الله ﷻ: في المنزل، في حركته، في ذهابه، في إيابه، يستطيع أن يكثر من ذكر الله ﷻ، والذكر لله من أفضل العبادات والقرب التي تقرِّب الإنسان من الله ﷻ.

الاهتمام أيضاً بالقرآن الكريم: شهر رمضان كما قال الله عنه في كتابه الكريم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[١]، فينبغي العناية بتلاوة القرآن الكريم بتأمل وتدبر، والحرص على الاستفادة من كتاب الله ﷻ، والاهتداء به، النظرة إليه ككتاب هداية، كيف نستفيد منه، كيف نصحح المفاهيم الخاطئة لدينا،

١- البقرة: من الآية ١٨٥

كيف نرسخ المبادئ المهمة، كيف نتذكر بما يذكِّرنا به القرآن الكريم، كيف نتأثر بما يقدِّمه من الهدى المؤثر على المستوى النفسي والوجداني، ثم على المستوى العملي، ثم ما يترتب على ذلك في واقع الحياة، القرآن الكريم ينبغي أن يمثِّل واحدةً من أهم ما نركِّز عليه في شهر رمضان المبارك، **وعلى هذا الأساس:** تلاوة التأمل، والحرص على الاهتداء به، وليس مجرد الإكثار من التلاوة بدون تأمل، ولا اهتداء، ولا انتفاع بكتاب الله.

العناية بالدعاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1]، الدعاء مهمٌ **جدًّا** في كل حال، وفي شهر رمضان هو من أهم ما يركِّز عليه الإنسان، وشهر رمضان من المواسم العظيمة والمهمة للدعاء ولقبول الدعاء، ولا سيما بالأشياء المهمة في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة.

من الأشياء المهمة جدًّا العناية بالإحسان: الإحسان من أهم القرب إلى الله ﷻ، ومن أهم الأعمال، ومن أعظم الأعمال، الإحسان بالصدقات، الإخراج أيضاً للزكاة مسألة ضرورية **جدًّا**، العناية بالبر وفعل الخير تجاه الناس، تجاه الضعفاء، تجاه الفقراء، وبما يراعي تكريمهم، الإنسان على مستوى أرحامه، على مستوى جيرانه، على مستوى الناس من حوله، ثم على مستوى أوسع بقدر ما يستطيع، على المستوى الفردي، وعلى المستوى التعاوني الذي يأتي ضمن أعمال اجتماعية واسعة، أو جمعيات خيرية جيدة... أو نحو من ذلك.

العناية أيضاً والتركيز على التزكية للنفس: الإنسان يلتفت جيداً إلى واقع نفسه، يقيِّم نفسه بنفسه، يحاول أن يستذكر جوانب القصور لديه، الفرائض التي هو مقصرٌ فيها، الأعمال والمسؤوليات المهمة التي هو مُخِلٌ بها أو مقصرٌ فيها، الأخطاء والسلبيات والأعمال السيئة التي تصدر منه، ثم يحاول أن يستعين

١- البقرة: من الآية ١٨٦

بالله سبحانه وتعالى، ويلتجئ إلى الله أن يوفقه للخلاص منها، ويحرص على العودة إلى القرآن، والاستفادة من الصيام، والتوجه العملي للخلاص من تلك السلبيات، أو جوانب التقصير، **ثم تكون النتيجة:** التوجه العملي الجاد على ضوء هدى الله سبحانه وتعالى؛ **لأنه** بهذا تتحقق للإنسان التقوى بشكلٍ تام، **عندما يتجه عملياً على ضوء هدى الله** سبحانه وتعالى: في مسيرة حياته، في أعماله، في مواقفه، في تصرفاته، في توجهاته، ويرتبط بهدى الله بما يترك الأثر الكبير عليه في روحيته ونفسيته ومشاعره ووجدانه.

هذه النقاط ينبغي التركيز عليها، وينبغي أن نحذر في هذا الشهر الكريم مما يساهم في ضياع وقتنا، وبالذات الشباب الذين قد يركِّز البعض منهم إما على سهرات في حالةٍ من الضياع والفراغ، وفي جوٍ بعيد عن هدى الله، وعن الذكر لله، وعن القرآن الكريم، إما وراء المسلسلات التلفزيونية، أو وراء مواقع التواصل الاجتماعي، والانشغال بها، وتضييع الوقت عليها، أو سهرات في اجتماعات ليس لها أي قيمة إيجابية، ولا تربوية، ولا أخلاقية، ولا دينية، وليس فيها اهتمام لا بهدى الله، ولا بالقرآن الكريم، ولا بعملٍ صالح، **يجب** الحذر من ذلك، والحذر من قرناء السوء الذين يجرون الإنسان إلى الضياع في أعماله وفي اهتماماته.

مما ينبغي أيضاً التركيز عليه: الاستعانة بالله والتماس التوفيق منه للإنسان؛ **لكي** يتمكن من استثمار هذا الشهر المبارك، الإنسان يدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقه لاغتنام هذا الشهر للاستفادة منه، أن يوفِّقه فيه إلى الأعمال الصالحة.

أيضاً نبارك للإخوة المرابطين في الجبهات، أنهم في هذا الشهر المبارك بكل ما فيه من الأجر، والفضل، والقربة إلى الله سبحانه وتعالى: **في عملٍ عظيمٍ جدًّا**، هو الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى؛ **الذي** يتفوق على بقية الأعمال الصالحة، ومن المهم بالنسبة لهم وهم في الميدان الأقرب إلى الله سبحانه وتعالى، والأرفع فضلاً، والأعلى قيمةً، أن يركِّزوا على الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى، وأن يهتموا بالقرآن بقدر ما يتاح لهم؛ **سماعاً** أو تلاوةً، وأن يركِّزوا على الدعاء والالتجاء إلى الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يهتموا بأعمالهم الجهادية، سواءً على المستوى الدفاعي، أو على المستوى الهجومي، أو على مستوى المرابطة، فهم في أعمال عظيمة ومهمة.

نتحدث- إن شاء الله- في المحاضرات القادمة بشكلٍ تفصيليٍ أوسع عن كثيرٍ من النقاط المهمة، التي تحدثنا عنها في هذه المحاضرة التي نفتتح بها المحاضرات الرمضانية.

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفقنا ويعيننا في هذا الشهر المبارك على صيامه وقيامه وصالح الأعمال فيه، وأن يهدينا بكتابه المبارك، وأن يوفقنا أيضاً فيما نقدِّمه في هذه المحاضرات ما ينفعنا وينفع إخوتنا المؤمنين وأخواتنا المؤمنات، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

أهم ما نحتاج إليه في الحياة

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُه ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال...

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم...

يقـول اللـه ﷻ في كتابـه الكريـم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1]، اللـه ﷻ هـو ملـك السـماوات والأرض، وهـو الـذي خلـق هـذا العـالم، وهـو ربنـا وملكنـا وإلهنـا، ونحـن عبيـده وفي أرضـه وتحـت سـلطانه وقهـره،

١- فاطر: الآية ١٥

وهو المدبِّر لشؤون السماوات والأرض، يخلق ويرزق، يحيي ويميت، يعز ويذل، وهو الذي رسم في هذه الحياة سننها، وهيَّأ فيها أسبابها، وقرر فيها- في هذه الحياة لهذه الأسباب- النتائج التي ستنتج عنها، وحينما خلقنا ﷻ- في هذه الحياة- هيَّأ لنا ظروف الحياة الملائمة، التي تكفل لنا أن نعيش حياةً طيبة، ولم ينفصل عن واقع عباده، هو الحي القيوم، القائم بشكلٍ مستمر على تدبير أمور عباده، وهو -جلَّ شأنه- المحيط بهم علماً، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ومن واقع ملكه وتدبيره ورحمته وحكمته، فهو -جلَّ شأنه- لم ينفصل عن واقع عباده في أي شأنٍ من شؤون حياتهم، رقيبٌ عليهم، وعليمٌ بكل تفاصيل شؤونهم، ولذلك طبيعة علاقتنا مع الله ﷻ لا تنحصر ولا تقتصر في اتجاه أنه وحده -جلَّ شأنه- الخالق، وأنه وحده الرازق، وأنَّ علاقتنا به في حاجتنا إليه تنحصر وتقتصر على الإحتياجات المادية وما يشابهها.

أهم الاحتياجات الضرورية لنا في الحياة

﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، نحن كبشر بحاجةٍ إلى الله ﷻ في كل شيء، قد يتبادر إلى أذهان الكثير من الناس عندما يسمعون مثل هذه الآية المباركة: ﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، الجانب المادي، حاجتنا من الله ﷻ إلى الرزق، حاجتنا منه أيضاً إلى العافية، حاجتنا منه إلى ما يمنُّ به علينا من متطلبات هذه الحياة المادية ونحوها، لكننا بحاجة مع كل ذلك إلى الله ﷻ في جانبٍ مهمٍ **جدًّا** يتصل بحياتنا، نحن بحاجة إلى هداية الله ﷻ وهذه الحاجة هي من أهم الاحتياجات الضرورية لنا في هذه الحياة، بحيث أنَّا إذا لم نرتبط بالله ﷻ وإذا لم نعد إلى الله ﷻ في هذا الجانب؛ **نتأثر** سلباً في بقية الجوانب، ولا نرتاح ببقية المجالات والجوانب.

الإنسان لا يمكن أن يستغني عن الله ﷻ في جانب هدايته؛ لأن الإنسان في هذه الحياة في ظروف حياته، وفيما هيَّأ الله له، وما هيَّأه عليه، هو في

ميدان مسؤولية، الله مكننا من العمل **في الاتجاهين:** في الخير وفي الشر، فيما هو لصالحنا، وفيما هو ضرٌ علينا، فيما فيه الخير لنا، وفيما عواقبه علينا سيئة وخطيرة **جدًّا**، ولذلك إذا انطلقنا في واقع هذه الحياة وفي مسيرة هذه الحياة بدون هدايةٍ من الله ﷻ، يمكن أن تكون أعمالنا في هذه الحياة، وتصرفاتنا في هذه الحياة، وأعمالنا وسلوكياتنا في هذه الحياة بالشكل الذي ينتج عنها العواقب الخطيرة علينا، والسيئة علينا، يمكن أن نضيع في هذه الحياة فيما نعمله، وفيما يترتب على ما نعمله من نتائج، هذا في الدنيا، وإضافةً إلى ذلك، **وهو الأمر الكبير والأمر الخطير جدًّا:** أنَّ بعد هذه الدنيا آخرة، وهناك سنلقى الجزاء على كل ما عملنا من خيرٍ أو شرٍ في هذه الدنيا، حتى بمثقال الذرة من الخير، وبمثقال الذرة من الشر، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1]، فالمسألة خطيرة **جدًّا**، ما دمنا في حياتنا هذه في موقع المسؤولية أمام الله ﷻ، وتصرفاتنا وأعمالنا مهمة فيما يترتب عليها من نتائج تلحق بنا، أو تكون لنا في الدنيا وفي الآخرة، فنحن بحاجة إلى هدايةٍ من الله ﷻ، هدايةٍ تساعدنا أن نسير في مسيرة حياتنا هذه فيما فيه الخير لنا بالفعل، وليس بالوهم، الإنسان قد يتوهم وما أكثر ما يندفع فيه الناس، وما يتوجهون إليه، وما يحرصون عليه من أعمال واهتمامات في هذه الحياة بدافع الخير، ويتوهمون فيها الخير، ولكنها تمثِّل شراً عليهم.

إذا تأملنا في الظروف التي يعيشها البشر في زماننا هذا، ونتطلع إلى الواقع العالمي من حولنا، فنجد أبرز القوى على هذه الأرض من المجتمعات البشرية، التي هي اليوم تمتلك الإمكانات الكبيرة والهائلة، والتي هي تسعى من خلال نفوذها وإمكاناتها للتأثير في واقع المجتمعات البشرية الأخرى، **نجد اليوم مثلاً: أمريكا، على سبيل المثال:** أمريكا، ثم مع أمريكا الموالين لأمريكا، سواءً من شعوب ومجتمعات البشر غير المنتمية إلى الإسلام، أو حتى

١- الزلزلة: ٧-٨

من المسلمين، من المنتسبين للإسلام، ممن هم موالون لأمريكا، كل هؤلاء بإمكاناتهم، وبكل ما يمتلكونه أيضاً من رؤى وأفكار وسياسات وتوجهات، وما يسعون أيضاً إلى فرضه على بقية الشعوب، وعلى بقية الناس، وعلى بقية المجتمعات، هم بأنفسهم لا يمتلكون ما يحقق للبشرية الخير- بالفعل- في واقعها، فنحن نرى بكل وضوح أنَّ المشاكل في المجتمعات البشرية بكلها تكبر وتكثر، **ونحن نرى أنَّ الأزمات بكل أشكالها:** على المستوى الاقتصادي، على المستوى السياسي... على كل المستويات وفي كل المجالات تتفاقم وتتعظم يوماً بعد يوم، ونحن نرى أولئك الذين يريدون فرض هيمنتهم، وثقافتهم، وتوجهاتهم، وأفكارهم، وسياساتهم، ونفوذهم، وسيطرتهم علينا بشكلٍ عام كمجتمعاتٍ بشرية، نرى كيف أنهم بكل وضوح جزءٌ واضحٌ من المشكلة، وكيف أنهم- وبكل تأكيد- لم يتمكنوا من حلِّ الكثير من المشاكل الكبيرة حتى في واقع حياتهم وفي داخل شعوبهم ومجتمعاتهم، فهم جزءٌ واضحٌ من هذه المشكلة، ولا يمتلكون أي مشروع ينقذ هذا الإنسان، ويصلح حياة هذا الإنسان، ويحقق الخير للإنسان، وهذه من أهم المسائل التي **يجب** أن نعيها.

عادةً في كثيرٍ من الحالات في الخطاب الديني عند كثيرٍ من المرشدين، وعند كثيرٍ من الخطباء، وعند كثيرٍ من العلماء، وعند كثيرٍ من المتعلِّمين، لا يتم التركيز على القضايا الرئيسية التي لها تأثيرها بشكلٍ عام على واقع الناس، على توجهات الناس، على أفكار الناس، اليوم نرى المحسوبين على أمتنا الإسلامية من المسلمين الموالين لأمريكا الذين تورَّطوا في هذا الجرم الذي هو بحكم القرآن الكريم (نفاق)، وهم يتحركون وفق التوجهات الأمريكية، حتى عندما يقدِّمون شيئاً من العناوين الدينية، وعندما يمارسون بعضاً من الطقوس الدينية، هم يحرصون على ألَّا تكون على النحو الذي يؤثِّر على التوجهات والسياسات الأمريكية في العالم، وهذا واضحٌ بالنسبة لهم؛ **لأن** الأولوية والاهتمامات الرئيسية عندهم هي خدمة أمريكا،

والتوافق مع أمريكا، والطاعة لأمريكا، والإنسجام مع إسرائيل، فإذا قدَّموا عناوين دينية، وإذا مارسوا بعضاً من الطقوس الدينية، فهم يجعلونها عديمة الجدوى، وعديمة الأثر، ولا يربطونها بالأمور المهمة والأساسية، بحيث تتحقَّق منها النتائج التي هي من أجلها، والغايات التي جعلت لها.

حاجتنا للعودة العملية الصحيحة إلى الله تعالى

هنا نؤكِّد على أهمية هذه المسألة: أننا بحاجة إلى العودة إلى الله ﷻ، العودة إلى الله عودةً عمليةً، وعودةً صحيحةً؛ **لنهتدي** بهداه، هو من يملك فيما يقدمه لنا ما يحقق لنا الخير، ثم مع ذلك هو من يتدخل- مع ما يهدينا إليه- برحمته بفضله بكرمه، عندما نعود إلى الله ﷻ لا نحصل فقط على الهداية الإرشادية والتوجيهات القيِّمة التي هي إيجابية فحسب.. بل مع ذلك نحصل معها على معونةٍ من الله، على رحمةٍ من الله، على فضلٍ من الله، على رعايةٍ واسعةٍ من الله ﷻ، فهو إلى جانب ما يهدينا إليه، هو يعين، هو يهيِّئ، هو يسخِّر، هو يعز، هو ينصر، هو يؤيِّد، هو يوفِّق، هو يرزق... وهكذا، رعاية واسعة ورعاية شاملة، هو ينزِّل البركات، هو يدفع الضر، هو يدفع الكرب، هو يدفع الشر، هو يعين في كل الأمور.

وعندما نعود إلى القرآن الكريم لنعرف على وجه الإجمال ما الذي نفتقر إليه كبشر- كناس؟ وما الذي يفتقر إليه الإنسان منا على المستوى الفردي، ثم المجتمع على مستوى واسع، لصلاح حياتنا، لصلاح واقعنا، ولنؤمِّن مستقبلنا عند الله ﷻ في الآخرة؟ صلاح هذا الإنسان هو المحور الأساس الذي يترتب عليه صلاح هذه الحياة، فصلاح حياتنا وأن نعيش الحياة الطيبة، وأن تتحقق لنا النتائج المرجوة، وأن نكون من المفلحين، وأن نحقق الخير لأنفسنا في الدنيا وفي الآخرة، كل هذا يتعلق بصلاحنا نحن، كيف نصلح؟

التزكية والهداية.. جانبان يتوقف عليهما صلاح الإنسان

وصلاح الإنسان يتوقف على جانبين أساسيين ومهمين جدًّا، هما: التربية، وبين قوسين (التزكيّة)، والهداية، الإنسان بحاجة إلى التزكية لنفسه، كيف تزكو هذه النفس، كيف تنمو فيها مشاعر الخير، والمحبة للقيم والأخلاق الفاضلة، كيف تتوجه هذه النفس التوجه الخيِّر في هذه الحياة، التوجه الصالح في هذه الحياة، كيف يتغلب الإنسان في نفسه على كل نوازع الشر، ودوافع الفساد والمنكر والباطل، كيف نسيطر على هذه النفس البشرية، ونكبح جماحها، ونضبط غرائزها، فلا تتجه إلى اتجاه الشر والفساد والمنكر، الذي له آثاره السيئة على الإنسان في حياته- بلا شك- في الدنيا وفي الآخرة.

نحن بحاجة إلى تزكية لهذه النفس، ومع التزكية نحتاج إلى هداية؛ **لأن** التزكية لن تتحقق لنا بشكلٍ صحيح إلَّا بالهداية الإلهية، وإلَّا فقد نتصور- إذا فقدنا الهداية الإلهية- أنَّ بعض الأعمال، أو بعض المواقف، أو بعض التصرفات هي صحيحة، ونتشبث بها، ونتجه إليها بكل جد، وأحياناً بحسن نية، فإذا بها سيئة، وإذا بآثارها سيئة، وإذا بنتائجها سيئة، هناك تلازمٌ ما بين جانب التزكية والتربية، وما بين جانب الهداية، الهداية إلى العمل الصالح، إلى المواقف الحق، إلى ما علينا أن نعمل، الهداية الشاملة التي يتوفر لنا بها كل ما نحتاج إليه من معارف، من علوم، من إرشادات، من توجيهات، من حكمة...إلخ. فالهداية الإلهية هي هدايةٌ واسعة.

ولذلك نجد أنَّ الله ﷻ عندما أنزل في شهر رمضان كتابه الكريم: (القرآن)، وفرض فريضة الصيام، وفريضة الصيام هي جزءٌ من البرنامج التربوي في الإسلام، هناك أشياء كثيرة في الإسلام الهدف منها تربية هذا الإنسان، وتزكية هذه النفس البشرية، وتعتبر وسائل مساعدة للإنسان مع الرجوع إلى الله والإلتجاء إلى الله ﷻ، فالصيام جزءٌ منها، وإلَّا هناك أيضاً

الصلاة... هناك أعمال كثيرة من الخير والبر تساعد الإنسان على تزكية هذه النفس، وإصلاح هذه النفس، وتطهير هذه النفس، ويأتي معها هذا الجانب الأساسي والذي هو فعَّالٌ **جدًّا**، ومفيد إلى حدٍ كبير في تزكية النفس البشرية، يأتي الهدى **(القرآن الكريم)** وينزل في شهر رمضان المبارك، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[1]، وهكذا نجد أنَّ هذه هي الرؤية الصحيحة التي تصلح حياة الإنسان، ويمكن لها أن تعالج واقع البشر، وتحل الكثير من مشاكلهم ومن أزماتهم، وتحقق لهم الحياة الطيبة، وهي رؤية منعدمة عند قوى الشر ومن يواليها، اتجاهاتهم نحو إفساد الإنسان، وهذا ما يفسد حياته، وهذا ما يسبب لانتشار الجرائم والمفاسد والمنكرات، وما يجلب على البشر العقوبات الإلهية في الدنيا وفي الآخرة، وهذه مشكلة خطيرة **جدًّا** على البشر.

لتكن أفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا قرآنية

القرآن الكريم هو نعمةٌ عظيمةٌ علينا من الله ﷻ، وفيه الهداية الكاملة التي نحتاج إليها كبشر، والتي نسعد بها في الآخرة، ونعيش بها الحياة الطيبة في الدنيا، وتصلح هذا الإنسان، وترسم له مسيرة حياته وفق توجيهات الله وتعليماته، فالإنسان من خلال ارتباطه بالقرآن الكريم، يصبح فيما يحمله من أفكار ومفاهيم عن هذه الحياة، وثقافات يعتمد على القرآن الكريم في ذلك، فيحمل نور القرآن الكريم، يحمل المفاهيم الصحيحة، الأفكار الصحيحة؛ **وبالتالي** عندما ينطلق على أساس ذلك في واقع الحياة على المستوى العملي، يمكنه أن ينطلق بشكلٍ صحيح، وفي القرآن نفسه في هدايته ما يزكي النفس، ما يصلح روحية الإنسان، ما يصلحه من الداخل في توجهاته، في دوافعه؛ **وبالتالي** في أعماله وفي مواقفه، ونحن بحاجة إلى أن نعود إلى القرآن الكريم ككتاب هداية، كتاب هداية، **يعني**: نحاول أن نغيِّر أي أفكار في رؤوسنا، أي

١- البقرة: من الآية ١٨٥

أفكار وأي مفاهيم نحملها تختلف مع ما في القرآن الكريم، فلتكن ثقافتنا قرآنية، فلتكن مفاهيمنا قرآنية، فلتكن أفكارنا وتصوراتنا في هذه الحياة على ضوء القرآن الكريم، وعلى ضوء هداية القرآن الكريم، ومن الواضح- أيُّها الإخوة والأخوات- أنَّ هذا غائب بشكل كبير **جدًّا** في واقع المسلمين.

إنَّ كثيراً من الأفكار والمفاهيم والتصورات هي مختلفة مع القرآن الكريم، وهي ضلال، هي ضياع، هي عمى، هي تيه، وسببت للمسلمين الكثير من المشاكل؛ **لأنهم** يعتمدون عليها، وينطلقون على أساسها في كثيرٍ من مواقفهم، في كثيرٍ من اهتماماتهم، في كثيرٍ من أعمالهم، إضافة إلى التأثير السيء لها على المستوى النفسي، فأن نعود إلى القرآن الكريم ككتاب هداية، **معنى ذلك:** أننا سنحرص أن تكون المفاهيم التي نحملها، والأفكار التي نعتمد عليها من خلال القرآن الكريم في كل شؤون هذه الحياة، **في كل ما يترتب عليه:** مواقف، وأعمالاً، وسلوكيات، وتصرفات، وتوجهات، نعتمد فيها على القرآن الكريم، وهذا ما نحن بحاجةٍ إليه.

وعندما نعود إلى القرآن الكريم الذي هو: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى﴾[1]، **بينات:** يُبيِّن لنا سبل السلام، سبل الخير، سبل العز، سبل الحياة الطيبة... كلَّ طريقةٍ صحيحة نحتاج إليها في هذه الحياة في أي مجال من المجالات يرسمها لنا القرآن الكريم، وكذلك فرقان، فرقان نفرق به بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين ما هو مصلحةٌ حقيقيةٌ لنا، وما هو خطيرٌ علينا.

إذا عدنا كأمةٍ مسلمة ودعونا البشر من حولنا إلى ذلك: إلى القرآن الكريم ككتاب هداية، فهذا كفيلٌ بحلِّ الكثير من مشاكلنا، بل كل مشاكلنا في هذه الحياة، بإصلاح واقعنا، أي مجتمع يركِّز على ذلك؛ **سيتحقق** له الخير الكبير في حياته، هذا جانب. وعندما نعمل على تصحيح علاقتنا بالقرآن الكريم، فلنحرص

١- البقرة: من الآية ١٨٥

أولاً على تصحيح نظرتنا إلى القرآن الكريم، فهو كتاب هداية، وهو كتابٌ آياته وكلماته من الله ﷻ هو، وفيه الهداية الكاملة والشاملة والواسعة، التي تتسع لهذه الحياة وأوسع من هذه الحياة، الله -جلَّ شأنه- **يقول:** ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[١].

كيف نصحح علاقتنا بالقرآن الكريم؟

وعلاقتنا بهذا الكتاب يجب أن نصححها من خلال:

أولاً: الالتجاء إلى الله أن يهدينا بكتابه، نحن بحاجة إلى الله ﷻ أن يمنَّ علينا بالهداية بكتابه، وأن يجعلنا ممن يأنس بكتابه، وبتلاوة كتابه، وممن ينتفع بهديه ونوره وآياته، فالدعاء والالتجاء إلى الله أمرٌ لا بدَّ منه.

ثم لا بدَّ من الإقبال، لا بدَّ من الإصغاء، لا بدَّ من التفهم، الإنسان الذي هو مستهتر، لا يصغي جيداً، لا يُقبِل إذا سمع التذكير من آيات الله، إذا سمع تلاوة القرآن الكريم، إذا قرأ في القرآن الكريم وتلاه، إذا سمع التذكير على أساس هديه ونوره، لا يُقبِل، لا يصغي، لا يتفهم، ينشغل ذهنياً، أو حتى لا يُقبِل أصلاً، فهذه حالة خطرة **جدًّا** على الإنسان، الله ﷻ قال في كتابه الكريم: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، **لماذا؟** لأن المؤمنين يُقبِلون على هدى الله، يصغون، يتفهمون، يتعامل مع هدى الله بإصغاء وتفهم، يدرك قيمة هدى الله، عظمة هدى الله، أهمية هدى الله، فهو يصغي، وهو يتفهم، الله ﷻ قال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٣]، الله -جلَّ شأنه- قال: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾[٤]، من يدرك أن هدى الله ﷻ هو حجةٌ عليه، وأنه إن لم ينتفع بهدى الله ﷻ سيخسر، سيشقى،

١- الكهف: الآية ١٠٩

٢- الذاريات: الآية ٥٥

٣- ق: من الآية ٤٥

٤- الأعلى: ٩-١٠

سيكون مصيره إلى جهنم- والعياذ بالله- المسألة ليست مسألة مزاجية- تترك لمزاج الإنسان ولا يترتب عليها أي نتائج. |الا| الإنسان المعرض، الإنسان المستهتر، الإنسان الذي لا يلتفت إلى هدى الله، ولا يصغي إلى هدى الله، ولا يتفاعل مع آيات الله؛ **هو** خاسر، هو هالك، تبعات ذلك ووزر ذلك عظيم، ذنبٌ عظيم.

ولهذا يأتي القرآن الكريم فيتحدث عن كل فئات المجتمع في موقفها من هدى الله، وفي علاقتها من هدى الله:

البعض ليس عندهم استعداد حتى للإصغاء والتفهم، ولا حتى للاستماع، أول ما يسمع هدى الله سبحانه وتعالى، ويسمع التذكير بآيات الله، قد يُنهي استماعه بالكامل ويذهب، أو يحاول أن يبعد نفسه عن ذلك، ليس على استعداد حتى على مستوى الاصغاء والسماع بتفهم، وهذه حالة خطيرة **جداً** على الإنسان، الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[1]، هذه حالة إعراض بالكامل، لا يريد حتى أن يسمع، ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾[2]، كمثل الحمار الوحشي إذا ظهر عليه الأسد يريد أن يفترسه فيهرب مذعوراً في حالة من الفوضى، والهروب بطريقة مذعورة، بطريقة فوضوية، بطريقة وهو يحمل الخوف والذعر والحركة غير المنضبطة، والحركة الفوضوية.

هذه حالة البعض مع هدى الله: ينفر من هدى الله، ويتجه بعيداً عن الإصغاء والاستماع، وكأنه من الحمر المستنفرة، لا يطيق حتى أن يبقى، أن يصغي، أن يستمع، هذه الحالة حالة خطيرة على الإنسان، سيندم عليها، لو لم يكن إلا يوم القيامة؛ **لأن** هذا الهدى الذي به نجاتك، به فوزك، إعراضك عنه، تجاهلك له، ابتعادك عن الإصغاء والسماع

١- المدثر: الآية ٤٩

٢- المدثر: ٤٩-٥١

له، عدم تفاعلك معه، هو خطرٌ عليك أنت، أما الله فهو غنيٌ عنك.

الحالة الأخرى للبعض: أنه حتى إذا سمع آيات الله، إذا سمع التذكير بهدى الله لا يتأثر، لا يتأثر لا في واقعه النفسي ولا في واقعه العملي، آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي تذكّرنا، وتتجه في كثيرٍ منها إلى واقعنا العملي، ما نعمل، ما هو يشكّل خطورةً علينا **ويجب** أن نحذر منه، تذكّرنا بمسؤولياتنا، ترسم طريق الخير لنا في مسيرة هذه الحياة.

ولذلك عندما يسمع الإنسان التذكير بأعمال أساسية ومهمة أمر الله بها، وهو مخلٌ بها، وتاركٌ لها، ومتجاهلٌ لها، ثم لم ينتفع بما سمع من آيات الله ومن هدى الله، واستمر في إعراضه، استمر في إهماله، استمر فيما هو عليه من مخالفة لتوجيهات الله وأوامره، أو تحذير عن شيءٍ يعمله، عن سلوكيات هي قائمة موجودة في واقع حياته ثم هو مصرٌ عليها، هذه حالة خطيرة **جدًّا** على الإنسان، إذا وصل الإنسان إلى هذا المستوى من السوء، فلا ينتفع بآيات الله، ولا يتأثر بها، ولا يتذكر بها، ولا يستبصر بها، فهي حالة خطيرة **جدًّا** عليه، هي مؤشر على حالة من الانحراف والفساد في نفسه وفي واقع حياته، **الله يقول:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾[1]، هل هناك شيء أكثر تأثيراً من آيات الله؟ هل هناك شيءٌ يمكن أن يترك أثره في نفسك، أو أن يصنع عندك قناعةً بالحق مثل آيات الله؟ |لا| ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾، لم يتفاعل، لم يتأثر، لم يتقبل، لم يرجع عمّا هو عليه من خطأ، لم يتجه إلى ما ينبغي أن يتجه إليه من عملٍ صالح، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، نسي ما يفعله من أفعال، من أعمال، من معاصي، ما يفرط فيه ويقصر فيه، ليس عنده التفات إلى ما يعمل، ولا تدقيق في طبيعة ما يعمل، وما يترتب عليه من نتائج في الدنيا وفي الآخرة،

١- الكهف: من الآية ٥٧

الموضوع عنده منسي، ليس عنده أي التفات إليه، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[(١)]، حالة خذلان، الإنسان إذا وصل إلى هذا المستوى في علاقته مع هدى الله: لا يتذكر إذا نصح بنصيحة تجاه خطأ، تجاه عمل سيء، تجاه تقصير، وذُكِّر في ذلك بآيات الله، لا يرجع عن تقصيره، لا يتراجع عن خطأه، لا يتجه إلى العمل فيما عليه أن يعمل، حالة خطيرة **جدًّا**، تعتبر حالة خذلان- والعياذ بالله.

أيضاً حالةٌ أخرى قد تحدث للإنسان في علاقته مع القرآن الكريم: هي حالة قسوة، وانعدام للتأثر والتفاعل قد تأتي على الإنسان في مسيرة حياته، قد يكون في مراحل معينة يتفاعل مع هدى الله، يتأثر بهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى على مستوى نفسه، وعلى مستوى واقعه العملي، ولكن مع طول الوقت يتأثر بأشياء أخرى وعوامل أخرى، ويبتعد شيئاً فشيئاً، ويقسو قلبه شيئاً فشيئاً؛ **حتى** يصل إلى مستوى من انعدام التفاعل والتأثر بهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهذه الحالة حذَّر القرآن الكريم منها، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[(٢)]، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: إلى متى سيظل الإنسان في هذه الحالة من البرودة، من عدم التفاعل مع هدى الله، من عدم التأثر بهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلى متى سيبقى الإنسان على هذا الروتين الذي يتعامل فيه مع هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبدون تفاعلٍ جاد، بدون توجهٍ عملي، بدون رجوع إلى واقع حياته ليَصلُح، تصبح المسألة عنده مجرد سماع، يسمع للموعظة حتى تنتهي، يسمع للتذكير حتى ينتهي، يسمع لآيات الله حتى يَفرغ منها، لكن على مستوى العمل، على مستوى واقع حياته لا يتجه بجد ليَصلُح

١- الكهف: من الآية ٥٧
٢- الحديد: الآية ١٦

على ضوء ما سمع، لا يتجه بمصداقية على ضوء ما ذكِّر به من آيات ربه.

فنحن يجب أن نحذر من هذه الحالة التي قد تطرأ على الكثير منا، قد تطرأ علينا في واقع حياتنا: أن نفقد تفاعلنا، تأثرنا مع هدى الله ﷻ، أن نتعامل بملل ونحن نسمع التذكير، نسمع التذكير بآيات الله وكأنه مجرد كلامٍ عادي، لم يعُد تفاعلنا معه بما ينبغي، وهو كلام الله، وهو هدى الله، وهي آيات الله نذكَّر بها، حالة خطيرة **جدًّا** علينا، حالة من قسوة القلب، حالة من انعِدام التفاعل، حالة خطيرة **جدًّا**، ينتج عنها الانحراف والفسق، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، عند قسوة القلب يصبح الإنسان جاهزاً للانحراف، وجريئاً على الانحراف، ولا مبالياً في إصراره على الخطأ، في إصراره على الذنب، في إصراره على التقصير، في إصراره على ما هو مخالفة لتوجيهات الله ﷻ، وهذه حالة خطيرة على الإنسان، نهايتها جهنم، عاقبتها النار- والعياذ بالله.

وهذا يحصل للكثير من الناس، يتجه البعض في طريق الحق، ويتحرك في البداية بتفاعل واندفاع، مع الوقت يبدأ يتأثر بعوامل كثيرة، تأثيرات متنوعة تعقِّد نفسه، تصرف ذهنيته، تؤثِّر على أولوياته، تؤثِّر على اهتماماته، تؤثِّر على توجهاته، حتى يصل إلى درجة خطيرة **جدًّا**، تصبح علاقته بهدى الله علاقة ضعيفة **جدًّا**، تفاعله مع هدى الله على المستوى العملي تفاعل ضعيف **جدًّا**، تصبح أهواء نفسه، وتوجهاته الشخصية، ودوافعه الشخصية هي التي تحكمه، هي التي تؤثِّر عليه، هي التي يتشبث بها، ويعرض عن آيات الله ﷻ، تعتبر هذه حالة خطيرة **جدًّا**.

لكي نتفاعل مع هدى الله

كيف هي الحالة الصحيحة للإنسان في تفاعله مع هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

أولاً: حالة الإصغاء والتفهم، الله -جلَّ شأنه- يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]، التفهم مع الطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يمنَّ على الإنسان بالهداية، وأن ينفعه بما ذكِّر به من آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

التفاعل مع ما يسمعه الإنسان من هدى الله، والإنسان إذا اتجه بصدق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتوجهٍ جاد للعمل والتذكر، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سينفعه، سيهديه، سيمنُّ عليه بالإهتداء بكتابه، ومن الواقع الإيماني الذي الإنسان فيه يصدِّق، ويثق، ويؤمن، يتأثر بهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **الله يقول: إنما المؤمنون هكذا:** الذين إذا ذُكِّروا بآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتأثرون، يخضعون، هم يعيشون في واقعهم الخضوع لله، والطاعة لله، والتسليم لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويتأثرون بهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويدركون عظمة وقيمة هدى الله، وأنه نعمة عظيمة، وأنه شيءٌ عظيم، يتأثرون به ويتفاعلون معه، **(وهم لا يستكبرون)**: ليس عندهم أي عُقَد من الكبر تؤثر عليهم في تفاعلهم، في استجابتهم العملية، في تقبلهم لهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فنحن في هذا الشهر الكريم ينبغي أن نحرص على أن نصغي لهدى الله، وأن ندرك أن فلاحنا ونجاتنا في الدنيا والآخرة تتوقف على تمسكنا بهذا الهدى، على تقبلنا لهذا الحق، على أن نلتزم به في واقع الحياة على مستوى العمل، **وأن نحذر من الإعراض بكل أشكاله:** من يعرض لا يريد أن يسمع أصلاً، ومن يعرض يسمع ولا يتفاعل، ولا يتأثر، ويُصر، ويتعنت على ما هو عليه من خطأ، وقد ذكِّر بآيات ربه، من يسمع بشكلٍ روتيني بغير تفاعل ولا تأثُّر فيقسو قلبه وينحرف، كل هذه الحالات حالات تشكِّل خطورة على الإنسان، وتفقده الاستفادة من هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

١- الأعراف: الآية ٢٠٤

علينا أن نكون كالمؤمنين، وأن نسعى لأن نكون من المؤمنين **الذين قال الله عنهم:** ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[1].

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم، وأن يهدينا بكتابه، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

****

١- الفرقان: الآية ٧٣

بين الحياة الأولى والحياة الآخرة
مقارنة ونتيجة

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نستمر في الحديث على ضوء قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، وسبق الحديث عن حاجتنا إلى التقوى في هذه الحياة؛ **للوقاية** من كل ما تسببه أعمالنا السيئة، وأعمال

١- البقرة: من الآية ١٨٣

غيرنا من المجتمعات البشرية في واقع هذه الحياة من نتائج سيئة، ومن عواقب وخيمة، ومن عقوباتٍ عاجلة من الله ﷻ، فالإنسان بحاجةٍ إلى التقوى، بحاجة إلى أن يكون حذراً وعاملاً بما يقيه من عذاب الله ﷻ ومن مقته وسخطه، في كل ما هو عقوبةٌ على الأعمال السيئة، ونتيجةٌ لها.

ومع ذلك نحن في أمسِّ الحاجة إلى التقوى، للحياة الآخرة، ونحن كمسلمين نؤمن بيوم القيامة، نؤمن بالحساب وبالجزاء، وبالجنة وبالنار، **ونؤمن بالحياتين:** الأولى والآخرة، ومن الواجب أن يسعى الإنسان ليرسِّخ استشعاره بأنَّ هناك بعد هذه الحياة: الحياة الآخرة، وأنه خُلِقَ لحياتين بينهما فاصلٌ قصيرٌ هو الموت، الحياة الأولى من هاتين الحياتين هي حياةٌ قصيرة بأجلٍ محدد، وهي حياةٌ ممزوجةٌ بالخير والشر، وبالسراء والضراء، ليس فيها راحةٌ إلَّا مع تعب ومع منغصات، وللأسف الكثير من الناس يتجه في كل ذهنيته، في كل اهتماماته، في كل ما يركِّز عليه، في كل أعماله، نحو الاهتمام بهذه الحياة، ومتطلبات هذه الحياة، وحاجة هذه الحياة، وأصبح الواقع السائد للكثير من الناس مع ظروف هذه الحياة ومشاكلها، وأزماتها، وهمومها، ومتطلباتها، أن يسيطر على ذهنيتهم التركيز كلياً نحو هذه الحياة، والغفلة إلى حدٍ كبير عن الحياة الأخرى، وهذه حالةٌ خطيرةٌ **جدًّا**؛ **لأنها** ستُنسي الإنسان الاستعداد لتلك الحياة، والتي هي على العكس من هذه الحياة، هذه الحياة محدودة، مؤقتة، مؤجلة، ممزوجةٌ بالخير والشر، والسراء والضراء؛ **أمَّا** تلك الحياة فهي دائمةٌ وأبديةٌ، ولا نهاية لها، ولا أجل فيها إلى مرحلةٍ معينة، وخيرها خالصٌ وعلى أرقى مستوى، والشر فيها خالصٌ وعلى أشد مستوى؛ **ولذلك** هي حياةٌ مهمة، وهي أيضاً نتيجةٌ لأعمال الإنسان هنا، مصيره يتحدد هناك على ضوء أعماله هنا، غفلة الإنسان عن الحياة الأخرى وعمَّا فيها من الحساب والجزاء أمرٌ خطيرٌ **جدًّا** على الإنسان.

ليكن التركيز في حساباتنا على الحياة الآخرة

ونحن إذا جئنا لنقارن بين هاتين الحياتين: بين الأولى والآخرة، سنجد أنَّ علينا أن نركِّز وأن نجعل الأولوية والاهتمام الأكبر في حساباتنا للحياة الآخرة، **وهذا هو الشيء الصحيح والبديهي إذا تأمل الإنسان ولو بعض تأمل:** حياة محدودة ومؤقتة، وبأجلٍ محدود، ولا تدري إلى متى، كلٌّ منا لا يدري إلى متى سيعيش في هذه الحياة، ونرى في واقع حياتنا الكثير من الناس ممن يرحلون من هذه الحياة وهم في مقتبل العمر، وهم في مرحلة الشباب، ونرى أيضاً أنَّ الإنسان مهما عمِّر في هذه الحياة، فهو يرى ما قد مضى من عمره وكأنه حُلُم، وكأنه وقتٌ قصير سرعان ما ينقضي، ما أسرع الأيام في الشهور، وما أسرع الشهور في السنين، وما أسرع السنين في العمر، تنصرم الأعوام وتنقضي السنون- وهكذا- عاماً بعد آخر، ولا يرى الإنسان نفسه إذا عمِّر إلَّا وهو في مرحلة الهرم والشيخوخة، وقد انقضى عنه شبابه، وانقضت تلك الأيام من حياته التي كان يمتلك فيها النشاط والصحة والقوة، وأصبح يعيش حالة الضعف، وحالة العجز، وحالة التعب والضعف في كل شيء: في قواه، وفي جسده، وفي تركيزه، وفي مداركه... إلى غير ذلك، وحتى في حواسه، حياة الخير فيها والأحوال فيها أحوالٌ متقلبة، قد يأتي الخير ثم يعقبه الشر، تأتي السراء تعقبها الضراء، ومشوبةٌ بالكثير الكثير من المنغِّصات، لا يكاد يمر يومٌ واحد إلَّا وفيه منغِّصات، من هذا يأخذ الإنسان العبرة، عندما تعيش حالة الضراء والغم النفسي، عليك أن تتذكر أنَّ الغم، وأنَّ الضر، وأنَّ الألم في الحياة الآخرة هو للأبد، هو للدائم، عندما تحس بالألم وبالوجع، وعندما تحس بالغم النفسي، مع ذلك تذكَّر كيف لو كان ذلك لملايين السنين.

الإنسان إذا استمر به الألم لأوقات معينة، لأيام أو لشهور أو لسنوات كيف يتعب، كيف يحس بالضجر الشديد، والإعياء الشديد، والإرهاق الشديد، والعناء الشديد، ويشعر بالضيق الشديد، ويسعى للخلاص من ذلك، يبحث عن كل الوسائل التي تساعده على الخروج من تلك الحالة، إذا عاش الإنسان الشدة في هذه الحياة، شدة البؤس، شدة الفقر، شدة الحاجة، كيف يضيق، كيف يتعب، كيف يسعى للخروج منها، كيف يشعر بالغم النفسي في أوقاتٍ مستمرة ومتتابعة، لدرجة أنَّ البعض يعاني من السهر، والقلق، والتوتر النفسي، والانزعاج الشديد، والتعب النفسي والجسدي، حالة الضجر كذلك، عندما يعيش الإنسان حالة الضجر والضيق، **وحسب التعبير المحلي:** [الضبح]، كيف لو استمر لك ذلك ملايين السنين، تفكر في ذلك، تأمل؛ **لأن** الحياة الآخرة الشر فيها والألم فيها هو على أشد مستوى، وهو نفسيٌ وجسديٌ، ولا نهاية له، الشر هناك في الآخرة شرٌ دائمٌ وأبدي، ولا لحظة واحدة في جهنم تعيش فيها شيئاً من الراحة، أو قليلاً من الخير، ولا لحظة واحدة، إنما هو عذابٌ دائم، شرٌ دائم، ضيقٌ دائم، عذابٌ نفسيٌ دائم... وهكذا.

ولنأخذ الدرس والعبرة

نأخذ العبرة في المقارنة بين هذه الحياة الأولى والحياة الآخرة، هذه الحياة بأجلٍ محدد، على مستوى حياتك أنت كشخص كفرد، لك أجل، إذا جاء هذا الأجل، ليس هناك أي فرصة إضافية نهائياً، ولا لساعةٍ واحدة، الله -جلَّ شأنه- **يقول في القرآن الكريم:** ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]، والكثير بلا شك من الناس يأتي هذا الأجل وهم على غير استعداد، ويأتي مفاجئاً، يفاجئهم ويفاجئ الآخرين من أقربائهم وأصدقائهم، وهم -فيما كانوا عليه- منشغلين- إما كلياً أو إلى حدٍ كبير- كأولوية في شؤون هذه الحياة والاهتمامات المتعلقة بهذه الحياة، والتي هي حياة بسيطة ومؤقتة.

١- المنافقون: الآية ١١

على مستوى الأمم والأجيال لكل أمةٍ أجل، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[1]، نرى بعد مرحلة معينة وقد انقضى جيلٌ كامل، جيلٌ بأكمله لم يعد منه أحد، لو يراجع الإنسان تاريخ قرية من القرى في الريف، أو حيٍ من الأحياء، أو حارةٍ من الحارات في المدينة، سيرى كيف أنه ما قبل خمسين عاماً، ما قبل ثلاثين عاماً، إلى مستويات معينة، أو عقود معينة من الزمن، وقد انقضى جيلٌ بأكمله، بقي الأبناء، ورحل الآباء والأجداد، وهكذا على مستوى الوجود البشري بكله، هو مؤقت منذ خلق الله آدم أبا البشر وزوجه حواء، الله ﷻ عندما خلق البشر جعل لهم أجلاً معيناً؛ **مثلما** خلق الله أول إنسان، هناك من سيولد من البشر وهو آخر إنسان، الإنسان الأخير، الله أعلم من هو، ما سيكون اسمه، في أي بلدٍ سيكون الانسان الأخير مثلما خُلِق الإنسان الأول سيخلق الإنسان الأخير، والله -جلَّ شأنه- عندما خلقنا في الأرض، وخلق أبانا آدم وزوجه حواء، **قال -جلَّ شأنه-:** ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾، إلى زمنٍ محدد، إلى وقتٍ معين، ثم تنتهي هذه الحياة.

هذه الحياة مؤقتة: فتزود قبل الرحيل

وهكذا نجد أنَّ هذه الحياة التي هي مؤقتة، وإلى أجلٍ معين، وأنَّ القيامة آتية، الموت الذي هو الفاصل؛ **الإنسان** سيستشعره فاصلاً قصيراً **جدًا**، فاصلاً قصيراً، هكذا الشعور عند البعث، يوم يبعث الله البشر، يستشعرون وكأن المدة التي قضوها من حين موتهم إلى حين بعثهم لم تكن إلَّا كساعةٍ واحدة من ساعات هذه الحياة، أليست حالة قصيرة **جدًّا**؟ مدة زمنية قصيرة في شعور الإنسان وإحساسه، وفي وجدانه وتقديره.

١- الحجر: الآية ٥

لاحظ إذا حاولت أن ترتاح قليلاً وتنام لبرهةٍ بسيطة، لساعة، فتقول لقريبك أو لزميلك أو لأهلك أن يوقظوك بعد ساعةٍ من النوم، حينما تستيقظ؛ **ما قبل أن تنام**، وبعدما استيقظت في تلك الساعة وخلال تلك الساعة، ألست تستشعرها مدةً قصيرةً **جدًّا**؟ هكذا هو الحال، ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[١]، إلى حد أنهم يقسمون لشدة هذا الشعور، وقوة هذه المشاعر، وكأن المسألة فقط كأنها ليست إلا ساعةً واحدة، ولذلك يقسمون على ذلك.

هكذا هو الحال، الإنسان الذي كان غافلاً، ومسوِّفاً، ومهملاً، ومستهتراً سيتفاجأ، وسيرى كيف أن الأمور متسارعة جدًّا، القيامة نفسها آتية، الحياة الأخرى آتية.

الإنسان قبل البعث، عندما يأتيه الموت، والموت هو بداية الرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أول ما يستشعره هو أنَّ هذه الحياة كانت قصيرة، وأنَّ الموت قد أتى سريعاً، وأنَّ نهاية الحياة هذه أتت بشكلٍ مفاجئٍ له، ويتحسر في تلك اللحظات على العمل، ويدرك أنَّ أهم شيءٍ على الإطلاق هو العمل والاستعداد للحياة القادمة، التي هي حياةٌ أبديةٌ ودائمةٌ ولا نهاية لها، ولا أجل فيها، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[٢]، يطلب الرجعة إلى هذه الحياة، يطلب أن يعطى فرصةً إضافية، أن يضاف إلى عمره ولو القليل، لماذا؟ لماذا يريد الرجوع؟ لماذا يريد الفرصة الإضافية؟ لماذا يريد التمديد في مدة عمره؟ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[٣]؛ **لأنه** أدرك أنه قصَّر في العمل الصالح، العمل الصالح الذي هو الرصيد الأساسي لمستقبلك في الآخرة، الذي لن ينفعك في مستقبلك هذا الآتي، مستقبلك القادم، مستقبلك الدائم، لا ينفعك إلَّا هو، ولا نجاة لك إلَّا به، ولا تفوز إلَّا به.

١- الروم: من الآية ٥٥
٢- المؤمنون: الآية٩٩
٣- المؤمنون: من الآية ١٠٠

ولذلك يدرك الإنسان أهمية العمل الصالح، ومدى الخسارة الفادحة إذا أضاع هذه الحياة البسيطة المحدودة المؤقتة، التي هي بأجلٍ محدود، والتي هي مليئة بالمنغصات مهما بذل فيها من جهد، مهما أعطاها من اهتمام، هي مليئة بالمنغصات والتقلبات والمتغيرات، ويرى أنه ذاهبٌ إلى تلك الحياة الأبدية والدائمة، ولكنه لم يتزود لها، ولم يستعد لها بالعمل الصالح، فتكون حسرته كبيرة.

القيامة آتيةٌ لا ريب فيها وقريبة، الله -جلَّ شأنه- قال في القرآن الكريم: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[1]، ونحن أمة محمد، والناس في آخر الزمان يفترض أنهم أكثر خوفاً من الله ﷻ، وأكثر استشعاراً لقرب القيامة؛ **لأنها** اقتربت أكثر من أي وقتٍ مضى، ومجيئها هو بغتة، ومفاجئٌ للناس، وعلى نحوٍ حاسم، لا فرص إضافية، ولا أوقات يمكن فيها أن يتلافى الإنسان، أو تتلافى المجتمعات البشرية ما هي فيه من التقصير، ما هي فيه من الإهمال، ما هي فيه من الغفلة، فتتجه بالمبادرة إلى أعمالٍ صالحة تكون فيها نجاتها. إلا الله ﷻ **قال عن القيامة:** ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[2]، وعندما تأتي بغتة يتفاجأ الناس بها، وتأتي بحالة تدمير كلي لهذه الأرض ولهذه الحياة، وعلى نحوٍ حاسم، الله ﷻ قال في كتابه الكريم: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾[3]، القيامة هذه الآتية لماذا ستأتي؟ الموضوع الرئيسي فيها ما هو: يوم القيامة، لماذا هو؟ **لأنه** للحساب، للجزاء.

الإيمان بالجزاء هو الدافع الكبير للتقوى

الإنسان إذا آمن بالجزاء، واستشعر الجزاء، وإذا آمن بيوم القيامة، وبالحساب، وبالجنة، وبالنار، سيدرك أهمية ما يعمل، قيمة ما يعمل، سيدرك أيضاً أنَّ أي معصيةٍ لله- مهما كانت مغرية- ليست في مستوى أن تتورط من أجلها وتوقع

١- القمر: الآية١
٢- الأعراف : ١٨٧
٣- النجم: ٥٧-٥٨

نفسك في هذا الهلاك الكبير، والخسران المبين العظيم، سيدرك أيضاً قيمة أي عملٍ يقيه من عذاب الله ﷻ يحقق لنفسه به الأمن يوم القيامة، سيعيش الخوف هنا في الدنيا، ليتقي الله، ليحذر، ليهتم بالأعمال الصالحة والنافعة والمفيدة، سيتوفر له الدافع الكبير لتقوى الله ﷻ فيعمل ما فيه رضا الله، ويتجنب ما يسبب سخط الله، وغضب الله، وعذاب الله، ومقت الله.

مسألة الإيمان بالحساب والجزاء مسألةٌ مهمةٌ جدًّا، سيدرك الإنسان أنَّ كل مصيره مرهونٌ بعمله، الله -جلَّ شأنه- **قال في كتابه الكريم:** ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾[١]، لا بدَّ من الجزاء، ما تعمله ولو بمثقال ذرةٍ من الخير، أو مثقال ذرةٍ من الشر، لا بدَّ من الجزاء عليه، ما تقوله من الخير، أو تقوله من الشر، ستلقى عليه الجزاء، مسألةٌ مهمة **يجب** أن يستشعرها الإنسان وأن يستحضرها، وأن يستشعر قرب لقاء الله ﷻ؛ **حتى** يتهيَّأ، حتى يدرك أهمية هذا المستقبل الذي هو قادمٌ ولا بدَّ منه: هذه الحياة هي متاع، لو نلت فيها ما نلت: من متاعها، من خيراتها، من رغباتك فيها، هي محدودة، ومع المنغصات، وتنتهي، تنتهي، لكنَّ ما هو قادمٌ في الآخرة أمرٌ عظيمٌ **جدًّا**، يستحق منك الاهتمام المستمر والجد المستمر.

القيامة.. الحدث الرهيب والمهول!!

ولذلك عندما نتأمل في القرآن الكريم ونجد أنَّ أحداث يوم القيامة هي أحداثٌ مهولة، هذا بحد ذاته يبين لنا كيف أنَّ عملية الحساب- وهي ما قبل الجزاء- هي عملية حاسمة، لا مجال فيها للمجاملة، لا مجال فيها للرشوة، لا مجال فيها للوساطات، لا مجال فيها للحِيَل، أن يأتي الحساب وأن تأتي مرحلة الحياة الآخرة بتلك الأحداث المهولة في يوم القيامة، من دمارٍ لهذه الأرض، وخرابٍ لها، ودكٍّ لها، **من نهايةٍ لكل مظاهر الحياة عليها:** بحارها، وأنهارها،

١- النجم: ٣٩-٤١

وأشجارها، ما على هذه الأرض من القرى، من المدن، من المساكن، بل ما عليها من الجبال، بكلها تدك وتنتهي، الله -جلَّ شأنه- يقول في القرآن الكريم وهو يتحدث عن يوم القيامة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[1]، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، **هو الحدث الرهيب الذي به تقوم القيامة:** النفخة في الصور، ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، هذه نفخة الدمار لهذه الأرض ولهذه الحياة، النفخة التي يموت فيها كل الذين لا يزالون أحياء حينئذٍ على وجه الأرض، بل حتى في السماوات، ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، واحدة فقط، في ضربةٍ قاضية وحاسمة، ليست عبارة عن أحداث متسلسلة، وأحداث تبقى فيها فراغات من الزمن، وفرص يستغلها الإنسان، لن تأتي المسألة أن يأتي التدمير الجزئي في بقعةٍ أو ناحيةٍ محدودةٍ من الأرض، ثم تبدأ هكذا من منطقة تتنقل إلى منطقة أخرى. |لا| **حتى نقول:** [سيستغل البعض الفرصة]. مع أنَّ البعض حتى لو كانت على هذا النحو لما استغلوا الفرصة، المسوِّفون هم دائمون في تسويفهم، دائماً ما يتأخرون، ودائماً ما يغفلون، ودائماً لا يبالون حتى يأتي الدور عليهم، هذه حالة المسوِّفين.

﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، **فتكون ضربةً حاسمةً قاضية**، لا يمكنك فيها أن تعلق الأمل أنك ستتوب، ستصلح، ستهتم بالأعمال الصالحة، سترجع إلى الله ﷻ في وقتٍ معين قبل أن تصل أحداث القيامة إلى بلدك، أو إلى وطنك، أو إلى قريتك، أو إلى مدينتك، إنَّ كل الأرض بكل ما عليها من الجبال ستُدَمَّر عند هذه النفخة الواحدة بدكةٍ واحدة أيضاً، ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[2]، واحدة فقط، دكة واحدة تنهي هذه الأرض، وتنسف ما عليها من الجبال، تبخِّر ما عليها من البحار، بل إنَّ هذه البحار تستعر، تستعر في قيعانها بالنيران، ويتبخر ما فيها من المياه، وتتغير كل المعالم على وجه هذه الأرض،

١- الحاقة: ١٣-١٥
٢- الحاقة: الآية ١٤

كلها تدمَّر تدميراً كلياً، ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[1]، هذه النفخة الأولى، هذه الأحداث الرهيبة والمهولة مع ما هناك من خسوف، من تكويرٍ للشمس، من نهايةٍ للقمر، من دمار لهذه الحياة تدميراً كلياً.

النفخة الأخرى والحضور الإجباري لساحة الحساب

ثم تأتي بعد ذلك النفخة الأخرى، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[2]، النفخة الأخرى هي كذلك حدثٌ رهيبٌ وهائل، يبعث الله به كل الأموات، يبعث كل البشر دفعةً واحدة في لحظةٍ واحدة، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾، يقوم كل البشر وقد عادت إليهم الحياة من جديد إلى واقعٍ جديدٍ على ساحة الأرض في ساحة الحشر والحساب.

الحضور إلى ساحة الحساب وبعدها إلى الجزاء، سيكون حضوراً إجبارياً، لا يمكن لأحدٍ أن يمتنع، لا يمكن لأحدٍ أن يتعنت، لا يمكن لأحدٍ أن يحتمي بأي وسيلةٍ من الوسائل، لن يأتي أحدٌ ومعه أنصارٌ أو جيوشٌ، ولن يأتي أحدٌ وهناك وساطات تتوسط له؛ **حتى** لا يدخل إلى مرحلة الحساب وبعدها الجزاء. الكل سيأتي بهم الله في ذلك اليوم للحساب أولاً وللجزاء ثانياً، كل فردٍ يتم إحضاره إلى تلك الساحة، لا يمكن لأحدٍ أن يختفي، ولن يُنسى أحد، ولا غفلة عن أحد، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[3]، صيحة واحدة فإذا بالكل وقد أُحضِروا للحساب، وكل شخصٍ يحضر ويرى وكأن التركيز كله عليه، كأن كل أحداث القيامة تدور على رأسه.

١- طه: ١٠٥-١٠٧
٢- الزمر: الآية ٦٨
٣- يس: الآية ٥٣

مع كثرة الجمع وقد أُحضِر كل البشر، ليس هناك غفلة عن بعض، وتركيز على بعض، ولم ينتبهوا للبعض الآخر، وحاول الإنسان أن يضيع في معمعة ذلك الاجتماع الرهيب والهائل، وأن يختفي ضمن تلك الأعداد الهائلة والكثيرة من البشر. إلا كل واحد يرى التركيز عليه بشكلٍ كبير، يرى المتابعة له لحظةً بلحظة، يرى وكأن أحداث القيامة كلها تتجه إليه هو، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[1]، كلٌ يأتي لوحده، لا يجد أحداً يعينه، ولا يقف إلى جانبه، ولا يقدِّم له أي خدمة، ولا يتحمل عنه أي عبئ، ولا يتضامن معه بأي شيء، ولا يملك له أي نفع، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[2]، ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[3]، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[4]، كل إنسان يأتي في حالةٍ فردية، يرى نفسه وكأنه هو المعني رأساً، وكأنه هو المقصود أكثر من غيره، وكأن كل التركيز عليه.

لتبدأ بعدها مرحلة الحساب، يُجمَع الخلائق بكلهم، وينظَّمون تنظيماً دقيقاً ومحسوباً، لتبدأ عملية الحساب، والموضوع الرئيسي هو العمل، العمل الذي سيترتب عليه كل شيء، العمل الذي كنا نستهتر به في هذه الحياة، كم من الأعمال السيئة يستهتر بها الإنسان، يتهاون بها الإنسان، وما من عملٍ سيءٍ- مهما كان مغرياً- يستحق أن تتورط من أجله لحظةً واحدة في نار جهنم، يستحق أن تتجرع بعده مرارة الحسرة والندامة الشديدة، والعذاب النفسي يوم القيامة.

١- مريم: ٩٣-٩٥
٢- الانفطار: الآية ١٩
٣- لقمان: من الآية ٣٣
٤- عبس: الآية ٣٧

نكتفي بهذا المقدار...

ونستكمل- إن شاء الله- في المحاضرة القادمة الحديث عن مرحلة الحساب على ضوء بعضٍ من الآيات القرآنية المباركة.

أسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يهدينا بكتابه الكريم، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

****

يوم الحساب

التجميع والتنظيم وعملية التوزيع

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُولُهُ خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبَّل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث في سياق الكلام عن يوم القيامة، وعن الحساب وبعد ذلك الجزاء على ضوء ما ورد في بعضٍ من الآيات المباركة في القرآن الكريم.

وسبق التأكيد عن الأهمية الكبيرة للتذكر ليوم القيامة؛ لأهمية ذلك على مستوى الحذر من المعاصي، ومما يسبب سخط الله، ومما يوقع الإنسان

٤ في العذاب، فتتحقق للإنسان الوقاية من عذاب الله. **ولأهمية** ذلك أيضاً في توفر الدافع القوي للعمل الصالح، للعمل بما يرضي الله ﷻ للعمل بما أمرنا الله به -جلَّ شأنه- للاستجابة لله ﷻ فيما وجّهنا إليه، ورغّبنا فيه، غفلة الإنسان عن يوم القيامة تؤثّر على الإنسان؛ **فيتجرأ** على المعاصي، وتؤثّر عليه فيتكاسل ويتهرب من الأعمال التي بها فوزه وفيها نجاته.

يوم القيامة وما ذكره الله عنه في القرآن الكريم هو حقيقةٌ لا ريب فيه، وتلك التفاصيل التي ذكرها الله في كتابه الكريم هي حقائق لا ريب فيها، وهو آتٍ بلا شك، ولذلك فإنَّ كل الذين يتجاهلون هذه الحقيقة، ويؤمِّنون أنفسهم، ويستهترون في هذه الحياة، ولا يستشعرون المسؤولية تجاه أنفسهم وتجاه مستقبلهم الأبدي والدائم، وحتى كل الذين لا يصدِّقون بذلك نهائياً، الكل قد سمعوا بيوم القيامة، يوم القيامة يومٌ يمر على مسامع الناس جميعاً، الذي لا يصدِّق، والمستهتر، والمهمل، والمتجاهل، فلا الإنكار والجحود يمكن أن يفيد الإنسان، وأن يعتذر يوم القيامة بأنه لم يكن من المصدِّقين بهذا اليوم؛ **وبالتالي** ليس عليه أي تبعات ولا أي مسؤولية، هذا لا يفيد الإنسان شيئاً؛ **إنما** هو وزرٌ عظيم، وخسارةٌ رهيبةٌ وفادحة، ولا التجاهل والعمل على أن يواصل الإنسان مشوار حياته وفق هوى النفس، وبعيداً عن الحسابات في عمله بحساب الخير، وبحساب المسؤولية، وباستشعار أنه ملاقٍ للحساب والجزاء، لا التجاهل أيضاً يفيد الإنسان، ولا ينفعه، ولا يدفع عنه شيئاً، إنما يحمله وزراً عظيماً.

ضرورة اليقظة واستشعار قرب لقاء الله

الإستشعار لقرب لقاء الله ﷻ، وأن تحسب حساب يوم القيامة، وحساب ما ستلاقيه من حسابٍ على أعمالك ومن جزاءٍ عليها، هذا هو الذي يفيد، **ولذلك** ورد في القرآن الكريم الحديث عن كثيرٍ من التفاصيل؛ **حتى** ندرك هنا في الدنيا أننا سنلاقي تلك التفاصيل، وأنَّ الإنسان المفرِّط

والعاصي والمستهتر سيعيش تلك التفاصيل السيئة والخطيرة هو شخصياً، والإنسان الذي حسب حساب يوم القيامة، واستشعر الجزاء، وأناب إلى الله، ورجع إلى الله، وتاب من خطيئاته، وسعى للخروج دائماً من زلّاته، وبادر إلى الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما دعا إليه، وفيما أمر به، سيعيش كل تلك التفاصيل والأجواء السعيدة والعظيمة والمشرِّفة، وسيعيش لحظات الفوز في ساحة القيامة، ثم ينتقل إلى الفوز العظيم والأبدي والدائم في الجنة.

كل تلك التفاصيل عليك أن تتذكر أنت شخصياً أنك المعني، أنك في حال تفريطك وتجاهلك وغفلتك، قد تكون أنت شخصياً ذلك الذي يتحسر، ذلك الذي يبكي، ذلك الذي يعيش كل تلك الأقوال، وكل تلك المواقف التي هي مواقف خسارة، وحسرة، وعذاب، وشقاء، وذلك الذي ينقل شخصياً إلى جهنم، فيرمى فيها ليبقى فيها للعذاب الشديد والأليم- والعياذ بالله.

بينما إذا كنت متنبِّهاً متيقظاً واتقيت الله، كنت في عِداد المتقين، الموعودين من الله بالأمن يوم القيامة، الموعودين من الله بالفوز يوم القيامة، الموعودين بالجنة، الذين سيمنُّ الله عليهم بكل ذلك التكريم، وبكل ذلك النعيم، فالمسألة مهمة.

عندما يسمع الإنسان عن تفاصيل كهذه، لا يتصور وكأنها تفاصيل تحكي عن آخرين. أنت شخصياً، أنت احسب حساب نفسك، أنت المعني، **وأنت من سيتجه حتماً: إمَّا** إلى ذلك المصير إذا أنت سرت في طريقه، **وإمَّا** إلى ذلك المصير إن أنت سرت في طريقه، فالمعني هو أنت بالتحديد، وليس شخصاً آخر، كل شخصٍ هو معنيٌّ، وهذا ما **يجب** أن نتنبه له وأن نتذكره.

في يوم القيامة لا يمكن للإنسان الامتناع عن الحضور، في الدنيا قد كان يُدعى إلى أعمالٍ صالحة فيمتنع، قد كان يُدعى إلى الجهاد في سبيل الله وإلى النفير في سبيل الله فيمتنع، قد كان يُدعى إلى حضور مجالس الهداية وإلى

٤

سماع الهدى فيمتنع، قد كان يُدعى إلى أشياء كثيرة فيمتنع، قد كان في بعض الأحيان إذا ارتكب ذنوباً معينة، أو مخالفات معينة، أو مظالم معينة، يحاول أن يمتنع وأن يدفع عن نفسه الإجراءات العقابية من خلال الاستناد إلى قبيلته، أو إلى حزبه، أو إلى سلطته... أو إلى أي طرفٍ يمكن أن يحتمي به. هناك لا يمكن، لا يمكن أن تمتنع وتستند إلى أي أحد، ولا إلى قوتك، ولا إلى إمكاناتك.

لا يمكنك أيضاً في يوم القيامة التهرب والتملص، في الدنيا قد تتملص وتتهرب من أعمال كثيرة، قد تغلق التلفون؛ **حتى** لا تضطر وتُحرَج بالجواب وأنت تدعى إلى عملٍ صالح، قد تحاول أن تختفي في منزلك ولا تتجاوب لعملٍ صالح تخرج فيه، أو تتحرك فيه، وتوصي أقرباءك أن يجيبوا بأنك لست في المنزل، قد تحاول أن تتهرب بأساليب كثيرة للتهرب، في حال المظالم، أو المعاصي، أو المخالفات، قد تحاول أيضاً أن تتهرب وأن تختفي؛ **حتى** لا تنالك العقوبة. في يوم القيامة لا يمكنك أن تتهرب أبداً، تريد أن تمتنع؟ لا يمكن، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[1]، الكل، كلهم سيحضرون، ولا أحد يستطيع أن يمتنع، ولا أحد يستطيع أن يتهرب، ولا نسيان لأحدٍ من جانب الله ﷻ ولا انشغال عن أحد، لا انشغال عن أحد بأحد أياً كان، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[2]، الكل سيأتي بهم الله في ذلك اليوم، ولا يمكن لأحدٍ أن يتهرب، ولا أن يتخفى أبداً.

عملية الحشر والتجميع والتنظيم في ساحة المحشر

يقول الله -جلَّ شأنه- عن حالة البعث، والإنسان يبعث يوم القيامة بعد أن كان ميتاً، يبعث إلى ساحة الحساب، ويجمع البشر بكلهم في ذلك اليوم الموعود من أجل أن تبدأ عملية الحساب، وبعدها مباشرةً عملية الجزاء، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي

١- يس: الآية٣٢
٢- الكهف: من الآيتين٤٧-٤٨

٤ ﴿الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[١]، لا يمكنك أن ترفض القيام معهم، وأن تحاول أن تغمض عينيك وتتجاهل ما يجري وما يدور. |لا| الموقف بحد ذاته وكل الإجراءات والترتيبات فيه لا يتهيأ فيها ذلك.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾، يبعث الإنسان، بعد البعث مباشرةً وعودة الحياة تبدأ عملية الحشر والتجميع في ساحة المحشر وعملية التنظيم، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾، **(الدَّاعِيَ):** المسؤول عن تنظيمهم، الذي يدعوهم ويشرف على عملية ترتيبات وإجراءات يوم الحساب، وتنظيم الجمع من المخلوقات، من البشر كذلك في ساحة المحشر، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ الكل يتّبعونه، والكل يلتزمون بتلك التعليمات التي يقدِّمها في عملية تنظيمهم، لا أحد يمتنع منهم، ولا أحد يحاول أن يكون فوضوياً، لا مجال للفوضى، ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا أحد يحاول أن يَعوَجّ، أو أن يحاول أن يخالف تلك التوجيهات أبداً.

في الدنيا دعوة الله لك إلى أعمال كثيرة، أعمال فيها نجاتك؛ **كم** تجاهلتها، تسمع داعي الحق يدعوك بآيات الله، وقد تتجاهل، وقد تعرض، وقد تعوج في كثيرٍ من الأمور، لا تسير وفق توجيهات الله ووفق تعليمات الله؛ **أمّا** هناك فلا مجال للاعوجاج أبداً، إلَّا التزام حرفي، التزام بدقة، سير وفق التعليمات دون أي مخالفة، ﴿لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[٢]، الكل في خشوع، الكل في خضوعٍ تام لله سبحانه وتعالى الكل في حالةٍ من الصمت، لا ارتفاع للأصوات. |لا| الحالة حالة خضوع كامل، وكل هذا من أجل ماذا؟ هل من أجل اجتماع لمناسبة معينة، اجتماع عادي، أو احتفال، أو مهرجان؟ |لا| هو من أجل العمل، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾

١- الزمر: الآية ٦٨
٢- طه: من الآية ١٠٨

٤ الكل يبعثهم الله سبحانه وتعالى ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١]، أحصاه الله في الوقت الذي نسي الإنسان الكثير والكثير من أعماله، ينسى الإنسان على مستوى الأسبوع أحياناً، أو على مستوى الشهر، أو على مستوى العام يكون قد نسي الكثير من أعماله، ومن تصرفاته، ومن أقواله؛ **أمَّا** الله فقد أحصى عليك كل ما عملت من خير ولو بمثقال الذرة، أحصى كل ما عملته من الشر ولو بمثقال الذرة، الكل محصيٌّ لا يغيب شيء.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.. أول إجراءات الحساب

بعد عمليةَ الجمع والتنظيم والترتيب تبدأ عملية الحساب، وأول إجراء من إجراءات عملية الحساب نفسها هو: توزيع الصحف (الكتب) الصحف هي نفس الكتب، كل إنسان له كتاب لأعماله، وقد يكون هذا الكتاب كتاباً مرئياً، أشبه ما نرى في الفيديو من أشياء توثَّق، أعمال أو تصرفات توثَّق بالفيديو فيرى الإنسان صوتاً وصورة.

كتاب الإنسان يوم القيامة كما قال الله عنه: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٢]، الإنسان في هذه الدنيا في كل ما كان يعمل، وفي كل ما كان يقول، هو الذي سجل على نفسه كل تلك الأعمال، تصرفاتك وأعمالك أنت الذي سطرتها بحيث كانت توثق عليك، الله أحاطنا في هذه الحياة بالحَفَظَة الذين يكتبون كل ما نقول وكل ما نعمل، ونحن كنا من نقدِّم كل ذلك الذي وثقوه، هم كانوا يقومون بعملية توثيق فقط؛ **أمَّا** نحن فأعمالنا هي التي تحدد ذلك المصير بكله، **وهي التي توثقت فكانت: إمَّا** خيراً لنا، **أو** شراً علينا.

١- المجادلة: الآية ٦
٢- الإسراء: ١٣-١٤

٤ الله -جلَّ شأنه- قال في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، رقابةٌ مستمرة على الدوام، لا تنقطع أبداً على مدى الأربع وعشرين ساعة، في كل لحظةٍ من تلك اللحظات لا يغيبون عنك، ولا يغفلون عنك، لا يمكن أن يناموا فلا يدرون ولا يعرفون ماذا فعلت، ولا يسجِّلون عليك عملك، ولا يمكن أن يغفلوا أو أن ينشغلوا بأشياء أخرى، أو أن ينهمكوا في الحديث فيما بينهم فلا يدركون ما تقول. أبداً، رقابةٌ مستمرةٌ عليك وبإدراك، الله -جلَّ شأنه- زوَّدهم بكل ما يتمكنون به من القيام بمهمتهم على أكمل وجه، وجعلهم هم- فيما خلقهم وفيما مكَّنهم- بالمستوى الذي يتمكنون فيه من إنجاز هذه المهمة بدقة، فلا يفوتهم شيء، ولا يغيب عنهم شيءٌ من أقوالك ولا من أعمالك.

الله -جلَّ شأنه- قال في كتابه الكريم: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2]، ما أكثر ما ينسى الإنسان هذه الرقابة، الكثير من الناس في كثيرٍ من أحوالهم ينسون هذه الرقابة، ينسون هذا الحضور لملائكة الله الذين يسجِّلون كل ما تقول، وكل ما تعمل، وكل تصرفاتك.

البعض من الناس إذا كان في خلوةٍ لوحده منفرداً، يشعر وكأنه لا رقيب عليه، حينها يتجرأ على المعاصي، قد يكون الإنسان في غرفته الشخصية يعمل على مواقع التواصل الاجتماعي، ويتخيل ألَّا أحد يعرف بتصرفاته تلك، ولا يطَّلع على ما يكتب وعلى ما يدخل فيه من أشياء سيئة، من معاصي تغضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من انهماك فيما يجره إلى الفساد، من اتِّباعٍ لخطوات الشيطان؛ **لأنه** يتخيل نفسه وحيداً، كان جريئاً، جريئاً يكتب أي عبارات مهما كانت سيئة، مهما كانت معصية، يقول أي شيءٍ مهما كان باطلاً أو كان فاسداً، هذه الحالة من الجرأة؛

١- الانفطار: ١٠-١٢
٢- ق: ١٧-١٨

٤ **لأنه** رأى نفسه وحيداً وظن ألّا أحد يراه، ظن أن لم يره أحد، وبذلك كان جريئاً.

في كثيرٍ من أحوال الإنسان وهو يطمئن من المساءلة والحساب؛ إمّا لأنه في موقع سلطة أو وجاهة اجتماعية، **أو** لأنه مشرف، **أو** لأنه شخصية معينة، يطمئن أن لا مساءلة، يغفل أنه سيُسائل، وأنَّ عمله محصيٌ عليه، في كثيرٍ من الحالات إذا اطمأن الإنسان من أن هناك من سيشهد عليه، أو سيشي به، أو سيخبر عنه، إذا اطمأن من ذلك يتجرأ، كل هذه الحالات من حالات الغفلة، غفل الإنسان فيها عن أهم من هو رقيبٌ عليه وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبرقابة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المباشرة التي تصل إلى ما يوسوس به الإنسان لنفسه، رقابةٌ من الله إضافية هي: أولئك الحفظة الكرام الكاتبون، الذين يكتبون علينا ما نعمل وما نقول.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ملازمان للإنسان لا يفارقانه، لا يتركانه في حالة يذهب لوحده وكانا غائبين، كانا في نزهة، أو ذهبا لشغلٍ آخر، أو ذهبا لتناول وجبة الطعام، أو غفلا بالنوم، لا يوجد ولا لحظة واحدة من حالات الغفلة عنك، وعمّا تعمل، وعمّا تقول؛ **ولذلك** علينا أن نستشعر ذلك، في يوم القيامة من لم يكن يستشعر ذلك، ولا يتنبه له في هذه الدنيا سيتفاجأ عندما يرى هذه الصحف وهذه الكتب توزَّع ويأتيه كتابه.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾.. التمهيد ثم بداية عملية التوزيع

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **في كتابه الكريم:** ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ في المحشر، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ بدأت عملية التجهيز بدءًا للتمهيد لعملية التوزيع، ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾، بعد أن وزِّع عليهم، ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]، وجدوا ما عملوا،

١- الكهف: الآية ٤٩

كل صغيرةٍ وكل كبيرةٍ يحصيها كتابك، كل صغيرةٍ وكبيرةٍ من أعمالك يحصيها، ٤
كم سيجتمع من يوم أن بلغت مرحلة التكليف الشرعي، إلى آخر لحظةٍ من حياتك، **كل هذه المرحلة من عمرك:** من بلوغك مرحلة التكليف، إلى آخر لحظة من حياتك، أتى الموت وقد جُهِّز هذا الملف، وأُعِد هذا الكتاب وفيه توثيقٌ تام، أرشيفٌ لا يغيب عنه شيء أبداً، أمر هائل **جدًّا** ورهيب.

يقول الله -جلَّ شأنه- عن عملية التوزيع التي ستكون هي بنفسها تحمل المؤشرات على طبيعة مضمون هذا الكتاب، الإنسان **إمَّا** أن يؤتى كتابه في يوم القيامة بيمينه وبطريقةٍ فيها تكريم، طريقة لائقة، يأتي إليه الملك- من ملائكة الله- من أمامه ويسلمه هذا الكتاب، فيأخذه بيمينه؛ **وإمَّا** أن يأتي إليه الملك من ملائكة الله من خلفه، ويتناول الكتاب بشماله من وراء ظهره يأخذه، وهي مؤشرٌ سلبيٌ على أن مضمون هذا الكتاب هو أعمال سيئة، وهذه الحالة لا يمكن فيها الاشتباه ولا المغالطة، لا يمكن أن تغالط يومئذٍ، أنت إجبارياً ستمد يدك اليسرى لتأخذ الكتاب من وراء ظهرك إذا كانت صحيفة أعمالك سيئة، إذا كان مضمون كتابك سيئاً سيأتي بهذه الطريقة، ولا تستطيع أن تمتنع، وأن تمد يدك اليمين، **وتقول:** [إلا جي من قدام وناولني الكتاب وأنا سآخذه بيميني]. لا يمكنك المغالطة أبداً.

الكتب نفسها لا يمكن أن يحصل فيها التباس أو خطأ، فتقول: [حصل اشتباه في الاسم، هذا ليس كتابي، كان اسمي مشتبهاً مع اسم فلان، فتصورتم أنه كتابي وجئتم بكتابه إليّ]، في الدنيا قد يحصل أخطاء في جواز أو في وثيقة أو أي شيء، هناك لا مجال للخطأ، كل الأمور تجري بدقةٍ تامة، وبشكلٍ صحيح، وكل الأمور مفصولة بشكلٍ دقيق وبشكلٍ صحيحٍ لا التباس فيها أبداً؛ **حينها** هذه العملية نفسها فيها المؤشرات الواضحة.

٤ ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[١]، يُقبل على كتابه عندما يأخذه باليمين براحة نفسٍ وبال، وباطمئنان في مشاعره، قلبه مطمئن، ونفسه مطمئنة؛ **لأن** عملية تناوله باليمين كانت بنفسها بشارة، استبشر بها، والبشارات تبدأ من بعد عملية البعث مباشرة للإنسان الفائز المؤمن المتقي، يقرأ وينهمك في قراءة كتابه، يرى تلك الأعمال الصالحة، تلك الأعمال العظيمة، تلك الأعمال التي استجاب لله فيها يوم تهرَّب منها الكثير من الناس، يوم جهل الكثير من الناس بقدرها وبقيمتها، يرى الجهاد في سبيل الله، يرى الإنفاق في سبيل الله، يرى أعمال الطاعات والبر التي انطلق فيها واستجاب لله فيها، ويرى ما تمثِّله من أهمية، يرى مواقفه المشرِّفة التي بها بياض وجهه يومئذٍ، يستبشر ويرتاح.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[٢]، يقول للآخرين أيضاً، يصل به حد الاستبشار أنه ليس فقط يقبل ويشاهد تلك الأعمال التي أصبحت ذكريات عظيمة، ويرى فيها أعمال فوز ونجاة، بل حتى يتجه إلى الآخرين، **(هَاؤُمُ)**: ها لكم، **(هَاؤُمُ)** تساوي مفردة (ها لكم)، تفضلوا شوفوا كتابي، ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾، ليس فيه فضائح، بل يرى فيه الأعمال الطيبة، الأعمال الزاكية، الأعمال الخيِّرة، الأعمال العظيمة، الأعمال المشرِّفة، المواقف المشرِّفة، وقد وثِّقت بأجمل توثيق، وبأرقى توثيق، لن تطلع الصورة مشوشة، أو يطلع الإخراج الفني غير واضح، كل شيء واضح **جدًّا**، وكل شيء موجود.

﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[٣]، كان يستشعر الحساب وهو في الدنيا، وهذا ما أفاد، تذكَّر أهمية هذه المسألة حينئذٍ، لاحظوا، الأشياء المهمة- الإنسان يتذكرها في اللحظات المهمة أيضاً؛ **لأنه** كان

١- الإسراء: الآية ٧١
٢-الحاقة: الآية ١٩
٣- الحاقة: ١٩-٢٠

٤ يستشعر في الدنيا، **يعيش هذا الشعور وهذا الإحساس:** أنه سيلقى الحساب، وأنَّ عليه أن ينتبه، وأنَّ عليه أن يستعد، لا يعيش حالة الغفلة وحالة الجرأة التي يعيشها الآخرون من الغافلين، الذين يعيشون حالة الغفلة تماماً، فينهمكون بكل جرأة في المعاصي، حتى لو كان لوحده هو يستشعر أنَّ عليه رقابة، أنه في واقع الحال ليس لوحده، أنَّ رقابة الله حاضرة، وأنَّ كل شيءٍ يوثَّق، وأنه سيحاسب وسيلقى هذا الحساب؛ **ولذلك** هو منتبه.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾، **يعني:** كنت أستشعر أنني سألقى الحساب، هذا هو معنى **(ظَنَنْتُ):** الاستشعار الوجداني والنفسي للحساب، وأنه سيلقى الحساب، ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[١]، وهذا دفعني إلى الأعمال الصالحة، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[٢]، نتيجة فوز، نتيجة حياة هنيئة طيبة، عيشة راضية.

الكثير من الناس في هذه الدنيا كان يريد عيشةً راضية، فعل الكثير من المعاصي، ارتكب الكثير من المحرمات، دخل في المواقف الباطلة وهو يلهث وراء العيشة الراضية، فيخسر للأبد.

الخسارة العظمى!

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[٣]، كان ذلك مؤشراً سيئاً، فهو عندما أخذ كتابه بشماله بدأ بالتحسر، والألم، والصدمة النفسية، والقلق الشديد، والإضطراب الرهيب، والإنزعاج النفسي، أدرك خطورة الأمر، أدرك ماذا يعني ذلك، وأدرك أنه هالكٌ وخائبٌ وخاسر، عندما يتصفح كتابه وفيه كل الأعمال

١-الحاقة: من الآية ٢٠
٢- الحاقة: ٢٠-٢٤
٣- الحاقة: ٢٥-٢٧

٤

السيئة التي لم يتب إلى الله منها، عرض الله عليه التوبة فلم يتب وسوَّف، سوَّف واتَّبع هوى النفس، يرى الأعمال التي تقاعس عنها، والمسؤوليات التي تهرَّب منها، يرى المواقف التي كان عليه أن يقفها فلم يقفها، يدرك سوء آثار أعماله، وما ترتب على ذلك من نتائج وخيمة، حالة مفجعة.

عندما يتحدث القرآن؛ تذكَّر نفسك، قد تكون أنت شخصياً هذا الذي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، قد تكون أنت شخصياً الذي تعيش هذه اللحظة المفجعة، هذا الإضطراب النفسي الهائل، هذه الحسرة الهائلة والرهيبة **جدًّا**، حالة مفجعة **جدًّا**، قد تكون أنت شخصياً مَن يعيشها، تتمنى أنك لم تؤتَ كتابك. الآخر ارتاح، واحتفظ بكتابه، وحاول حتى أن يطلع الآخرين، وكان مستبشراً مبتهجاً مسروراً، وأنت في تلك اللحظة كنت في حالةٍ من الخوف واليأس، وكنت في حالةٍ من الحسرة والندم الشديد **جدًّا**، والعذاب النفسي، فتتمنى أنك لم تؤتَ ذلك الكتاب.

حتى تلك الأعمال التي كنت في الدنيا تستهتر بها، وحتى ذلك التقصير الذي كنت في الدنيا تعتبره شيئاً بسيطاً، تراه أمراً شنيعاً للغاية، تندهش حتى أنت من سوء أفعالك؛ **لأنك** في الدنيا قد تكون مستهتراً ومتهاوناً، لا ترى الأمور بحقيقتها، لا تدرك خطورة الأعمال السيئة، لا تدرك ولا تعي ولا تستشعر قبحها وشناعتها، وسوؤها، وسوء آثارها وما يترتب عليها.

الكثير من الناس يتنصَّلون عن أعمالٍ عظيمة، ومسؤولياتٍ مهمة، يترتب على ذلك مساوئ كبيرة، مظالم كبيرة، أخطار كبيرة، من يتنصَّلون عن الجهاد في سبيل الله، وعن العمل في سبيل الله، وعن الإنفاق في سبيل الله، ليست حدود معاصيهم في ذلك، وليس حد تقصيرهم في ذلك يقف عن أنهم فرَّطوا في مسؤوليةٍ، أو تركوا واجباً؛ **وإنما أكثر من ذلك:** كل ما يترتب على ذلك من آثار، **الآثار أخطر من العمل**، آثار العمل أخطر من نفس الفعل، آثاره السيئة **جدًّا**.

الإنسان يرى شناعة ما فعل، ويرى قبيح ما تصرَّف به، ويرى سوء آثار أعماله، فيدرك أنها شنيعة **جدًّا**؛ فيتمنى أنه لم يؤتَ كتابه، ولم يطَّلع عليه، ولم يرَ ما فيه، ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾؛ **لأنه** يدرك ماذا بعد ذلك، **بعد ذلك:** ملايين السنين في جهنم، **بعد ذلك:** خالدين فيها أبداً، **بعد ذلك:** نيران جهنم- والعياذ بالله- بعد ذلك: سيأتي ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[1].

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾**، ليتني لم أبعث، ليتني بقيت ميتاً، ليتني لم أخلق من جديد، لم أبعث من جديد، لم أحيَ من جديد.**

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾[2]، الكثير من الناس وهم يسعون وراء المال كم عملوا من أعمال سيئة، تاجِر أو حتى غير تاجِر، من يسعى لكسب المال سواءً في مستوى تاجر أو في غير مستوى تاجر، كم غش، كم حاول أن يكسب المال من غير حِلِّه، كم تحايل، كم ارتكب من المعاصي، الذي وقف موقف الباطل من أجل أن يحصل على المال، الذي- أيضاً- وقف في صف الباطل ودخل في الضلال من أجل أن يحصل على المال، الذي تنصَّل عن موقف الحق، ولم يستجب لله؛ **لأنه** كان يريد أولاً مقابل ذلك مالاً وإمكانات مادية، في مقابل أن يستجيب لله كان عنده شروط، كم من الأشياء التي كان الدافع المالي والتوجه المالي فيها هو سبب المعصية والمخالفة، أو سبب التقصير وعدم الاستجابة لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، حينها الإنسان يندم.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[3]، كم من الناس عصى الله؛ **لأنه** أصبح في موقع السلطة فطغى وتجبر؛ **لأنه** أصبح في موقع السلطة؛ **فلم** يعد يتقبل النصح ولا التذكير، لأنه أصبح في موقع السلطة فشعر بالقوة، وحينها لم يبالِ ولم يحسب حساب أعماله؛ **لأنهم** عوَّدوه أن يقولوا له وهو في موقع

١- الحاقة: الآية ٣٠
٢- الحاقة: الآية ٢٨
٣- الحاقة: الآية ٢٩

٤

السلطة أنه صاحب الصلاحيات، فظن بأنَّ الصلاحيات هذه تتيح له أن يعمل أي شيءٍ في باله، حتى لو كان معصية، لأنه في موقع السلطة فشعر بالغرور والكبر، وشعر أيضاً بحالة العجب بالنفس، اطمأن إلى موقعه فتجرأ على معصية الله، أو تجرأ على التقصير فيما وجَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إليه.

والبعض لأنه يتبع صاحب سلطة، ولأنه يعتمد ويستند في مواقفه وفيما يواجهه من مخاطر وتحديات على أعماله إلى من هو صاحب سلطة، فمن يسعى وراء السلطة، ومن يسعى وراء المال، حتى وراء الرتبة، حتى وراء أن يصبح في موقعٍ بسيط من المواقع ويعصي من أجل ذلك، أو يقصِّر فيما هو طاعةٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورضا لله، وضمن توجيهات الله، من أجل ذلك؛ **سيندم** وسيتحسر، والكثير من الناس كان هذا أو ذاك سبب هلاكهم في هذه الدنيا.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾.. الفصل بين العباد

بعد ذلك كله: ﴿خُذُوهُ﴾[١]، **الأمر ممن؟** ما بعد عملية الحساب سواءً على المستوى الفردي، مثل هذه الحالة الإنسان يلقى الحساب على المستوى الشخصي، الأعمال في إطارك الشخصي، وفي نطاقك الشخصي، ما عملته أنت، أو الحساب على المستوى الجماعي، والإنسان كان ضمن أمةٍ معينةٍ من الأمم، ضمن قبيلته، أو ضمن حزبه، أو ضمن قومه، أو ضمن مذهبه، أو ضمن الإطار الذي كان ينتمي إليه ويتحرك في هذه الحياة ضمنه.

الحساب الجماعي كذلك لا بدَّ منه، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال في كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٢]، فيأتون كأمة، كجماعة، كأناس، للحساب الجماعي، والفصل حتى في القضايا الجماعية، والاختلافات الجماعية، والنزاعات الجماعية.

١- الحاقة: من الآية ٣٠

٢- الإسراء: من الآية ٧١

٤

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1]، يأتي القضاء بين العباد في كل نزاعاتهم، ومظالمهم، واختلافاتهم، ومشاكلهم، حتى بين الإثنين، بين الشخصين، بين شخصٍ وآخر، أو بين رجلٍ وامرأة... أو أي مستوى.

من كان يظلم زوجته في هذه الدنيا ويتكبر عليها، يوم القيامة يأتي للفصل بينه وبينها، من كان يظلم ابنه أو قريبه، من كان يظلم في أي مستوى من الظلم، الخلافات والنزاعات والمظالم في كل مستوياتها ما بين الاثنين، إلى المستوى الجماعي، إلى المستويات الكبرى، يأتي فيها الفصل من الله ﷻ، ويجيء الله بالنبيين والشهداء؛ **للشهادة** في هذه القضايا الجماعية، شهادتهم هي في القضايا الجماعية، ويقضي الله بين عباده بالحق، وهو الذي كان الشاهد على أعمالهم، وعلى كل تصرفاتهم، وهو -جلَّ شأنه- القائم بالقسط، وهو الحق، ومنه الحق، والعالم بالحق، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، ليس هناك أي اشتباهات، ولا تحيُّلات... ولا أي وسائل، أبداً.

بعد اكتمال عملية الحساب يدرك الإنسان خطورة ما هو فيه، إن كان من الهالكين، ومن الخاسرين، ومن الخائبين، تصبح حالة خطيرة جدًّا.

نكتفي بهذا المقدار...

ونستكمل- إن شاء الله- في المحاضرة القادمة.

أسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، أن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١- الزمر: الآية ٦٩

حسم مسألة الحساب.. وتقرير المصير

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث في سياق الكلام عن الحساب، وقد تحدثنا على ضوء الآيات المباركة التي قرأناها بالأمس،[1] ومما يجدر بنا أن نتنبه له هو أن نأخذ العبرة، وأن نستفيد من كل تلك الآيات المباركة، وما تقدِّمه من التفاصيل، وذلك لنستفيد

١- في المحاضرة الرابعة

منها هنا في واقع حياتنا في هذه الدنيا، نستشعر المسؤولية، نستشعر رقابة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ندرك ونعي ونستشعر أنَّ كل ما نقوله وكل ما نعمله، إنما نحن نمليه على الملائكة الذين هم الكرام الكاتبون، الحفظة الذين يراقبوننا ويسجلون كل أعمالنا، فما نعمله وما نقوله؛ **نحن** نمليه عليهم، وهم يوثقون، محسوبٌ ومكتوبٌ وموثَّق، ويوم القيامة نراه في صحائف أعمالنا، في كتب أعمالنا، ونحاسب عليه. ٥

ثم أيضاً نلحظ فيما قرأناه في بعضٍ من الآيات المباركة ولها الشواهد الأخرى في القرآن الكريم، أنَّ الإنسان يوم القيامة يستشعر قِصَر المدة الزمنية التي أمضاها في هذه الحياة الدنيا، وكذلك يستشعر قِصَر المدة التي مضت أثناء ما كان في حالة الموت، منذ موته إلى بعثه؛ **أمَّا** في الآخرة فقد دخل الإنسان في مرحلةٍ جديدة لا نهاية للحياة فيها، لا انقطاع لها، في مرحلةٍ أبديةٍ، واتجه إلى زمنٍ لا نهاية له أبداً.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **قال في كتابه الكريم عن استشعار الناس لقصر مدة حياتهم في الدنيا:** ﴿كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾[1]، إلى هذا المستوى من الاستشعار لقِصَر المدة، كأن المدة الزمنية بكلها على وجه الأرض التي عاشها الناس لم تكن سوى ساعة واحدة يتعارفون بينهم فيها، كذلك عن المدة الزمنية التي مضت وانقضت من حين الموت إلى حين البعث، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[2]، **فكأن المدة بكلها لساعتين:** ساعة على وجه الأرض، وساعة في بطن الأرض.

البعض قد يكون لهم تقدير أكثر، ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾[3]، بينما في الآخرة الزمن ممتد لا نهاية له، أبديٌّ، والحياة خلود، ولذلك يجدر بنا أن نُعِدَّ العدة، وأن نستشعر

١- يونس: من الآية ٤٥

٢- الروم: من الآية ٥٥

٣- المؤمنون: ١١٢-١١٣

خطورة التقصير، وخطورة التفريط، وخطورة أن نفوِّت فرصتنا في هذه الحياة في العمل الصالح، وكلِّ ذلك الجزاء العظيم. كلُّ تلك المدة الزمنية التي لا انقطاع لها ولا نهاية لها، هي أيضاً تدل على عظم مسؤوليتنا في هذه الحياة، والمطلوب أن ندرك ذلك، وأن نعيه جيداً، مسؤوليتنا في هذه الحياة كبيرةٌ **جدًّا؛ ولذلك جزاؤها كبير على مستوى:** الكم، والكيف، والزمن، جزاء كبير ويمتد بشكلٍ كبير لا نهاية له، وكذلك أيضاً شكل هذا الجزاء عظيم، هذا يدل على أهمية هذه المسؤولية، ومستوى الدور المهم للإنسان في هذه الحياة، فلا يعيش الاستهتار بالمسؤولية والغرور والغفلة، حالة خطيرة **جدًّا** على الإنسان.

٥

بعد اكتمال الحساب واطلاع الناس على صحائف أعمالهم، وبعد وقفات المساءلة والفصل والقضاء فيما بينهم، في نزاعاتهم، ومشاكلهم، والقضايا التي كانوا يختلفون عليها في هذه الحياة، وبعد حسم مسألة الحساب، تحسم مسألة المصير للإنسان، **تصبح مسألةً محسومةً وواضحة: إمَّا** إلى الجنة، **وإمَّا** إلى النار، **ليس هناك مكانٌ ثالث يمكن أن يقال للإنسان:** [لن تدخل الجنة، ولن تدخل النار، وستبقى تعيش حياةً في مكانٍ ثالثٍ، ليست في مستوى الجنة، ولا هي في مستوى النار]. **إمَّا** أن يكون عملك صالحاً ومنطلقاً من إيمان، ووفقاً لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكنت في هذه الحياة تتوب إلى الله من ذنوبك، وتتوب من أخطائك، وتسعى لتلافي تقصيرك، وترجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إن قصرت أو فرطت، ومصيرك حينئذٍ كما وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: الجنة. **وإمَّا** أن تكون في هذه الحياة من السائرين في طريق الباطل، في طريق الضلال، أو من المفرطين والمقصرين الذين لا يتوبون إلى الله، ولا يرجعون إلى الله، ولا يتلافون تقصيرهم، وخرجوا من هذه الحياة مصرِّين على ذنوبهم، بدون توبةٍ، ولا رجوعٍ، ولا أوبةٍ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا إنابةٍ إليه، والمصير حينها- والعياذ بالله- إلى نار جهنم، قضية خطيرة **جدًّا.**

النظرة التجزيئية للدين.. مشكلة كبيرة وخطيرة!

٥

والمشكلة الكبيرة أن هناك بعضاً من الأمور قد يتغافل الناس عنها، ويتساهلون فيها، وهي خطيرةٌ عليهم، لربما من أخطر ما هو من ضمن ذلك على المسلمين على الأمة الإسلامية، هي النظرة التجزيئية إلى الدين، والتطبيق المنقوص لدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للإسلام؛ لتعاليم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه مشكلة كبيرة **جدًّا**، وخطيرة للغاية.

الكثير من أبناء الأمة يتجهون في عملية التطبيق لتعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على نحوٍ مقطعٍ ومجزأٍ ومنقوص، **وهذه الحالة يعبر عنها القرآن:** بالإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض، **ويقول عنها:** ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾[1]، هذه حالة خطيرة **جدًّا**، وهذا مما كان يمثّل إدانةً لبني إسرائيل عندما سلكوا هذا السلوك، وتعاملوا مع دين الله بهذه الطريقة: يطبّقون ما يناسب أهواءهم، ويتوافق مع رغباتهم، ويتركون من الدين ما لا يرغبون به، ما لا تهواه أنفسهم، ما يرون فيه مشقةً عليهم... أو لاعتبارات أخرى، فهذه الحالة كانت سلبيةً **جدًّا**، وخطيرةً **جدًّا**، وعليها وعيدٌ شديدٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كثيرٌ من المسلمين فصلوا جانب المسؤولية عن التزامهم الديني: المسؤولية في الجهاد في سبيل الله، في الأمر بالمعروف، في النهي عن المنكر، في الإنفاق في سبيل الله، في الاهتمام بأمر الأمة، بأمر المسلمين، بالقضايا الكبرى، بالعمل على إقامة العدل، بالعمل على التصدي للظلم، بالاعتصام بحبل الله جميعاً، بالوحدة والألفة والأخوة الإيمانية على الحق... أشياء كثيرة ومهمة **جدًّا** في تعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأوامره وتوجيهاته، فنبذوها وراء ظهورهم، واتجهوا لتطبيقٍ منقوصٍ محكومٍ بالمزاج النفسي، وبالرغبات الشخصية، وهذه قضية خطيرة **جدًّا؛ لأن الإنسان** إذا فعل ذلك لم يعبِّد نفسه لله كما ينبغي، بل كان محكوماً

١- البقرة: من الآية ٨٥

بهوى النفس، وخاضعاً لرغبات النفس، وهذه حالة خطيرة **يجب** الحذر منها، والإنابة إلى الله منها؛ **لأن** جزءاً من الذنوب هو من خلال التفريط والتقصير في مسؤوليات وواجبات أمرنا الله بها، هناك نوعٌ من الذنوب هو بالتعدي لحدود الله، بالمخالفة فيما نهانا الله عنه، في الارتكاب للجرائم والفواحش والموبقات، وهناك جانبٌ آخر يعود إلى التفريط فيما أمرنا الله به؛ **لأننا** نتلقى التعليمات من الله ﷻ وفيها الأوامر وفيها النواهي، نهانا عن أشياء، وأمرنا بأشياء، فإذا جئنا للالتزام بترك ما نهانا عنه، فلا يكفي، علينا أيضاً أن نمتثل أمر الله ﷻ فيما أمرنا به، وأن نعمل بما وجَّهنا إليه، فهذه مسألة مهمة **جدًّا**.

الخاسرون في موقف الحسرة والندامة

المرحلة التي تكتمل فيها عملية الحساب ويتحدد فيها المصير بشكلٍ محسوم، هي مرحلة حسَّاسة **جدًّا** في يوم القيامة، فالمؤمن فيها يكون مستبشراً غاية الاستبشار، وفرحاً، ومسروراً، وأصبحت كل رغباته وكل تطلعاته إلى لحظات الانتقال إلى الجنة. **أمَّا** الخاسرون، والخائبون، والهالكون، والمفرِّطون، والمقصِّرون، والمستهترون، الذين مصيرهم بات محسوماً إلى النار، فهي حالة رهيبة، ونعوذ بالله منها، حالة من الندم الشديد، حالة من الحسرة، من أسماء يوم القيامة سمِّي في القرآن الكريم بيوم الحسرة، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾[1]، حسرة شديدة، ندم شديد.

الإنسان في تلك اللحظات التي يكون فيها متحسراً، ونادماً، وباكياً، ومستعطفاً، لا يُجديه ذلك، **يجديك هذا في الدنيا:** أن تندم على ما تقصِّر فيه، على ما عصيت الله فيه، هنا في الدنيا يجديك، ينفعك، تتوب، تنيب، تطلب من الله المغفرة، هذا الشهر الكريم جعله الله ﷻ من الفرص العظيمة لتتوجه إليه بطلب المغفرة، بطلب الرحمة، بطلب العفو، لتنيب إلى الله

١- مريم: من الآية ٣٩

ﷻ، هنا الفرصة، هنا يجديك، كل شيءٍ هنا له قيمته، الاستعطاف، التضرع، ٥
البكاء، الدعاء، الرجوع إلى الله ﷻ هنا يفيدك، هنا وقته، هناك لا فائدة لذلك، لا رحمة، ولا عطف، ولا عفو عن الباكي المتحسر المستعطف، وكم سيبكي الكثير من الناس آنذاك، من أكثر مواطن البكاء هو البكاء في يوم القيامة، يبكون، كثير ممن كانوا في هذه الدنيا يعيشون حالة القسوة، وقلوبهم أقسى من الحجارة، ولا يستشعرون الخشية من الله، ولا الخوف من الله ﷻ، ولا الحياء من الله، وكانوا يعيشون حالة الاستهتار بكل شيء، آنذاك هم في أنهى مستوى من الخشوع، والخضوع، والخوف، خوف شديد **جدًّا**، تكاد قلوبهم أن تخرج من صدورهم من شدة الخوف، ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾[١]، حالة رهيبة **جدًّا** من الخوف الشديد، والرهبة الشديدة، والندم الشديد، والحسرة الشديدة، وكل ذلك يكون عذاباً نفسياً لا جدوى منه، **وليس له إلَّا هذا:** أنه عذابٌ، ليس فيه إلا أنه عذابٌ نفسي، هذه حالة خطيرة **جدًّا**.

حينها تبدأ في تلك اللحظات وفي تلك الأجواء حالة التعبير عن الحسرة والندامة، وعندما تأتي ضمن هذه الترتيبات عملية التقريب لجهنم والتقريب للجنة، وبداية الترتيبات والإجراءات لعملية النقل لأبناء البشر من ساحة الحشر، كلٌّ سيذهب ويتجه إلى مصيره الأبدي والنهائي، وتفترق البشرية فراقاً نهائياً، قد تفترق الأسرة الواحدة، قد يكون جزءٌ من أبناء الأسرة سيذهب باتجاه جهنم، وجزءٌ من أبناء الأسرة سيتجه باتجاه الجنة، ويفترقون فراقاً أبدياً، لا يلتقون بعدها أبداً، قد يكون على مستوى الذين كانت تجمعهم في هذه الدنيا القريةَ الواحدة، أو الحي الواحد، ظروف هذه الحياة تجمعهم، **آنذاك سيفترقون:** ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٢]، هكذا يقول الله ﷻ في القرآن الكريم.

١- غافر: من الآية ١٨

٢- الشورى: من الآية ٧

٥

في تلك الأجواء الرهيبة جدًّا يقول الله -جل شأنه-: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[١]، وهي لحظة رهيبة **جدًّا**، عندما تقترب نار جهنم، ذلك العالم الذي كله بكل بما فيه من العذاب: يجسِّد غضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وانتقامه، فيه بأس الله، فيه سطوته، جبروته، بقوته، نعوذ بالله من غضبه وسخطه وعذابه، في تلك اللحظة؛ **الكثير ممن كان غافلاً في هذه الدنيا:** لا يسمع، ولا يعي، ولا تنفعه الذكرى في هذه الحياة، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۝٢٣ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[٢]، يقول في تلك الحالة في تلك اللحظات: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، يندم على أنه لم يحسب حساب هذه الحياة الأبدية، التي كانت الأولى بأن يحسب حسابها، وأن يقدم لها، وألا تكون حياةً يعيش فيها العذاب، حياةً خالصةً بالبؤس والعذاب الشديد، ليس فيها ولا لحظة راحة، حالة خطيرة **جدًّا**، ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، يفكر البعض في نفسه كيف فوَّت الحياة في أيام الدنيا، ولم يغتنم الفرصة، وكيف فرَّط فيما يقربه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد أتاح الله له الفرصة الكافية، وعرض عليه ما فيه الخير له، ما فيه نجاته في هذه الحياة، فيتحسر، **ماذا يقول؟** ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[٣]، ﴿يَا حَسْرَتَا﴾، سيقولها من أعماق قلبه، يقولها وهو نادمٌ غاية الندم، وهو باكٍ، وهو متألم، وهو يتعذب عذاباً نفسياً، وهو في حالةٍ من الرعب، ومن الإحباط الشديد، ومن الحسرة الشديدة.

البعض قد يفكِّر في نفسه وأنه في الدنيا أغواه خليلٌ له، صديقٌ له، ارتبط في الدنيا بصديق، بقرين سوء، فأثَّر فيه، واتجه به في المعاصي، أو انحرف به إلى صف الباطل، أو ورَّطه في جرائم وذنوب، أو أبعده عن طريق حق، وعن أعمال حق، وأعمال خيرٍ ونجاة، حينها سيندم؛ **لأنه** ارتبط بخليلٍ وصديقٍ أبعده عن

١- الفجر: من الآية ٢٣

٢- الفجر: ٢٣-٢٤

٣- الزمر: من الآية ٥٦

التمسك بالهدى، والسير في طريق الهدى، يقول: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾[1]، حالة رهيبة **جدًّا** يتحسر فيها الإنسان، البعض قد يكون ضمن أناس اتجهوا في هذه الحياة اتجاهاً ضالاً، اتجاهاً خاطئاً، اتجاهاً باطلاً، **ارتبط في هذه الحياة بالمستكبرين بأيٍ من فرق المستكبرين:** من الطغاة والظالمين، أو من الكافرين، أو من الفاسقين والمجرمين، ممن كانوا في هذه الدنيا يتجهون في هذه الحياة في طريق الباطل، ويتحركون في صف الضلال، فارتبط بهم على ما هم عليه من باطل، هو كان في هذه الحياة إنساناً عادياً، وإنساناً ضعيفاً على مستوى إمكاناته وقدراته المادية، كان إما من الفقراء، أو كان من الناس العاديين، وكان في هذه الحياة يرى أنه سيؤمِّن لنفسه احتياجاته في هذه الحياة، متطلبات هذه الحياة، وأن يعيش أيضاً وضعيةً محترمةً في هذه الحياة بأن ينضم إلى صف أولئك المستكبرين، وأن يدخل في إطارهم، وأن يناصرهم، وأن يقف في صفهم، فيرى في ذلك أنه سيستفيد من جوانب متعددة، فاتجه نحوهم، وارتبط بهم، وترك طريق الحق، طريق الهداية؛ **إمَّا** لأنه كان يرى أنه لا يؤمِّن لنفسه فيها المغريات المادية، **أو** كان بدافع الخوف، يرى أن أولئك هم أهل إمكانات وقدرات... وغير ذلك.

٥

المستضعَفون والمستكبرون.. الخصام وتبادل اللوم

في هذه الحالة أيضاً تأتي حالة الحسرة والندم الشديد، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في تلك اللحظات الرهيبة **جدًّا**، لحظة التوقيف والتجهيز للنقل إلى جهنم، ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ في حالة من النقاش، في حالة من الخصام، الناس في تلك اللحظات يُحمِّلون بعضهم بعضاً المسؤولية فيما وصلوا إليه، وفيما صاروا إليه، ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾؛ **لأن** حسرتهم-

---

١- الفرقان: ٢٨-٢٩

٥

بالتأكيد- هي أشد، وندمهم أشد، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[١]، فهم يتجهون باللوم عليهم ويُحمِّلونهم المسؤولية، **يقولون:** ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾؛ **لأن** ورطتنا كانت هي في مناصرتكم، ومشكلتنا هي في الوقوف في صفكم، لو سلمناكم في الدنيا واستقطابَكم وتأثيراتكم لَكُنَّا مؤمنين، ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾[٢]، **يعني:** اللائمة ليست علينا، بل هي عليكم، أنتم من انصرفتم من تلقاء أنفسكم، وفعلاً هذه هي الحقيقة.

الإنسان في هذه الدنيا هو الذي اتخذ قراره وخياره واتجه هو بنفسه هنا أو هناك، وإلا كان بإمكانه أن يكون متمسكاً بهدى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى الذي فيه نجاته، وفيه فلاحه، وبه فوزه، ولكن الإنسان قد يكون إنساناً عادياً ومستضعفاً وفقيراً وهو مجرم؛ **ولهذا** مال إلى المجرمين، مال إلى الطغاة والمستكبرين، هو يحمل في نفسه الحالة العدوانية؛ **فكان** مع المعتدين والطغاة والظالمين.

كل هذه الحالة من التحسر، من الخصام، من الجدل، من تحميل المسؤولية، كلٌّ يُحمِّل المسؤولية الطرف الآخر، من النزاع ما بين الخليل وخليله، ما بين الصديق وصديقه، ما بين المجموعة فيما بينها... على هذا المستوى الجماعي وغيره، لا يجدي شيئاً، لا يجدي شيئاً، الله -جلَّ شأنه- **كيف يقول؟** ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾، ما هناك فائدة، خصامكم، تحميلكم لبعضكم البعض المسؤولية تجاه ما وصلتم إليه وما وقعتم فيه من العصيان والمخالفة، فأوصلكم إلى ما أوصلكم، لا يجديكم شيئاً، ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾[٣]، قدم الله بالوعيد في الدنيا، بل إنه -جلَّ شأنه- قدَّم حتى

١- سبأ: الآية ٣١

٢- سبأ: الآية ٣٢

٣- ق: الآية ٢٨

٥

هذه التفاصيل التي ستحدث، قدَّم هذه التفاصيل عن تحسر الإنسان يوم القيامة، عن أسفه وندمه وحسرته، عن موقفه حتى من خليله الذي أضله، أبعده عن طريق الهدى، عن موقف المستضعفين من المستكبرين... كل هذا. الوعيد تقدم في الدنيا على كل المعاصي والذنوب، والمواقف والاتجاهات التي توصل الإنسان إلى جهنم، وحذر وأنذر ونصح وأقسم، في القرآن الكريم كل أساليب الخطاب، وضرب الأمثلة، ولدرجة أن الله يقسم لنا في القرآن إذا نفع فينا، إذا كان سيفيد فينا أن نصدِّق، يقسم لنا قسماً، فما الذي أبقى؟ ليس هناك أي تقصير من جانب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ۝٢٨ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾، ما هناك أبداً تغيير لقرارات الله وأحكامه، وإقناع له بأن يغير ما حكم به. [لا]؛ **لأنه** الحُكم الحق الذي تقتضيه حكمته، ويقتضيه عدله.

يوم القيامة من أهم ما فيه: أنه يتجلى فيه العدل الإلهي، يتجلى فيه العدل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، العدل وهو يفرق بين المحسن والمسيء، العدل وهو يثبِت للإنسان ما عمله؛ **حتى** يراه ثابتاً عليه، **حتى عملية هذا:** التوثيق، وتلك الإجراءات والترتيبات والحسابات والشهود، **حتى شهادة جوارح الإنسان:** اليد تشهد، الرجل تشهد، الجلد يشهد، كلها تُجَلِّي العدل الإلهي، تُجَلِّي لنا عدالة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **حتى** يتجه الإنسان إلى جهنم وهو معترفٌ ومقرٌ بأنه مذنب، معترفٌ بذنبه، وهذا ما يفعلونه في ذلك الموقف: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ معترفين خلاص، ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾[١]، هل يمكن أن نستأنف مرحلة جديدة، حياة ثالثة وموتاً ثالثاً ثم بعثاً؟ لا يمكن أبداً، ليس هناك فرصة إضافية أبداً.

١- غافر: الآية ١١

٥

ففي ذلك الحال الله يقول: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ۝٢٨ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[١]، كل تلك الإجراءات هي عادلة، والعقاب والجزاء هو بالعدل، ولا ظلم، ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾، في آيةٍ أخرى يقول: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾[٢]، كله بالعدل، ويتجلى فيه العدل الإلهي حتى في مظالم العباد- كم في هذه الدنيا من مظالم كثيرة جدًّا- تجلى فيه العدل الإلهي في الحكم بين العباد والفصل بين العباد.

مصير الشيطان وحزبه

المحطة الأخيرة، وقد تمت عملية الحساب، والفصل، والحكم الإلهي، والفرز، وبدأت ترتيبات النقل، جيء بجهنم، ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣]، وأزلفت الجنة للمتقين، قُرِّبَت أيضاً، وستبدأ عملية النقل، المحطة الأخيرة محطة ملفتة ومهمة؛ وفيها درس عجيب.

في طريق الضلال والعصيان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي طريق الباطل، وفي طريق المعاصي، رمز الشر هو الشيطان، ومنتهى العصاة، والضالين، والمبطلين، والظالمين، والفاسقين، والمفرطين، المقصرين، وأصحاب الكبائر... منتهاهم هو الشيطان، هو رمزهم الكبير بالنسبة لهم، وهو العدو، عدو هذا الإنسان الذي سعى في هذه الحياة لإضلال الإنسان، فاستجاب له أكثر الناس، ولم يكونوا مرغَمين، استجابوا له في مقابل معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، معصية ربنا العظيم الكريم، الذي خلقنا وأنعم علينا بكل النعم، الملك، العظيم، القدوس، في مقابل الطاعة للشيطان الذي هو عدوٌ، وهو رمزٌ للشر والإجرام والفسق، فسق عن أمر ربه، آنذاك يجتمع الكل حوله ليُنقلوا معه إلى جهنم؛ **لأنهم** حزبه، ويتوجه إليهم بكلمات كل ما فيها الشماتة بهم، والسخرية بهم، وفيها أيضاً الاعتراف بذنبه وبذنوبهم، وأنه لا يمكن أن يقدم لهم أي خدمة، ولا أن ينفعهم بأي شيءٍ أبداً.

١- ق: ٢٨-٢٩

٢- غافر: من الآية ١٧

٣- الشعراء: الآية ٩٠

الذين في هذه الدنيا حسبوا حساب الله، وخافوا من الله، ووثقوا
٥ بوعد الله، واستجابوا لله، كانوا فائزين؛ **أما** أولئك فماذا قال لهم؟ ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾، **(وَعْدَ الْحَقِّ)**، وأنجز وعده، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾، كل الوعود الشيطانية التي كان الإنسان يمنّي بها نفسه لن يتحقق منها شيء، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي﴾، ما ينفع أن يُحمِّلوه المسؤولية، **يقولون:** [المشكلة هي في الشيطان، والذي ورطنا هو الشيطان، وهو الذي يتحمل المسؤولية، فليحاسَب هو ويعاقَب بما فعلناه...]. لا يفيد ذلك؛ **لأنه** إنما كان يدعو ويوسوس، قد وصلت إليك هداية الله، بيناته الواضحة الصريحة، فلم تقبلها، وقبلت وسوسةً من الشيطان، ووعوداً شيطانية كلها أماني، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ لا أفعل لكم شيئاً، لا أغيثكم، لا أنفعكم بشيء، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ كلٌ لن ينفع الآخر ولن يفيده بشيء، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾[1]، **يعني**: عندما كانوا يؤثرون طاعته فوق طاعة الله سبحانه وتعالى، كان هذا شركاً في الطاعة، فلم ينفعهم بشيءٍ يوم القيامة.

كم هي الحسرة والخيبة- والعياذ بالله- أن يرى الإنسان نفسه في ذلك الاجتماع، في ذلك الحشد، وهو يسمع مثل هذا الكلام من الشيطان، ويرى نفسه خائباً خاسراً، لا أحد ينفعه بشيء. بعد ذلك تبدأ عمليات النقل.

١- إبراهيم: من الآية ٢٢

وينطلق موكب النور إلى العالم العجيب!

٥ **بالنسبة للمتقين سيتم نقلهم بكل تكريم**، وهم يعيشون حالة الفرح والسرور والاستبشار الذي لا يمكن تخيله، تخيل تلك اللحظات وقد بدأت الترتيبات، ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[١]، ليتم انتقالهم إليها، يتجه الإنسان في ذلك الجمع، ذلك الجمع المميز، جمعٌ على رأسه أنبياء الله ورسله وأولياؤه والصالحون من عباده، ما أعظمها من نعمة! يتجه الإنسان في صفهم، يحشر معهم، يذهب معهم، ينتقل معهم، يتجه في موكبهم (موكب النور) يوم القيامة، فيما الآخرون يبقون في حالةٍ من الظلمات؛ أما أولئك في موكب النور: ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[٢]، كيف هي الفرحة والسعادة والسرور والاستبشار؟! كيف هي الراحة النفسية؟! فوق الخيال، لا يمكن أن نتخيلها الآن.

ويُحشرون بتكريم، الله -جلَّ شأنه- يقول: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[٣]، كأنهم وفود، تتم عملية نقلهم، عند وصولهم إلى الجنة هناك مراسيم للاستقبال فيها التكريم، فيها الاحترام، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾، تأملوا جيداً **(سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ)؛ لأن الجنة** أعدت لمن؟ للمتقين، فلندرك أهمية الاستفادة من شهر رمضان لتحقيق التقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ﴿إِلَى الْجَنَّةِ﴾، وما أعظمه من سفر ومن رحلة إلى الجنة، إلى عالم الجنة! ﴿زُمَرًا﴾ جماعات، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وصلوا إليها وأبوابها مفتحة، جاهزة للاستقبال وجاهزة للدخول، وأمامهم ملائكة الله الذين هم معنِيُّون بإدارة شؤون الجنة، والقائمون على رعايتهم فيها، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ وهم في حالةٍ من الاستقبال والترحاب

١- ق: الآية ٣١

٢- الحديد: من الآية ١٢

٣- مريم: الآية ٨٥

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾(١)، يستقبلونهم بالسلام، وبالإشادة بهم، والتبشير لهم، ﴿فَادْخُلُوهَا﴾ تفضلوا، ﴿خَالِدِينَ﴾ يدخلون للخلود في ذلك العالم العجيب للأبد، ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾(٢)، (**بِسَلَامٍ**) ليس هناك أي منغصات، ولا مخاوف، ولا مخاطر، وبأمنٍ دائمٍ، ليس هناك أي خوف أبداً، وهي الحالة المناقضة لأهل النار التي هي خوف رهيب والعياذ بالله.

الجنة هي ذلك العالم العجيب الذي أعده الله لعباده المتقين، قال عنها: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣)، قال عنها: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾(٤)، وفيها الحياة السعيدة الأبدية، حديث القرآن واسعٌ عن الجنة، نستعرض بعضاً منه:

الجنة.. عالم واسع بلا حدود ولا قيود!

أولاً عن سعة الجنة: الجنة عالمٌ واسعٌ **جدًّا**، الله -جلَّ شأنه- قال عنها: ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾(٥)، مسافات شاسعة، وَسَعَةٌ مدهشة، ولذلك لن يواجه الإنسان فيها مشكلة كيف تتوفر له أرض، كيف يتوفر له سكن، **لاحظوا** في هذه الدنيا الكثير- إن لم يكن معظم أبناء البشر في هذا الزمن، في زمننا هذا- لا يمتلكون المنازل، ولا يمتلكون قطع أراضي؛ **إنما** يعيش مستأجراً الكثير، اليوم- ربما- الأغلبية من سكان البشر، سكان الكرة الأرضية من البشر يعيشون في المدن ويتكدسون فيها، وهذا- للأسف- طريقة غير صحيحة، **لكن هكذا يفعلون:** يذهبون للتكدس في المدن، وأغلبهم لا يمتلكون فيها منازل شخصية لهم؛ **إنما** يستأجر، هو مستأجر، الأغلبية، وإذا أراد الإنسان قطعة أرض، فدونها اللُّتيَّا والتي، دونها (خرط القتاد)، ومسألة صعبة **جدًّا**، في كثير

١- الزمر: الآية ٧٣
٢- الحجر: من الآية ٤٦
٣- آل عمران: من الآية ١٣٣
٤- مريم: الآية ٦٣
٥- آل عمران: من الآية ١٣٣

٥

من مناطق العالم هناك غلاء شديد **جدًّا** في قيمة الأراضي، ويصعب على الكثير من الناس، ولا يمتلكون القدرة أصلاً لشراء قطعة أرض، ولا أن يمتلك قطعة أرض.

أما النزاعات على الأراضي فالكلام يطول، المشاجرات، كثير من القضايا في المحاكم هي نزاعات على أراضي، نزاع على قطعة أرض هنا، نزاع على قطعة أرض هناك، نزاع على مزرعة هنا، نزاع على مزرعة هناك... وهكذا، نزاع على صُبابات الماء، نزاعات كثيرة ليس لها آخر؛ **لكثرتها**، مشاكل كبيرة **جدًّا** على السكن، على المأوى، والقليل من الناس من يمتلك المأوى والسكن الملائم والمناسب له، والكثير من الناس لديه مشكلة في هذه.

القيود على الحركة في الأرض قيود كثيرة جدًّا ومسألة معقدة للغاية، والكثير من الناس لا يمكنهم ذلك، الكثير من الناس لا يمتلك الإمكانات المادية، ولا تتاح له الفرصة، وليس له أيضاً مجال بأن ينتقل من بلد إلى بلد، أن يسافر من قطر إلى قطر، وإجراءات معقدة **جدًّا**، وأحياناً لا يمكن أصلاً، الكثير من الناس لا يمكنهم ذلك.

فما هو الحال في الجنة؟ تلك المساحات الشاسعة في الجنة، تلك السعة المدهشة في عالم الجنة تجعل الإنسان يعيش فيها بدون أي وجود لمثل هذه المشاكل، يتوفر للإنسان القصور، الجنات، البساتين، المزارع، لا قيود على حركته في عالم الجنة ذلك العالم العجيب **جدًّا**، قد يصعب عليك التنقل هنا في الدنيا إلى مناطق عادية **جدًّا**؛ أما المنتزهات فالمسألة فيها متطلبات ولها التزامات قد لا تتوفر للكثير من البشر، في عالم الجنة لا قيود على تلك الحركة أبداً، ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[1]، يدركون هم هذه النعمة في الجنة، نعمة أنه يمكنه الانتقال في عالم الجنة، وأن ينزل، وأن يذهب حيث يشاء، عالمٌ عجيبٌ **جدًّا**.

١- الزمر: الآية ٧٤

الجنة.. أنهار جارية من المشروبات الراقية!

الجنة كما قال الله -جلَّ شأنه- عنها في القرآن الكريم: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾، **ولاحظوا كيف يركِّز القرآن على هذا:** بأن الجنة للمتقين، وأن الوعد بها للمتقين، ويدعونا إلى التقوى، ويقدم لنا شهر رمضان كوسيلة تساعدنا على تحقيق التقوى، ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾، المياه فيها متوفرة **جدًّا** وبشكل أنهار، ليس هناك في الجنة مشكلة مياه، هنا في الدنيا كم المشاكل على المياه، كم الصعوبات التي يعاني منها الكثير من الناس في حياتهم لتوفير المياه، مشكلة من أكبر المشاكل التي يعاني منها البشر اليوم على وجه الأرض. هناك متوفرة **جدًّا** وبشكل أنهار، أنهار تجري، أما الأشجار فهي مُجِنَّة ومغطية لكل مساحة الجنة، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾، ذلك الماء لا يتغير ولا يتلوث، يبقى على الدوام نقياً، ولا يتغير فيه لا طعمه، ولا لونه، ولا شمه ورائحته. أبداً، نقياً وغير ملوثٍ على الدوام.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾، حتى اللبن يتوفر في الجنة بشكل أنهار، من العجيب كيف ستكون تلك الأنهار، أنهار اللبن المتدفق، والذي يبقى له دائماً لذته ومذاقه الرائع، فلا يتغير، لا ينتهي، معلبات اللبن في الدنيا يمكن أن تنتهي إذا تأخرت عن وقت تاريخ صلاحيتها. هناك يتوفر، هذا في عالم الجنة، غير الحالة التي تخصك، غير بساتينك، وغير العيون التي هي في إطار ما هو خاصٌ بك، وغير أنواع الشراب الذي يقدم في معلبات الجنة من عيونها وفي أوانيها وفي كؤوسها، هذا على مستوى عالم الجنة عندما تتفسح، عندما تذهب للنزهة في عالم الجنة، عندما تتنقل في عالم الجنة فأمامك هذه الأنهار.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[1]، الثمرات في الجنة متوفرة، العسل أنهار في الجنة، في الدنيا الكثير

١- محمد: من الآية ١٥

من الناس، ربما أغلبية البشر لا يتوفر لهم العسل، حالة نادرة لدى الكثير من الناس أن يتوفر له شيءٌ من العسل، وإذا كان عسلاً طبيعياً لم يكن مغشوشاً، أو عسلاً صناعياً، فهذه أيضاً حالة أصعب. هو في الجنة أنهار متدفقة.

لاحظوا، كل هذا النعيم يمكنك أن تصل إليه، كل هذه الحياة الطيبة يمكن أن تصل إليها، حيث تتوفر كل المتطلبات التي يريدها الإنسان، والتي هي جزءٌ من حاجته في حياته، لأكله، لشربه، في ملابسه... مختلف الاحتياجات التي يريدها الإنسان، الله يقول: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾، كل ما تريده متوفر، كل الذي تريده متوفرٌ في عالم الجنة، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾، للأبد، حياة دائمة لا تنقطع بالموت، ولا بحادث بأي شكلٍ من الأشكال، بأي نوعٍ من أنواع الحوادث. [الا] حياة للأبد، ويستمر فيها النعيم متجدداً لا ينقطع- أبداً- ولا ينفد، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾[1].

أيضاً على المستوى المادي تتوفر كل متطلباته: من كل الثمرات، من كل المشروبات الراقية، الملابس قال الله عنها: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾، وحلوا أساور من ذهب، أساور من فضة، أساور متنوعة، الأساور الزينة في الجنة متنوعة، الملابس من الحرير، كل متطلبات الحياة متوفرة بدون استثناء، **عبارة:** ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ عبارة جامعة **جداً.**

الجنة.. سعادة دائمة. وانسجام. ونعيم تام

على المستوى النفسي ليس هناك أي منغصات أبداً، لا حزن، ولا همّ، وليس هناك أي متاعب في عالم الجنة، كل شيء يتوفر بدون أي عناء، في الدنيا تتعب إذا كنت مزارعاً- ولديك مزارع- كم تحتاج من الجهود فيها، هناك لا تحتاج إلى أي جهود، ولا إلى أي متاعب- أبداً- وليس هناك على المستوى النفسي أي قلق، ولا حزن، ولا ضيق... ولا أي شيء، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا

١- الفرقان: الآية ١٦

٥

الْحَزَنَ﴾[١]، الحزن ذهب نهائياً، الحالة النفسية في الجنة كلها حالة سرور، في الدنيا البعض من الناس قد يكون لديه حتى إمكانات مادية، لكنه لا يعيش السعادة بها، يعيش الاكتئاب، كم هناك من حالة اكتئاب لدى الكثير من الناس الذين يمتلكون في هذه الدنيا الكثير من الإمكانات المادية، في الغرب تصل إلى مستوى الانتحار، تصل حالة الاكتئاب بهم إلى مستوى الانتحار.

في الجنة لا حزن، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[٢]، ما هناك أي تعب أبداً، راحة، نشاط دائم، إحساس بالصحة، إحساس بالسعادة، إحساس بالنشاط والقوة، لا يعتريك حالة من الضيق النفسي، ولا إرهاق، ولا تعب، ولا عناء، ولا همّ، ولا هرم، ولا مرض، ليس هناك مستشفيات في الجنة، ويحتاج الإنسان أن يذهب للاستطباب وهو مريض. |الا| أبداً، سعادة دائمة.

وانسجام تام فيما بين السكان، ليس هناك أي مشاكل فيما بينهم، الله -جلَّ شأنه- يقول: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٣]، العلاقات أخوية وودية، وليس هناك تحاسد فيما بينهم، هذا يحسد هذا، وهذا يحسد ذاك، وليس هناك أيضاً من إساءات، أو توجيه للكلام الذي فيه إساءة، أو الكلام الجارح، أو التقليل من احترام أحد، تعيش في الجنة محترماً، لك كرامتك، لك قدرك، لك احترامك، لا أحد يسيء إليك، لا أحد يظلمك، لا أحد يؤذيك، لا أحد يوجِّه إليك الكلام الجارح، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾[٤]، الكلام كله كلامٌ سليمٌ وكلامٌ محترم، ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[٥]، ليس في

١- فاطر: من الآية ٣٤
٢- فاطر: ٣٤-٣٥
٣- الحجر: الآية ٤٧
٤- مريم: الآية ٦٢
٥- الحج: من الآية ٢٤

كلامهم أي كلام سيئ، أو كلام لغو، أو كلام تافه، أو كلام مسيء، أو كلام جارح، أو كلام مؤذٍ... أو أي شيء من هذا. |الا| أبداً، كله كلام سليم، وإيجابي، وجيد، وطيب. ٥

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1]، **هذه الوجبات في الجنة، وقد يكون مع الوجبات أشياء كثيرة أخرى تترافق أيضاً.**

ومع هذا في الجنة برفقة أولياء الله من أنبيائه، ورسله، والصدِّيقين، والشهداء، والصالحين، هذه نعمة عظيمة **جدًّا**، الله -جلَّ شأنه- قال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[2]، تطيب الحياة معهم، وتطيب الحياة بجوارهم، حياة هنيئة تشاهد فيها الأنبياء، وتشاهد فيها الأولياء، ويمكنك أن تلتقي بهم، أن تسمع منهم، هذه أيضاً نعمة عظيمة **جدًّا**.

الجنة.. عالم النعيم والتكريم العظيم!

ومع ذلك كله تكريم، الحياة في الجنة النعيم المادي يتوفر فيها على أرقى مستوى، وبدون أي عناء ولا تعب، وبتكريم، على المستوى المعنوي يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[3]، ﴿هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4]، **كل عبارات التكريم والتي تشعرهم بأنَّ:** أنتم جديرون بهذا النعيم بأعمالكم، مع أنه برحمة الله وبتوفيقه، الإنسان حتى في العمل الصالح يحتاج إلى توفيق الله سبحانه وتعالى، والله هو المتفضل والمنعم الكريم، مع ذلك حالة من التكريم، ﴿هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، هذا تكريم كبير.

١- مريم: من الآية ٦٢
٢- النساء: الآية ٦٩
٣- الحاقة: الآية ٢٤
٤- الطور: من الآية ١٩

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1]، حتى هذه الزيارات من وفود الملائكة التي ترحب بهم، وتهنؤهم، وتبارك لهم ما وصلوا إليه من النعيم: [مبروك وصلت إلى نعيم عظيم].

٥

وليس لهم من شغلٍ شاغل إلَّا أن يتهنأوا بما هم فيه من النعيم، يتنعمون، هم في حياة كلها حياة سعادة، ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾[2]، أي شيء تريد سيوفِّرونه لك، هناك الخدم الذين هم جاهزون، أولئك الخدم الذين هم كاللؤلؤ المكنون، وكلهم نشاط لتوفير كل ما تريده وتحتاجه.

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[3]، وهذا أيضاً من التكريم العظيم، يسلِّم الله عليهم، ويصلهم السلام من الله قولاً، وهم أيضاً في دار السَّلام التي أعدها الله لهم يعيشون حالة النعيم، وفي حالة رضا: رضا عن الله، ورضا بما وصلوا إليه، والله قد رضي عنهم، وهذا أيضاً من التكريم، وأن يحسوا بأن هذا الذي هم فيه من النعيم هو تعبيرٌ عن رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعن محبته لهم، ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[4]، هم أيضاً في رضا عما عملوه وعما قدموه، منذ أن كان وهو في ساحة المحشر يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[5]، يعيش هذا الرضا عن عمله، عن جهده، عن سعيه، عن مواقفه، عن اتجاهاته التي كانت نتيجتها تلك.

ولا ملل، هم في ذلك النعيم لا يملُّون منه، الله -جلَّ شأنه- قال عن غيرها من الملل، لا ملل، نعيم متجدد، مفاجآت بعد كل فترة من أنواع النعيم، موديلات جديدة من الأشياء التي يهيئها الله لهم، أشياء كثيرة وجو

١- الرعد: ٢٣-٢٤

٢- يس: ٥٥-٥٧

٣- يس: الآية ٨

٤- البينة: من الآية ٨

٥- الحاقة: من الآية ١٩

ليس فيه ما يبعث على الملل ولا السآمة، سعادة هنيئة وطيبة وأبدية لا نهاية لها، ومع ذلك يمكنهم أن يشاهدوا- كما نحن اليوم تطالعنا مشاهد فيديو- أن يشاهدوا ما فيه أهل النار ببث مباشر، وأن يشاهدوا ما أهل النار فيه من العذاب الشديد، والضنك، والمصائب الرهيبة **جدًّا** والعياذ بالله.

طريق الجنة طريقٌ سهلة، الله يدعونا إليها، حتى التفاصيل التي يعرضها عن الجنة هي ترغيبٌ لنا، الله يعرضها علينا هنا في الدنيا، هل تريدون هذه الجنة، الله يدعونا إليها، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾[1]، ينادينا أن أقبلوا، أن هَلُمُّوا إلى هذه الجنة، أعمالها ميسرة، أعمال الجنة والعمل الصالح أيسر من الأعمال التي توصل إلى النار، طريق الجنة أسهل من طريق النار، الله وصفها باليسرى في القرآن الكريم، أحلَّ لنا الطيبات، وحرَّم علينا الخبائث، هل هذه مشكلة؟ كم نسبة ما أحلَّ الله لنا وجعله طيِّباً؟ كثير **جدًّا** في مقابل ما حرَّم وهو خبيث وشيء محدود، المسؤوليات التي أمرنا بها فيها خيرٌ لنا في الدنيا والآخرة، وهي أيضاً لمصلحتنا، تنصُّلُنا عنها له تبعات في الدنيا أكبر، وما أهل النار فيه من الأعمال التي تقابل تلك المسؤوليات هو أصعب، ومع هذا فتح الله لنا مجال الاستعانة به، وأن نسأله التوفيق، وأن نسأله أن يعيننا، ويعين، ويوفِّق، ويمنح العطاءات الواسعة **جدًّا في الدنيا أيضاً**: عزة، وكرامة... وأشياء كثيرة، ولو أنَّ هذه الحياة لا تخلو من المنغصات، لكن الإنسان يتطلَّع إلى ما عند الله، وحياة أبدية في مقابل حياة قصيرة، كل ما فيها متاع ومحدود.

نسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١- يونس: من الآية ٢٥

تفاصيل مهولة عن عذاب جهنم!!

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُولُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث على ضوء الآيات المباركة التي تحدثنا عنها بالأمس، وبعضٍ من الآيات المباركة الأخرى التي نتحدث عنها في سياق **الحديث عن اليوم الآخر:** عن القيامة، عن الحساب، عن الجزاء، عن الجنة والنار، ذلك المستقبل الآتي الذي لا ريب فيه، ولا بدَّ منه، والموضوع الرئيسي- كما قلنا-

منذ بداية الحديث هو: العمل، وأهمية العمل، وما سنجازى عليه في أعمالنا.

٦

بالأمس تحدثنا عن أهل الجنة، وعمَّا هم فيه من النعيم العظيم على ضوء آيات من القرآن الكريم، وهناك الآيات الكثيرة التي لم نتحدث عنها، من خلال تلاوة القرآن الكريم يستفيد الإنسان، ويتأثر، وينشدّ، ويرغب إلى الله ﷻ وفيما وعد الله ﷻ، ويعي قيمة وأهمية العمل الصالح، قيمة وأهمية ما وجهنا الله إليه في القرآن الكريم، ورغَّبنا عليه بذلك الجزاء العظيم، بذلك الثواب العظيم، بذلك الأجر الكبير.

يتحدث القرآن الكريم أيضاً وينقل لنا تفاصيل عن ذلك المستقبل المهم والخطير والكبير، تتعلق بالذين خسروا، بالذين هلكوا، بالذين كانت أعمالهم السيئة سبباً لهلاكهم في يوم القيامة، كان تقصيرهم وتفريطهم في الأعمال العظيمة، والأعمال الصالحة، وما وجَّه الله إليه ﷻ من العمل الذي فيه النجاة والفوز، يتحدث القرآن الكريم عن أحوالهم لينذرنا؛ **لأنك** قد تكون واحداً منهم، قد تكون أنت أيُّها العزيز، وقد تكوني أنتِ أيَّتها العزيزة، قد يكون أي واحدٍ منا هو ذلك الذي يعيش كل تلك التفاصيل، الذي يخسر، الذي يهلك، الذي يخيب، الذي يكون مصيره إلى جهنم والعياذ بالله.

إن الله ﷻ **حينما قدَّم إلينا بالوعيد،** وحينما أنذرنا وحذرنا وأخبرنا عن تلك التفاصيل الرهيبة والمخيفة **جدًّا؛** من أجل أن نخاف في هذه الحياة، من أجل أن نستقيم في أعمالنا في هذه الحياة، من أجل أن نستشعر مسؤوليتنا في هذه الحياة، من أجل أن نسعى لأن نقي أنفسنا من خلال العمل الصالح، وبالالتجاء إلى الله ﷻ وبالتوبة والإنابة والتخلص من المعاصي، والذنوب، نقي أنفسنا من كل ذلك العذاب.

٦

ويُصدِر الأمر بعملية النقل إلى جهنم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾!

في ساحة المحشر، وبعد اكتمال الحساب يأتي الأمر من الله سبحانه وتعالى بتجهيز أهل النار؛ **لنقلهم** إلى النار، وهي حالة رهيبة **جدًّا**، بعد عملية الفرز، وبعد صدور الحكم الإلهي الذي لا يستطيع أحد أن يعقِّب عليه، ولا أن يلغيه، ولا أن يقدِّم استئنافاً عليه، ولا يمكن للإنسان- أيضاً- أن يكون له هناك محامٍ بارع، أو أن يكون له وساطات ذات ثِقل وتأثير فتلغي حكم الله، وتشطب ما قرره الله سبحانه وتعالى من تفريقٍ بين المحسن والمسيء، وتلغي ما قد قدمه الله سبحانه وتعالى من الوعيد، **وهو القائل:** ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[١]، ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾، أحكام قد صدرت واضحة ومحددة، من تنطبق عليه تلك الأحكام فلا يمكن أن يتمكن من إلغائها بأي وسيلةٍ، بأي طريقةٍ، بأي حيلةٍ، بأي فديةٍ، بأي طريقة، أبداً، حالة خطيرة **جدًّا**، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٢].

عندما يأتي الأمر من الله سبحانه وتعالى لملائكته، وهم الزبانية: الشرطة الإلهية المعنية والمتخصصة في نقل أهل النار إلى النار، ﴿خُذُوهُ﴾ أمرٌ من الله سبحانه وتعالى ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[٣]، قد تكون أنت هذا الذي يأتي هذا الأمر الإلهي بِغَلِّه، بتقييده بقيود الله سبحانه وتعالى القيود الرهيبة، القيود التي ستبقى مقيداً بها لا تنفك عنك، ولا تستطيع أن تتخلص منها، وتتحول إلى جزءٍ مستمرٍ من عذابك وآلامك، والضيق الذي ستعاني منه بشكلٍ مستمر، ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[٤]، ليس فقط القيود التي ستغل بها اليدان إلى الرقبة. |لا| إنما أكثر من ذلك السلاسل التي ستوثق بها، وهي حالة رهيبة **جدًّا**، الله -جلَّ شأنه- قال: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[٥].

١- ق: من الآية ٢٩
٢- المدثر: الآية ٣٨
٣- الحاقة: الآية ٣٠
٤- الحاقة: الآية ٣٢
٥- الفجر: الآية٢٦

٦

ولا يستطيع ذلك الجمع الهائل من البشر، وهم الأغلبية الساحقة من البشر الذين سيُذهب بهم إلى جهنم، عند عملية تجميعهم وبداية نقلهم، وقت ما هم يحشرون وينقلون في الاتجاه الذي سيذهبون من خلاله إلى جهنم، وينقلون من خلاله إلى جهنم، مع كثرتهم الهائلة، وحشودهم الكبيرة، وجمعهم الغفير، لكنهم لا يستطيعون أبداً أن يدفعوا عن أنفسهم ذلك، أن يمتنعوا عن الانتقال؛ **لأنهم** في حالةٍ من العجز والضعف والاستسلام، بل إن الله سبحانه وتعالى يقول لهم، قال -جلَّ شأنه-: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾، أثناء عملية التحريك لهم والنقل لهم، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[١] سؤالًا واحداً، هذا السؤال ما هو؟ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾[٢]، أنتم في جمعكم الكبير والهائل، أنتم من كنتم في الدنيا تتعاونون على الباطل، وتتناصرون على الباطل، وتتحالفون على الإثم والعدوان، وكنتم في الدنيا تتعصبون لبعضكم البعض، البعض قد يكون في هذه الدنيا يعتز بجيشه ويمتنع بجيشه، البعض في هذه الدنيا قد يكون يمتنع بقبيلته، وتتعصب له في الموقف الباطل، وتَهُبُّ معه لتقف إلى جانبه حتى لو كان ظالماً، أو كان مفسداً، أو كان في الموقف الخاطئ. لا القوم، ولا القبيلة، ولا الجيش، ولا الأمة، ولا أي انتماء ولا أي إطار كنت تستند إليه في هذه الدنيا يمكن أن يقف معك، أو يحميك، أو يدفع عنك.

التجمعات تلك الحاشدة والهائلة جدًّا، وهم ينقلونها إلى جهنم يقول الله لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾[٣]، أين تلك المخططات، أين تلك المؤامرات، الخطط الرهيبة، الكيد الرهيب الذي في الدنيا كادت تزول منه الجبال، أين هو؟ أين أولئك المخططون والبارعون في مكرهم وفي حيلهم أين هم؟ أين أصحاب المهارات العسكرية، والقدرات

١- الصافات: الآية ٢٤

٢- الصافات: الآية ٢٥

٣- المرسلات: الآية ٣٩

العسكرية، والمعنويات العالية، والشجاعة الكبيرة؟ أين أولئك الطغاة والمتجبرون والقساة القلوب؟ أين كل تلك القوة والإمكانات الهائلة التي كانت بأيديكم في الدنيا تتسلطون بها، وتظلمون بها، وتمتنعون بها، أين ذلك كله؟ ٦

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾[١]، الكل في حالةٍ من الاستسلام والخضوع التام، والانسياق رغماً عنهم، ينقلون رغماً عنهم، لا ينتقلون برغبتهم، ولا يذهبون إلى نار جهنم باندفاع وتفاعل، وخطوات يتقدمون بها بلا اكتراثٍ ولا مبالاة. |لا| الله يقول -جلَّ شأنه- عن عملية نقلهم أنها إجبارية، رغماً عنهم.

كان الكثير في الدنيا يتثاقلون، ولا يخطون الخطوات فيما هو رضا لله سبحانه وتعالى، فيما فيه نجاتهم من عذاب الله، فيما فيه الخير لهم، الخطوات التي يكتب لك على كل خطوة أجر وحسنة، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾[٢]، في الحركة في سبيل الله كل خطوة لك عليها أجر وثواب، فيتثاقلون، في الانتقال إلى الأعمال الصالحة يتثاقلون مع أنه على كل خطوة حسنة.

هناك ينقلون رغماً عنهم، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[٣]، يُدفعون دفعاً رغمًا عنهم، ويجبرون على ذلك، وينقلون برغم أنوفهم، ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[٤]، منهم من يسحب ويؤخذ برأسه، منهم من يسحب بقدميه ويدفع دفعاً، وينقل نقلاً إجبارياً وهكذا، حتى يصلوا إلى شفير جهنم- والعياذ بالله- وهي من اللحظات الرهيبة **جدًّا جدًّا جدًّا**، لدرجة أن الإنسان عندما يصل إلى شفير جهنم يحاول أن ينكر من جديد ما قد ثبت عليه في ساحة المحشر، ما قد رآه هو بنفسه في صحيفة أعماله، ما قد ثبت عليه بالشهود، هناك يحاول من جديد أن

١- الصافات: الآية ٢٦
٢- التوبة: من الآية ١٢١
٣- الطور: الآية ١٣
٤- الرحمن: من الآية ٤١

ينكـر، ولكـن تـأتي الاثباتـات الدامغـة التـي لا يملـك معهـا أن يكابـر، أبـداً.

لا مجال للإنكار فالشهود: الجلود والأسماع والأبصار!

﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾، فـإذا وصلـوا إلى شـفير جهنـم- والعيـاذ باللـه- ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]، **يُشـهِد اللـه عليهـم مـن حواسـهم:** السـمع والبـصر، وتشـهد عليهـم جلودهـم، وهـي حالـة لا يمكـن للإنسـان بعدهـا أن يكابـر، أبـداً، شـهد عليـه حتـى جلـده، يندهشـون، يتفاجـؤون مـن ذلـك، ويصـل بهـم الاندهـاش والتفاجـؤ **جـدًّا** مـن شـهادة حتـى جلودهـم عليهـم أن يوبخـوا جلودهـم، وأن يعاتبوهـا، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾؛ **لأنها** شـهادة لم يملكـوا بعدهـا أن يكابـروا، أبـداً، لم يبـق لهـم مـا يقولـون بعدهـا، أبـداً، ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾، تجيبهـم جلودهـم، فـماذا تقـول لهـم؟ ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾، مـا كنـت تتوقـع هـذا، ولا كنـت تملـك في الدنيـا أن تسـتتر، قـد تسـتتر في هـذه الدنيـا لارتـكاب بعـضٍ مـن المعـاصي في غرفـةٍ مغلقـة، قـد تذهـب إلى مـكانٍ لتختفـي فيـه فـلا يـراك النـاس، قـد تسـتتر بـأي وسـيلةٍ مـن الوسـائل، قـد تختفـي، قـد تختـلي، لكـن سـمعك ولكـن بـصرك لا يمكـن أن تختفـي منـه، هـي حواسـك التـي هـي مركبـةٌ فيـك، ولا مـن جلـدك، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾، هـل يمكـن أن تسـتتر مـن جلـدك؟ هـل يمكـن أن تختفـي حتـى لا يـراك جلـدك، حتـى لا يوثـق عليـك مـا تعمـل؟ كل شيءٍ موثـق بدقـة، الإثباتـات والشـهود مـع رقابـة اللـه، ورقابـة اللـه فـوق كل شيء؛ **لأن** اللـه يعلـم مـا توسـوس بـه نفسـك، ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[٢]، يعلـم ذلـك بكلـه،

١- فصلت: الآية ٢٠

٢- غافر: من الآية ١٩

حالة رهيبة **جدًّا**، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾[١]، وهي حالة رهيبة **جدًّا**، لا يملك الإنسان بعدها أن يكابر.

٦

وفتحت الأبواب الجهنمية والدخول بلا تزاحم!

حينما يصلون إلى شفير جهنم، وإلى أبواب جهنم، وهي كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنها: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[٢]، وهم موزعون بحسب جرائمهم وجناياتهم وتفريطهم وعصيانهم إلى دركات جهنم، فالجنة درجات، وجهنم دركات.

الدرك الأسفل في جهنم لمن هو؟ هناك فئة ممن يعذَّبون في الدرك الأسفل من النار، في أشدها عذاباً، في أشدها ألماً، هم المنافقون، الله -جلَّ شأنه- قال في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[٣]، والمنافق ينتمي للإسلام، ويصلي ويصوم، وهو من بين المسلمين، يعيش فيما بينهم، وبطاقته إذا معه بطاقة، وهويته إذا معه هوية معينة (جواز أو غيره)، سيكون دينه مسلماً، ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾[٤]، كانوا يقولون هكذا، الله يقول عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، في أشد موضعٍ في جهنم عذاباً- والعياذ بالله.

ولاحظوا كيف يندهش خزنة جهنم، الملائكة الموكلون بعذاب أهل النار في النار، عندما تصل تلك الحشود الهائلة، والمجاميع الكبيرة، والأفواج الكثيرة العدد (بالمليارات من البشر)، عندما يصلون إلى شفير جهنم، يندهش الملائكة هناك، ولكن ليس هناك الاستقبال بالتكريم، والاستقبال الإيجابي، ولكنه التوبيخ، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ والعياذ بالله! فتحت تلك الأبواب السبعة،

١- فصلت: الآية ٢١

٢- الحجر: الآية ٤٤

٣- النساء: الآية ١٤٥

٤- المنافقون: من الآية ١

الأبواب الهائلة، الأبواب الجهنمية، ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، وهم يندهشون من كثرتهم، من أعدادهم الهائلة **جدًا**، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى﴾[١]، قد أتت الرسل، وأتى النذير بلقاء هذا اليوم، أتى التحذير من هذا اليوم، أتت حتى تفاصيل، حتى هذا التفصيل، حتى هذه اللحظة، ربما البعض يتأمل، يتذكر أنه قد عرف حتى عن هذا المشهد، وقد سمع بهذا المشهد وهو في الدنيا، نُقلت إليه من القرآن هذه الصورة وهو في الدنيا، وأمامه الفرصة الكافية ليتلافى نفسه وتقصيره، وليعمل على ما فيه نجاته من تلك اللحظة الرهيبة، ومن ذلك المستقبل الرهيب **جدًا** والعذاب العظيم، ﴿قَالُوا بَلَى﴾، حالة رهيبة **جدًا** هناك.

وعندما تفتح الأبواب هل سيتزاحمون على الدخول وهم يندفعون كلٌ يريد أن يدخل هو الأول؟ الا؛ **إنما** يلقى بهم إلقاءً داخل جهنم، تأخذهم الملائكة وتدفعهم وتلقيهم إلقاءً، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[٢]، من جديد عندما يلقى إلى جهنم، وهي حالة!! كيف سيكون حال الإنسان عندما يلقى إلى جهنم؟! كيف سيكون خوفك وقلقك واضطرابك النفسي لو تلقى في فرن من الأفران العادية في هذه الدنيا، وهم يأخذونك قسراً وإجباراً ويريدون أن يدخلوك فيه، وأن يحنذوك فيه، وأن يُصلوك فيه، كيف سيكون رعبك وقلقك وخوفك؟! أمر رهيب؛ **أما** جهنم فهي عذاب الله الأكبر، العذاب الشديد، العذاب المهين، النار قال عنها الله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[٣]؛ **أما** وقد وصلوا إليها كيف هي أصوات استعار نيرانها؟! كيف هو القصيف الهائل؟! كيف هي الأصوات الرهيبة **جدًا** والشهيق والزفير الذي هو من أصواتها المخيفة **جدًا**، حتى الأصوات في جهنم

١- الزمر: من الآية ٧١

٢- الملك: من الآية ٨

٣- الفرقان: الآية١٢

أصوات مرعبة **جدًّا** ومخيفة للغاية، كيف هي مشاهد استعار النيران فيها والدخان الهائل، كيف هي المشاهد للشرر الذي يتطاير وهو كالقصر، شرر (كتل هائلة **جدًّا**) تتطاير من شدة التوقد والإستعار داخل جهنم- والعياذ بالله!- كيف هي مشاهد الحميم الذي يسيل فيها ودياناً وأنهاراً، شيءٌ منها من الصديد، شيءٌ منها من الحميم الذي يغلي، كلها مشاهد رهيبة ومهولة.

دع الغفلة وانتبه الآن قبل: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾!

الإنسان عند إدخاله إليها وعند إلقائه فيها كيف ستكون آلامه وحسرته، يتذكر في تلك الحالة أنه في الدنيا كان قد أُنذِر، كان قد حُذِّر، آيات الله في القرآن الكريم فيها هذه التفاصيل التي أنذرته عن تلك المواقف موقفاً بموقف ومرحلةً بمرحلة، ولهذا ماذا يقولون في تلك اللحظات بعد إلقائهم إلى جهنم، وهم في حالة من الخوف، والألم الشديد، والرعب الشديد، والعناء الشديد، والألم الشديد؟ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1]، لو كنا في الدنيا نسمع، نسمع آيات الله، نسمع النذير، نسمع الذكرى، نسمع الموعظة، فالبعض حتى أثناء الاستماع، حتى وهو يستمع المحاضرة، حتى وهو في المسجد، حتى وهو يقرأ القرآن لا يعطي نفسه حتى فرصة التركيز والإصغاء، والاستماع النافع الذي يتأثر به، ويتذكر به، وينتفع به.

الله يقول عمّا قدَّم من النُذُر في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2]، من يلقي السمع وهو حاضرٌ بلبه، بذهنه، بتركيزه، يصغي، يستوعب، يتفهم؛ **أما** الذي حتى إذا ذُكِّر، حتى إذا تُلِيَت عليه آيات الله، حتى إذا قُرئ عليه القرآن، حتى عند الموعظة والذكرى، لا يركز، لا يلتفت، لا يصغي، لا يسمع، لا يتفهم؛ **لا ينتفع** في نهاية المطاف ولا يستفيد، يبقى قلبه قاسياً، ويبقى لاهياً، ويبقى

١- الملك: الآية ١٠

٢- ق: الآية ٣٧

غافلاً، ويبقى مستهتراً، ويبقى متهاوناً، ويبقى جريئاً على مخالفة توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يبقى متكاسلاً عن الأعمال المهمة والعظيمة والصالحة والمفيدة.

٦

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ [(١)]، هذه هي مشكلتهم، **هذا هو ذنبهم الكبير الذي تفرعت عنه سائر الذنوب:** غفلة، عدم التفات إلى النذير، عدم التفات إلى الذكرى، ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾، وهل يفيدهم هذا الاعتراف؟ **هل سيقال لهم:** [جيد، بما أنكم اعترفتم بذنبكم سَتُقَدَّم لكم تخفيفات في العقوبات]، **في الدنيا قد تقول لك الشرطة:** [إذا اعترفت وتعاونت ستخفف عليك الإجراءات العقابية]. هناك |لا| ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [(٢)]، سحقاً لهم وبعداً لهم، استمراراً فيما هم فيه من العذاب، وضياعاً فيما هم فيه من العذاب- والعياذ بالله- لا رحمة بهم، أبداً، ولا ذرة من الرحمة.

كانت الرحمة تعرض لهم في الدنيا فلم يقبلوها، أتت رحمة الله، قرآنه رحمة، هدايته رحمة، توجيهاته رحمة، ومستقر رحمته هي الجنة، أولئك الذين لم يقبلوا، لم يلتفتوا، استهتروا وتهاونوا؛ **خسروا.**

ثياب جهنم وطعامها وشرابها والغسل فيها!

في نار جهنم كل شيءٍ عذاب، بدءاً من الملابس، في كثيرٍ من الدنيا إذا دخل الإنسان السجن هناك ملابس مخصصة للسجن، فما هي الملابس المخصصة في نار جهنم؟ الحالة هي كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ [(٣)]، تفصيلٌ عليهم بالكامل نيران، يبقى عليك هذا الثوب الناري المباشر بحرارته لجسمك بشكلٍ مستمر- والعياذ بالله- الله أعلم كيف سيكون شكل ذلك الثوب الناري المفصل عليك، والمقطع والمفصل بما يكون عليك تماماً- والعياذ بالله؟!

١- الملك : ١٠-١١

٢- الملك: الآية ١١

٣- الحج: من الآية ١٩

الطعام عذاب، شجرة الزقوم التي تغلي في البطون كغلي الحميم، والتي هي لا تُشبِع، ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾؛ **من** شدة الجوع، ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[١]، يأكلون ويأكلون ويأكلون ولا يحسون بالشبع، يبقى عذاب الجوع مستمراً حتى تمتلئ بطونهم من تلك الثمرة التي تغلي في البطون كغلي الحميم- والعياذ بالله- حرارة شديدة **جدًّا**، وقت أكلها، عندما تتناولها، كيف هي حرارتها في فمك، كيف حرارتها وهي تنزل إلى بطنك، ثم حرارتها في بطنك وهي تغلي في بطنك كغلي الحميم- والعياذ بالله.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾[٢]، الذي سيشربونه عليها بدلًا عن العصير، بدلاً عن المشروبات الغازية، بدلاً عن المياه المعدنية، حالة رهيبة **جدًّا**، كل شيءٍ عذاب، الشراب قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٣]، حالة رهيبة **جدًّا**، ما أشد العطش في جهنم، من أشد أنواع العذاب في جهنم هو العطش، وعطشٌ لا يرويك منه أي شيءٍ من شراب جهنم، لا ذلك الحميم الذي هو كالمهل، ليس ماءً نقياً، وليس حتى حميماً نقياً، ولكنه ﴿كَالْمُهْلِ﴾: كحثالة الزيت في مذاقه، في شكله، في حرارته البالغة، حرارة شديدة **جدًّا**، تصل درجة الحرارة فيه إلى أن يشتوي منه وجهك أول ما يُقَرَّب إليك لتشرب، كيف حرارته في فمك، كيف حرارته في رقبتك، كيف حرارته في أمعائك، ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[٤]، يقطع الأمعاء من شدة الحرارة، وآلام رهيبة **جدًّا**، كل شيءٍ يرافقه من الآلام ما كان يكفي لقتلك، ولموتك، ولهلاكك لو بقي موت، آلام شديدة **جدًّا**، تأكل وأنت تشعر بالآلام الشديدة، آلام شديدة **جدًّا**، تشرب من ذلك الحميم، تشرب الصديد، قال عنه الله ﷻ: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ

١- الصافات: الآية ٦٦

٢- الصافات: الآية ٦٧

٣- الكهف: من الآية ٢٩

٤- محمد: من الآية ١٥

﴿الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[١]، كل جرعة كانت تكفي لأن تكون قاتلة، كانت تكفي لأن تكون مميتة، كل جرعة من ذلك الصديد القذر، الذي هو- مع قذارته ونتنه ومذاقه البشع **جدًّا**- في منتهى الحرارة والشدة، فرائحته قذرة ونتنة **جدًّا**، ومذاقه قذرٌ، وشكله قذرٌ، وحرارته رهيبة **جدًّا** ومميتة لو بقي موت، ولكن ما بقي موت، وجرعة بعد جرعة، كل شيء بعذاب.

٦

الحركة في جهنم والنقل لأشياء كثيرة أنواع وأصناف من العذاب يعذِّبك بها أولئك الملائكة، عندما يذهبون بالإنسان ليغتسل غسل جهنم، غسل رهيب، من أسوأ حالات العذاب في جهنم- والعياذ بالله- **الله يقول:** ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[٢]، عَتل؛ يُعتَل به، **يعني:** يؤخذ ويساق سوقاً عنيفاً؛ **لأن** الإنسان الذي يُذهَب به إلى تلك الحالة الرهيبة **جدًّا**، يخاف للغاية، وعندما يجرب أن يغتسل ذلك الغسل؛ **كل** مرة يأتون إليه سيخاف، ويحاول أن يمتنع، ولكنهم يأخذونه رغماً عنه، فيعتلوه، **العتل:** الأخذ والسوق بعنف وشدة وقوة إلى مكان في جهنم، قال عنه الله: ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾، من أسوأ الأماكن في جهنم وأشدها عذاباً، بعد أن يصل: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[٣]، نعوذ بالله! عذاب رهيب **جدًّا**، ذلك الغسل يقول الله عنه في آيةٍ أخرى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[٤]، يذوب فيه جلد الإنسان، يذوب من شدة حرارته جلده، حالة رهيبة **جدًّا**، وألم شديد **جدًّا**.

١- إبراهيم: من الآية ١٧
٢- الدخان: الآية ٤٧
٣- الدخان: الآية ٤٨
٤- الحج: الآية ٢٠

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾.. لا مجال للدعاء أبداً!!

في تلك الحالات من العذاب الشديد، والعناء الرهيب، لا شيء ينفعهم، يستغيثون فلا يغاثون، يتضرعون إلى الله بالدعاء، في الدعاء الله ينادينا في الدنيا أن ندعوه، يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٢]، **فقط طلب منا طلباً واحداً:** ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٣]، يحثنا على الدعاء، يرغِّبنا في الدعاء، ويأمرنا أن نستجيب لدعوته؛ **ليستجيب** لدعائنا، ولكن الكثير من الناس غفلوا عن هذا، وإذا دعا يدعو بشكل ليس فيه أي شيءٍ من الإقبال بذهنه ونفسيته ومشاعره، لا يدعو دعاءً جاداً؛ **يتوجه** من قلبه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أكثر ما يدعو الإنسان يدعو وهو في حالة من الانشغال الذهني، واللامبالاة، واللا اهتمام، واللا جدية، وبفقدان لهذا التوجه الذي ينبغي أن يكون حاضراً عندما تدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هناك سيدعون الله، يتضرعون، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾[٤]، صراخ مرافق له حالة من التخبط، من التألم، من الحالات الرهيبة **جدًا**، وهم في حالة يتصرَّعون بين نيران جهنم، ويتقلَّبون، يقومون ويقعدون، حالة رهيبة **جدًّا**، ليس لهم وضعية استقرار (يضطجع ويهدأ)، إلا حالة من التقلب والقيام والقعود، يرجم بنفسه من هنا إلى هناك، ويصرخ في عذاب شديد، يتلوى، يتأوه، يبكي، يتجهون بالدعاء من كل أعماق قلوبهم، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[٥]، هل يستجيب الله لدعائهم لأنهم في حالة من الخشوع الشديد، والبكاء، والتضرع، والتوجه من أعماق قلوبهم؟ إلا فات وقت الدعاء. وقت الدعاء هو هنا، كان الله يدعوك لأن تدعوه،

١- غافر: من الآية ٦٠
٢- البقرة: من الآية ١٨٦
٣- البقرة: من الآية ١٨٦
٤- فاطر: من الآية ٣٧
٥- فاطر: من الآية ٣٧

٦

يأمرك بدعائه، يقدِّم لك حتى أوقاتاً مميزة **جدًّا** للدعاء، وأسباباً مفيدة **جدًّا** في الدعاء، فكنت أنت من لا تبالي بكل ذلك، الله يرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا﴾[١]، الحالة ليس فيها أي رحمة، أبداً، يصطرخون بين تلك العذابات، والنيران تلفح وجوههم، وقد كَلِحَت وجوههم، وانقشعت شفاههم من شدة الحرارة، وبدت كل أفواههم، أسنانه بادية بارزة، انقشعت شفتاه من شدة النار، في تلك الحال وهم يصرخون ويتأوهون ويدعون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٢]، ﴿اخْسَئُوا﴾: هذا هو الرد عليهم، بعدها يمنعون حتى من الدعاء، ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، لا يسمح لهم بأن يدعوا الله، حالة رهيبة **جدًّا**.

يطلبون التخفيف بعد أن يئسوا من الخروج، يقولون: [خلاص ما دام لا يمكن الخروج من جهنم فالتخفيف]، بين ملايين السنين من العذاب الذي لا ينقطع ولا لحظة واحدة يرتاحون فيها، يطلبون من الملائكة، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾[٣]، بين كل تلك الملايين من السنين التي لا تنتهي يطلبون يوماً واحداً يتخفف، فماذا يجيبون عليهم؟ هل سيدعون لهم؟ هل سيتوسطون لهم؟ ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا﴾[٤]، **يعني:** لن ندعوا لكم نحن أبداً، ولن يفيدهم دعاؤهم، قد قال الله لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، لا فائدة من ذلك، حتى التخفيف، عناء لا نهاية له، كيف يكون تعب الإنسان إذا استمر له ألم لأيام؟! إذا استمر له غم وحزن لساعات، كيف يبلغ به التعب (الإرهاق)، كيف يبلغ به الضيق النفسي؟! فما بالك بذلك الذي لا ينتهي.

١- فاطر: من الآية ٣٧
٢- المؤمنون: ١٠٧-١٠٨
٣- غافر: الآية ٤٩
٤- غافر: من الآية ٥٠

الموت مستحيل والخروج مستحيل!

لا تخفيف ولا خروج، يطلبون الموت (الهلاك)، الموت بالنسبة لهم أمنية يتمنونها، وستكون أكبر نعمة، الإنسان في الدنيا كم يخاف من الموت، كم يترك الأعمال العظيمة ومنها الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى: **قلقاً** من الموت، مع أنه في سبيل الله هناك الشهادة بدلاً عن الموت، والحياة الطيبة للشهداء، هناك ماذا يقولون؟ ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾، هذا مالك هو خازن النار، ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، ﴿لِيَقْضِ﴾: ليهلكنا، ليميتنا، فماذا يقول لهم؟ ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[١]، لا موت، إنما تستمرون في هذا العذاب للأبد.

لا تفيد كل هذه التوسلات والتضرعات والمطالب، ماذا يحاولون؟ يحاولون أن يخرجوا، يحاولون أن يُجهِدوا أنفسهم وأن يتحركوا بين نيران جهنم في عالمها المتعب **جدًّا**، كله نار، الانتقال فيها صعب **جدًّا**، وهم مثقلون بالسلاسل وبالقيود، والحركة فيها صعبة **جدًّا**، وعذاب شديد، الحركة في جهنم هي- بحد ذاتها- عذابٌ شديد، بين نيرانها، بين وديانها، بين أماكنها الضيّقة، بين براكينها الهائلة، أمور هائلة **جدًّا** ورهيبة للغاية، ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[٢]، مقامع من حديد بيد الخزنة، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٣]، بعد أن يقطعوا شوطاً كله عذاب، بعد أن يمشوا مسافة كلها عذاب شديد، تتلقاهم الملائكة من خزنة جهنم بتلك المقامع الرهيبة، ويضربونهم بها بشكلٍ مؤلمٍ ومهين؛ **لإعادتهم** إلى حيث كانوا من النار- والعياذ بالله- ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، وكربٌ لا نهاية له، كربٌ لا نهاية له، ما هناك في هذه الحياة شيءٌ أبداً في مستوى أن تخاطر من أجله وتصل إلى نار جهنم، لا فيما تعمله من معاصي من أجل رغبات نفسك وشهواتها، وأطماع نفسك

١- الزخرف: من الآية ٧٧
٢- الحج: الآية ٢١
٣- الحج: الآية ٢٢

وأهوائها، ولا فيما تفرِّط فيه من الأعمال الصالحة، إما طلباً للراحة، أو تكاسلاً.

تقدم التحذير.. الإنذار. فلا حجة للمجرمين

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **كم قدَّم في القرآن من التفاصيل**، هذه بعضٌ منها، الكثير والكثير من التفاصيل في كتب الله السابقة مع أنبيائه ورسله السابقين، ولكن في القرآن ما يكفي، ولكن كل ما كان مع الأنبياء السابقين وفي كتب الله السابقة حجة على الأمم السابقة من قبلنا، التحذير والإنذار من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن طريق رسله وأنبيائه، وهو يحذِّرنا من هذا العذاب؛ **تكرر**، والله -جلَّ شأنه- قال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[١]، أقام الحجة على عباده، برحمته وبحكمته أخبر عباده وهم في هذه الدنيا، والفرصة متاحةٌ أمامهم، جعل الإنذار من هذا العذاب من أهم وظائف ومسؤوليات رسله وأنبيائه والهداة من عباده، وهو -جلَّ شأنه- في كتبه وآخرها القرآن الكريم، كتابه العظيم المبارك الحكيم، ذكر الكثير والكثير عن هذا العذاب، وأنذر، وحذَّر؛ **ولذلك** حالة خطيرة على الإنسان ألَّا ينفع فيه كل هذا التذكير، يتجه التحذير حتى لمن؟ للذين آمنوا؛ **لأن البعض قد يقول:** [هذا العذاب كله للكافرين الذين لم يسلموا، لم ينتموا إلى ملة الإسلام؛ **أمَّا** الذي ينتمي إلى الإسلام، **ويقول: (أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله)**، فقد أصبح من الذين آمنوا، والذين آمنوا ليس هناك عليهم عذاب، ولا هناك خطر... ولا أي شيء]. تعالوا معي لنتأمل آيةً من كتاب الله، آيةً واحدة فيها الكفاية، فيها العبرة، فيها العظة، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يوجِّه نداءه إلى مَنْ؟ إلى الذين آمنوا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾،

١- النساء: من الآية ١٦٥

٢- التحريم: الآية ٦

الله يخاطب الذين آمنوا وليس فقط الكافرين، يحذِّر الذين آمنوا من النار.

اقرأ في القرآن الكريم، كم ستجد من الأعمال التي يتوعد الله عليها بنار جهنم، أعمال؛ **لأن** المسألة تتعلق بالعمل، مجرد انتسابك للإسلام وانتمائك للإيمان لا يكفي، عندما تعمل عمل أهل النار، عندما تعمل عمل الكافرين، عندما تظلم، عندما تقتل النفس المحرمة، عندما تزني، عندما ترتكب الفاحشة، عندما تشرب الخمر، عندما تستخدم المخدرات، عندما تأكل المال الحرام، عندما تغش، عندما تقف في صف الباطل، عندما تنافق وتوالي الكافرين، عندما تخل بشيءٍ من فرائض الله سبحانه وتعالى، عندما لا تجاهد، لا تنفق في سبيل الله، لا تعمل لإقامة دين الله، **عندما تتجاهل قول الله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾[١]، عندما تتجاهل أوامر الله سبحانه وتعالى بالجهاد في سبيله، ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[٢]، كم في القرآن الكريم من وعيد على أعمال يحذِّر من يعمل تلك الأعمال أن عقوبته عليها جهنم، وأنها ستدخله النار ولو كان ينتمي للإسلام، بل إنَّ كل ذلك الوعيد، وكل ذلك التحذير، وكل تلك التعليمات، هي تتوجه في البداية إلى المسلمين، يحذِّرهم، يخبرهم ما هو محرمٌ عليهم، ما هي المسؤوليات التي عليهم؛ **ولذلك** المسألة مهمة **جدًّا،** ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، أنت معنيٌّ بأن تقي نفسك من خلال هذا الالتزام العملي، الطاعة لله، علَّمك الله الأعمال التي تدخل بها الجنة، وتنجو بها من النار، العمل، العمل هو الأساس، هو جنتك وهو نارك، يترتب عليه كل ذلك.

١- الصف: من الآية ١٤

٢- التوبة: من الآية ٣٩

الخوف من عذاب الله من أهم عوامل الاستقامة

في القرآن الكريم نرى كيف الخوف من عذاب الله، حالة إيمانية، وحالة موجودة حتى عند ملائكة الله، وعند أنبيائه، وعند أوليائه الصالحين، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال عن ملائكته- وهم الملائكة-: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١]، **قال عنهم:** ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[٢]، الملائكة- وهم الملائكة- يخافون من عذاب الله، الأنبياء يخافون من عذاب الله، يحكي في سورة مريم عن خوفهم، عن بكائهم خوفاً من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يقول حتى لسيد رسله وأنبيائه وخاتمهم رسول الله محمد -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٣]، يقول عن أوليائه وهو يحكي عن واقعهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[٤]، يقول عن عباده المؤمنين الصادقين الذين يخشون الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[٥]، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾: لو قدَّموا ما قدَّموا، لو أنفقوا ما أنفقوا، لو عملوا ما عملوا من الأعمال الصالحة، يبقى عندهم الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويستشعرون رجوعهم إلى الله، ويطلبون من الله بكل تضرع أن يقبل منهم ما عملوا من الأعمال الصالحة.

الخوف من عذاب الله حالة إيجابية تساعد الإنسان على الاستقامة، على الانتباه، تفيدك في حالة الشهوات والرغبات التي قد تدفع بك إلى فعل المعصية، وإلى ارتكاب المحرم، تردك، تزجرك، حالة الخوف من عذاب الله حالة إيجابية **جدًّا**، الله -جلَّ شأنه- **قال:** ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

١- النحل: من الآية ٥٠

٢- الإسراء: من الآية ٥٧

٣- الأنعام: الآية ١٥

٤- الإنسان: الآية ١٠

٥- المؤمنون: الآية ٦٠

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[١]، الخوف في الدنيا من عذاب الله يدفع عنك عذاب الله في الدنيا، ويدفع عنك عذابه في الآخرة، والبديل عنه يوم القيامة هو الأمن والاطمئنان في يوم الفزع الأكبر.

أولئك الذين لم يعيشوا هذه الإيجابية التي لها أهميتها عند الرغبات، ولها أهميتها عند المخاوف، كيف يؤثِّر على البعض الخوف من الأعداء، الخوف من القتل، الخوف مما بيد الأعداء من سلاح، فيجعله يتخاذل عن القيام بمسؤولياته العظيمة، عن الجهاد في سبيل الله، عن أعمال عظيمة ومهمة، عن موقف الحق، يقف البعض في صف الباطل نتيجةً لذلك، فينسى ما كان يجب عليه أن يخاف منه، ما الذي يمكن أن يكون كل ما بيد الأعداء من إمكانات، من جبروتهم، من وسائل القتل والتدمير في مقابل لحظة واحدة في جهنم- والعياذ بالله- حالة الانضباط عند الغضب تحتاج فيها إلى هذا الخوف، البعض عند الغضب قد يقول أي شيء، قد يفعل أي شيء، قد يتصرف أي تصرف، لكن الذي يخاف من غضب الله، يخاف من غضب الجبار، جبار السماوات والأرض؛ **سينضبط**، سيراجع نفسه، سيعمل على أن يسيطر على أعصابه، سيستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، سيصلي على محمد وآله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله.

حالة الخوف حالة إيجابية- الخوف من عذاب الله- تساعد الإنسان على الاستقامة، على الطاعة، على المبادرة إلى العمل الذي فيه نجاته، فيه السلامة له من عذاب الله؛ **أمَّا** حالة النسيان فهي الحالة الخطيرة **جدًّا**، أولئك الذين يخسرون يصلون إلى ذلك العذاب، ماذا قال الله عنهم؟ ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾[٢]، **قال عنهم:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾[٣]، كانوا يعيشون هذه الحالة من الغفلة، قال عنهم: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ

١- النازعات: ٤٠-٤١

٢- المدثر: الآية ٥٣

٣- النبأ: الآية ٢٧

﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾[١]، **حالة خطيرة جدًّا**: الغفلة، النسيان، ومن المهم **جدًّا** الاستفادة في شهر رمضان من تلاوة القرآن؛ **ليترسَّخ** لدينا الإيمان بوعد الله ووعيده أكثر فأكثر؛ **لما** يساعدنا على الاستقامة والعمل الصالح، الذي فيه نجاتنا وفوزنا وأمننا يوم الفزع الأكبر.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، ونسأله أن يعتق رقابنا من ناره في هذا الشهر الكريم، أن يجعلنا من عتقائه وطلقائه ونقذائه من النار، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

****

١- القيامة: ٥-٦

المعاصي وآثارها المدمرة
ووجوب التوبة قبل الندم

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **هو أرحم الراحمين**، وبقدر ما نرى في الآيات المباركة التي تحدثنا على ضوئها بالأمس من عذاب الله، وبأسه، وانتقامه، والخطر الرهيب **جدًّا** الذي يهدد الإنسان، وقد يقع فيه الإنسان- والعياذ بالله- إن لم يرجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإن الله -جلَّ شأنه- قد فتح لنا جميعاً- لعباده جميعاً- باب الرحمة، وباب المغفرة، وباب الخير الذي به ينجون من ذلك العذاب.

٧

والله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى **أرشدنا إلى التقوى،** أن نحرص على التقوى، أن نسعى للتقوى، والتقوى من خلالها تتحقق لنا الوقاية من عذاب الله في الدنيا والآخرة، الوقاية من النتائج السيئة للأعمال السيئة؛ **لأن** التقوى تساعدنا على الانضباط العملي، وجعل مما يلحق بالتقوى- وهو جزءٌ أساسيٌ من التقوى- هو التوبة إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى والرجوع إليه عند الزلل، وعند الخطأ، وعند ارتكاب المعصية.

الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى **رحيمٌ بنا، يدعونا إلى المغفرة،** يدعونا إلى الجنة، يدعونا إلى ما فيه الخير لنا في الدنيا والآخرة، وهو -جلَّ شأنه- يدعونا إلى ما فيه إنقاذنا من الذنوب، إنقاذنا من الأعمال السيئة التي لها خطورة كبيرة علينا نحن؛ **أمَّا** الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فليس عليه منا ومن أعمالنا السيئة أي خطورة، ولا أي ضرر- أبداً- لا تضره معاصينا ولا ذنوبنا، ونجد دعوته التي تعبِّر عن رحمته وفضله ورأفته بعباده في القرآن الكريم، وهي تتكرر كثيراً بعبارات مؤثرة **جدًّا**، عبارات تعبِّر بالفعل عن الرحمة، عن الرأفة، ونجد أيضاً من خلال أنبيائه عَلَيهِمُ السَّلَامُ كيف كانوا حريصين **جدًّا** على إنقاذنا، على خلاصنا، على دفعنا إلى ما فيه الخير لنا، على استنقاذنا من ذلك الهلاك، من ذلك العذاب، من عذاب الله في الدنيا ومن عذابه في الآخرة، وبعبارات- كذلك- فيها ما يعبِّر عن رأفتهم، عن رحمتهم، عن حرصهم الشديد على إنقاذنا وخلاصنا، الواحد من الأنبياء يأتي إلى قومه ويقول لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١]، ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[٢]، يسعى إلى خلاصهم، يتألم **جدًّا** عليهم من أن يهلكوا.

رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ**؛ يقول الله جل شأنه عنه- مخاطباً له:** ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٣]، هو يدرك الخطر الكبير عليهم نتيجة عنادهم، إعراضهم، رفضهم للإيمان بهذا الهدى، ويدرك

١- الأعراف: من الآية ٥٩

٢- هود: من الآية ٣

٣- الكهف: الآية ٦

أين مصيرهم، ذلك المصير الرهيب **جدًّا**، وما يترتب على ذلك في الدنيا، وما يترتب عليه في الآخرة، فهو يتألم **جدًّا**، هو حريصٌ على نجاتهم، حريصٌ على إنقاذهم، **إلى هذه الدرجة من الألم النفسي عليهم:** ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾: تكاد أن تهلك نفسك غماً وحزناً وضيقاً من أجلهم، أنهم لم يهتدوا بهذا الهدى الذي فيه نجاتهم، وفيه فلاحهم، وفيه خلاصهم، وفيه إنقاذهم. وهكذا يأتي في القرآن الكريم التحذير المتكرر، **وأيضاً في المقابل:** الدعوة التي تعبِّر عن رحمة الله ﷻ، وبعبارات رقيقة، وبعبارات كلها رحمة، وكلها رأفة من الله ﷻ.

المعاصي وآثارها الخطيرة على الفرد والمجتمع

نأتي لنتحدث كتمهيد في موضوع التوبة عن خطورة الذنوب والمعاصي، وهي المسألة التي **يجب** أن نرسِّخها كثيراً كثيراً، لا خطر علينا أكبر من الذنوب والمعاصي، الذنوب والمعاصي هي التي تصل بالإنسان إلى جهنم، وهي التي تسبب له العذاب من الله ﷻ في الدنيا وفي الآخرة، وهي التي تحرمه من الكثير من ألطاف الله، ومن رعايته، ومن فضله، من رعايته الواسعة، تشكِّل خطورةً كبيرةً على الإنسان كفرد، ثم على المجتمع كمجتمع، تشكِّل خطورةً بالغةً على المجتمع، والمخاطر الكبيرة للذنوب وللمعاصي وللانحراف عن توجيهات الله ﷻ وعن تعليماته، وعن نهجه وهديه، المخاطر الكبيرة والآثار السلبية هائلة **جدًّا**، هي سببٌ لشقاء الإنسان في هذه الحياة، أن يشقى بكل ما قد يأتي لهذا الشقاء، وكل ما يعبِّر عنه هذا الشقاء، **مثلاً:** البعض قد يكون شقاؤهم ليس على مستوى الجانب المادي، قد يتوفر الجانب المادي لهم، ولكن على المستوى النفسي، وعلى المستوى الاجتماعي، وعلى المستوى الأمني، تتفاوت المسألة في واقع الأفراد كأفراد من شخصٍ إلى آخر، وفي واقع المجتمعات كمجتمعات من مجتمعٍ إلى آخر، في نتائج هذه الذنوب والمعاصي، وفي طبيعة العقوبات وتنوع العقوبات التي يعاقب بها الناس.

حتى على مستوى الذنوب، ذنوب لها عقوبات معينة في الدنيا ثم في الآخرة، وذنوب لها عقوبات مختلفة في الدنيا وفي الآخرة، وذنوب لها آثار سلبية معينة في واقع الناس، **مثلاً**: على المستوى الاجتماعي، والبعض منها على المستوى الصحي، والبعض منها على المستوى الأمني... وهكذا؛ **لأن** توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتعليماته هي تعليمات تصلح بها حياتنا، هي التعليمات التي بها صلاح حياة هذا الإنسان على كل المستويات وفي كل المجالات، ثم بها سعادته في الآخرة، وفوزه العظيم بما وعد الله به من رضوانه وجنته، وبها نجاته من عذاب الله في الآخرة، فمخالفة تعليمات الله، ومخالفة توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يترتب عليها تأثيرات سيئة في واقع الإنسان، بدءاً من واقعه النفسي، آثار على المستوى النفسي متنوعة ومتعددة: قسوةٌ للقلوب، هذا من الآثار السيئة **جدًّا**، أن يفقد الإنسان مشاعره الإنسانية الطيبة، ولين قلبه. وقسوة القلوب حالة خطيرة **جدًّا**، تخرج الإنسان عن واقعه الإنساني، تذهب به إلى التوحش، لها آثار سلبية **جدًّا** على الإنسان في سلوكياته، وفي أعماله، وفي علاقاته، وفي تصرفاته... وفي أشياء كثيرة.

على مستوى المشاعر الإيجابية يبدأ الإنسان يفقد مشاعره الإيجابية، تنمو في نفسه المشاعر السلبية والآفات الخطيرة **جدًّا** من مثل: الحقد، الحسد، الطمع، الجشع، الميول السلبية، الدوافع نحو الأعمال الشريرة، والجرائم، تتلوث نفسية الإنسان، ويفقد المشاعر الطيبة، يفقد زكاء نفسه، وهذه حالة خطيرة **جدًّا**، وخسارة كبيرة **جدًّا** على الإنسان كإنسان؛ **لأن** الله منح هذا الإنسان ما يساعده على زكاء نفسه، وأن يحمل بذلك المشاعر الطيبة، وأن تنمو فيه كل معاني الخير، كل الأشياء الإيجابية؛ **وبالتالي** يكون لهذا أثر إيجابي في نفسه، في شعوره، في وجدانه، في اطمئنانه النفسي، ارتياحه النفسي، هذه مسألة من أهم المسائل.

ثم المعاصي والذنوب منها ما يترك آثاراً سلبية فورية على الواقع الاجتماعي، على الناس في الواقع الأسري، يهدم بنيان الأسرة، يفكك الأسرة، أو

على مستوى العلاقات ما بين أبناء المجتمع تتحول إلى علاقات سلبية، بدلاً من أن تكون قائمة على الثقة المتبادلة، على حسن التعامل، على التعامل بمصداقية، على التعامل بدوافع الخير وبالقيم وبالأخلاق، تتحول إلى معاملات يسودها أشياء سيئة **جدًّا**: الخداع، والمكر، والسوء، ودوافع الشر، والإساءات، والمشاحنات، والبغضاء، والكراهية، والأحقاد، والحسد، والطمع... وأشياء كثيرة **جدًّا**، فتسوء حياة الناس، ويتباينون فيما بينهم، ويكون لهذا آثار سلبية تؤدى إلى الشقاء النفسي، تضيق حياتهم، لا ينعمون بالأخوة، لا ينعمون بالمحبة، لا ينعمون بالمودة، لا ينعمون بالصفاء النفسي فيما بينهم، يفقدون الاطمئنان تجاه بعضهم البعض، يكون لذلك آثار سيئة **جدًّا** فيما بينهم في حياتهم، تتحول حياتهم إلى حياة سيئة **جدًّا**، وقاسية **جدًّا**، وموحشة **جدًّا**.

وهكذا على المستوى الأمني، الكثير من الجرائم تشكل خطورة كبيرة على الناس في أمنهم: جرائم القتل، جرائم السرقة، جرائم النهب، جرائم الاغتصاب، جرائم السطو... جرائم كثيرة **جدًّا** هي كلها في قائمة الذنوب والمعاصي، تهدد الأمن والاستقرار للناس على ممتلكاتهم، على حياتهم، على أعراضهم.

وهكذا تتنوع المعاصي، وتتنوع أيضاً تأثيراتها السلبية على الناس في حياتهم، فتكون النتيجة هي الشقاء.

الآثار الطيبة للعودة إلى الله

بينما الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى الرجوع إلى تعليماته، الرجوع إلى توجيهاته، الإنابة إليه، فيه كل الخير للإنسان، وكل الآثار الطيبة، وهو يضمن للناس الحياة الطيبة التي وعد الله بها، فيكون لذلك الأثر الإيجابي على المستوى النفسي، على مستوى المشاعر، على مستوى الوجدان، وعلى المستوى الاجتماعي في العلاقات ما بين المجتمع الذي تسوده تلك القيم، تلك الأخلاق، تلك التعليمات، تلك التوجيهات، وعلى المستوى الأمني

تتقلص إلى حدٍ كبير نسبة الجرائم بكل آثارها السلبية، على مستوى الاستقرار السياسي... على كل المستويات، ولذلك؛ الخير هو للناس في ذلك.

٧

أيضاً يدفع الله عن الناس الكثير من العقوبات التي تأتي في الدنيا، الكثير من المصائب، الكثير من الأشياء التي تمثِّل خطورةً عليهم في حياتهم، كثيراً من الأوبئة، كثيراً من العقوبات المتنوعة؛ **لأن** العقوبات والتأثيرات تتنوع، منها ما يأتي على الناس في معيشتهم، في صحتهم، كثيراً من الأوبئة، كثيراً من المصائب، كثيراً من الآفات، انتزاع البركات، الجدب الشديد... أشياء كثيرة، هذه كلها يدفعها الله عنهم إلى حدٍ كبير، ويحظون برعاية واسعة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وآثار إيجابية في واقع الحياة.

فلذلك من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَا أنه قدَّم لنا ما يساعدنا على التخلص من الذنوب، وفتح لنا باب التوبة والإنابة والرجوع إليه، والرجوع إلى توجيهاته وتعليماته للعمل بها، فيمنحنا المغفرة على ما كان منَّا من ذنوب وأخطاء ومعاصي، وفي نفس الوقت يمنحنا -جلَّ شأنه- الرعاية التي وعد بها في كتابه الكريم.

التحذير مما حل بالأمم ووجوب التوبة قبل الندم

نبدأ ببعض الآيات المباركة التي تحذر من الذنوب والمعاصي، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾، مجتمعات كثيرة عتت وتعنتت وتجاوزت حدود الله وتعليماته، ولم تبالِ بها، ورمت بها عرض الحائط، وتجاهلتها، وتنكرت لها، ولم تعطها أي قيمة، واتجهت بناءً على أهواء أنفسها، وأهواء ذوي النفوذ والتأثير فيها، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾[1]، فحاسبها الله وعاقبها، والحساب هذا يأتي جزءٌ كبيرٌ منه في هذه الحياة، وهذا العذاب النُكُر يأتي في هذه الحياة، ونجد في القرآن الكريم ما حل بكثيرٍ من الأمم والأقوام، وهي نماذج محدودة عرضها لنا

١- الطلاق: الآية ٨

القرآن الكريم، ونجد في زمننا هذا ما تعانيه البشرية من عناء شديد وعذاب شديد على كل المستويات، ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾[١].

يحكي القرآن الكريم في تلك النماذج أنواعاً من العقوبات، حتى أنه حكى لنا عمَّا حلَّ ببعضٍ من بني إسرائيل الذين كانوا يعتدون في السبت، وكانوا يفسقون، فوصل الحال بهم إلى أن مسخ الله أهل تلك المعاصي إلى قردة خاسئين- والعياذ بالله- تجد إلى هذا المستوى من العقوبات الإلهية على الأعمال، على المعاصي، على الذنوب، أنها تشكل خطورةً كبيرة على الناس.

فمع ذلك التحذير من النار، والتحذير من العقوبات العاجلة في الدنيا، والتحذير بما حل بالأمم الماضية، والتحذير من العقوبات المتنوعة التي قد تطال الإنسان في نفسه، أو في رزقه، أو في ممتلكاته... تطال المجتمع كمجتمع، نجد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يدعونا- في نفس الوقت- إلى الإنابة إليه، **ويفتح لنا الباب:** باب التوبة، باب الرحمة، باب المغفرة؛ **لننيب إليه،** لنرجع إليه، يقول -جلَّ شأنه- في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، يوجه هذا النداء بكل رحمة وبكل رأفة، نداءً رقيقاً **جدًّا،** نداء رحمة، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾؛ **لأن** الإنسان بالمعاصي هو يسرف على نفسه، يتجاوز الحد، وهو يظلم نفسه، وهو يسبب لنفسه الشقاء في الدنيا، والعذاب في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة.

وهو ينادي هذا النداء: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[٢]، فهو ينادي كل عباده الذين أسرفوا على أنفسهم، وما من إنسان إلا وهو مسرفٌ على نفسه، تتفاوت المستويات في هذا الإسراف، تتفاوت من إنسان إلى آخر، من مجتمع إلى

١- الطلاق: الآية ٩
٢- الزمر: ٥٣-٥٤

مجتمع، طبيعة ومستوى الالتزام الديني والأخلاقي بتوجيهات الله وتعليماته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإنسان بحاجة إلى أن يغتنم فرصة هذا النداء، الله يفتح باب التوبة، ويدعو إليه، وفي نفس الوقت يعد بالمغفرة على كل الذنوب، ويحذر من اليأس والقنوط من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **لأن** اليأس والقنوط قد يدفع البعض إلى الاستمرار في المعاصي والذنوب، وقد يمثِّل صدًّا لهم وعائقاً لهم عن الإقبال إلى الله وعن التوبة، يظن أنه لا فائدة من التوبة، وأن الله لن يتوب عليه، ولن يغفر له، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحذر من هذا اليأس وهذا القنوط، ويدعو إلى المبادرة والإسراع بالتوبة والإنابة، **والله وعد بالمغفرة:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾، المطلوب هو الإنابة إلى الله والرجوع الصادق نفسياً، يتخذ الإنسان قراراً بالعودة والإنابة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعملياً، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[1]، قبل العذاب، ما الذي تنتظر؟ لا بدَّ من العذاب على الذنب إن لم تتب، لا يدفع عنك العذاب إلا التوبة؛ **أما** الإصرار على الذنوب، الإصرار على المعاصي، الذنوب ما كان منها بشكل تعدٍّ لحدود الله وارتكاب جرائم، وما كان منها تقصيراً وتفريطاً في الواجبات والطاعات التي أمرنا الله بها وأرشدنا إليها، والمسؤوليات التي حمَّلنا إياها.

٧

كلا هذين الجانبين من الذنوب علينا أن نبادر بالتوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منها والإنابة إليه قبل العذاب، لا بدَّ من العذاب إن لم يُنِب الإنسان ولم يتب، ولا أحد يمكن أن ينصره، ولا أن يدفع عنه، أبداً.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2]، **أن يبادر الإنسان قبل أن يأتي العذاب بغتة، في الوقت غير المتوقع، وفي الحال غير المتوقع، والإنسان غافل.**

١- الزمر: الآية ٥٤

٢- الزمر: الآية ٥٥

٧

نداء للمؤمنين: توبوا إلى الله

نداءٌ آخر يوجهه الله سبحانه وتعالى **إلى عباده الذين آمنوا**، وهو نداءٌ عظيمٌ ونداءٌ مهمٌ **جدًّا**، يقول -جلَّ شأنه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ **لأن** البعض من الناس يتصور أن الانتساب والانتماء الإيماني أصبح بطاقة ترخيص؛ **يكفي أن يقول: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)**، ثم يفعل ما يشاء ويريد من المعاصي والذنوب ويدخل الجنة. إلا هذه فكرة غير صحيحة إطلاقاً، الدين هو جاء لتزكية النفوس، ولإصلاح الإنسان، ولإصلاح أعمال الإنسان، والجنة والنار هما جزاء على العمل، وفي الدنيا والآخرة جزاء على العمل، والله يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1]، لكن الله فتح باب التوبة، التوبة إليه، هنا يوجه نداءه إلى الذين آمنوا أن عليهم أن يبادروا بالتوبة إلى الله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[2]، المطلوب من الجميع أن يتوبوا إلى الله، كل إنسان هو مقصر، كل إنسان هو مذنب، كل إنسان يصدر من جانبه أخطاء، ويقصر في أشياء، ولكن يتلافى ذلك؛ **بماذا؟** بالتوبة إلى الله، بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، رجوعاً بالندم على التقصير، وبالندم على المعصية، وبالندم على الذنب، وبالإقلاع عن الذنوب، وبالعزم على تركها، وعلى عدم العودة إليها، وهكذا حالة يستمر الإنسان عليها، وبتوجهٍ جادٍ وصادق.

﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾، هذه التوبة الجادة التي هي توبة كاملة وخالصة؛ **الإنسان** يتوجه بكل صدق إلى الله سبحانه وتعالى وبكل جد، نادماً على معصيته، على ذنوبه، على تقصيره، ليس راضياً بذنوبه، ليس راضياً عن أخطائه، ليس راضياً عن تقصيره، بل يندم ويدرك أنه قصَّر في جنب الله سبحانه وتعالى وأساء إلى ربه العظيم الكريم المنعم الخالق، وجلب على نفسه بذلك الشر والخطر، وأنه بحاجة إلى أن يدفع عن نفسه، فتكون توبةً جادةً صادقةً كاملةً، لا يبقى الإنسان متردداً، أو

١- الزلزلة: ٧-٨

٢- التحريم: من الآية ٨

يبقى عازماً في نفسه على العودة إلى الذنب، ويتصور أن المسألة مسألة استغفار مؤقت، ثم يعود إلى الذنب، أو لا يتخلص من آثار ذلك الذنب، من المظالم إن كانت مظالم لعباد الله، أو نحواً من ذلك، فالمطلوب أن تكون هذه التوبة جادة وصادقة، وتوجهاً جاداً للإقلاع عن المعصية، وعن الذنب، وعن التقصير.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، تُب إلى الله لتنال المغفرة، لتنال التكفير لسيئاتك، ليدفع الله عنك الخزي والفضيحة يوم القيامة، لا تكون ممن يفتضحون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، لتكون في موكب النور مع نبي الله ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ومن معه من المؤمنين التائبين المنيبين الصادقين، الذين يمنحهم الله في ذلك اليوم هذا الشرف وهذا التكريم، وهم يتحركون في موكبهم: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[2]، هذا الشرف الكبير، لتحظى بهذا الشرف، ولتنال هذا الشرف، لا تكون مع المفضوحين، لا تأتي يوم القيامة وصحيفة أعمالك مليئةٌ بالفضائح والمخازي، نعوذ بالله، ونستجير بالله! بل لتحظى بهذا الشرف، وتكون مستوراً بستر الله وبمغفرته وبتكفير السيئات منه.

هذه دعوة يفترض أن الإنسان يحرص على الاستجابة لها، لا يبقى الإنسان مصراً على المعصية.

نكتفي بهذا المقدار، إن شاء الله نستكمل الموضوع في المحاضرة القادمة.

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يغفر لنا ولكم، وأن يجعلنا وإياكم من عباده التائبين، والمستغفرين، والمنيبين، والخاشعين، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١- التحريم: الآية ٨

٢- الحديد: من الآية ١٢

مساوئ الذنوب.. ووسائل نيل المغفرة

أُعوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُولُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبَّل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

تحدثنا بالأمس عن خطورة الذنوب، وأهمية التوبة، وعمَّا للذنوب من تأثيرات سلبية على حياة الإنسان. والواقع أنَّ الإنسان بالذنوب وبالمعاصي هو أولاً يخالف مقتضى العبودية لله ﷻ، نحن عبيد الله، ونحن ملكه، وكل ما في هذا العالم هو ملكه، وكل ما نتصرف فيه في هذه الحياة، ونتحرك فيه في هذه الحياة هو ملكٌ لله ﷻ، فهو الرب المالك، وعندما نتصرف أي تصرف في أيٍّ مما خوَّلنا الله ﷻ خارج حدود إذنه، خارج ما أذن لنا أن نتصرف فيه، فنحن

نتصرف فيما لا نملك التصرف فيه، فيما لا نملك الحق أن نتصرف فيه، هذا يكون ظلماً، ولهذا توصف كل الذنوب والمعاصي بالظلم، هذا ركَّز عليه القرآن الكريم، فنحن نتصرف خارج حدود ما نملك، وبغير إذنٍ من الله ﷻ، الذي هو المالك الحصري لكل هذا العالم بكل ما فيه، والمالك لنا ولجوارحنا، ونحن لا نستطيع أن نتصرف خارج حدود ما خوَّلنا الله ﷻ، لا نملك شيئاً يكون مصدره من غير الله ﷻ، هذه الحياة بكل ما فيها، هذه الأرض بكل ما عليها هي من الله ﷻ وهي لله ﷻ، فمخالفة مقتضى العبودية بالتصرف من العبد خارج حدود إذن ربه المالك -جلَّ شأنه- بغير إذنه ﷻ: يعتبر مخالفةً لمقتضى العبودية الذي هو الالتزام، وألَّا نتصرف إلا في حدود ما أذن لنا فيه.

والذي أذن لنا فيه هو واسعٌ وكثيرٌ، وهو ما فيه الخير لنا، وهو ما هو طيبٌ لنا، وصالحٌ لنا، وما فيه صلاح حياتنا، ليس هناك في مسألة ما أذن فيه وما لم يأذن فيه أي اعتبارات تعود بالنفع على الله ﷻ، هذه من الحقائق التي **يجب** أن نرسِّخها في أنفسنا، ليست المسألة أنَّ الله يتحكم فينا وفي مسألة الإذن لنا لاعتبارات تعود إليه، أو منفعةٍ تعود إليه، ومصالح خاصة به. إنه ﷻ أذن لنا في كل ما هو خيرٌ لنا، وفي كل ما هو صلاحٌ لحياتنا، ولم يأذن لنا في كل ما فيه مضرة على حياتنا، في كل ما له آثار سلبية على الإنسان كفرد، وعلى المجتمع من حوله، وعلى الحياة من حوله، هذا أولاً.

أقل ما يلزمنا لله: ألَّا نستخدم نعمه في معاصيه

وثانياً: نحن بالذنوب والمعاصي نسيء إلى ربنا المنعم الكريم، نقابل إحسانه وهو ولي كل نعمةٍ، وولي كل فضلٍ، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[1]، نقابل إحسانه العظيم وإحسانه الكبير- وكل ما بنا من نعمةٍ فمنه- بالإساءة إليه ﷻ، من خلال المعصية له، من خلال مخالفة توجيهاته وتعليماته ﷻ

١- النحل: من الآية ٥٣

وهذا أمرٌ سيءٌ بالنسبة للإنسان: أن يقابل نعم الله، وإحسان الله العظيم الكبير، وكرم الله الواسع، أن يقابله بالإساءة، وأن يستخدم نفس النعم التي أنعم بها الله عليه، وما أعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وما هو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستخدمه بنفسه، يستخدمه بذاته فيما يسيء فيه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا كنت تفترض أنك لن تستخدم أي وسيلة، ولا أي شيء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **حتى تقول:** [أنا لم أستخدم ما هو منه في مخالفته، في الإساءة إليه]، فما هو هذا الشيء؟! هل هناك جارحة من جوارحك، حاسةٌ من حواسك، **شيءٌ فيك أنت:** من قدراتك، من مواهبك، من ملكاتك، ليس من الله، ما هو؟ |الا| لا تملك شيئاً، كله من الله، ما خوَّلك الله فيه في هذه الحياة خارج حدود جوارحك وجسمك ونفسك، ما على هذه الحياة في محيطك كله من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك عندما تقابل نعم الله العظيمة، كل نعمةٍ منها نعمة عظيمة **جدًّا**، لو تتأمل في كل نعمةٍ بمفردها كم هي عظيمة، كم فائدتها لك في هذه الحياة.

نعمة البصر، نعمة البصر من أعظم النعم، نعمة عظيمة **جدًّا**، كم هي أهميتها لك في كل شؤون حياتك، عندما تستخدم هذه النعمة في معصية الله بالنظر إلى الحرام، عندما تستخدم هذه النعمة وتشغلها في خدمة الباطل، أو فيما فيه فساد... أو غير ذلك.

نعمة السمع كذلك من النعم العظيمة، الجوارح: اليدين، الرجلين، كل هذه الجوارح تعتبر نعماً عظيمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عندما تستخدمها في معصية الله، اللسان والبيان الذي هو من أعظم النعم التي أنعم بها الله عليك، عندما تستخدمه في معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم ما يمكِّنك الله منه في هذه الحياة من وسائل وإمكانات فتستخدمها في معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ أنت تقابل نعمه هو بالإساءة من خلالها إليه، وهذا أمرٌ شنيعٌ وقبيح.

وأيضاً فيما يتعلق بالمعصية، الإنسان يتعدى، كل المعاصي فيها تعدٍ وفيها اعتداء، يعتدي على الحياة من حوله؛ لأن كل الذنوب وكل المعاصي هي تصرفٌ ضار، وله آثار سيئة في هذه الحياة، فكلها تعدٍ، وكلها اعتداء.

ضبط الغريزة بضابط الأخلاق والقيم

والإنسان أيضاً يسيء إلى نفسه بالمعصية، وهذا اعتبارٌ رابع، يسيء إلى إنسانيته، ينحط في إنسانيته؛ **لأن** الله سبحانه وتعالى منح هذا الإنسان في فطرته منحه من الملكات ومن عناصر الخير ما يسمو به، فلا يكون في هذه الحياة وكأنه وحش يعمل بالغريزة، ويتحرك وفق الغرائز النفسية، بدون أي ضوابط ولا حدود ولا قيود، الله منح هذا الإنسان في فطرته وأودع في فطرته ما يساعده على التقوى، ما يساعده على السمو بالنفس، ما يساعده على التصرف بشكلٍ صحيح، ما يساعده على الالتزام بالقيم وبمكارم الأخلاق، ما يساعده على أن يضبط تصرفاته بضابط الأخلاق والقيم والرشد، والتصرفات الصحيحة، وبمعيار الحكمة، فهذا يعتبر شرفاً كبيراً للإنسان، ومسؤوليةً على هذا الإنسان؛ **لأن** الله سبحانه وتعالى في الوقت الذي أودع فينا غرائز معينة، فهو -جلَّ شأنه- وفَّر لنا **أولاً** من الحلال ومما فيه الخير ما يمكن أن يستوعب غرائزنا هذه، ما يمكن أن نشغل فيه غرائزنا هذه، هو سبحانه وتعالى لم يودع فينا هذه الغرائز ثم يحرم علينا استغلالها، أو الاستفادة منها في أي شيء، ثم يتجه سبحانه وتعالى في تشريعاته وفي تعليماته إلى كبت هذه الغرائز في أنفسنا.

ليس الأمر هكذا، هو - سبحانه وتعالى - جعل لنا من الحلال الطيب ما يستوعب هذه الغرائز، وما نفعِّل فيه هذه الغرائز؛ فتؤدي هذه الغرائز دوراً إيجابياً في هذه الحياة.

ثم في نفس الوقت هو سبحانه وتعالى هيأ فينا وفي فطرتنا ما يساعدنا على المستوى النفسي، على المستوى المعنوي، على مستوى المشاعر والوجدان، على ضبط هذه الغرائز، وعلى أن نعمل على موازنتها؛ **حتى** تكون

متوازنـةً في هـذه الحيـاة، وهـذا هـو الـذي يسـمو بالإنسـان، لا يكـون كبعـض الحيوانـات التـي تعمـل بالغريـزة فقـط، ليـس عندهـا ضوابـط معينـة، ضوابـط أخلاقيـة، ولا ضوابـط ترتبـط بمعيـار الحكمـة وحسـن التـصرف.

فالله ﷻ عندما قال في القرآن الكريم عن النفس البشرية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1]، الإنسـان يـسيء إلى إنسـانيته في هـذا الجانـب المهـم فيهـا: (الفطـرة)، ومـا أودع اللـه فيهـا مـن القيـم، مـن الأخـلاق، مـن عنـاصر الخـير التـي توجـد توازنـاً لـدى الإنسـان بـين غريزتـه وبين الجانـب الأخلاقـي في هذه الحيـاة، والقيـم النبيلـة في هـذه الحيـاة، والتصرفات المتوازنـة في هذه الحيـاة، وهذا التـوازن هـو الـذي يدفـع عـن الإنسـان الكثـير مـن الـشرور، الكثـير مـن المخاطـر، الكثـير مـن الأضرار، وهـذا التـوازن في الحيـاة، وهـذا الانضبـاط في واقـع الإنسـان في غريزتـه هـو الـذي يتيـح للإنسـان اسـتغلال هـذه الغريـزة إيجابيـاً، فيتحـول دورهـا مـن دورٍ سـلبيٍ وضـار في هـذه الحيـاة، إلى دورٍ إيجـابيٍ ومفيـدٍ ونافـعٍ في هـذه الحياة.

في الحلال ما يشبع الغريزة ويغني عن الحرام

كـما هـي مثـلاً الغريـزة الجنسـية، ورغبـة الرجـل في المـرأة ورغبـة المـرأة في الرجـل، كلاهـما يرغـب في الآخـر، هـذه الرغبـة لهـا سـبيلها الـذي هـو الـزواج، والـذي مـن خلالـه يسـاعد عـلى بنـاء الأسرة، ويسـاعد عـلى دوام النسـل البـشري، ويوجـه هـذه الغريـزة بشـكلٍ إيجـابيٍ ونافـعٍ في الحيـاة، ويبعدهـا ويزيحهـا عـن الجانـب السـلبي، وعـن الأضرار التـي تلحـق بالنـاس في حياتهـم الاجتماعيـة وفي حياتهـم الصحيـة. وهكـذا بقيـة الغرائـز، غريـزة الشـجاعة في الإنسـان يوجههـا فيـما فيـه دفـاعٌ عـن الحـق، عـن العـدل، مواجهـةٌ للظلـم، عمـلٌ عـلى إقامـة الخـير في الحيـاة، دفـع المفاسـد في الحيـاة... إلى آخـره. وبقيـة الغرائـز.

١-

فالإنسان بالذنوب والمعاصي هو ينحط عن إنسانيته، ويسيء إلى هذا الجانب المهم الذي يميزه عن الحيوانات التي تعمل بالغريزة، وهذه المسألة مهمة جدًّا، ويجب أن نستوعبها جيداً.

وأيضاً لا مبرر للإنسان في التوجه نحو المعاصي والذنوب، الدوافع التي قد يبرر بها الإنسان اندفاعه لفعل المعاصي والذنوب، يمكن أن يتجه الإنسان مع تصويب تلك الدوافع واتجاهها نحو ما فيه الخير له، نحو ما أذن الله فيه، نحو ما لا معصية فيه، وهو يلبي للإنسان، هو كفيلٌ بأن يلبي للإنسان ما يمثِّل حاجةً غريزيةً له، أو حاجةً فطريةً له، أو حاجةً مُلحَّةً لحياته، وبالذات إذا اتجه المجتمع بشكلٍ عام توجهاً إيجابياً، تتوفر الظروف المساعدة على الاستقامة والصلاح على نحوٍ كبير، وتتوفر الظروف الملائمة لصلاح المجتمع، وبالتالي صلاح الفرد كفرد، وتتعالج كثير من السلبيات التي تهيء بيئة ملائمة لظهور المفاسد والمعاصي والمنكرات.

على سبيل المثال: إذا اتجه المجتمع اتجاهاً إيجابياً فيما يتعلق بتخفيض تكاليف الزواج، وتخلص من كثير من العادات المرهقة مالياً، واعتمد مبالغ في مقدور الناس أن يوفروها كتكاليف للزواج، وتَسَاعَدَ في ذلك مع الفقراء، هنا تتأمن بيئة إيجابية، كم سيدفع بها من مفاسد ومنكرات كثيرة، إذا تعاون المجتمع فيما بينه على التصدي للظلم والتصدي للطغيان، كم سيكون قوياً في دفع شر الأشرار، وشر المفسدين، وشر الظالمين، وشر المجرمين، وهكذا أشياء كثيرة التعاون يساعد عليها.

الفرق بين المحسن والمسيء مقتضى حكمة الله.

مما يجدر بنا الإشارة إليه في خطورة الذنوب والمعاصي، وما يترتب عليها في واقع الإنسان؛ **أن الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو ملك السماوات والأرض- لا يمكن- أبداً- أن يَترك عباده هملاً، من يريد أن يسيء، من يريد أن يظلم، من يريد أن يرتكب الجرائم، من يريد أن يتنصل عن المسؤوليات المهمة التي لا بدَّ منها

لإصلاح واقع الحياة، من يريد أن يثبط عن الأعمال الصالحة... وهكذا.. يترك عباده هملاً، هذا غير ممكن أبداً؛ **لأنه** الحكيم -جلَّ شأنه- وهو العزيز، وهو -جلَّ شأنه- لا بدَّ أن يفرق بمقتضى حكمته بين المحسن والمسيء، بين المجرم والمؤمن، بين الصالح والفاسد، هو -جلَّ شأنه- القائل في كتابه الكريم: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[1]، هل يمكن؟! لا بدَّ ما يفرق في هذه الدنيا وفي الآخرة، فيما يترتب على ذلك مما يكتبه ﷻ في هذه الدنيا وفي الآخرة.

ولذلك الذنوب خطيرة جدًّا، الله ﷻ يعاقب على الذنوب، الذنوب لها تأثيراتها الكثيرة، والمعاصي لها أخطارها الكبيرة على الإنسان في نفسه، ثم النتيجة، الفعل نفسه كضرر، ثم النتيجة، ما يترتب على ذلك في واقع الحياة، ثم العقوبة الإلهية التي يأتي منها **عقوبات في الدنيا متنوعة:** أوبئة، أمراض فتاكة، أحداث وكوارث معينة تحصل كعقوبات للناس في هذه الحياة، أو ما يأتي منها في الآخرة- والعياذ بالله- وهو النار، جهنم- والعياذ بالله- وسوء الحساب يوم القيامة، **فالمسألة خطيرة جدًّا.**

الإنسان الذي يحاول أن يبرر لنفسه استمراريتها في المعاصي، وما هو عليه من الاستهتار واللامسؤولية في تصرفاته وأعماله، هو يورط نفسه؛ **لأن** العقوبة حتمية، لا يخلص الإنسان من العقوبة إلا التوبة؛ **أما** الإصرار على الذنب، والاستهتار واللامسؤولية في التصرف والعمل، فهو لن يجديك شيئاً، إذا كنت تُمَنِّي نفسك بالشفاعة، فالشفاعة ليست للمستهترين، والمجرمين، والفاسدين، والفاسقين، والذين لا يتحلون بالمسؤولية في هذه الحياة، والذين يعملون ما يشاءون ويريدون وفق هوى أنفسهم، بكل ما لذلك من أضرار وسلبيات كبيرة في هذه الحياة، **ليست الشفاعة لهذا النوع**

١- ص: الآية ٢٨

من الناس: المستهترين، اللامبالين، اللامسؤولين في تصرفاتهم وأعمالهم.

التوبة.. الطريق الوحيد للنجاة من سخط الله

المسألة خطيرة جدًّا، الذي يخرجك من الذنب، من المعاصي، هو التوبة والإنابة إلى الله سُبحانه وتعالى، والتوبة جُعِلت لهذا، **من رحمة الله من فضله:** أن جعل التوبة لتكون هي الطريق التي يخرجنا من الذنوب، والطريقة التي تخرجنا من سخط الله سُبحانه وتعالى، والطريق التي تقينا من عذاب الله سُبحانه وتعالى على الأعمال السيئة والمعاصي والذنوب، ما كان من الذنوب عبارةً عن جرائم أو معاصٍ ارتكبها الإنسان مما فيه تعدٍ لحدود الله، وما كان منها تقصيراً وتفريطاً في الطاعات، في الأعمال الصالحة، في الأعمال التي أمرنا الله بها، في المسؤوليات التي حمَّلنا الله إياها.

٨

ولهذا أتى في القرآن نداء الرحمة، يتوجه إلينا ينادينا بالتوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[١]، هذه التوبة وعد من خلالها بأن يكفر عنا سيئاتنا، لا يبقى لها أي أثر، حتى يوم القيامة لا تكون في صحف أعمالنا، ولا نسأل عنها، ولا نشهَّر بها يوم القيامة، ثم التوبة النصوح تمحو تأثيرات المعصية نفسياً على الإنسان نفسياً؛ **لأنها** تغطي كل هذه الآثار، وتمحو كل هذه الآثار السلبية، وتسقط عنك الوزر الكبير للذنب، ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٢].

يأتي أيضاً الأمر بالتوبة بشكلٍ جماعي، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣]، حالة الرجوع إلى الله سُبحانه وتعالى والإنابة إلى الله سُبحانه وتعالى والتوجه الجاد نحو الالتزام بتوجيهاته سُبحانه وتعالى، هي الحالة التي **يجب** أن نكون عليها جميعاً كمجتمعٍ مسلم، فإذا لاحظ الإنسان أنه خالف شيئاً من توجيهات الله، رجع، وتاب، واستغفر، وندم، واتجه اتجاهاً جاداً للالتزام العملي

١- التحريم: من الآية ٨
٢- التحريم: ٨
٣- النور: من الآية ٣١

والطاعة لله ﷻ، فإذا لاحظ أنه زل هنا أو هناك- هكذا- يبادر بالرجوع، حالة الرجوع **يجب** أن تكون حالة مستمرة في واقعنا كمسلمين وكمجتمعٍ مؤمن، وبها الفلاح؛ **أما** إذا كان الإنسان مستهتراً تتراكم الذنوب، تتراكم المعاصي، وتكبر تأثيراتها على نفسه، وتعظم تأثيراتها السلبية في واقع الحياة من حوله، فيكون لهذا الأثرُ السيء على الإنسان في نفسه، يتخرب، يَفسُد، يَفسُد الإنسان وتَفسُد نفسيته، ثم يعظم انحرافه ويسوء في هذه الحياة، وتكثر أعماله السيئة، ويتجه اتجاهاً سلبياً، قد يصل إلى درجة الخذلان التام- والعياذ بالله ﷻ.

الله ﷻ يقدِّم أيضاً وعداً للإنسان بأنه إذا رجع إلى الله، وتاب، وأناب إليه بصدق؛ **أنه** سيغفر له، حتى لا يكون الإنسان محبطاً، أو يائساً، أو قانطاً من رحمة الله، يقول الله -جلَّ شأنه- في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1]، هذا وعد من الله ﷻ، وعدٌ بالمغفرة، إنك عندما تعمل سوءاً، أو تظلم نفسك، ثم تندم وتعود بالتوبة النصوح والصادقة إلى الله ﷻ وتطلب منه المغفرة، وتسعى لنيل مغفرته، أنه سيغفر لك؛ **ولذلك** لا مبرر للإنسان في استمراره على الذنب، في إصراره على المعصية، لا مبرر له، وإذا يأس فاليأس بنفسه ذنب، هو ذنبٌ آخر، وإذا قنط من رحمة الله فهذه معصية أخرى، من عظيم فضل الله ﷻ وسعة رحمته وكرمه: أنَّ اليأس من رحمته ذنب بحد ذاته.

وجوب المبادرة وخطورة الإصرار

ولذلك لا مبرر للإنسان في الإصرار على الذنب، بل إنَّ الحالة الصحيحة للإنسان المؤمن، للإنسان الذي يتقي الله ﷻ أنه إن زل، أو قصَّر، أو فرَّط فيما هو طاعة لله، فيما هي مسؤوليةٌ عليه، وانتبه؛ **يبادر** فوراً إلى التوبة، يبادر، لا يتأخر، لا يسوِّف، ولذلك يقول الله ﷻ عن عباده المتقين: ﴿وَالَّذِينَ

١- النساء: الآية ١١٠

﴿إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]، نلاحظ في هذه الآية المباركة كيف أنهم **أولاً:** يذكرون الله؛ **لأنهم** لا يستمرون في حالة الغفلة عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قد يسهو، قد يغفل لبعض الوقت، ولكنه ينتبه، يتذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يستمر في حالة الغفلة عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أوقاتاً طويلة، فيتمادى في عصيانه، فيصر على ذنبه. إلا هو ينتبه، ويذكر الله، عند ذكره لله يتحرك فيه الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والحياء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **فيبادر فوراً:** ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾، يستغفر الله، ويتوب إلى الله توبةً نصوحاً جادةً صادقة، ويقلع عن المعاصي، يقلع عنها، يقلع عن تلك المعصية، يقلع عن ذلك الذنب.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، الإصرار على الذنوب من أخطر الأمور على الإنسان، الإصرار على الذنب، سواءً كان هذا الذنب معصية بشكل تجاوز لحدٍ من حدود الله، ومخالفة لنهيٍ من نواهي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **أو** كان هذا الذنب تفريطاً في طاعة مما أمرنا الله وألزمنا به من مسؤولياتنا التي حملنا الله إياها، كلاهما يعتبر ذنباً، ويعتبر معصيةً؛ **لأن** البعض لا ينتبه لهذا الجانب الآخر، الذي هو التفريط في الطاعة اللازمة.

الإنسان إذا أصر، هذا الإصرار خطيرٌ جداً على الإنسان، تفسد نفسيته، يؤثِّر الشيطان فيه أكثر، يتمكن من التأثير عليه، في الوقت نفسه يعظم سخط الله عليك، يكبر غضبه عليك، وقد تصل -والعياذ بالله- إلى حد الخذلان، أن يخذلك الله، فلا يمنحك شيئاً من رعايته، ومن رحمته، ولا يتوب عليك فيوفقك للتوبة، وهذه حالة خطيرة **جداً** على الإنسان، الإصرار على الذنوب يجعلك تتحمل الوزر أكثر، وتذنب أكثر، ويبعدك عن التوفيق أكثر، ثم هو- أيضاً- يساعد إلى حدٍ كبير الشيطان في السيطرة عليك، يُذهب منك مَنَعَة

١- آل عمران: الآية ١٣٥

٨

التقوى، يضعف في نفسك دوافع الخير، تكبر وتعظم في نفسك ميول الشر، ميول الفساد، يقسو قلبك، **وقسوة القلوب من أخطر الأشياء على الإنسان:** أن يقسو قلبه، إذا قسى القلب لا تنتفع بالذكرى، لا ينفع فيك حتى القرآن الكريم، حتى الأحداث والمتغيرات التي فيها العبرة الكبيرة والكافية لا تؤثر فيك، فتتجه بجرأة إلى المعاصي، وتتجه بشكلٍ أكبر إلى التفريط والإصرار على التخاذل عن مسؤولياتك، وعن طاعة الله ﷻ، علاقتك بالله تضعف، وعلاقتك بالشيطان في تأثرك به تكبُر، علاقة سلبية طبعاً، وهذه حالة خطيرة **جدًّا**.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥﴾[١]، أن الله يغفر لهم؛ **لأنهم** يعودون إليه، يندمون، يستحون منه، يتجهون بصدق للإقلاع عن المعصية، للفرار من الذنب إلى الله ﷻ ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[٢]، هكذا الجنة.

من مواصفات عباد الله المتقين

بل إنَّ الله ﷻ **يصف عباده المؤمنين المتقين** أنهم في حالة الرجوع والتوبة والإنابة هي بالنسبة لهم حالةٌ مستمرة، وأنهم يلازمونها ويستمرون عليها؛ **لأن** الإنسان مهما بلغ صلاحه، مهما كانت استقامته، مهما كانت طاعته، قد يسهو، قد يخطئ، قد يقصر، لو لم يكن لنا إلَّا معاصي التقصير، دعك من كبائر الذنوب، والجرائم الشنيعة والفظيعة، التقصير في الطاعات، التقصير في المسؤوليات، كم نقصِّر في مسؤولياتنا، الأخطاء في المعاملة: في معاملتنا داخل الأسرة، في معاملتنا مع الناس من حولنا، كم يحصل من أخطاء، كم يحصل من ذنوب، كم يحصل من معاصٍ في **هذين الجانبين:** جانب التقصير في الطاعات اللازمة والمسؤوليات، وجانب الأخطاء والمعاصي والذنوب في المعاملة: المعاملة داخل الأسرة، المعاملة خارج الأسرة، المعاملة مع الناس، في كلامك،

١- آل عمران: ١٣٥
٢- آل عمران: من الآية ١٣٦

في أسلوبك في التعامل، كم يحصل من أخطاء، إذا لم يكن الإنسان ملازماً للتوبة، راجعاً بشكلٍ مستمرٍ إلى الله، يطلب من الله المغفرة، يسأل من الله المغفرة بالدعاء، بالاستغفار، ويسعى للاهتمام بالأعمال التي بها- أيضاً- ننال المغفرة؛ **لأن** الله سُبحانهُ وتعالى وجهنا إلى أن نتوب إليه بالندم على الذنب، بالعزم على الإقلاع عنه، بالاستغفار، وأيضاً وجهنا- أيضاً- سُبحانهُ وتعالى إلى أعمال، جعل من جزائه على تلك الأعمال الصالحة المغفرة، وتكفير السيئات، فاهتمامنا المستمر بالاستغفار (بطلب المغفرة) وبشكلٍ مستمر، واهتمامنا أيضاً بالأعمال الصالحة، الأعمال التي من جزاء الله فيها **ومن المكافآت التي يكافئنا الله عليها:** المغفرة، أن يمن علينا بالمغفرة، وأن يمن علينا بتكفير السيئات، هذا مهمٌ **جدًّا**.

الله -جلَّ شأنه- يقول عن عباده المؤمنين المتقين في ملازمتهم للاستغفار والتوبة: ﴿الصَّابِرِينَ﴾، يذكر مواصفات من؟ المتقين، هو يذكر هنا مواصفات المتقين: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[1]، يذكرهم هنا بمواصفات إيمانية راقية ومهمة، وهي نماذج من مواصفاتهم الإيمانية، من مواصفاتهم التي تتحقق بها لهم التقوى: ﴿الصَّابِرِينَ﴾، الصبر الذي يتصفون به، والذي أصبح صفةً لازمةً لهم من كثرة صبرهم، فهم يصبرون في ضبط النفس عن المعصية، حتى لو كانت تهوى شيئاً ما؛ يضبطون أنفسهم عنه، وهم يصبرون في دفع الناس للعمل بالطاعة اللازمة والأعمال التي فيها رِضى الله سُبحانهُ وتعالى، مهما كانت فيها من مشقة على النفس أو صعوبات، مهما كان في النفس من ملل أو ضجر، مهما كان في النفس من عزوف، مهما كان هناك من تعب نفسي أو جسدي، هم يتحملون؛ **لأنهم** يعون قيمة هذه الأعمال وما سيترتب عليها من النتائج، هم يصبرون أيضاً في تحمل المسؤوليات بما يترتب عليها من تضحيات، أو يترتب عليها من مخاطر، أو يترتب عليها من أوجاع، هم يتحملون؛ من

١- آل عمران: الآية ١٧

٨

أجل وعيهم وإيمانهم بقيمة هذه الأعمال في القربة إلى الله ﷻ ونيل رضاه.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾، مصداقية في انتمائهم الإيماني، مصداقية في حديثهم، في أعمالهم، في التزاماتهم، الصدق عنوان أساس بالنسبة لهم لالتزامهم به.

٨

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾، **القنوت:** الخضوع لله ﷻ، ليسوا متكبرين، وليسوا مزاجيين. يذعنون لله في كل الأحوال، حتى فيما لا تهوى النفس، حتى عند الغضب، حتى في الحالات التي قد لا يلتزم فيها البعض، نفوسهم خاضعة لله ﷻ، وبالتالي منقادة لتوجيهاته -جلَّ شأنه.

﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾، أهل إنفاق، أهل عطاء، ليسوا بخلاء، ينفقون في سبيل الله، ينفقون في أعمال البر، ينفقون لمساعدة الفقراء والمساكين... ينفقون، وحالة هم مستمرون عليها، حتى أصبحت صفةً من صفاتهم، وعنواناً أساسياً من عناوين أعمالهم التي يستمرون عليها، ليسوا موسميين في إنفاقهم (في السنة حسنة). |إلا| كل ما رزقهم الله ينفقون مما رزقهم الله؛ **حتى** أصبحت صفةً أساسيةً من صفاتهم.

الاستغفار.. ختام مواصفاتهم العظيمة

مع كل هذه المواصفات العظيمة، والتي تتحقق بها التقوى لله، ماذا يقول عنهم، وماذا يختم هذه المواصفات لهم؟ يقول -جلَّ شأنه-: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، **لاحظوا** يُخيَّل للبعض أن الاستغفار هو لمن؟ للمجرمين، للمفسدين، للمذنبين، الذنوب والآثام الكبيرة، هؤلاء هم بحاجة إلى الاستغفار، وعليهم أن يستغفروا وأن يتوبوا وأن يقلعوا عن ذنوبهم ومعاصيهم، لكن الله يذكر لنا عن المتقين مهما بلغ إيمانهم، ومهما بلغت تقواهم، ومهما كانت المواصفات الإيمانية في واقعهم قائمة وحاضرة وموجودة، فهم يستشعرون تقصيرهم، هم لا يزالون يشعرون بأنهم مقصرون، لا يعيشون حالة الغرور، ولا حالة العجب بالنفس.

البعض من الناس؛ كم هو معجبٌ بنفسه ومغرور؛ لأنه لحد الآن- مثلاً- لم يرتكب ثلاثاً أو أربعاً من المعاصي الكبيرة التي قد اشتهرت في كونها من الكبائر، **مثلاً:** لم يزنِ، لم يرتكب الفاحشة، لم يقتل النفس المحرمة، لم يشرب الخمر، من النعمة والتوفيق أن الإنسان لا يفعل مثل هذه الجرائم، نعمة وتوفيق إلهي كبير، ولكنه في المقابل كم عليه من معاصٍ أخرى، تعال إلى جانب المسؤوليات، كم هو مفرط في كثيرٍ من **المسؤوليات:** مسؤولية الجهاد في سبيل الله، أن يكون ساعياً في هذه الحياة لإقامة العدل، لمواجهة الظلم، للتصدي للفساد، أن يساهم في ذلك بنفسه وماله ولسانه، مسؤولية مهمة وكبيرة، مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مفهومها الإسلامي الصحيح، وليس في مفهومها التكفيري الداعشي، كم هو مقصر، العمل الخيِّر الذي فيه الإنفاق، وفعل الخير، والإحسان إلى الناس، كم هو مقصر، الأعمال الاجتماعية الصالحة، التي فيها صلاح أمر المجتمع، كم هو مقصر، جانب التقصير عنده كبير **جدًّا**، وهو في الوقت نفسه لا يستشعر أنه مقصرٌ، يعتبر نفسه أنه صار من أولياء الله، وأنَّ أبواب الجنة مفتحةً أمامه، إنما فقط يأتي ليدخل فوراً.

٨

كل ما عظم إيمانك- استشعر التقصير

إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يؤكِّد لنا في القرآن الكريم أنَّ من أهم صفات المؤمنين المتقين الصالحين من عباده: أنهم يستشعرون التقصير، مهما بلغت استقامتهم والتزامهم يدركون أنهم مقصرون، وهذا هو أمر واقعي فعلاً، الإنسان مهما بلغ اهتمامه يبقى عنده تقصير، يبقى عنده هفوات، يبقى عنده زلات، يزل، ظروف حياة الناس، ظروف حياة الإنسان، ما يواجهه في هذا الواقع من مشاكل، من متاعب، من شواغل، من تأثيرات نفسية، يأتي مع ذلك الزلل، التقصير هنا، الزلل هنا، الخطأ في معاملة معينة، التقصير في عمل معين، عدم الإتيان بهذا العمل كما ينبغي، هذه حالة مؤكَّدة في واقع الإنسان؛ **ولذلك** الإنسان كل ما عظم إيمانه كل ما استشعر التقصير، **هذه حقيقة**

لازمة وكل ما استشعر التقصير كلما كان بعيداً عن الغرور، وعن العجب.

اليوم البعض من الناس قد يكون يعمل بعض الأعمال، وحتى يتحرك في سبيل الله، ويعمل أعمالاً مهمةً في سبيل الله، ثم إذا به- لأنه واجه إشكالات معينة، أو صعوبات معينة، أو عوائق معينة- يقعد في بيته، ويُفرِّط ويُقصِّر في مسؤوليته، ويعتبر نفسه في تلك الحال أنه في موقع المطيع الذي قد أتمَّ الطاعة، وقد لا يعتبر نفسه مُقصِّراً بأي تقصير، وحضرته أصبح يرى نفسه في وضعية لم يكن الأنبياء فيها، الأنبياء- وهم أنبياء الله- كانوا يستشعرون التقصير، كان من أهمِّ ما يدعون الله به، من أهمِّ ما يضرعون إلى الله فيه، من أهمِّ ما يطلبونه من الله، في مقدِّمة طلباتهم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنهم يطلبون المغفرة، من هو الذي يمكن أن يكون قد وصل منَّا- كناس مسلمين- إلى مستوى نبي من أنبياء الله؟ هل أحد يمكن أن يدَّعي لنفسه ذلك؟ لو ادَّعى لنفسه ذلك فهو يفتري، وهو فاسد وجاهل.

الأنبياء في عظيم منزلتهم عند الله، في ما هم فيه من الاستقامة التامة في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما هم عليه في علاقتهم الإيمانية الراقية **جدًّا** بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعتبرون أنفسهم مقصِّرين، ويطلبون من الله المغفرة، ويتجهون عملياً نحو سُلَّم الكمال الإيماني، وسلم الكمال في الطاعة، والعمل، والسعي لنيل رضوان الله، والارتقاء في درجات الإيمان والتقوى، هذا حالهم، حتى كبار الأنبياء، عظماء الأنبياء، أولو العزم من الرسل، القرآن الكريم يقدِّم لنا أدعية نبي الله نوح وهو يطلب المغفرة: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾[1]، بعد تسعمائة وخمسين عاماً من تبليغ الرسالة، من العمل على إقامة دين الله، من الالتزام الإيماني العظيم، من الصبر في طاعة الله، من الصبر في سبيل الله، من العمل الدؤوب وهو يواجه التحديات، والصعوبات، والتكذيب، والعناء الشديد، وهو يعيش حالة الغربة في مجتمعه،

١- نوح: من الآية ٢٨

عملاً عظيماً، ارتقاءً إيمانياً ومنزلةً عاليةً في القرب من الله سبحانه وتعالى في ختامها يطلب من الله المغفرة، لا يزال يعتبر نفسه مقصِّراً، ويطلب من الله أن يغفر له.

نبي الله إبراهيم عليه السلام، **وهو الذي بلغ في منزلته الإيمانية**، وفي منزلته في الفضل والقرب من الله سبحانه وتعالى، أنَّ قال الله -جلَّ شأنه- عنه: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[١]، أكرِم بهذا الشرف! شرفٌ عظيمٌ **جدًّا**، شرفٌ كبير. **إبراهيم يقول:** ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[٢]، أطمع أنَّ الله يغفر لي خطيئتي يوم الدين، يوم القيامة، يوم الحساب، يوم الجزاء، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾[٣]، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾، كم في القرآن من أدعيته وهو يطلب المغفرة، حتى وهو يبني الكعبة مع ابنه إسماعيل عليهما السلام يتقدم إلى الله ويرجو من الله أن يقبل منه عمله، لا يعيش حالة غرور ويعتبر مسألة القبول للعمل أصبحت أمراً مفروغاً منه، بل يحتاج حتى أن يطلبه من الله، **يتجهان إلى الله:** ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤].

العجب والغرور من أهم عوامل الإصرار

حالة الغرور هي مما قد يسبب للإنسان أن يصر على تقصير، وأن يصر على ذنوب معينة، وحالة الغرور أيضاً قد تبعد الإنسان عن التوجه بخشوع بصدق إلى الله سبحانه وتعالى؛ **من واقع الاستشعار** للذنب والتقصير بطلب المغفرة، المغرور حتى وهو يستغفر، يستغفر بلسانه ولا يستغفر بقلبه، المغرور المعجب بنفسه يرى نفسه أنه ليس في موقع أن يطلب من الله المغفرة، ليس في موقع التقصير، وهذه حالة رهيبة **جدًّا**، هي الحالة التي ورَّطت إبليس، إبليس رأى نفسه في هذا الموقع، تعاظَمَ أعماله الصالحة؛ **فامتلأ** غروراً وكبراً، وهذا

١- النساء: من الآية ١٢٥
٢- الشعراء: الآية ٨٢
٣- إبراهيم: من الآية ٤١
٤- البقرة: من الآية ١٢٧

ورّطه، وراء الغرور، وبعد الغرور يدخل الإنسان إلى مرتبة أسوأ هي الكبر.

ولذلك نجد أنَّ الله سُبحانه وتعالى **يأمر حتى نبيه ورسوله** صلوات الله عليه وعلى آله، وهو خير البشرية بكلها، خير ولد آدم، أعظمهم إيماناً، أعلاهم منزلةً وقربةً إلى الله سُبحانه وتعالى، رسول الله محمد صلوات الله عليه وعلى آله يقول الله له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1]، الله يأمر نبيه محمداً أن يستغفر لذنبه، ماذا كان ذنبه؟! هو صلوات الله عليه وعلى آله الطاهر، العظيم، المستقيم في طاعة الله سُبحانه وتعالى، الله يقول له أيضاً: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، **يعني:** واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، **ما قال مثلاً فقط:** [وللمجرمين والمجرمات].

الإنسان المؤمن يستشعر التقصير، التقصير في أدائه لمسؤولياته في أعماله، الهفوات والزلل الذي قد يحصل منه في تصرفاته، كان رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله فيما روي عنه؛ كل ما قام من مجلسٍ كان يجلس فيه مع الناس من حوله، ويتحدث إليهم، وكل حديثه إنما هو تذكير، إنما هو هداية، إنما هو إرشادٌ إلى ما فيه الخير، يستغفر الله- كل ما قام من مقامه: **(سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك)**، يستغفر الله سبعين مرةً يختم بها مجالسه، يكرر الاستغفار، يطلب من الله المغفرة، فطلب المغفرة والاستغفار والتوبة إلى الله **يجب** أن تكون حالة يستمر عليها الإنسان ويلازمها في ليله ونهاره، وفي أحواله المختلفة، وعندما يدرك أنه ارتكب تقصيراً معيناً، أو زللاً معيناً، أو هفوةً معينة.

إضافةً إلى التخلص من المظالم، المظالم تجاه الناس وبحق الناس، يسعى الإنسان لأن يتخلص منها، ولا يصر على مظلمة.

١- محمد: من الآية ١٩

من أعظم موجبات الغفران

التركيز على الأعمال التي ننال بها المغفرة، الله ﷻ قال في كتابه الكريم عن الجهاد في سبيل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[١]، الإنسان إذا أقلع عن المعاصي، واتجه في الطاعة والاستقامة، وتحرك في سبيل الله ﷻ بلسانه ونفسه وماله، بإخلاص وصدق وِفق توجيهات الله وتعليماته في الموقف الحق؛ **فإنَّ** الله ﷻ يغفر له ذنوبه في الماضي، بعض الذنوب تكون قد تركت آثاراً سلبية على الإنسان في نفسه، في مشاعره، في واقعه فهو بحاجة إلى عمل وازن، عمل عظيم.

الله ﷻ قال عن الصدقات أيضاً: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٢]، الصدقة الخفية التي تراعي فيها أنت كرامة الفقير، وتوصلها إليه خفية، وليس أمام الناس، وليس أمام كاميرا الفيديو، وأمام التليفزيون، ولا أمام الآخرين وهم ينظرون إليه وهو يشعر بالخجل وهو يأخذ منك الصدقة. [لا] خفية تراعي فيها كرامته واعتباره، هذه من الأعمال العظيمة، والتي بها- أيضاً- يكفِّر الله السيئات.

أيضاً من المهم جدًّا اجتناب الكبائر؛ لتكفير بقية السيئات، الله -جلَّ شأنه- قال في القرآن الكريم: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[٣]، اجتناب الكبائر التي عليها وعيد- الكبائر ما كان منها تعدياً لحدود الله، وما كان منها أيضاً تقصيراً في المسؤوليات المهمة وتفريطاً فيها- يساعد على تكفير السيئات، مع الالتجاء إلى الله بالتوفيق، والإنسان يطلب

١- الصف: ١٠-١٢

٢- البقرة: من الآية ٢٧١

٣- النساء: الآية٣١

من الله ألا يَكِلَه إلى نفسه طرفة عينٍ، أبدا، نحن بحاجة دائمة إلى توفيق الله، إلى ألطافه، إلى هدايته، إلى معونته؛ **لكي** نستقيم، وأن نحذر من خطوات الشيطان، البعض يبدأ خطوة معينة من المعاصي تجره إلى خطوةٍ أكبر، ثم إلى خطوة أسوأ... وهكذا، **يبدأ** في مواقع التواصل الاجتماعي بالمغازلة، المغازلة تجره إلى ما هو أسوأ... وهكذا، حتى يصل إلى ارتكاب الجرائم، **يبدأ** في تنصله عن المسؤولية وتفريطه في مسؤوليته بتفريط معين، ثم تفريط أكبر... وهكذا، حتى يصل إلى القعود والتخاذل الكلي، وأشياء كثيرة تحصل في واقع الإنسان.

خطورة التسويف بالتوبة

يحذر الإنسان في التوبة من التسويف، التسويف من أخطر الأشياء على الإنسان، الله فتح لنا برحمته باب التوبة والرجوع إليه، والشيطان يدخل علينا من ناحية التسويف، **أن يسوِّف الإنسان التوبة**: [سوف أتوب فيما بعد، سأستمر الآن، سوف أتوب في مرحلة أخرى، في سنة كذا، أو شهر كذا، أو يوم كذا]. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحذِّرنا من الإصرار ومن التسويف، هو -جلَّ شأنه- القائل: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾[١]، التسويف قد يفقدك التوفيق، قد لا تتوفق للتوبة، وقد تقع فيما هو أفظع، وأعظم جرماً، وأكبر خطأً، وأنت تُسوِّف، التسويف خطيرٌ **جدًّا** على الإنسان، وقد يأتيك الموت وأنت لا تدري، عندما يأتي الموت وتريد أن تتوب، تدرك أن الموت أتى، لا يقبل الله منك توبتك، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾، ليست مقبولةً منه، أبداً.

من المهم للإنسان أن يعزز في نفسه الخشية من الله، الخشية من الله تساعدك على الاستقامة، والحذر من المعصية، وأن ينمِّي فيه الحياء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تنمِّي في قلبك الحياء من الله، والإكثار من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١- النساء: من الآية ١٨

من المهم للمجتمع أن يكون مجتمعاً متعاوناً على البر والتقوى، ناهياً عن المنكر، متواصياً بالحق، متواصياً بالصبر، متناصحاً، هذا الجو نفسه يساعد على الاستقامة والالتزام، وعلى الخلاص من الذنوب والمعاصي والكبائر.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإيَّاكم من عباده التائبين، الذين يوفَّقون للتوبة النصوح، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

****

٨

في ظلال سورة الناس
حول خطر الوساوس والوَسواس

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلّا اللهُ الملك الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُـوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كـما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نتحدث اليوم على ضوء سورةٍ من السور القرآنية المهمة، هي سورة الناس، والموضوع الرئيسي لسورة الناس هو التنبيه إلى خطورة الوساوس والمسوسين، وإلى طريق النجاة من شر ذلك، هذا الموضوع قد يبدو عند الكثير من الناس موضوعاً عادياً، وموضوعاً من المواضيع الهامشية، لا يلتفت

إليه بمستوى ما يمثله من خطورةٍ ومن أهمية، ولكن من خلال التأمل في هذه السورة المباركة وما فيها من الآيات، ينتبه الإنسان إلى أهمية هذه المسألة، وإلى ضرورة أن يتعامل مع هذا الموضوع بجد، وانتباه كبير، ويقظة عالية.

٩ **يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم:** بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

يتوجه الخطاب في هذه السورة المباركة إلى مَنْ؟ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ثم إلى كل شخصٍ إلى كل فردٍ من أبناء هذه الأمة من المسلمين، ﴿قُلْ﴾، عندما وجِّه الخطاب إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ فهذا بحد ذاته تنبيهٌ كبيرٌ لنا جميعاً، أنَّ الكل مستهدف بهذا الخطر وبهذا الشر، الكل بلا استثناء، الوساوس هي شرٌ قابلٌ للانتقال بين كل أبناء المجتمع، وبين مختلف فئات المجتمع، بين الرجال والنساء، بين العلماء، والمثقفين، والأكاديميين، والتربويين، والخطباء... وبين كل فئات المجتمع، وبين عامة الناس، الكل مستهدفٌ بهذا الخطر؛ **ولذلك** لا بدَّ من الانتباه لدى الجميع، لا بدَّ أن تدرك أنك أياً كنت في أي موقع، بأي صفة، لو كنت تعتبر نفسك إنساناً مثقفاً، أو إنساناً عالماً، أو إنساناً مؤمناً تقياً متديناً، أو إنساناً واعياً...إلخ. وبأيِّ صفةٍ أنت في موقع من مواقع المسؤولية، أنت قائد، أنت عسكري، أنت أمني، أنت مسؤول، أنت مشرف، أنت... بأي صفةٍ وفي أي موقعٍ أنت، أنت مستهدف، وأنت معرضٌ لهذا الخطر، ومعرضٌ لهذا الشر؛ **ولذلك يجب** أن نلتفت جميعاً- الكل- إلى هذا الخطر وإلى هذا الشر للحيطة والانتباه.

صيغة الاستعاذة في السورة ودلالاتها

ثانياً: أتت صيغة الاستعاذة على نحوٍ مميزٍ لا مثيل له في القرآن تجاه الاستعاذة التي تكررت في القرآن الكريم، الاستعاذة من الشيطان أتت في القرآن الكريم: ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[1]، الاستعاذة بالله من أمور أخرى، ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[2]، في دعاء موسى عليه السلام، في استغاثة مريم: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[3]، تكررت الاستعاذة في القرآن الكريم، ولكنها أتت هنا على نحوٍ عجيب، تعبِّر عن التجاء كبير إلى الله سبحانه وتعالى، من حيث أنه الرب، ومن حيث أنه الملك، ومن حيث أنه الإله، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ﴾، استعاذة بهذه الصيغة العجيبة التي تدل على أهمية وخطورة هذا الشر إلى حد كبير، إلى حدٍ رهيب، فنحن نلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى، ونستجير به، نلتجئ إليه ليدفع عنا هذا الشر، ليدفع عنا هذا الخطر، نلتجئ إليه -جلَّ شأنه- باعتباره الرب، والرب **يعني أنه:** (الخالق، الرازق، المالك)، مجموع هذه الصفات الثلاث، **فهو** -جلَّ شأنه- الذي يُرجى من حيث أنه ربنا؛ **المربي** لنا، المنعم علينا، المالك لنا، الخالق لنا، هو الذي نرجوه ونلتجئ إليه- من هذا الجانب وبهذا الاعتبار- ليدفع عنا هذا الشر، وهو من يمتلك القدرة، وهو الرب (الخالق، المالك، الرازق) من له القدرة على أن يصرف عنا هذا الشر، وأن يدفع عنا هذا الخطر.

ونحن نلتجئ إليه سبحانه وتعالى من حيث أنه الملك، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ في الآية المباركة، هو ملك السماوات والأرض، الملك في كل هذا العالم وكل هذا الكون، من له الأمر والنهي والتصرف، وهو المقتدر المدبر لشؤون هذا الخلق، فهو من يملك القدرة على أن يدفع عنا هذا الخطر، وهذا الشر،

١- المؤمنون: من الآية ٩٧

٢- البقرة: من الآية ٦٧

٣- مريم: من الآية ١٨

ونحـن نلتجـئ إليـه مـن حيـث أنـه الإلـه؛ **إلهنـا**، إلـه النـاس -جـلَّ شـأنه- ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾، فهـو -جـلَّ شـأنه- الـذي يألـه إليـه كل مكـروب، ويفـزع إليـه ويلـوذ بـه كل مغمـوم، وهـو -جـلَّ شـأنه- مـن يُعتـبر الالتجـاء إليـه عبـادةً لـه، وقربـةً إليـه، ووسـيلةً لنيـل حمايتـه، لنيـل رحمتـه، لنيـل فضلـه، لأن يمـنَّ علينـا ويرحمنـا ويدفـع عنـا هـذا الخطـر، فهـي قربـة إلى اللـه ووسـيلة مؤمـل منهـا ويرجـى مـن خلالهـا رحمـة اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ودفعـه عنـا لهـذا الـشر ولهـذا الخطـر.

٩

المفهوم الصحيح للاستعاذة

فهـذه الاسـتعاذة وهـذا الالتجـاء الـذي ينبغـي أن يكـون بوعـي، وأن يكـون مـن أعـماق قلوبنـا، مـن واقـع الشـعور بالحاجـة إلى اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الحاجـة الكبـيرة لدفـع هـذا الخطـر الكبـير، وهـذا الـشر الكبـير، هـذه مسـألة مهمـة **جـدًّا**، وهـذا الالتجـاء الـذي ينبغـي أن ينطلـق مـن شـعور بالعبوديـة للـه، وشـعور بالحاجـة إلى اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومـن واقـع الشـعور بهـذه العلاقـة فيـما بيننـا وبـين اللـه، هـذه العلاقـة مـن حيـث أننـا عبيـده وهـو ربنـا، ومـن حيـث أننـا في مملكتـه وهـو ملكنـا، ومـن حيـث أننـا- أيضـاً- في موقـع العبوديـة لـه وهـو إلهنـا، مـن واقـع هـذه العلاقـة؛ عندمـا نلتجـئ ونحـن نحمـل هـذا الشـعور الـذي يعـي طبيعـة هـذه العلاقـة في كل هـذه الجوانـب الثـلاث: مـن حيـث أنـه الـرب، أنـه الملـك، أنـه الإلـه.

ثـم- أيضـاً- الالتجـاء العمـلي، مـع الالتجـاء بالدعـاء، الالتجـاء بالاسـتجارة والاسـتعاذة مـن أعـماق القلـب بوعـيٍ وشـعور بأهميـة هـذه المسـألة، بوعـيٍ وشـعور بطبيعـة هـذه العلاقـة مـع اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الالتجـاء العمـلي الـذي هـو الارتبـاط بمصـادر الهدايـة الإلهيـة، الارتبـاط بهـدى اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **حتـى** تكـون أفكارنـا، وحتـى تكـون نظرتنـا إلى الأمـور مـن واقـع مـا قُـدِّم إلينـا مـن هـدى اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بمـا يسـاعدنا عـلى سـلامة التفكـير، وهـذه مـن أهـم الأمـور التـي يحتـاج إليهـا الإنسـان؛ **لأن** سـلامة التفكـير سـيترتب عليهـا سـلامة التأثـيرات والدوافـع النفسـية،

ثم سلامة التصرف والفعل، إذا ضمنّا سلامة التفكير، وضمنا سلامة ما يدور في أذهاننا، وما نفكِّر به، وكان شيئاً سليماً وصحيحاً وإيجابياً؛ **ستكون** تفاعلاتنا النفسية الداخلية إيجابية، وما يترتب على ذلك في واقعنا العملي في تصرفاتنا، وأعمالنا، ومواقفنا... إلى غير ذلك. سيكون أيضاً إيجابياً وسليماً وصحيحاً، فهذا يدلُّنا على أهمية أن نعي مفهوم الالتجاء إلى الله ﷻ بشقيه: بالتضرع من الوجدان، بالخشوع، بالالتجاء، بالدعاء، وأيضاً على المستوى العملي من خلال الارتباط بمصادر الهداية الإلهية، التي نستقي منها هدى الله ﷻ، ونستفيد منها- كما قلتُ- سلامة التفكير، هذه مسألة مهمة **جدًّا**.

الوساوس مصدر الشرور والمشاكل

﴿قُلْ أَعُوذُ﴾، هذا هو الالتجاء، ﴿بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، هذا الالتجاء الكبير إلى الله ﷻ، كما تحدثنا على ضوء ما يفيده قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ﴾، الاستعاذة به والاستجارة به ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، الوساوس شرها كبيرٌ على الناس، وضرها كبيرٌ على الناس، الباطل يأتينا عن طريق وَسَاوِسْ، المفاهيم الظلامية تأتينا عن طريق وَسَاوِسْ وموسوسين، تأتينا- أيضاً- الأوهام التي تؤثِّر علينا في علاقاتنا عن طريق وساوس، ما يؤثِّر على الناس حتى في علاقاتهم، ما يزرع الشحناء فيما بينهم، والعداوة فيما بينهم، ما يؤثِّر على الإنسان في كثيرٍ من الأمور، منبع التأثيرات السيئة على الإنسان تكون من الوساوس والموسوسين، هذا المصدر الأساسي لها؛ **ولذلك** تمثل هذه المسألة خطورة كبيرة على الإنسان، وتكون خطورتها أيضاً فاعلة ومؤثِّرة بشكلٍ مباشر على الإنسان إذا لم يكن متنبهاً، ولا متيقظاً، ولا متذكِّراً، إذا كان غافلاً، إذا كان لا يعير هذه المسألة أي اهتمام، فالخطر يتعاظم ويكبر على الإنسان.

الوساوس تأتي إلى الإنسان بشكل خواطر، وأفكار، وهواجس، وقد تأتي إليك من الجِنَّة كما قال، أو من الناس، سنأتي إلى الحديث بالتفصيل على ضوء قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾، وعلى ضوء قوله تعالى: ﴿وَالنَّاسِ﴾، الوساوس تأتي بشكل خواطر، بشكل أفكار، على حسب التعبير المحلي [تطانين]، قد تصل إليك هذه [التطانين] من الجِنَّة أو من الناس، سمعت من شخص كلاماً، تفاعلت بهذا الكلام، ثم قمت على ضوء ما سمعته منه بالتفكير فيه، وتبدأ الخواطر حول ذلك الكلام التي تدور في نفسك وفي ذهنك، وأنت تفكر فيها، وتتأثر بها، وتتفاعل معها، وعادةً ما تكون الوساوس ملامسةً للدوافع في نفس الإنسان، **يعني**: تلامس جوانب حسَّاسة في الإنسان، **قد تلامس هذه الوساوس فيك جانب الرغبة**: جوانب ترغب بها، وقد تلامس هذه الوساوس المخاوف في نفسك، تأتي لتلامس في نفسك جانب المخاوف، فترفع سقف المخاوف، ويكون لذلك تأثيرات عملية، قد تأتي لتلامس في نفسك مشاعر الغضب؛ **فتذكي** فيك نيران الغضب، وتشعلها، وتؤججها، حتى تدفعك إلى تبني مواقف معينة، أو تصرفات معينة، أو سلوكيات معينة. ٩

الوساوس تشكِّل خطورة كبيرة على الإنسان؛ أنها قد تكون في غلاف معين، هي خفية، لا ينظر الإنسان إليها أحياناً، ولا يظن أنها فكرةٌ سلبية، قد يرى فيها فكرةً إيجابية، قد يظن في تلك الخاطرة أنها فهمٌ واستنباطٌ عبقري، وأنه إنسان فهمان استطاع أن ينتبه، وأن يدرك أن الموضوع هو كذا وكذا، وأن ذلك الشخص أراد كذا وكذا، وأن ذلك الموضوع يدل على كذا وكذا... بحسب مجالات الحياة، الوساوس تأتي لتدخل إلى كل شؤون حياة الناس، إلى كل مجالات الحياة، فتكوَّن فكرة مزيفة لها قالب إيجابي، لها غطاء محبب إلى الإنسان، ومن ثم يتفاعل معها الإنسان، ويتأثر بها الإنسان، بل قد يفرح بها، البعض قد يفرح ببعض الوساوس، ويظنها استنتاجاً- كما قلنا- عبقرياً وعميقاً، وأنه من شطارته، من ذكائه، من فهمه؛ **انتبه** وعرف المقصود؛ **وبالتالي** يبني على ذلك مواقف.

الوساوس وأثرها السيئ على العلاقات والمواقف

كم يحصل من هذا القبيل في العلاقة فيما بين الناس، يدخل سوء الظن **على مستوى الأسرة:** ما بين الزوج وزوجته، ما بين الأب وأبنائه، ما بين الأخ وأخيه. على مستوى الأصدقاء، على مستوى الأمة المؤمنة، كم تدخل هذه الوساوس، حتى في الموقع القيادي، ما بين القادة، ما بين الذين هم في مواقع المسؤولية، كم تلعب الوساوس فيما بينهم من دورٍ سلبي، وتأثيرٍ سيء على علاقتهم، على تعاونهم، على تفاهمهم، وتترك تأثيرها السيء، وتفعل فعلتها الشنيعة **جدًّا**، التي تؤثر عليهم حتى في العمل الصالح، تعيقهم.

كم للوساوس من تأثيرات على الناس في مواقفهم العامة، الكثير من الناس يتأثر بهذه الوساوس؛ **فيقتنع** بباطل، ويقف موقف باطل، يخذل الحق، تتشوش عنده الفكرة تجاه كثيرٍ من القضايا المهمة؛ **فينطلق** الانطلاقة الخاطئة، أو يخذل الحق، كم لها من تأثيرات واسعة في شؤون حياة الناس، كم لها من ضحايا، كم أزَّمت من مشاكل، كم حوَّلت الكثير من النزاعات البسيطة على أبسط القضايا فيما بين أبناء المجتمع، تحوِّلها إلى مشكلة كبيرة **جدًّا**، مشكلة خلاف: خلاف على قطعة أرض، خلاف على معاملة في بيعٍ وشراء، **خلاف على كلام معين:** كلمة، زادت كلمة... كم تركت من تأثيرات سلبية سفكت فيها الدماء، قطعت فيها الصِّلات والعلاقات، قطعت فيها الرحامة والقرابات، كم لها من تأثيرات سيئة **جدًّا** في واقع الناس، على مستوى المواقف: مواقف الحق ومواقف الباطل، البعض من الناس قد يتجه في موقف الباطل متأثراً بالوساوس، والبعض قد يقعد عن موقف الحق متأثراً بالوساوس.

دور الوساوس في الصد عن الحق

الوساوس تأتي أحياناً لصد الإنسان عن الحق، عن الحق كموقف، عن الحق كثقافة، عن الحق كفكر، كعقيدة، عن الحق كسلوك، عن الحق كعمل، وأحياناً لصدك من البداية عن ذلك، وأحياناً قد تأتي فيما بعد، قد تسير في طريق الحق، وهذا يحدث للكثير، قد تسير في طريق الحق، ويكون لك رصيدٌ وافرٌ من العمل، وتكون لك المواقف البارزة والمشهورة، وقد لا تكون، فتسير بشكل طبيعي، إلى مرحلةٍ معينة تواجه مشاكل معينة، قضايا معينة، ظروفاً معينة، فتأتي الوساوس في تلك الحالة، فتترك تأثيرها السيء على نفسك لدرجة أن تجمِّدك، أن توقفك عن مواصلة المسير، عن مواصلة العمل مهما كانت أهمية هذا العمل، مهما كان عظيماً، ومهما كان قربةً إلى الله ﷻ، ومهما كان موقعه على مستوى المسؤولية، قد يكون من أهم المسؤوليات التي حمَّلنا الله إياها، والتي تقع على عاتقنا، لا فكاك لنا منها يوم القيامة إلَّا بالقيام بها، فتقعد، وتتخاذل، وتجمد، وتتنصل عن المسؤولية، ثم تغرق في كل تفكيرك، في كل نظرتك، في كل اهتماماتك النفسية، في إطار تلك الوساوس، تتعاظم تلك الوساوس وتكبر، وتبقى في الكثير من الأوقات وفي الكثير من الأحيان، في أوقات فراغك، في جلستك، قبل نومك... في أوقات كثيرة، وأنت تتفاعل مع هذه الوساوس، تعيدها في ذهنك وتتفاعل معها، فإذا بها تكبر وتتوسع، والوساوس من البلاءات القابلة للتوسع والتعاظم، تنمو ويأتي المزيد والمزيد من الأوهام، والمزيد والمزيد من سوء الظن، تسوء نظرتك إلى إخوتك المؤمنين، أو إلى إخوتك في القرابة، أو إلى محيطك الاجتماعي، أو إلى ذلك الطرف الذي وقعت لك معه مشكلة، وحدثت لك معه مشكلة معينة، تكبر المشكلة بأكثر من حجمها أضعافاً وأضعافاً وأضعافاً، يكبر عندك التفاعل، يكبر عندك الموقف، ليكاد البعض أن يغرق في وسوسته، لم يعد له أي اهتمام آخر، ولا أي التفات إلى أمور أخرى، يبدأ يحلل من جديد، يستنتج عن كثيرٍ من المواقف

ويعطيها التفسيرات المقلوبة، والتفسيرات الخاطئة، الكثير من الكلمات، الكثير من التصرفات، ثم يدخل في حسابات مغلوطة وخاطئة، وهكذا.

الوساوس.. عندما تلامس الرغبات!

والوَسَاوس تفعل فعلتها عندما أحياناً تأتي في ظرف حسَّاس لدى الإنسان، إمَّا وهو في حالة غضب؛ **فتذكي** نيران الغضب، وتشعلها، وتؤججها، وتكبر المشكلة في نفس الإنسان. **إمَّا** وهو في حالة خوف؛ **وتؤثِّر** وترفع عنده مستوى المخاوف، مستوى القلق، مستوى الاضطراب، مستوى التفاعل مع قضيةٍ ما، فيعظم خوفه ذلك، ويزداد قلقه وتوتره وانشداده إلى مستويات كبيرة **جدًّا**. **قد** تلامس الرغبات، قد تأتي الوساوس لتلامس فيك الرغبات، رغبات معينة، شهوات معينة، فتحرك فيك هذه الرغبة، وتثيرها فيك أكثر وأكثر، فتكبر رغبتك، وقد تكون رغبة نحو ما هو معصية، نحو فعلةٍ تمثِّل جريمةً، أو تمثِّل ذنباً، تعظم هذه الرغبة تعظم حتى تنقاد إليها وأنت منجذب بشدة، هكذا تأتي الوساوس من جوانب كثيرة **جدًّا**، ولهذا تمثِّل هي التأثير على الإنسان؛ **لأنها** تدخل من موقع التفكير، لتلامس المشاعر والانفعالات الداخلية في الإنسان، لتولد العمل، لتنتج العمل، لتنتج التصرف، ليترتب عليها الموقف، تأتي خطورتها البالغة من هذا الجانب.

قد يكون البعض من الناس في الحالة التي هو في حالة وسوسة، يتصور أنه في حالة تفكير إيجابية، وأنه يستند في ذلك التفكير إلى معطيات معينة، ولكن الأمر مختلفٌ عن ذلك، المسألة وسوسة، الوساوس قد تأتي- أيضاً- بخيالات وأماني للإنسان، تبلغ به المراتب العليا في الأمور، وتخرج به عن الواقع، وتخرج به عن الأمور الواقعية، وعن الأمور العملية، فيستغرق الكثير من وقته، ولا سيما في بلدنا مع القات، القات مناسب للوساوس، يطنن ويضيع أوقاتاً كثيرة بعيداً عن التفكير السليم، عن التفكير العملي، وقد يكون البعض وهو في موقع مسؤولية يصرف كثيراً من تفكيره وكثيراً من وقته

في أشياء خيالية، أشياء غير عملية، غير واقعية، ولربما مع الضغط النفسي ومع الظروف الحياتية والعملية يتحول الإنسان غير واقعي، وهذا أيضاً في غير الجوانب العامة والمسؤوليات العامة، حتى على مستوى الواقع الأسري، على مستوى الواقع الشخصي، على مستوى الهموم المعيشية، يتخيل الإنسان ويدخل في خيالات خارج الواقع، لن تصل به إلى نتيجة عملية، وهي خيالات ليست واقعية، ولكن لها تأثير سلبي على الإنسان، من حيث استغراق الوقت، من حيث الاختلال في طبيعة التفكير، ومن حيث أنك تخسر سلامة التفكير، ومن حيث- أيضاً- الانشداد إلى الأماني غير الواقعية، على حساب الاهتمامات العملية، وقد تورث الإنسان الكسل أو الإحباط، لما يتعلق بأمور غير واقعية ويصعب تحقيقها في الواقع، هكذا تأتي الوساوس في أشكال كثيرة **جدًّا**.

انعكاس الوساوس على الحالة النفسية

قد تأتي الوَسَاوس أيضاً كصدمة نفسية للإنسان، يعني قد يكون الإنسان مثلاً في تمسكه بالحق وطريق الحق، في استقامته على طاعة الله ﷻ على نحوٍ جيد، وبتوفيقٍ من الله وبالتجائه إلى الله ﷻ، فتأتي الوساوس التي تهدف إلى إقلاقه، إلى إحزانه، إلى إتعابه نفسياً، لاحظوا عندما قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1]، ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قصة نبي الله أيوب الذي شكى في آخر المطاف إلى الله ﷻ **قائلاً**: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[2]، حالة من هذا القبيل؛ الذي قد تكون عملية: استهداف نفسي، استهداف نفسك بالأحزان الشديدة، مثلاً قد يكون لدى الإنسان ابنٌ شهيد، ابنه استشهد، أو هي أمٌ استشهد ابنها، أو أخٌ استشهد أخوه، فقد تأتي إثارة الأشجان والأحزان إلى مستوى غير طبيعي، يخرج عن مستوى الاحتساب، عن مستوى القربة

١- المجادلة: من الآية ١٠
٢- ص: من الآية ٤١

إلى الله سُبحانه وتعالى، الأمل في فضل الله، يخرج عن الحد الطبيعي، فتصل الحالة نفسها إلى المستوى غير الطبيعي الذي يؤثر على الإنسان، يؤثر على نفسه، يؤثر على صحته، يؤثر على تفكيره، يؤثر على عمله، يؤثر على صبره.

٩

قد تكون اهتمامات الإنسان العملية أحياناً، البعض مثلاً اهتمامه بأن يؤدي وضوءه بشكلٍ صحيح، ويؤدي صلاته بشكلٍ تام، أو يعمل عملاً معيناً بشكلٍ صحيح، تأتي الوساوس التي تشوش عليه وتقلقه عن مدى نجاحه في ذلك، فيأتي الشك، ويأتي القلق، ويأتي الاضطراب، [لربما أنا ما أتممت هذا العمل بشكلٍ صحيح، لربما عليَّ إعادته من جديد]، وهكذا مرةً بعد مرة، فيثير لدى الإنسان الاضطراب في العمل الذي هو عملٌ صالح، والذي هو من أعمال القرب إلى الله سُبحانه وتعالى، يحول في نهاية المطاف ذلك العمل إلى عمل صعب، وإلى عمل شاق، وإلى عمل مشوب بهذه الحالة من الاضطراب والقلق والتوتر.

قد يستهدف فيك الرجاء، الوساوس قد تستهدف فيك جانب الرجاء، والرجاء هو جانبٌ إيمانيٌ **يجب** أن يتعادل مع الخوف، علينا أن نخاف الله، وعلينا أن نرجو الله، فتأتي هذه الوساوس إلى البعض، لربما أنا غير مقبول مهما عملت، لربما أنا لا يجديني شيء ولا ينفعني شيء، لربما أنا هالك على كل حال، لربما هذه المحن والمتاعب التي تحدث لي في حياتي مؤشر على أني مسلوب التوفيق، وهكذا حتى يعيش الإنسان في نفسه سوء الظن بالله سُبحانه وتعالى، ويشعر بالإحباط أمام الأعمال الصالحة، ولا يستشعر حسن الظن بالله سُبحانه وتعالى الذي **يجب** أن يتوازن مع الخوف، يجب علينا أن نخاف وأن نرجو الله سُبحانه وتعالى.

وهكذا يعتبر مجال الوساوس واسعاً، وتأثيراتها كبيرة، بدءاً من الأفكار والمفاهيم الظلامية في شؤون الدين، في نظرتنا للحياة، تجاه المواقف، فيما يتعلق بالمواقف؛ كم يأتي من تثبيط عن طريق الوساوس، وهكذا، مجال خطير **جدًّا**، وعادةً ما تحمل طابعاً أو قالباً مقبولاً

لـدى الإنسـان، فهـي تـأتي خفيـةً، مغطـاةً بقوالـب أخـرى وأغطيـة أخـرى.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[1]، **(الْخَنَّـاسِ): لأنـه يـأتي متخفيـاً، قـد تـأتي لـك فكـرة بقالـب معـين.**

نوع الموسوس ومنطقة تأثيره

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[2]؛ **لأن** منطقـة التأثـير في الإنسـان هـي هنا في صدره، هـذه المنطقـة التـي هـي منطقـة التأثير، منطقـة الدوافع، منطقـة الرغبـات، منطقـة المخـاوف، منطقـة الانفعـالات، منطقـة الغضـب، فتـأتي عملية الوسوسـة لتؤثِّـر عليهـا، لتحـركك في الواقـع العمـلي في الاتجـاه الخاطـئ، ولتؤثـر عليـك في الواقـع العمـلي في الاتجـاه الخاطـئ، فهـي المنطقـة التـي يؤثـر فيهـا الوسـواس، وهـي المنطقـة التي نحتـاج إلى العناية بهـا مـن خـلال هـدى اللـه سبحانه وتعالى.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾، **قـد يكـون الموسـوس مـن الجِنَّـة،** مـن شـياطين الجـن، وطبعاً هو عملهـم الرئيـسي، العمـل الأسـاسي والرئيـسي لشـياطين الجـن هـو الوسوسـة، هـم لا يملكـون التأثـير علينـا بـأي وسـيلةٍ أخـرى، لا يملكـون أن يجبرونـا عـلى فعـل عمـلٍ معـين، عـلى فعـلٍ مـا، أو تـصرفٍ مـا، أو موقـفٍ مـا، أو أن يمنعونـا مـن عمـلٍ مـا؛ **إنمـا** يؤثـرون بواسـطة الوسوسـة، قـد تكـون مسـتغرقاً حسـب تصـورك في التفكـير، وأنـت عـلى فراشـك جالـس، أو مضطجـع حتـى، في أي حـالٍ مـن أحـوال الإنسـان، في تلـك اللحظـة التـي تعتـبر نفسـك فيهـا مسـتغرقاً في التفكـير، وأنـت تتفاعـل، أنت منشـد إلى قضيـة معينـة، أو موضـوع معـين، أو أنـت تعيـش ظروفـاً معينة، شـياطين الجـن هـم يرصـدون الواقـع البـشري، **يعنـي:** قـد يـدرك شـيطان الجـن أنـك في تلـك اللحظـة لديـك مشـكلة معينـة، وأنهـا تمثِّـل مدخـلاً لـه ليوسـوس لـك فيهـا، أو يـراك متجهـاً إلى عمـلٍ معـين، عمـلٍ مهـم، يـأتي ليحـاول أن يصـدك عنـه، أو أن يشـوش

١- الناس: الآية ٤

٢- الناس: الآية ٥

عليك أدائك فيه، وهكذا هم يرصدون الواقع البشري، وهم يدركون استغلال الظروف والفرص الحساسة، **مثلاً:** يأتي إليك وأنت في حالة انفعال وغضب وتفكر في تلك الحالة، ويأتي ليوسوس لك لتفهم الأمور بفهمٍ مبالغٍ فيه، أو بفهمٍ مختلف، تندفع إلى مواقف وتصرفات زائدة، باطلة، تشطط عن الحق.

كيف نتفادى تأثير الوساوس؟

٩

الجِنَّة هو قد يأتي وأنت لا تشعر به، وحتى قد تكون أنت تظن أنك تفكر وأن كل تلك الهواجس التي تطلع في بالك إنما هي من بنات أفكارك، إنما هي من أفكارك أنت، وتتفاعل مع ذلك، ومشكلة البعض- أيضاً- أنهم ينقطعون عن الارتباط بمصادر الهداية، **يعني:** لا يستمع إلى هدى الله، لا يلتجئ في أي موضوع أو قضية معينة إلى هدى الله، ويجلس يعتمد على التطانين، على هذه الوساوس، يجلس يُوَسْوِسُ، ويظن نفسه أنه يفكر تفكيراً سليماً، والحالة الأكيدة أنه يُوَسْوِسُ وَسْوَسَةً سيئة، وليست عملية تفكيرٍ سليم؛ **ولأنه** يظن نفسه فهمان، شاطراً، ذكياً، يعتبر أنه لم يعد بحاجة إلى أحد، إنما سيعتمد على تلك الوسوسة التي يظنها تفكيراً سليماً، وهؤلاء يتأثرون سلباً، والبعض قد يكون في موقع مسؤولية، والبعض قد يكون في عمل مهم، ولكن لانقطاعه عن الالتجاء إلى الله، لعدم انتباهه لخطورة الوساوس، لعدم ارتباطه بمصادر الهداية، يتأثر بالوساوس؛ **يبني** عليها المواقف الخاطئة، مواقف يتحمل بها الأوزار والذنوب، مسألة خطيرة **جدًّا.**

قد يندفع الإنسان إلى معصية من المعاصي كان يظن أنه لوحده، وأنه انطلق بقرار شخصي. صحيح أن القرار كقرار هو قرارك أنت، لكنك خضعت لتأثيرٍ شيطاني، كان إلى جانبك جنيٌ من شياطين الجن، وقد أوصل إليك ووسوس لك بتلك الهواجس التي حركت فيك الرغبات، أو الانفعالات، أو الغضب... أياً كان ما حركه فيك، فانطلقت على أساسه ومتأثراً به.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[١]، **(وَالنَّاسِ)** بهذه العبارة العامة **(وَالنَّاسِ)** قد يكون هذا واحداً من الناس، **يعني:** ليست المسألة فئة محصورة معينة، قد يكون هو قرينك، قد يكون هو زميلك، قد يكون هو صاحبك الذي تعتمد عليه، ووسوس لك ولو في قضية معينة، أو حادثة معينة، قد يكون هو تلقى وَسْوَسَة وَوَسْوَسَ لك بها، فأتت الوسوسة بشكل غير مباشر، **يعني:** من خلال الزميل، من خلال القرين، من خلال الصديق الحميم العزيز، الذي تثق به، تتأثر بما يقوله، تتفاعل معه، تقبل منه، وتصلك عبره فتتفاعل.

٩

قد يكون هو شخصاً إعلامياً، اليوم الوَسْوَاس الخناس هناك قنوات فضائية، هناك مواقع التواصل الاجتماعي، هناك الذي سيوسوس لك من خلال رسائل الجوال، أو يُوَسْوِسُ لكِ أنتِ- إذا كانت امرأة- عن طريق الجوال.

وَسَاوِسْ تأتي بوسائل وأساليب كثيرة، تحرك الدوافع السلبية في الإنسان: دوافع الشر، دوافع المعصية، دوافع الفساد، دوافع الانحراف، تصد الإنسان عن عمل الحق، عن فعل الخير، عن العمل الصالح، عن العمل المهم، تثبط الإنسان عن مسؤولية من أهم المسؤوليات... إلخ. تؤثر، تأثيرها السيء على الإنسان، قد يكون هذا الموسوس بصفة محترمة، بصفة عالم وهو من علماء السوء، ممن يصدك عن سبيل الله، قد يكون خطيباً على منبر المسجد، ولكنه من خطباء الضلال، من خطباء السوء الذي يلبِّس ويضلل ويلبس الحق بالباطل، ويصدك عن طريق الحق، قد يكون بصفة أخرى، قائداً، قد يكون بصفة مسؤول... قد يكون بأي صفة من الصفات، ولذلك أنت تستجير بالله من كل الموسوسين من الناس، أياً كان؛ من كل الناس.

١- الناس: الآية ٦

كيف نميز الأفكار الصحيحة عن الوساوس؟

كيف نحرص على أن نفرز ونميز ما بين الوساوس وما بين الأفكار الصحيحة؟ هذه من أهم المسائل، **أولاً** الله يعلمنا أن نلتجئ إليه هذا الالتجاء الكبير. **ثانياً** الالتجاء العملي الذي أشرنا إليه، وهو الارتباط بمصادر الهداية، إذا عاد الإنسان إلى القرآن الكريم، وما يأمر به الله في القرآن الكريم، وما يرشد إليه في القرآن الكريم، في كل الأمور، في كل القضايا، وفرض ووطّن نفسه وفرض عليها أن تقتنع بذلك، وأن تشطب ما عدا ذلك، وألّا تلتفت إلى ما عدا ذلك، فهذا سيفيد الإنسان، هذا سيمثل الحل المهم للإنسان، قد لا تكون عندك المعرفة الكافية بهدى الله ﷻ، ممكن أن يهديك الله إلى الهداة من عباده، فتستفيد منهم، وتستفيد مما يذكّرونك به من خلال هدى الله ﷻ، فيفيدك ذلك.

هذه المسألة تعتبر من أهم المسائل، والتي تشكّل الغفلة عنها خطراً كبيراً على الإنسان، وهذه السورة هي من أهم السور في القرآن الكريم، وهي نعمة عظيمة أنعم الله بها علينا، وهي ترشدنا، وتدلنا على كيف نحتمي من هذا الخطر الكبير الذي له تأثيراته الواسعة والمتنوعة.

أسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأنا يجيرنا ويعيذنا من ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

الجانب الصحي وموقعه في الإسلام

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلّا اللهُ الملك الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُه ورَسُولُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

في محاضرة اليوم نتحدث عن موضوعٍ له علاقةٌ بالصيام، وله أهميةٌ في واقع حياتنا، الله ﷻ عندما قال في القرآن الكريم عن الصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، يؤكِّد لنا

١- البقرة: من الآية ١٨٣

أيضاً عندما قال: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[١]، أنَّ تشريعه -جلَّ شأنه- للصيام كسائر ما شرعه لنا -جلَّ شأنه- فيه الخير لنا، وهذه قاعدةٌ عامة تجاه كل ما شرعه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لنا، أنَّ فيه الخير لنا، وأنه شرعه لنا من منطلق رحمته وحكمته -جلَّ شأنه- ويأتي هذا إلى كل التفاصيل العملية في مختلف شؤون حياتنا ومعاملاتنا، الخير لنا فيما شرعه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لنا.

١٠ **ومن المعلوم والثابت طبياً أنَّ للصيام الفائدة الصحية**، إضافة إلى فائدته التربوية، إضافةً إلى فوائده الأخرى، يأتي ضمن هذه الفوائد وضمن قوله: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾، الفائدة الصحية للإنسان، من المعلوم أنَّ للصيام أثراً إيجابياً مهماً في الصحة (صحة الإنسان)، الجهاز الهضمي يؤكِّد الأطباء أنه يستفيد **جدًّا** من الصيام، الجسم فيما يتعلق ببنيته على مستوى الخلايا، وتجديد الخلايا، وتنظيف الجسم من الخلايا الميتة، وكذلك فوائد أخرى يذكرونها باعتبارهم أصحاب الاختصاص، وتفاصيل كثيرة ليس المقام للدخول في كل تلك التفاصيل؛ **إنما** من المعلوم أنَّ للصيام هذا الأثر المهم أيضاً في إنعاش الجسم، في استعادة مناعته... في أشياء كثيرة.

وهذا يأتي بنا إلى موضوع مهم جدًّا فيما يتعلق بالجانب الصحي في الإسلام؛ **لأن** الجانب الصحي هو مهمٌ في حياة الناس، وله تأثير كبير في شؤون حياتهم، وفي واقع حياتهم، والبشر مجبرون على الاهتمام بالجانب الصحي، سواءً على مستوى الاستطباب (العلاج) فيما بعد المرض، أو في مستوى ما يساعد الإنسان على الوقاية، والمثل الطبي الشهير **جدًّا**: (الوقاية خيرٌ من العلاج).

١- البقرة: من الآية ١٨٤

من أعظم النعم: حِلّ الطيبات وتحريم الخبائث

والإسلام في تشريعاته في مختلف شؤون الحياة: سواءً على مستوى الصيام، أو التشريعات الأخرى، أو على مستوى جوانب سنأتي للحديث عنها، وأولها عنوان الحلال والحرام، يرعى الجانب الصحي للإنسان، الإسلام في تشريعاته وفي مقدِّمتها الحلال والحرام يلحظ ويأخذ بعين الاعتبار ما فيه الصحة لهذا الإنسان، ما فيه دفع المضار عن هذا الإنسان، **فالله ﷻ أحلَّ لنا الطيبات:** الطيبات في المأكولات، في المشروبات، الطيبات في سائر احتياجاتنا في هذه الحياة، قاعدة عامة وعنوانٌ مهم، وحرَّم علينا الخبائث، وهذه أيضاً قاعدة عامة يدخل تحتها الكثير من التفاصيل المذكورة في الشريعة الإسلامية، في النصوص القرآنية عن الرسول ﷺ، وهذا العنوان بحد ذاته يخبرنا عن طبيعة تلك المحرمات، وأنَّ فيها المضار، وفيها الآثار السلبية والخبيثة على الإنسان في نفسه، في صحته، في حياته الاجتماعية، في أمنه واستقراره... يأتي هذا إلى بقية جوانب ومجالات الحياة.

ولذلك الله ﷻ يؤكِّد لنا في القرآن الكريم مثلاً على مستوى المأكولات، أنه -جلَّ شأنه- أحلَّ لنا الطيبات، قال الله -جلَّ شأنه-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[1]، الله ﷻ هو المنعم الكريم، وكم خلق للإنسان من المأكولات في الأرض مما تدخل ضمن هذا التصنيف، وتحت هذا العنوان، وهي الطيبات، والمشترط أيضاً أن تكون ﴿حَلَالًا﴾: لا تكون مغتصبة، لا تؤخذ بوجهٍ غير حق، وإضافةً إلى ذلك قوله: ﴿طَيِّبًا﴾، والطيبات قائمتها واسعة **جدًا**، في مقابل المحرمات التي هي أشياء محدودة وقليلة، القليل هو المحرم، والكثير هو الحلال، وهو الطيب، وذلك الذي هو محرَّم فيه خبث، وفيه مضار، وفيه مفاسد، وله آثار سلبية على الإنسان في جوانب كثيرة، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

١- البقرة: الآية ١٦٨

آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[١]، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾[٢]، ويقول -جلَّ شأنه- عن الرسول ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[٣].

لو تأتي إلى قائمة المأكولات، تجد أن من نعمة الله علينا- كمسلمين في نعمة الإسلام- أن الله سبحانه وتعالى أحلَّ الطيبات وحرم الخبائث، وبذلك حتى في حياة الناس، أن يكون ما يأكلونه من الطيبات، هذه نعمة، وهذه أيضاً ذات قيمة إنسانية وأخلاقية.

١٠

استساغة الخبائث.. مضرة وانحطاط

لو نجد حال الأمم الأخرى التي ليس عندها التزام؛ نتيجة ابتعادها عن الإسلام، ليس لديها التزام فيما يتعلق بالحلال والحرام، كم يأكلون من الحيوانات المحرمة: الحيوانات المفترسة، الحيوانات غير الصالحة، غير المناسبة، غير الطيبة للأكل، يأكلون الحشرات، يأكلون أشياء بشعة **جدًّا** غير مستساغة؛ **إنما** لابتعادهم عن الإسلام، ونشوئهم في بيئات سلبية، يتعودون عليها شيئاً فشيئاً حتى يكادوا أن يعتادوا عليها، وهي حيوانات وحشرات كلها بشعة **جدًّا**، غير مستساغة حتى للذوق الإنساني السليم والرفيع، لكن مع البعد عن الإسلام يمكن للإنسان أن ينحط، وينحط ذوقه؛ **حتى** يستسيغ الأشياء السيئة، حتى يستسيغ الخبائث، وأكثرها ذات مضار، ذات شكل- أيضاً- بشع فيما يتعلق بلونها أو شكلها، عندما تقارن بين شكل الخروف وشكل الخنزير، تجد الفارق الكبير **جدًّا**، شكل الخنزير بشع، المضار الكبيرة لأكله مثبتة طبياً؛ **بينما** الخروف، الأنعام بشكلٍ عام: الإبل، البقر، الماعز، الضأن، جميلة في شكلها، ملائمة، مناسبة للأكل، وليس فيها المضار، وبالذات إذا كانت مذبوحةً على الطريقة الإسلامية،

١- البقرة: الآية ١٧٢

٢- المائدة: من الآية ٤

٣- الأعراف: من الآية ١٥٧

ومذكَّاة، وبطريقة مشروعة...الخ. فهي مستساغة وذات نفع للإنسان، وايجابياتها معلومةٌ للإنسان، في المأكولات بشكلٍ عام أحل الله الطيبات وحرم الخبائث.

في المشروبات كذلك أحل الله الطيبات من المشروبات، وحرم الخبائث، مثل: الخمور، الخمور ذات تأثير سيء، وذات تأثير خبيث في نفسية الإنسان، تخبث نفسية الإنسان، يميل نحو التصرفات والمعاملات السيئة والمنحطة، يفقد الإنسان توازنه ورشده الفكري وتمييزه، لها آثار صحية مدمرة، تضر بصحة الإنسان في أشياء كثيرة، وهذا مثبتٌ طبياً، حتى ليقال أن في بعض الدول الغربية، **مثلاً:** في أمريكا؛ **من أكثر** ما يعانون منه صحياً معاناتهم من الخمور، ومستشفيات كثيرة مزدحمون عليها، كلها متخصصة في معالجة هذه المشاكل الصحية الناجمة عن استخدام الخمور، كيف تضر بالإنسان في نفسه، كيف تضر به في صحته، كيف تضر به أيضاً في نفسيته، البعض منهم- فيما بعد- يُجَنّ، أو يصاب بأمراض نفسية لا يمكن التعافي منها، أضرار وآثار كبيرة **جدًّا.**

المخدرات- على سبيل المثال- كم لها من أضرار كارثية تدمر في الإنسان إنسانيته وحيويته، حتى يتحول المدمن إلى إنسان غير طبيعي في حياته، لا يمكن أن يواصل حياته بشكل طبيعي في أعماله، في اهتماماته، في شؤون حياته، في سلوكه، في تصرفاته، إنسان مدمَّر، حالة خطيرة **جدًّا.**

وهكذا تمتد هذه المسألة إلى تفاصيل كثيرة في حياة الناس، مثلاً في المعاشرة الجنسية؛ **الحلال** مأمونٌ وموثوق، وطريقة سليمة وإيجابية، وليس لها آثار سلبية على المستوى النفسي، ولا على المستوى الصحي، ولا على المستوى الاجتماعي؛ **الحرام** له أضرار كبيرة صحياً ونفسياً واجتماعياً، يدمر الأسر، ويدمر البنية الأساسية للمجتمع: التي هي الأسرة.

وهكذا تمتد إلى بقية شؤون حياة الإنسان، وتجد هذه قاعدة ثابتة وأساسية: الحلال الطيب هو المناسب، هو الآمن للإنسان، هو الأصلح للإنسان، والحرام الخبيث هو الضار، المؤثر سلباً على الإنسان وعلى حياته.

ولذلك نقول أنَّ في الإسلام في تعاليمه، في توجيهاته، في برنامجه للحياة، ما يساعد الأمة الإسلامية أن تكون أرقى الأمم على المستوى الصحي، وللأسف الشديد هناك مشكلة كبيرة في هذا الجانب في عالمنا الإسلامي، هي ناجمة عن عدم الاستيعاب للتعليمات الإلهية كما ينبغي، وللتوجيهات من الله ﷻ كما **يجب**، وأيضاً ضعف في مستوى الالتزام بها، ولهذا آثار سلبية.

اللحوم المستوردة وآثارها السيئة

هناك من الأشياء السلبية أيضاً علينا كمسلمين، ويجب الالتفات إليها والانتباه منها: اللحوم المستوردة، يأتي التجار بلحوم مستوردة من عدة بلدان أجنبية، ويأتون بها إلى عالمنا الإسلامي، وهناك عدة مشاكل تتعلق بهذه اللحوم المستوردة، مشاكل أولاً في مصدرها، هل هي من بلدان إسلامية، أو من بلدان غير إسلامية؟ إذا كانت من بلدان غير إسلامية قد تكون إما لحيوانات محرمة، محرمة فيجتمع الإثم والضرر من استخدامها ومن تناولها، قد تكون أيضاً من الحيوانات غير المحرمة، **مثلاً** قد تكون من الأبقار، في أوروبا لديهم مزارع أبقار كثيرة، ولكنها ليست مذبوحة بالطريقة الإسلامية، ولا مذكاة إسلامياً، وهم يتعاملون بطريقة إما الخنق للحيوانات، تكون مخنوقة، في نهاية المطاف تكون من الميتة، عندما تكون من الميتة فهي محرمة، وحرم الله علينا الميتة وأكد في القرآن الكريم تحريم الميتة، **الميتة من الأنعام**: ميتة البقر، ميتة الغنم، ميتة الماعز، ميتة الضأن، **ميتة الطيور التي هي من الحلال**: الدجاج مثلاً، هذه الميتة لها مضارها المؤكدة أيضاً على المستوى الصحي، والمثبتة طبياً، وفي نفس الوقت حرمة التناول، ولها أيضاً آثار على نفسية الإنسان وعلى مشاعره،

التغذية المحرمة والتغذية غير السليمة تترك آثاراً سلبية على الإنسان في نفسيته، وفي صحته، حتى في مشاعره ووجدانه لها آثار مثبتةً، وهذا شيء طبيعي: أن يكون هناك تأثيرات لهذه الأمور على نفسية الإنسان، وهذا أمرٌ معلوم.

للأسف الشديد نظراً- أحياناً- لتوفر هذه اللحوم المستوردة ورخصها، يعتمد عليها في كثيرٍ من المطاعم، يعتمد البعض من الناس عليها في شرائها بدلاً من اللحوم المحلية، وهذه مشكلة، والمفترض أن يكون هناك رقابة من جانب الدولة، وعناية بهذا الجانب، إضافةً إلى وعيٍ عام لدى المستهلك، لدى الإنسان الذي يشتري، فيكون حذِراً حتى لا يأكل الميتة ويؤكِّل أسرته الميتة؛ **نظراً** للحرمة، وللضرر المؤكد في ذلك.

أهمية التغذية الصحية وتحريم المضارّ

أيضاً من الأشياء التي هي مأخوذة بعين الاعتبار في التشريع الإسلامي، وفي تعليمات الله سُبحانَهُ وَتَعالى، وتدخل ضمن دائرة التقوى، هي المضار، هناك تركيز كبير في التحذير من المضار في الإسلام، سواءً طريقة الاستخدام للحلال، من خلال الإسراف في الحلال مثلاً، بالطريقة التي تسبب الضرر للإنسان صحياً، أو تناول أشياء معينة بطريقة تكون ضارة، نأتي هنا مثلاً إلى أهمية التغذية الصحية السليمة، كيف تقدم هذه الأشياء التي أحلها الله لنا سليمةً من المضار، بدءاً من الزراعة، هناك الكثير مثلاً من الخضروات، البقوليات، الاحتياجات التي يستهلكها الناس، وتبدأ المشكلة من عند المزارع عندما يستخدم المكافحات والمبيدات الضارة **جدًّا**، التي تضر بالإنسان، التي تتحول إلى سموم فتاكة، تنال من صحة الناس عندما يتناولون تلك الخضروات، عندما يأكلون من تلك المنتجات، فينالهم الضرر في صحتهم، بعض المكافحات وبعض المبيدات تتحول إلى سموم تدمر إما الكبد لدى الإنسان، إما تلحق به أضراراً صحية كبيرة في جهازه الهضمي... أو في أي حالٍ من الأحوال،

كم أنواع الأمراض التي يمكن أن تصيب الإنسان نتيجة تلك السموم.

استخدام مياه المجاري من جانب بعض المزارعين في المدن، أو القريبين من المدن، يلحق أضراراً كبيرة أيضاً، وينشأ عنه- كما يقال صحياً- أضرار كبيرة على المستوى الصحي للناس، ومثل هذه الممارسات **يجب** الامتناع عنها، والحذر منها؛ **لأنها** ممارسات ضارة؛ **وبالتالي** محرمة، أيضاً، الدولة تتحمل مسؤولية مع المجتمع في مكافحة مثل هذه التصرفات التي تُلحق الضرر بالناس وبصحتهم وبحياتهم.

الإفراط في تناول القات وأضراره المختلفة

من المشاكل التي هي مشاكل بارزة في بلدنا بالتحديد في اليمن هي مشكلة القات، والإفراط في تعاطيه، يدخل ضمن المضار هذه. الإفراط في تناول القات لا شك أنه يسبب الكثير من المضار على المستوى النفسي، وعلى المستوى الصحي، وللأسف الشديد، من يتاح لهم ويتوفر لهم الكثير من القات، ربما البعض من الفقراء يقتصد إجبارياً، لا يمتلك من النقود ما يخوله أن يحصل على الكثير من القات؛ **وبالتالي** هو يقتصد إجبارياً ويتناول القليل، **لكن من يتاح لهم: إمَّا** لأنهم من المزارعين الذين يمتلكون مزارع القات، أو من ميسوري الحال، ويعتادون الإفراط في تناول القات، يمضغ ويتناول كمية كبيرة، ويجلس لأوقات طويلة، وكثيرٌ من القات يكون أيضاً مما يستخدم له مكافحات ومبيدات فيها السموم الفتاكة والضارة بالإنسان، يؤثِّر هذا على صحة الإنسان، يأتي التأثير على المستوى النفسي والعصبي، ويأتي التأثير على المستوى الصحي في الجسم، بسبب الإفراط تحصل الكثير من الأمراض المعروفة والمشهورة لدى الناس، **وتأثيرات على المستوى الصحي في جوانب كثيرة:** الجهاز الهضمي يتأثر عند الإنسان، الحالة العصبية تتأثر عند الإنسان... أشياء كثيرة تتأثر عند الإنسان.

ولكن هناك أضرار أخرى تعود- أيضاً- إلى حالة التفكير والحالة الذهنية والنفسية لدى الإنسان، المشكلة أنَّ الكثير من ميسوري الحال ممن عادةً

إما لهم مواقع مهمة في المسؤولية، وإما لهم أدوار مهمة في الحياة، أدوار اجتماعية، أو أدوار سياسية، أو هم في موقع المسؤولية في الدولة، أو لديهم مسؤوليات عملية مهمة، حتى على المستوى العسكري، أو المستوى الأمني، أو المستوى الاجتماعي، وهؤلاء عندما يفرطون في تناول القات، ويتأثرون نفسياً وعلى المستوى الذهني وعلى المستوى العصبي، يأتي هذا التأثير السلبي إلى واقعهم العملي، حالة الضيق عادةً ما تكون ظاهرة عليهم، التوتر، الانفعال الشديد، عدم التحمل للأمور، عدم التحمل للمسؤولية، قراراتهم قد تتأثر بذلك، تصرفاتهم وتعاملاتهم قد تتأثر بتلك الحالة النفسية التي يعيشونها.

محترفو تخازين الليل.. النتائج السلبية الخطيرة

ويأتي مع ذلك مشكلة إضافية، وطبعاً في شهر رمضان الجميع أو الأكثر يسهرون، ويحيون ليالي شهر رمضان، هذه إيجابية، لكن فيما بعد شهر رمضان، مشكلة الذين يفرطون في تناول القات أنهم يعانون من السهر، إما يسهر ويجلس بشكل تلقائي ومقصود، ويجلس يتناول القات إلى آخر الليل، وإما أنه يتناول القات إلى وقت متأخر، ثم لا يستطيع النوم فيما بقي من ليله، يسهر، وعندما يكون الإنسان في موقع المسؤولية أمام الناس: إما مسؤولاً في الدولة، **أو هو مسؤول في عمل مهم:** عمل عسكري، عمل أمني، عمل اجتماعي، يؤثر هذا عليه سلباً، النهار إمَّا أنه نائم في وقت العمل، الوقت الذي يفترض به أن يكون مستيقظاً، وأن يتحرك في عمله؛ **لأن** الله جعل الليل سكناً، وجعل النهار مبصراً للعمل، لطلب المعيشة، للحركة في هذه الحياة، فيكون هو في وقت العمل نائماً، وفي وقت السكون والنوم والراحة مستيقظاً، فتصبح فاعليته ودوره العملي محدود، يضيع الكثير من الوقت المهم، من وقت العمل، والليل أكثر وقته يمضيه في تطانين، في وساوس، في هواجس، وإذا فكَّر عملياً يفكر بطريقة غير منطقية وغير واقعية؛ **لأنه** لم يعد إنساناً واقعياً إلى حدٍ كبير، فقد واقعيته؛ **لابتعاده** عن الواقع العملي، كل ما ابتعد الإنسان

عن الواقع العملي، يصبح إنساناً غير واقعيٍ في تفكيره، وفي فهمه، وفي نظرته.

إذا كان مسؤولاً في الدولة لا يداوم، يخل بالدوام، يخل بمتابعة معاملات الناس وأمور الناس في النهار في وقت العمل، في وقت حركة الناس في حياتهم، يقصر في مسؤوليته، يتحمل الوزر في ذلك، يأثم، يكون أداؤه العملي مختلاً وناقصاً، منقصةٌ فيه، في التزامه، في إحساسه بالمسؤولية، في إيثاره لرغباته وشهوات نفسه على حساب مسؤولياته وأعماله المهمة في الحياة، إذا كان مسؤولاً في عملٍ آخر: على المستوى الاجتماعي، على المستوى الأمني، على المستوى العسكري... يخل، يأتي نقص كبير في أعماله، خلل كبير في أعماله، تأثير سلبي في أعماله، وهذه مشكلة كبيرة **جدًّا**، في نهاية المطاف تطال الإنسان في إيمانه وفي تقواه، يقصر تقصيراً مخلاً بالتقوى، لا يتقي الله سُبحانه وتعالى في مسؤولياته كما ينبغي.

قد لا يكون في موقع من مواقع المسؤولية، ولكن على مستوى واقعه مع أسرته، فهو إما يجلس طول النهار إلى الظهر نائماً، لا ينفع أسرته بشيء، ولا يفيدهم بشيء، تسوء أخلاقه معهم، البعض عندما يوقظونه حتى للصلاة يغضب، ولا يستطيع أن يستيقظ لصلاة الفجر؛ **لأنه** لم ينم إلا ما قبل الفجر، أو في وقتٍ متأخرٍ من الليل، ويبقى نائماً إلى وقتٍ متأخر، يتحول إلى إنسان ليس له جدوى، ليس له قيمة في هذه الحياة، ليس له دور في هذه الحياة، لا ينفع أسرته، لا ينفع مجتمعه، وإذا قام بدور؛ **فهو** دور محدود، وأعمال بسيطة، تتحول أعمال هذا الصنف من الناس إلى أعمال محدودة، جزءٌ منها أثناء وقت تخزينة القات في آخر النهار، وجزءٌ منها في الليل، ومثل هذه الأعمال تؤدى بشكل هامشي، يتحول العمل والمسؤولية إلى هامش في الحياة، ويتغير برنامج الحياة بالشكل الذي يلائم شهوةً من شهوات النفس، ورغبة من رغباتها، وهذه حالة سلبية **جدًّا**، الإنسان إذا تحول على هذا النحو، وإذا أصبح بهذا الشكل يفقد توازنه في هذه الحياة، يفقد وضعه

١٠

الطبيعي في مسيرة حياته: في أعماله، في اهتماماته، في علاقته مع أسرته.

بعض الآباء في المنزل تتغير طباعهم، مثلاً: يتواجد في الأوقات التي هو إما مخزن، أو بعد تأثير القات، [ضابح] على حسب التعبير المحلي، ضاجر، منفعل، مستاء، منهمك في التفكير والوساوس، منشغل نفسياً وذهنياً بهمومه التي تكبر أكثر فأكثر بعد القات، ثم يؤثِّر هذا عليه سلباً في تعامله مع أطفاله، مع أسرته، لا يتحملهم، لا يتحمل الحديث معهم، وهكذا يكون متغيِّراً في سلوكياته وفي معاملاته.

دعوة للمفْرِطين.. من ناصح أمين

أنا أدعو كل الذين يفرطون في تناول القات إلى أن يتقوا الله، أن يتركوا الإفراط، أن يقتصدوا، سواءً على مستوى الوقت، أو على مستوى الاستهلاك، وأناشد كل الذين هم في مواقع المسؤولية أن يتقوا الله أكثر؛ **لأن** المسؤولية عليهم أكثر، المسؤولين في الدولة، الذين هم معنيون عسكرياً، معنيون أمنياً، معنيون اجتماعياً، وأنصح كل الناس الذين يتناولون القات إلى أن يقتصدوا، **أمَّا** الذين لا يخزنون أصلاً لا يتناولون القات فهم في نعمة أصلاً، فليحذروا، الذين لا يتناولون القات فليحذروا حتى لا يتناولوه ولا يعتادوه، وليحذروا من تناوله؛ **لأنهم** في نعمة كبيرة **جدًّا**، لا يزالون أناساً طبيعيين **جدًّا** في حياتهم، في نفسياتهم، في سلوكياتهم، في نمط حياتهم، ينام الليل، يتحرك في النهار، في وضعية طبيعية في أكله، في شربه، في سلوكه، فهذه مسألة ننبه عليها؛ **لأن** لها علاقة أيضاً بالإسراف، لها علاقة بتناول المضرات، والإفراط فيما هو مضر، وهذا ما لا يجوز شرعاً، أنا أقول للذين يتضررون وأصبح واضحاً تضررهم في صحتهم وأنفسهم، **وفي الإخلال بمسؤولياتهم:** لا يجوز لكم الإفراط، يجب عليكم أن تقتصدوا، **يجب** شرعاً عليكم أن تقتصدوا، يمثل الإخلال بهذا الجانب إخلالاً بالمسؤولية، ومضرة بصحة الإنسان وبنفسه، ولغير ضرورة، ليس من الضروري أن يجلس الإنسان يتناول كميات هائلة من القات ولأوقات طويلة **جدًّا**، هذا مضر.

النظافة وموقعها في دين الإسلام

نأتي إلى محطة من المحطات المهمة ذات العلاقة بالجانب الصحي في الإسلام، وهي النظافة، وما أدراك ما النظافة، النظافة مهمة **جدًّا** في الإسلام، والمسلمون اليوم من أكثر الناس تقصيراً في النظافة بين شعوب وأمم الأرض، وهذا مؤسف للغاية، حتى أصبح طابع انعدام النظافة طابعاً عاماً في الساحة الإسلامية لدى المسلمين، ومظهراً من مظاهر تخلفهم، وهذا مؤسف **جدًّا**، يفترض بنا أن نكون أرقى الأمم، أطهر الأمم، أكثر الأمم نظافة، في الإسلام برنامج طويل للنظافة.

١٠

طهارة ونظافة البدن

نأتي إلى الإنسان في نفسه، الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى **فرض الطهارة من الجنابة**، فرض الوضوء للصلاة، هذا جزءٌ من النظافة التي نتنظف بها يومياً؛ **لأنك** مع الصلوات تتوضأ للصلوات، وهذا يساعدك على النظافة، وعندما شرع الله الطهارة، وفرض علينا الطهارة من الجنابة، والطهارة للصلاة، قال -جلَّ شأنه- في القرآن الكريم في آيةٍ مهمةٍ **جدًّا**: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]، في القرآن الكريم يقول: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٢]، فنلحظ حثاً كبيراً على الطهارة.

الطهارة جزء من التزاماتنا الدينية في الإسلام: الطهارة من الجنابة، الطهارة للصلاة... **هناك في قائمة الآداب والمستحبات:** مناسبات على الإنسان أن يغتسل فيها، عليه من باب الآداب الإسلامية، مما فيه الأجر والثواب، وعليه الحث، وفيه الترغيب الكبير، **مثل:** اغتسال يوم الجمعة، الاغتسال في يوم العيدين... اغتسال في مناسبات معينة، وبعد الأعمال الأخرى التي يتسخ فيها الإنسان، ولو لم يتنجس، حتى على مستوى الاتساخ، فيستحب له أن يغتسل، وأن يتنظف، وأن يكون نظيفاً.

١- المائدة: من الآية ٦

٢- التوبة: من الآية ١٠٨

الطهـارة مـن النجاسـات، وهـذه إلزاميـة، وهـي أيضـاً تدخـل في إطـار النظافـة، تنظـف الإنسـان مـما هـي قـذارات، مما هي أدران، مـما هـي نجاسـات.

يـأتي أيضـاً برنامـج طويـل فيـما يتعلـق بالإنسـان، نظافـة الجسـم بشـكل عـام بالاغتسـال، نظافـة الأسـنان، في الإسـلام حـث عـلى تنظيـف الأسـنان، حـث عـلى السـواك، حـث عـلى تنظيـف الأسـنان مـا قبـل الوضـوء، في أوقـات متنوعـة متعـددة، في ظـروف معينـة، حـثٌّ عـلى هـذا الجانـب، ولـه أهميتـه الصحيـة، إضافـة إلى أهميتـه الحضاريـة. تنظيـف شـعر الإنسـان، مثـلاً مواضـع مـن الجسـم يُذِهـب الإنسـان الشـعر منهـا بالكامـل، ويتنظـف مـن الشـعر، أمـا عـلى مسـتوى شـعر الـرأس يقـص أو يحلـق، فيـما يتعلـق باللحيـة يقـص في مسـتوى معـين، إحفـاء الشـارب أيضـاً؛ تقصيره مـن أطرافـه.

هنـاك برنامـج كبـير أيضـاً يتعلـق بقـص الأظافـر، بالغسـل لليديـن قبـل الطعـام، وبعـد الطعـام.. برنامـج واسـع لتنظيـف الإنسـان: تنظيـف جسـده؛ **لأن** اللـه يريـد للإنسـان طهـارة الـروح، طهـارة القلـب، طهـارة المشـاعر وطهـارة الجسـد، ونظافـة الجسـد، لا يريـد للإنسـان أن يكـون متسـخاً، خلـق اللـه المـاء وأنزلـه مـاءً طهـوراً، جعـل فيـه خاصيـة التنظيـف والتطهـير للإنسـان، وخلـق أشـياء كثـيرة ذات خاصيـة منظفـة ومطهـرة يسـتخدمها الإنسـان لشـعره، مثـل: السـدر، الشـامبوهات... أشـياء كثـيرة. وهكـذا هـو برنامـج طويـل ضمـن قائمـة الآداب لتنظيـف جسـد الإنسـان، كـما يريـد اللـه منـه أن ينظـف مشـاعره ووجدانـه مـن المشـاعر الخبيثـة، وأن يعـزز كل معـاني الخـير في نفسـه.

طهارة ونظافة الملابس

في الملبس، ملبس الإنسان من أعجب ما في القرآن الكريم أنَّ الله- جلَّ شأنه- عندما خاطب رسول الله ﷺ قال له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[1]، أتى موقع الطهارة للثياب، ويدخل بشكلٍ أوّلي: المعنى المعروف للثياب، غير المعنى المجازي، بشكلٍ أولي المعنى المعروف والحقيقي للثياب الملابس، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، الموقع الذي لطهارة الثياب في الآية؛ **موقع** يفيد أهمية طهارة ما يلبسه الإنسان، مع طهارة الجسم، طهارة ما يلبس، هذه مسألة مهمة **جدًّا**، طهارتها من النجاسات، وأيضاً في الإسلام حث على نظافة الملابس من الدرن، ونظافة الملابس من الأوساخ، وكان رسول الله ﷺ يربي المسلمين في زمنه وعصره على النظافة، ويحثهم على النظافة: نظافة الملابس، ونظافة الجسم، ونظافة الأسنان، قال مرةً لبعض أصحابه: **(مالي أراكم قُلحاً)** ينتقد عليهم عندما رأى أسنانهم مصفرة من الوسخ لا ينظفونها، كان عندما يعود من غزواته وقبل أن يدخل المدينة يأمرهم بالاغتسال وتطهير الثياب، وأن يدخلوا إلى المدينة نظيفين، وليس عليهم وعثاء السفر.

فالعناية بنظافة وطهارة الملابس كذلك أمرٌ مطلوب، وصحي في نفس الوقت، له أهمية على المستوى الصحي، نظافة الجسم لها أهمية صحية، نظافة الملابس لها أهمية وفائدة صحية.

نظافة الطعام والشراب

نظافة الطعام ونظافة الشراب، بدءاً من نظافة المطبخ، وأثناء عملية التحضير للطعام، ونظافة الأواني، وغسلها ما بعد الطعام، وألَّا تكون ملوثة، هذه مسألة صحية، ومسألة مهمة ضمن التعليمات الإسلامية في الطهارة وفي النظافة، وهنا نلفت النظر إلى أهمية- أيضاً- نظافة المطاعم، ونظافة المقاهي، ونظافة

١٠

١- المدثر: ١-٥

اللوكندات، والأماكن التي يقدم فيها الطعام أو الشراب للناس، **ويجب** أن يكون هناك رقابة حكومية، وأن يستشعر من لهم حركة تجارية في مثل هذه الأمور أن يستشعروا رقابة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم، تتحول بعض المطاعم إلى مصدر للأوبئة والأمراض؛ لانعدام النظافة في مطابخها، في عملية التحضير للطعام، في نظافة العاملين.

كذلك في المنازل من المهم جدًّا نظافة المطابخ، ونظافة المرأة التي تطبخ، عليها أن تحرص هي أن تكون نظيفة، أن تطهر يديها أيضاً بالمطهرات قبل تحضير وجبة الطعام، أن تكون الأواني أيضاً نظيفة وطاهرة، هذا مهم **جدًّا** للسلامة والصحة، ويدخل ضمن آداب وتعليمات الإسلام في النظافة.

نظافة الأسواق والأفنية والساحات

الأسواق من المهم أن يسعى الناس إلى أن تكون الأسواق نظيفة؛ لأن حالة انعدام النظافة يترتب عليها التلوث البيئي، ويترتب عليه أيضاً انتشار الأوبئة، انتشار الجراثيم، والله أعلم- قد تكون الكثير من الجراثيم عقوبات، إذا انعدمت حالة النظافة تنشأ مثل هذه الجراثيم، وقد تأتي- أيضاً- عقوبات على أشياء أخرى وأعمال أخرى، ولكن عقوبات في هذا الجانب نفسه أيضاً.

هذه من الأشياء التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، ولو التزم المسلمون بتعليمات الإسلام لكانوا أرقى أمة وأنظف أمة، نأتي أيضاً إلى جانب تنظيف الأفنية والساحات، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ كان يأمر المسلمين بتنظيف الأفنية والساحات، والشوارع، وعند منازلهم، هذه مسألة مهمة **جدًّا**، وكان يقول لهم: **(لا تكونوا كيهود)**، كانت الأحياء اليهودية معروفٌ عنها عدم النظافة والروائح المنتنة والكريهة، والاتساخ والقمامات، وهذا كان مظهراً بشعاً وملوثاً، كان يقول: **(لا تكونوا كيهود)**، اليوم- للأسف الشديد- قد يكون بعض المسلمين أكثر سوءاً من ذلك في هذا الجانب.

من المهم جدًّا أن نحرص على النظافة كوعي عام وثقافة عامة، لو بذلت البلديات من جهود- ما بذلت- وليس هناك وعي عام، يتعامل الناس مع القمامة بطريقة غير صحيحة، يطرحون القمامة في قارعة الطريق، مع أن من الإيمان إماطة الأذى من الطريق، تنظيف الطريق، تنظيف الشارع، لا تضع في طريق الناس قماماتك، وقمامات منزلك، وقمامات مطبخك، أنت تلوث البيئة، تلوث، تؤثر على الصحة العامة، وأنت- أيضاً- تترك عراقيل على الناس في حركتهم في الحياة.

ولذلك تعامل الناس مع القمامة يجب أن يكون حضارياً، وأن يكون وفق تعليمات الإسلام، التي تركز على النظافة والطهارة، ولا تقبل بمثل هذه المعاملات السلبية، يضع الإنسان بشكل عشوائي، يجمع قمامته بشكل عشوائي، يضعها بشكل عشوائي في أي مكان.

قيمة التغذية الصحية والرياضة البدنية

فإذاً هذه كلها تدخل في إطار التعليمات الإسلامية التي تلحظ الجانب الصحي للإنسان، وتساعد على الصحة العامة للناس، إضافةً إلى الوعي بالتغذية الصحية، التغذية الإيجابية، الله سبحانه وتعالى خلق فيما أحله لنا كل العناصر اللازمة التي تقوي جهاز المناعة لدى الإنسان، والتي تمد الجسم باحتياجاته من العناصر، وتساعده على الصحة، والتي أيضاً لها إيجابية كبيرة في قوة الإنسان وحيويته، وتمكنه من القيام بأعماله بنشاط، بمسؤولياته الدينية، ومسؤولياته في هذه الحياة، بنشاط، وبصحة، وبطاقة، وبقوة.

من الأشياء المهمة في هذا الجانب للذين ليس لهم أعمال بدنية أن يحرصوا أيضاً على النشاط الرياضي: الحركة، التمارين، البعض مثلاً من الناس في موقع المسؤولية يجلسون في أعمال إدارية ومكتبية، أكثر وقته يكون جالساً يقرأ تقارير، يطلع، يتصل، يعقد مقابلات... وهو جالس، أكثر الوقت وهو جالس، وتقل حركته في هذه الحياة، قلة الحركة تؤثر على النشاط في الإنسان، وعلى

الصحة في الإنسان، وتنشأ أمراض كثيرة: في العمود الفقري، في الجهاز الهضمي، في مشكلة السمنة والبدانة... مشاكل صحية كثيرة، هنا لا بد أن يحرص الإنسان على أن يكون نشيطاً، وأن يكون عملياً، هكذا صمم الله جسم الإنسان.

الحرب البيولوجية.. خطرها وطرق انتشارها

في ختام هذه المواضيع نشير أيضاً إلى الحرب البيولوجية، ما هي الحرب البيولوجية؟ الحرب البيولوجية هي الاستغلال للجراثيم، والجراثيم: كائنات مخلوقة صغيرة **جدًّا**، ضارة، وفتاكة، وتختلف أنواعها، وأضرارها تتنوع، والفيروسات **كذلك:** كائنات دقيقة صغيرة **جدًّا**، لها أضرار معينة، تعمل بعض الدول، بعض القوى التي ليس عندها ضوابط أخلاقية وإنسانية وشرعية ودينية، وتحرص على أن تمتلك كل وسائل الإضرار بالآخرين مهما كانت، بدون أي ضوابط ولا قيود، تعمل على استغلال هذه الجراثيم وهذه الفيروسات عن طريق معامل ومختبرات تهيئ فيها الظروف الملائمة لتكاثرها، يعني بحسب تعبيرنا المحلي (مزارع)، مثل ما هناك مزارع دجاج، مزارع أبقار، مزارع أغنام، مزارع جراثيم، مزارع فيروسات، يؤمّنون في المختبرات والمعامل هذه الظروف الملائمة لتكاثر هذه الفيروسات وهذه الجراثيم.

ثم هناك طرق لنقلها، ووسائل لنقلها ونشرها، وقد ينشرونها في مكان معين، أو منطقة معينة... لاستهداف إنسان معين في إيصالها إلى واقعه، إلى بيئته، إلى محيطه، إلى ملبسه، إلى مأكله، إلى مشربه... هذا هو التعريف لهذه المسألة.

تنتشر مثل هذه الفيروسات والجراثيم، وقد تنال الكثير من الناس، ويتضررون بالأضرار التي عادةً تحدث من تلك الجراثيم ومن تلك الفيروسات، فتحدث أوبئة معينة تنال من صحة الإنسان بحسب تنوعها، منها ما يضر بالجهاز التنفسي... أكثرها تضر بالجهاز التنفسي، وأكثرها أيضاً لها مضار متنوعة معروفة عند ذوي الاختصاص. **وقد يسلط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في حالةٍ معينة على البعض من**

الناس، على البعض من المجتمعات مثل هذه الفيروسات ومثل هذه الجراثيم.

الطريق الصحيح للوقاية من الأوبئة

ولكننا نقول: الطريق الصحيح للوقاية من هذه المخاطر هي أولاً بالعودة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والدعاء، والتضرع، والالتجاء إلى الله. ثانياً بالتوبة العملية، العناية بأن نعود عملياً إلى الله، بالالتزام بمنهجه، بطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بتطبيق توجيهاته وتعليماته، وتوجيهاتُه وتعليماته تأتي إلى تفاصيل هذه الحياة بما يحقق الوقاية من الكثير من الأوبئة، والكثير من الأمراض، والكثير من الأضرار، وتؤمِّن لنا السلامة إلى حدٍ كبير، والصحة إلى حدٍ كبير، والحياة الطيبة في كل مفاهيمها، وفي كل تطبيقاتها ومصاديقها إلى حدٍ كبير، ويدفع الله عنا برحمته الكثير والكثير، وهذه مسألة هامة. **أيضاً الحذر والوعي تجاه الوسائل التي يمكن أن تستخدم.** ١٠

هنا نأتي إلى ما يتعلق بالفيروس المستجد، المسمى بـ(كورونا)، هناك- كما قلنا- هذه الأمور المهمة: الالتجاء إلى الله، ونحن في شهر كريم، الدعاء، التضرع، وفي نفس الوقت الالتجاء العملي يتجه الناس عملياً للالتزام بتعليمات الله وتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في مسؤولياتهم الكبيرة، في قضاياهم الكبيرة والصغيرة، في أمور حياتهم التفصيلية، وإضافةً إلى ذلك أخذ الحيطة والحذر تجاه الكثير **من الأشياء التي تساهم في انتشار هذا الفيروس:** التخفيف من الازدحام في كثيرٍ من الأماكن، العناية بالإجراءات الصحية التي ترشد إليها الجهات المختصة، وبالذات ممن لهم احتكاك كبير بالناس، التعاون في مسألة ضبط عملية الدخول والخروج إلى البلد والتنقل، كل الإجراءات التي تركز عليها الجهات المختصة مما لها أهمية في مكافحة هذا الفيروس.

أسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يمنحكم الصحة والعافية، ونسأل الله ﷻ أن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

من وحي سورة العصر (١)

معيار الربح والخسارة

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ وَرَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

في هذه المحاضرة نتحدث على ضوء سورةٍ من السور القرآنية المباركة، من المُفَصَّل،[١] مما يعرف بحسب التسميات والاصطلاحات بقصار السور، وهذه السورة المباركة فيها معيارٌ مهمٌ وأساسيٌ للربح

١- **المُفَصَّل:** هو لفظ يطلق على السور بَدْءًا من سورة ق إلى آخر المصحف. وقيل: إن أوله سورة الحجرات والمفصل ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار. طواله من أول الحجرات إلى سورة البروج. أوساطه من سورة الطارق إلى سورة البينة.

والخسارة، وهي مقياسٌ للإنسان نفسه؛ **ليعرف** هل هو رابح أم خاسر؟

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، هذه السورة المباركة تقدِّم وباختصار ومقاربة للإنسان المقياس ليعرف مبكِّراً هنا في الدنيا، وهو في حالةٍ لديه الفرصة الكافية لتلافي خسارته، وللسعي لتحقيق الربح والفوز، تقدِّم المقياس الذي يفيدك، ويساعدك على تقييم وضعك بشكلٍ صحيح، وهذه من رحمة الله ﷻ.

تبتدئ السورة المباركة- ما بعد البسملة- بقسم، والمقسِم هو الله ﷻ، وهذا يلفت نظرنا إلى أهمية هذا الموضوع الذي يقسِم الله ﷻ عليه، هذه حقائق مهمة **جدًّا،** مهمة للغاية، عندما يكون الله -جلَّ شأنه- بعظمته وكبريائه وقدسيته وقوله الحق، ثم يقسم لنا على موضوع معين، فهذا يلفت نظرنا إلى أهمية ذلك الموضوع، وأحياناً إلى الخطورة الرهيبة **جدًّا** للموضوع، فالله ﷻ بهذا القسم وهو يقسم في القرآن الكريم بآياته، بما هو من آياته الدالة عليه، والتي تحمل أيضاً الدلائل الكافية على أهمية الموضوع المقسَم عليه.

أمَّا المقسَم عليه فما هو؟ المقسَم عليه هو: الخسارة الحتمية للإنسان، يعني: لك أنت، الخسارة الحتمية لك أنت، لاحظ الله ﷻ يقسم لك أنك ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾، وأنَّ خسارتك حتمية، وأنك بت أصلاً في هذه الخسارة التي مبتداها في الدنيا، ومنتهاها الرهيب **جدًّا** في الآخرة، هذا أمرٌ يُفترض أن يكون مزعجاً للإنسان، وأن يُلفت نظره بجدية إلى الموضوع باهتمامٍ كبير.

الخسارة في مفهومها الشامل والواسع

لاحظوا، في واقع حياة الناس كم تكون للخسائر الجزئية في مختلف أمورهم، وفي مختلف شؤونهم، من تأثير سلبي على الإنسان في نفسه، في حياته، كم تمثِّل إزعاجاً له إلى حدٍ كبير، التاجر الذي يخسر صفقته، أو يخسر حتى ماله، رأس المال والربح- مثلاً- كيف سيكون ندمه، حزنه، امتعاضه، ألمه، البعض يصاب بجلطة، البعض يصاب بالجنون على صدمة في هذه الحياة يخسر فيها شيئاً عزيزاً عليه، يخسر قريبه، أو يخسر ماله، أو يخسر شيئاً مهماً لديه، أو يخسر منصبه، أو يخسر وظيفته... الخسارة في واقع الحياة يعيشها الإنسان تجربةً واقعية، ويتفاعل معها، ويتأثر بها إلى حدٍ كبير، لكل إنسان تجربته في هذه الحياة، أن يخسر أشياء معينة عزيزةً عليه، أو مهمةً له، فيشعر بالحزن والأسى والندم، وكل ما كبرت الخسارة؛ **كان** الندم أكبر، وكانت الحسرة أكبر، وكان الحزن أشد، **يعني:** هناك فرق- مثلاً- بين أن تخسر الربح فقط الزائد، وبين أن تخسر أيضاً رأس المال بكله، بين أن تخسر شيئاً محدوداً، أو أن تخسر- أحياناً مثلاً- منزلك ومالك، أو كل ممتلكاتك... كل ما عز الشيء عليك، وكل ما كان مهماً لديك؛ **كلما** كانت الحسرة والندامة والألم أشد.

وطبعاً نعرف جميعاً أنَّ للخسارة أسباباً، وللربح أسباباً، وهذا ما يحصل هنا أيضاً، هذه الخسارة الحتمية التي يقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليها بالنسبة للإنسان هي خسارة رهيبة **جدًّا**، هي الخسارة الحقيقية، هي الخسارة الكبرى، تبدأ من هنا، حيث تكون أنت في حياتك هذه في حالةٍ من الخسارة الرهيبة، لماذا؟ قد تكون في هذه الحياة تخسر جهدك، تخسر شبابك، تخسر عملك، تخسر سعيك، جهدك هذا الذي تبذله في هذه الحياة؛ **لأنك** في نهاية المطاف إنما تكسب منه الوزر، مقياس الخسارة هذه التي نتحدث عنها، وهو مقياس لأي خسارة في الدنيا، هي تقاس بما يفوت الإنسان، وبما يقع فيه.

الخسارة الحتمية الرهيبة!

ففي هذه الخسارة التي تتحدث عنها السورة المباركة ما يفوتك في هذه الخسارة هو أمرٌ عظيمٌ **جدًّا**، يفوتك ما وعد الله به ﷻ عباده المؤمنين المفلحين في الدنيا، يفوتك الحياة الطيبة، يفوتك العزة الحقيقية والكرامة الحقيقية، تفوتك الرعاية الإلهية الخاصة بعباد الله المؤمنين، يفوتك ما يتحقق من مكاسب لعباد الله المؤمنين المفلحين على مستوى إنسانيتهم وواقعهم النفسي والحياتي، وتفوتك الجنة، تفوتك الجنة بكل ما فيها، يفوتك رضوان الله ﷻ، وتفوتك الجنة ذلك النعيم العظيم الأبدي، الجنة بكل ما فيها من تفاصيل من النعيم العظيم، حياة سعيدة للأبد؛ **ما في** الجنة من نعيم مادي بكل أنواعه، على مستوى الإنسان في نفسه، يعيش سليماً، معافاً، صحيحاً، لا يهرم، ولا يحزن، ولا يضجر، ولا يموت، ولا يغتم، ولا يصاب بأي أمراض، وعلى مستوى ما يتحقق له من رفاهية في المعيشة في الجنة، من قصورها، من بساتينها، من فواكهها، من ثمارها، من الطعام، من الشراب، العيش في ذلك العالم الذي كله عالمٌ عجيب، وحياة عجيبة **جدًّا** وسعيدة للغاية، الجنة عالم ليس مليئاً بالصحاري. كله أشجار، وكله بساتين، وكله جنان، والأنهار تجري فيها، النعيم العجيب الواسع **جدًّا في كل أصنافه:** من الملابس... من كل وسائل المعيشة والحياة والرفاهية، كل ذلك يفوتك، ليس يفوتك فحسب، بل وتقع- في نفس الوقت- في خسارةٍ رهيبة، في شقاءٍ أبدي، في عذابٍ دائم، تخسر نفسك، تخسر أهلك، تخسر كل شيء، تعيش معذَّباً في كل شيء، طعامك عذاب، شرابك عذاب، ملابسك عذاب، كل لحظات حياتك تلك الدائمة الأبدية كلها عذاب.

فإذا قسنا هذه الخسارة بما يفوت، وهو من الدنيا إلى الآخرة رعاية من الله، ورضا الله ﷻ، وما وعد الله به، ثم الجنة، وما يحصل للإنسان في هذه الدنيا وهو يعيش معرَّضاً لعقوبات الله ﷻ في هذه الحياة بأشكال

كثيرة، وفي الآخرة النار- والعياذ بالله- في ذلك الشقاء، وذلك العذاب، وذلك الخسران، وذلك الكرب، وذلك الغم، وذلك الضيق، وذلك الضجر، وذلك التعب، وذلك النصب، وذلك الألم الذي لا نهاية له، أمر رهيب **جدًّا**، وخسارة هائلة للغاية، شيءٌ بسيط- كما ذكرنا في بداية الحديث- يجعل الإنسان يتحسر، ويألم، ويحزن، ويغتم، والبعض حتى يصاب بجلطة، فهذه الخسارة رهيبة **جدًّا**، وهي مؤكدة، وهي لكل إنسانٍ، ما عدا من يدخل في هذا الاستثناء الذي هو استثناء حصري، ولأن المسألة عامة؛ **جاءت** المعادلة الأساس هي الخسارة في واقع الإنسان ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، وأتت مسألة النجاة من هذه الخسارة هي الحالة الاستثنائية، وهذا أمر مخيف ورهيب؛ **لأنه** يعني أنَّ أكثر الناس سيخسرون هذه الخسارة الهائلة التي تقاس- كما قلنا- بحجم ما يفوت، وبحجم ما يتورَّط فيه الإنسان ويقع فيه الإنسان.

١١

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، هذا الاستثناء- كما قلنا- يفيد أنَّ أكثر الناس هم من الخاسرين، هذه الخسارة الرهيبة **جدًّا** المؤكدة الحتمية التي أقسم الله عليها، قد تكون أنت واحداً منهم، قد تكون أنت بغفلتك، وعدم التفاتك إلى هذا المقياس، وعدم تحققك من أنَّ هذا المقياس وهذا المعيار يتوفر في واقعك أنت، فقد تكون من هؤلاء الخاسرين، قد تكون أنت هذا الإنسان الخاسر.

الطريق الحصري للنجاة من الخسارة العظمى

عندما نتأمل في هذا الاستثناء القرآني، فهو يؤكِّد لنا أنه لا نجاة من هذه الخسارة، إلَّا وفق هذه الطريقة التي رسمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو استثناءٌ حصريٌّ، **يعني:** يحصر لنا هذه الطريق للنجاة من هذه الخسارة الحتمية، **يعني:** ليس هناك أي طريق آخر، **ومجموع هذه العناصر المهمة والأساسية للنجاة:** الإيمان، العمل الصالح، التواصي بالحق، التواصي بالصبر، متلازمة، هذه العناصر

الأربعـة هـي متلازمـة، مجموعها وبكلها ومـن دون أي تجزئـة ولا تفريـق لا بـدَّ منـه لـكي تنجـو مـن هـذه الخسـارة، لـو أراد الإنسـان أن يجـزئ، **ويقـول:** [أنـا لا أريـد مجمـوع هـذه العنـاصر الأربعـة؛ **وإنمـا** سـأكتفي بواحـدٍ منها]. فهـو لا يسـتطيع، لا يمكـن ذلـك، لا يتـأتى ذلـك، لا يتحقـق ذلـك، لا بـدَّ مـن المجمـوع وهـي مترابطـة، هـي فيـما بينهـا مترابطـة، فهـذا الاسـتثناء الحـصري يؤكـد لنـا أنَّ علينـا أن نتجـه هـذا الاتجـاه، وفـق هـذه الطريقـة، وألَّا نمنـي أنفسـنا بأشـياء أخـرى، أو آمـال أخـرى، أو أمـاني أخـرى للنجـاة مـن هـذه الخسـارة الرهيبـة.

ولاحظـوا هـذا أمـر رهيـب وأمـر مخيـف: موضـوع الخسـارة الحتميـة للإنسـان، اللـه سبحانه وتعالى هـو ربنـا الرحيـم العظيـم الكريـم، وهـو يريـد للإنسـان النجـاة، والفـوز، والفـلاح، والخـير، وهـو يريـد للإنسـان السـعادة، ويدعـو الإنسـان إلى مـا يحقـق لـه ذلـك؛ **لأن** الإنسـان في هـذه الحيـاة في موقـع المسـؤولية والاختبـار عليـه التزامـات عمليـة، وأمورهـا كلهـا ترتبـط بأعـمال يفعلهـا، بمواقـف، بطريـق يتحـرك فيهـا، جانـب عمـلي. فاللـه يريـد لنـا الخـير، وينعـم علينـا بالنعـم العظيمـة، ويخوِّلنـا مـا يسـاعدنا عـلى تحقيـق هـذه النتائـج الكبـيرة، بـل إنـه سبحانه وتعالى يدخـل معنـا في صفقـات عظيمـة **جـدًّا**، يقـول لنـا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١]، هـو يقـدِّم عروضـاً مغريـةً **جـدًّا**، ومربحـةً **جـدًّا**، ويترتـب عليهـا النتائـج العظيمـة **جـدًّا**، تحقـق لنـا الخـير في الدنيـا والآخـرة، يتحقـق لنـا بهـا النتائـج والأربـاح والمكاسـب العظيمـة والمهمـة، المهمـة لنـا في حياتنـا، المهمـة بـكل اعتبـار، يعدنـا بالنـصر، يعدنـا بالعـزة، يعدنـا بالكرامـة، إن اسـتجبنا لـه إلى مـا أرشـدنا إليـه بمـا يحقـق لنـا هـذه الأشـياء، وهـذه أشـياء نحتاجهـا في هـذه الحيـاة لـكي نكـون أعـزاء؛ **حتـى** لا نُظلـم، حتـى لا نُقهـر، حتـى لا نُـذل، حتـى لا نُسـتعبد، حتـى لا نُضطهـد، يعدنـا -جـلَّ شـأنه- بمـا يحقـق لنـا في هـذه الحيـاة الخـير، والسـعادة، والحيـاة الطيبـة، إن نحـن اسـتجبنا لـه؛ **لأنـه** يرشـدنا إلى أشـياء عمليـة، التزامـات

١- الصف: الآية ١٠

عملية، يرشدنا إلى ما نعمل، وينبهنا ويحذرنا مما ينبغي أن نتركه وأن نحذر منه، فهذه العروض من الله هي عروض للربح، للفوز، للفلاح، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، لما يقينا من كثيرٍ من الشرور، لما يدفع عنا الكثير من الأخطار، لما يحقق لنا الفوز العظيم الذي منتهاه رضا الله والجنة، فوزٌ عظيم بكل ما تعنيه الكلمة، حياة سعيدة للأبد، حياة يعيش فيها الإنسان في أرقى نعيم.

هذه العروض يقدمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن المشكلة تكون عند الإنسان عندما لا يقبل، لا يقبل وقد عرض عليه ما فيه فوزه، ما فيه فلاحه، تعرض عليه التجارة الرابحة المضمونة الربح، **عندما يقول:** ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾، الله -جلَّ شأنه- **يخاطبنا:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، مكاسبها عظيمة ومؤكدة وهائلة. **أولها:** النجاة من عذاب الله، ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[1].

لو يعرض على الإنسان في هذه الحياة عمل معين في مقابل أن يحصل على منزل، أن يحصل على بساتين ومزارع، أن يحصل على متطلبات حياته، أن يحصل على عروض مغرية، ماذا يفعل الكثير من الناس؟ يتجه في أي موقف باطل في مقابل شيء بسيط يحصل عليه، وقد يخسره، فهذه الخسارة الرهيبة **جدًّا** لا نجاة منها إلَّا بهذا الطريق، وفق هذه الطريق التي رسمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الإيمان بمفهومه القرآني

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، **الإيمان بمفهومه القرآني:** الإيمان الذي يبعث على العمل، الإيمان الذي فيه خوفٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تخاف من عذاب الله فوق كل شيء، تخشى الله فوق خشيتك من الناس، خوفٌ من عذاب الله يحركك

١- الصف: ١١-١٢

من كل مخاوفك الأخرى التي قد تقعدك عن العمل في سبيل الله، وعن العمل فيما هو طاعةٌ لله، التي قد تقعدك عن موقف الحق، خوف من عذاب الله يرتقي بك ويمثِّل دافعاً لك؛ **فيزيح** من أمامك كل تلك العوائق التي تتمثل في الخوف من **أشياء أخرى:** خوف من الناس، خوف على مصالح معينة من الناس، مخاوف مما بأيدي الناس، إيمانٌ فيه حبٌ لله ﷻ، حبٌ لله يصل في مستواه فوق محبتك لأي شيءٍ آخر، فتحب الله أكثر وأعظم وأكبر من محبتك لأي شيءٍ آخر في هذه الحياة، يحررك من ضغط ما تحبه؛ **حتى** لا تؤثره على طاعة الله ﷻ، على ما فيه رضى الله ﷻ، إيمانٌ ترجو فيه الله ﷻ رجاء، ترجو الله -جلَّ شأنه- ترغب فيما وعد به، تطمع فيما عنده من الخير والفضل، إيمانٌ تثق فيه بالله، إيمانٌ تبتني عليه الثقة بالله ﷻ، تثق به، تثق بهديه، تثق بكلامه، تثق بوعده، تثق بوعيده، إيمانٌ بالله، وإيمانٌ بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، هذا الإيمان الذي يبعثك على العمل، يدفعك إلى العمل، لا يمكن أن يكون هناك إيمانٌ صادقٌ، وإيمانٌ وفق المفهوم القرآني وهو إيمان يجمدك، يجعلك متخاذلاً مهملاً، لا تمتلك الدافع للعمل، متكاسلاً، أو في حالة تكون فيها مكبلاً عن كثير من الأعمال؛ **لأنك** تخاف الناس أكثر مما تخشى عذاب الله، أو لديك حسابات في هذه الحياة من منطلقات أخرى، بسبب محافظتك على ما تحب في مقابل أن تخسر رضى الله ومحبة الله ﷻ، أو في أطماعك وآمالك التي اتجهت بك بعيداً عمَّا عند الله من الخير العظيم، والفضل العظيم، والفضل الواسع.

وهكذا إذا كنت تعيش أزمة الثقة بالله ﷻ**:** الثقة بكلامه، الثقة بوعده، الثقة بوعيده، حالة رهيبة **جدًّا**، الإيمان الذي ليس بهذا المفهوم القرآني: لا يجدي شيئاً، الإيمان الذي هو موجود عند الكثير من الناس، وسيخسرون معه؛ **لأنه إيمان لم يترتب عليه ما ذكرناه من:** خشية من عذاب الله، من محبةٍ لله فوق كل شيء، تمثل دافعاً يرتقي بك؛ **فتتجاوز** كل تلك الأشياء التي تمثَّل

١١

عوائق أمامك في هذا الطريق، إيمانٌ- يعيشه الكثير- فيه أزمة الثقة بالله، أزمة الثقة بوعده، أزمة اليقين بوعيده، فهو لا يجدي، ولا ينجي من هذه الخسارة.

العمل الصالح وعناصره الأساسية

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، العمل الصالح لا بدَّ منه، نتيجة الإيمان الصادق والإيمان بمفهومه الصحيح هي: العمل الصالح، لا بدَّ من أن تمتلك من خلال الإيمان الدافع الكبير للعمل، والعمل الصالح بالتحديد. كيف يكون عملك صالحاً؟ عندما- أولاً- يتوافق مع ما شرعه الله ﷻ، يكون وفقاً لتوجيهات الله وتعليمات الله، فالعمل الذي فيه مخالفة لتوجيهات الله لا يعتبر عملاً صالحاً، يعتبر عملاً فاسداً، العمل أيضاً الذي تشوبه مخالفات لتوجيهات الله ﷻ، تحوله من عمل صالح إلى عمل فاسد، تفسد عملك الصالح، عندما تشوب العمل الصالح بظلم، أو بفساد، أو بخيانة، أو بخلل لا يتطابق مع ما شرعه الله ﷻ، في هذه الحالة لا ينطبق عليه بأنه عمل صالح، **العمل الصالح له ثلاثة عناصر أساسية:**

١١

١- موافقة ما شرعه الله ﷻ. يتطابق مع التوجيهات الإلهية، لا يخالفها، وليس فيه اختلال عنها.

٢-ثم الإتقان في العمل، الإتقان في العمل هو من صلاحه، الإنسان إذا كان يعمل العمل كيفما كان، على حسب التعبير المحلي [مغضى]، ليس عملاً متقناً، لا يتحرك فيه بجد، ولا يحاول أن يتقن عمله، فقد ينقص، ينقص من صفة الصلاح، لا يصلح، يتخرب حتى، كثيرٌ من أعمال الناس تتخرب؛ **لأنها** غير متقنة، الإتقان في العمل مطلوب، **(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)**، حتى في أعمالنا التي ترتبط بشؤون حياتنا المعيشية، ونحن في واقعنا الإيماني نربط كل شؤون حياتنا بالدين؛ **لأن** الدين هو نظام للحياة، تعليمات للحياة، توجيهات لإصلاح هذه الحياة، ولو بقيت هذه النظرة إلى الدين قائمة

في أوساط المسلمين لكانوا هم أرقى الأمم، ولكانوا هم اليوم من يتصدرون الحضارة البشرية في كل الدنيا، ولكن هبطوا؛ **لما** أضاعوا فهمهم للدين أنه تعليمات لصلاح هذه الحياة، ولنظم هذه الحياة، وللارتقاء بالإنسان في هذه الحياة، ولحل مشاكل هذه الحياة، وأفلسوا، وانطلقوا من اعتبارات ومفاهيم أخرى ناقصة وقاصرة؛ **فكانت** النتيجة هي الخسارة، خسارة في كل شيء.

لاحظوا علاقة هذا المفهوم: (العمل الصالح بالنجاح أو الخسارة)، العمل غير المتقن، كم يخسر الإنسان من أشياء كثيرة؛ **لأنه** لم يعملها بإتقان، فيفشل ويخسر. طبعاً، هنا العمل الصالح يدخل فيه بشكل رئيسي: الأعمال التي نحظى من خلالها برضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا صححنا منطلقاتنا في هذه الحياة يتحول كل عمل نعمله، حتى في أعمالنا المعيشية.

١١

لاحظوا على المستوى الاقتصادي، لو نشتغل على المستوى الاقتصادي **بدافعين إيمانيين:** أن نكسب الحلال ونعيش بالحلال، وأن نمتلك القوة التي تساعدنا في مواجهة أعدائنا، وفي الحفاظ على أنفسنا كأمة مؤمنة مستقلة، من باب: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[١]، لَتَحوَّل كل جهد نبذله في هذه الدنيا حتى في مزرعتك، وحتى في متجرك، وحتى في مصنعك، وحتى في كل ميدان من الميادين تتحرك فيه، وتلتزم بالضوابط والتوجيهات الإلهية، تعليمات الله، **توجيهات الله:** لا تغش، لا تخدع... لا تمارس أي شيءٍ من المحرمات؛ **لتحول** كل جهد إلى جهد صالح، وعمل صالح، يمثّل قربةً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولكن حينما تنطلق في واقعك المعيشي: في تجارتك، أو في مزرعتك، فقط بالدافع الغريزي المعيشي والطمع، وغابت عن بالك وعن منطلقاتك ودوافعك- **لاحظوا**- أهمية الإيمان حتى في الدوافع، أهمية الإيمان حتى في المنطلقات. الإيمان يجعل دوافعك إيمانية، منطلقاتك في هذه الحياة إيمانية، حتى إلى

١- الأنفال: من الآية ٦٠

السوق، والمتجر، والمصنع، والمزرعة، والعمل الذي تشتغل فيه كعامل، وبالتالي نتعلم فيه هذه القيمة من القيم، التي هي: الإتقان في أعمالنا، نحرص أن تكون كل الأعمال أعمالاً متقنة، وليس أعمالاً عشوائية وأعمالاً ملفقة. شيء عجيب **جدًّا** في واقع المسلمين، **زادت عندهم هذه:** منهجية التلفيق في الأعمال، أي عمل يعملونه، حتى في الجهاد في سبيل الله، كثيرٌ من مجالات العمل يتحرك فيها البعض بتلفيق، تلفيق، عمل ملفق، وليس بتركيز على الإتقان.

ليكن الإتقان ثقافة في أدائنا العملي

١١

وعندما نأتي إلى مجال العمل في سبيل الله، كم فيه من أعمال ذات طابع مادي، **يعني مثلاً: تشتغل في أي مجال:** في التصنيع، تشتغل في أعمال في الإنشاءات... تشتغل في أي مجال من مجالات العمل، أعمال هندسية، أو أعمال فيها ما يحتاج إلى أن تركز على الإتقان، وليس التلفيق والعشوائية. عندما نأتي الآن إلى كل مجال **من مجالات الحياة:** أنت تعمل في البناء، عليك أن تتقن عملك، أن تحذر من التلفيق، أن تشتغل وفق الطريقة الصحيحة الهندسية، التي تجعل من هذا البناء بناءً محكماً ومتقناً، ومصمماً تصميماً صحيحاً، وبطريقة صحيحة، أنت تشتغل في مجال الهندسة، أو الكهرباء... أو في أي مجال من المجالات، الإتقان **يجب** أن يعود كثقافة عامة في أدائنا العملي في كل ما نعمله، مع ملاحظة المطابقة مع المشروع، أن نركز على الإتقان.

إذا عاد الإتقان هذا كثقافة عامة، وفهمنا أنه مقصودٌ في الدين والتعليمات الدينية، وأن الله يحب منا ذلك؛ **كما** في الحديث النبوي الشريف **(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)**، هذا سيحقق لنا نجاحات كبيرة في حياتنا، وفوائد كبيرة في حياتنا، للأسف الشديد تدنى واقع المسلمين في هذا الجانب: في إتقان الأعمال إلى حد رهيب **جدًّا**، وتفوَّقت عليهم أمم أخرى لا تمتلك هذا المفهوم كمفهوم ديني في ثقافتها؛ **وإنما** هم بدافع النجاح،

بدافع الحرص على تحقيق المكاسب الكبيرة، يدركون هذه القيمة كقيمة عملية، العمل له قيم، ويدركون أن هذه القيم تضمن النجاح في العمل، ويكفي هذا عندهم في أن يهتموا به على مستوى كبير، وأن يُجِدُّوا فيه إلى مستوى كبير، ونحن المسلمون- من لدينا هذه القيم كقيم دينية أيضاً، وهي قيم عملية تضمن النجاح- نفرط فيها؛ **ثم** تسود حالة التلفيق وحالة العشوائية في الكثير من أعمالنا، وتطغى على كل واقع حياتنا إلى نحوٍ عجيب.

عندما تأتي إلى موضوع- أشرنا إليه في الدروس في العام الماضي- وهو موضوع التخطيط الحضري، كيف ينتشر الناس في المناطق في عملية العمران والبناء بطريقة غير مخططة، ولا متقنة، ولا منظمة، ولها مشاكل مستقبلية كثيرة، كيف يشتغلون في كثيرٍ من البناء، ويحصلون على الرخص، وأحياناً من الجانب الرسمي والحكومي، بمجرد دفع الرسوم على الرخصة، المطلوب لدى الموظف والمسؤول هو الحصول على الرسوم التي سيأخذها مقابل الترخيص، وليس التدقيق في العمل نفسه: هل هو وفقاً للمواصفات الصحيحة، ومتقن...الخ. أم لا؟ غابت ثقافة الإتقان عن الأعمال، وأصبحت الحالة حالة عشوائية وحالة تلفيق في كثيرٍ من الأعمال، وهذا أثَّر على واقع حياتنا كمسلمين، وكما قلت تفوقت علينا أمم أخرى، تطلع منتجاتها متقنة، أعمالها متقنة، حتى ترتيباتها العملية وهي تستهدفنا كمسلمين، تحرص على أن تكون دقيقة في أعمالها، ومتقنة في أعمالها، وتشتغل وفق خطط معينة، وتشتغل لتنفيذها بدقة. ١١

فتركيزنا في عملنا الصالح على الإتقان، على الدقة، على الإحكام، مطلوبٌ منَّا، وينطبق مع نفس المفهوم.

٣- وأن يكون سليماً هذا العمل من المفسدات، لا تشوبه شوائب على المستوى الأخلاقي والسلوكي تفسده، ولا تشوبه في نفسه (العمل) شوائب تفسده، قد تعمل عملاً معيناً، لكنك لا تتقنه، وتشوبه شوائب تفسد هذا العمل عليك،

وقد تتحرك في أعمال مهمة على المستوى الأمني، أو على المستوى العسكري... أو على أي مستوى في هذه الحياة، أو في الجانب الاقتصادي، ولكنك تقرن عملك هذا بأعمال أخرى تفسد عليك هذا العمل، إما تفسده بشكلٍ مباشر فلا تنجح فيه نفسه، لا يتحقق منه الهدف نفسه، تريد أن تحقق الأمن، لا يتحقق الأمن، بل تثير مشاكل إضافية، أو تريد أن تحقق النصر، لا تحقق النصر، عمل فاشل يترتب عليه إخفاق عسكري، أو على المستوى الاقتصادي تريد أن تحقق نتيجة معينة، يتحقق العكس من ذلك، أو تعمل عملاً آخر ولو لم يتجه مباشرة إلى نفس العمل، لكنه أفسد عليك من جانبٍ آخر: التزاماتك الأخرى، انضباطك الإيماني والسلوكي والأخلاقي، فجعل ذلك العمل لا قيمة له عند الله، ولا فضل فيه، ولا أجر عليه، وتكون خسارتك كبيرة، ثم تترك تلك الأشياء الأخرى تأثيراتها السلبية فيما يصل- في نهاية المطاف- حتى إلى ذلك المجال. فلا بدَّ من العمل الصالح، لا بدَّ من العمل الصالح وهو ثمرة الإيمان الصادق، والإيمان بمفهومه القرآني ونتيجته المطلوبة.

يمكن أن نكتفي بهذا المقدار، ونكمل- إن شاء الله- ما تبقى من السورة المباركة في محاضرة الغد إن شاء الله.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١١

من وحي سورة العصر (٢)

التواصي بالحق وبالصبر

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إِلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

تحدثنا في محاضرة الأمس على ضوء الآيات المباركة في سورة العصر، ونشير اليوم إلى بعض العناوين المهمة والأساسية التي وردت بالأمس؛ لنستكمل على ضوء ذلك ما بقي من الحديث على ضوء الآيات المباركة في السورة.

تحدثنا بالأمس عن القسم، والمقسِم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا- كما قلنا- يلفت نظرنا إلى أهمية الموضوع، عندما يقسم الله -جلَّ شأنه- في كبريائه، وعظمته، وعلو شأنه، على موضوع، فهو بالتأكيد في غاية الأهمية لنا نحن.

ثانياً: المقسَم عليه هو الخسارة الحتمية للإنسان، مع تقديم استثناءٍ حصري للسلامة من هذه الخسارة، ولتفادي هذه الخسارة، وهذه الخسارة قد وقع الإنسان فيها، ما لم يخرج منها من خلال ذلك الاستثناء الحصري، وتلك الطريقة التي رسمها الله للخروج من الخسارة، وإلَّا فالإنسان وهو يصرف وينفق ويخسر جهده ووقته وحياته وعمله فيما لا يفوز به، بل فيما يحمل- في كثيرٍ منه- الأوزار والذنوب التي تُخلِّده في تلك الخسارة، وتجعله يتكبَّد تلك الخسارة على نحوٍ فظيع. الخسارة أيضاً قد تكون على المستوى الفردي، **ثم أوسع من ذلك:** فردٌ ضمن جماعة، فردٌ ضمن أمة، ممن لهم اتجاهات منحرفة عن تلك الطريق التي رسمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الاستثناء الحصري في السورة المباركة. ١٢

ثم تحدثنا عن هذا الاستثناء، وأنه لا طريق آخر، لو أراد الإنسان طريقاً للنجاة، للسلامة من هذه الخسارة الرهيبة التي- كما أشرنا بالأمس- تقاس بمستوى ما يفوت هذا الإنسان، وبمستوى ما يقع فيه، الذي يفوته هو كل ما وعد الله به في الدنيا والآخرة، بما في ذلك رضوان الله والجنة، وذلك النعيم العظيم بكل ما فيه من تفاصيل، والذي يقع فيه هو الشقاء بأي شكلٍ كان في هذه الحياة، **ومع ذلك في الآخرة:** جهنم- والعياذ بالله- والسخط من الله، وفقدان الرحمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو أمرٌ رهيبٌ، عذابٌ للأبد، شقاءٌ وخسارةٌ رهيبةٌ **جدًّا، يخسر الإنسان فيها كل شيء:** نفسه، وأهله، وأقاربه، يعيش فيها وحيداً، تقطعت كل أواصر العلاقة مع الآخرين، وهو يكابد تلك الآلام والمعاناة الشديدة **جدًّا**، والعذاب الشديد **جدًّا** في جهنم، وللأبد، أمر رهيب للغاية، مع ذلك: الخسارة في الدنيا؛ **أشرنا** إلى بعضٍ من ذلك في حديثنا بالأمس.

تحدثنا عن العمل الصالح بعد الإيمان، أولاً: الإيمان، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، الإيمان بمفهومه القرآني، وليس الإيمان الأعرابي المنتشر في الساحة إلى حدٍ كبير، والذي فيه نواقص كبيرة **جدًّا**، ومهمة **جدًّا**، وخطيرة **جدًّا**، أيضاً العمل الصالح كدائرة واسعة، وما يجعل من العمل عملاً صالحاً- كما أشرنا بالأمس- من حيث المنطلق والدافع والنية، ومن حيث مطابقة هذا العمل للتوجيهات الإلهية، ومطابقته للمشروع، ومن حيث سلامته من الشوائب المفسدة، ويحافظ الإنسان عليه- فيما بعد- من الإحباط، دائرة العمل الصالح دائرة واسعة، تشمل أشياء كثيرة **جدًّا**، وفتحنا نافذة على ضوء الآية المباركة فيما يتعلق بالإتقان في العمل، تحدثنا عنها أمس، لا حاجة بنا إلى العودة إلى تلك التفاصيل، يكفي ما تحدثنا عنه بالأمس.

١٢

الحق.. العنوان البارز في تعليمات الله تعالى

نصل إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، الحق عنوانٌ رئيسيٌ ومهمٌ في المسيرة الإيمانية، في طريق النجاة، وموقعه في تعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كعنوانٍ رئيسي- بارزٌ **جدًّا**، ولذلك من لوازم النجاة، من لوازم الإيمان الصادق أن يكون الإنسان متَّبعاً للحق، مهتدياً؛ **يهتدي** إلى الحق، فيعرف الحق، ويلتزم بهذا الحق، ويتمسك بهذا الحق من واقعه الفردي- أولاً، ثم الأمة كأمة؛ **لأن** هناك مسؤوليات جماعية، هناك التزامات عليك كشخصٍ مؤمن، التزامات عليك في حياتك الشخصية، في واقعك العملي، في واقعك الأسري، في واقعك ومحيطك المجتمعي، ثم التزامات على مستوى أوسع، **التزاماتٌ عليك:** فردية، لكن ضمن أمة، تتعاون فيها مع إخوتك من المؤمنين والمؤمنات للنهوض بها، **الحق كمسؤوليات:** جانبٌ مهم، هناك مسؤوليات مهمة علينا أن نلتزم بها، علينا أن نهتم بها، **علينا أن ننهض بها، من بينها:** إقامة الحق في هذه الحياة؛ **لكي** يكون سائداً، لكي يكون

متَّبعاً، لكي يكون قائماً بشكلٍ فعليٍ وعملي، وليس فقط موجوداً في بطون الكتب، موجوداً في داخل الآيات القرآنية، بل يتحول إلى الواقع العملي، إلى واقع الحياة، نلتزم به في شؤون حياتنا، وفي مواقفنا، **المواقف الحق التي تتعلق بالمسؤوليات الكبيرة للأمة:** في الجهاد في سبيل الله، في العمل على إعلاء كلمة الله، في التصدي للأشرار والطغاة والمفسدين في الأرض، في دفع الشر عن الناس، ودفع البغي والعدوان، في العمل على دفع المظالم الكبيرة منها والصغيرة، مسؤوليات جماعية يتحرك فيها كل الذين يستجيبون لله ﷻ، عباد الله من المؤمنين والمؤمنات يتحركون فيها بشكلٍ جماعي، ويتعاونون على القيام بها.

التواصي بالحق وآثاره الإيجابية الكبرى

وهنا لا بدَّ من التواصي، التواصي في هذه المواقف الكبيرة له أهميةٌ كبيرة؛ **لأنه** يزرع النشاط، يعزز الموقف، ولأنه- أيضاً- يسد الثغرة الكبيرة والفجوة الكبيرة في النشاط التوعوي في الأمة، إذا كانت عملية التواصي من المسؤوليات العامة؛ على كلٍ أن يساهم فيها، فهذا سيفيد؛ **حتى** لا تبقى الساحة في حالةٍ من الفراغ، **يعني:** موضوع التواصي بالحق؛ **يمكن** لكل شخص أن يوصي بالحق، أن يذكِّر بالمسؤوليات الكبيرة، يمكن للجميع أن يتحركوا؛ **حتى** لا يسود الملل والفتور، أحياناً حتى بعد القيام بالمسؤوليات الكبيرة، والتحرك للمواقف الكبيرة، يبقى هناك أهمية للتذكير؛ **حتى** يكون الاستمرار بشكلٍ نشط، وعلى نحوٍ قويٍ وفاعلٍ وواسع، وإلَّا يسود الفتور أحياناً، ويسود الملل أحياناً، ثم يأتي التقصير بعد ذلك، فلا بدَّ من التواصي بالحق بكل ما له من أهمية، بكل ما يتركه من أثر في التشجيع للناس، بكل ما له من قيمة في تفعيل حركة الناس في الساحة للالتزام بمسؤولياتهم الكبيرة، هذه مسألة مهمة **جدًّا**.

أيضاً إذا كان هناك نشاط في التواصي بالحق؛ يكون الناس بعيدين عن التواصي بتركه، عن التخاذل؛ **لأنه** مع الصمت، مع السكوت، مع عدم

التذكير، مع عدم التواصي، **يأتي أحياناً ما هو أسوأ من ذلك:** التواصي بترك الحق، التواصي بالتخاذل عن الموقف الحق، وهذه من أسوأ الحالات، ومن أخطرها؛ **لأنه** إذا كان ترك التواصي خسراناً، فالتواصي بالباطل والتواصي بترك الحق خسرانٌ أكبر ووزرٌ أعظم، وهذا ما يحصل في بعض المجتمعات، أن البعض ليس فقط أنه لا يهتم بالتواصي بالحق، لا يهتم بالتذكير بالمسؤوليات المهمة، بالتذكير بالموقف الحق، بالتشجيع على الموقف الحق؛ **إنما** هو- أيضاً- يوصي بترك الموقف الحق، فيتجه إلى الآخرين ليوصيهم بأن يتركوا الموقف الحق، الذي هو من أهم المواقف، موقف لدفع بغيٍ وعدوانٍ وظلمٍ كبير وشرٍ رهيب، لدفع سيطرة الأشرار والطغاة من أعداء الأمة، فيأتي البعض ليثبِّط، ويخذِّل، ويرغِّب في التنصل عن المسؤولية... وهكذا.

فإذا كان هناك نشاط من التواصي بالحق، فهو يغطي هذا الفراغ في الساحة، ليست المسألة مقتصرة على الخطيب، على المثقف، على العالم؛ **إنما** هي في دائرة كل الذين آمنوا، التواصي بالحق، وهي مسألة سهلة ومتاحة، ولا تحتاج إلى موهبة خطابية، يستطيع الناس أن يتحدثوا ولو بالشكل الطبيعي فيما بينهم: [يا جماعة نحن علينا مسؤولية وعلينا **واجب** وعلينا أن نتقي الله، والمفترض نتحرك ولا نقصر]، إذا لمس الإنسان فتوراً يذكّر، ينصح، يوصي، يوصي نفسه ويوصي أن الآخرين، هذا سيواجه الفتور والملل، وسيواجه- أيضاً- حالة الفراغ في الساحة، وسيكون له أثر في التشجيع، وسيكون له أثر إيجابي في الاندفاع.

عندما تلحظ مثلاً الوقفات في ظل تحرك الناس للتذكير بالمسؤولية، والتصدي للعدوان، وأهمية التحشيد، هذه الوقفات المجتمعية التي يجتمع فيها الناس، ومن جديد يذكرون أنفسهم بالمسؤولية، ويعلنون موقفهم ويؤكدون عليه، وهو الموقف الحق في التصدي لهذا العدوان على بلدنا، أو في التضامن مع أبناء الأمة الأحرار ضد العدو الكبير للأمة، ضد الأمريكي والإسرائيلي ومن يتحالف معهما.

لهذا كان التواصي عنصراً لازماً للنجاة والفوز!

وهكذا القضايا المهمة والقضايا الكبيرة، الحق في المسؤوليات والحق في المواقف: هو الحق الذي كاد أن يضيع في كثيرٍ من أقطار الأمة، كاد أن يضيع؛ **ولهذا** تلمس أهمية أن يكون التواصي به جزءاً أساسياً وعنصراً لازماً من عناصر النجاة والفوز؛ **لأنه** يراد للناس أن يسكتوا، **أول ما يحرص عليه أعداء الأمة:** أن يُسكتوا الناس عن التواصي بالحق في المسؤوليات والقضايا الكبيرة، والمواقف المهمة، أرادوا للناس أن يسكتوا؛ **بينما** الله يريد لنا أن نتكلم، أن نوصي، نوصي بعضنا البعض، نوصي مجتمعنا، نوصي أمتنا، نتواصى فيما بيننا، ويلحظ الإنسان حكمة الله ﷻ في تشريعه، عندما تلحظ مسألة: موقعها في الإسلام مهمٌ، موقعها في القرآن مهمٌ، تلحظ بالفعل أهميتها في واقع الناس، وخطورة التفريط فيها في واقع الناس، وكيف تمثِّل بالنسبة لقوى الباطل وقوى الشر وقوى الضلال أمراً مزعجاً أكثر، ويحاربونها أكثر، فهذا الحق في المواقف المهمة، الحق في المسؤوليات الكبيرة ضاع في واقع الأمة، في أغلب مجتمعات أمتنا الإسلامية، غاب، بل أصبح التواصي به مُجرَّماً، ممنوعاً، ويخاف الكثير من الناس في كثير من المجتمعات، في كثيرٍ من الشعوب، من التواصي بالحق في المواقف المهمة، والمسؤوليات الكبيرة.

ولذلك من نعمة الله ﷻ عندما يتحرر مجتمع من مجتمعاتنا الإسلامية، عندما يتحرر من تلك القيود، من تلك الأغلال؛ **فيتحرك** في المواقف الحق، والمسؤوليات الحق، وهذه نعمة كبيرة، يحافظ عليها، يعزز موقفه فيها، يتصدى لكل الذين يحاولون أن يوصوا بترك الحق في هذه المواقف المهمة، وفي المسؤوليات الكبيرة، هذا أمرٌ مهم.

أيضاً التواصي بالحق في القضايا الكبيرة والصغيرة، على مستوى القضايا الاجتماعية: نزاع بين قبيلة وأخرى، نزاع بين شخصٍ وآخر،

١٢

إشكالات في الواقع الحياتي للناس، ويأتي في الواقع الكثير- مثلاً- من المواقف أو القضايا التي قد يتحرك فيها البعض بعيداً عن الحق.

نزاع بين قبيلةٍ وأخرى، يأتي البعض يحاول أن يتبنى موقفاً غير الحق، فيتعصب معه البعض، هذا أمر خطير **جدًّا**؛ **حينها** تبرز أهمية هذه المسؤولية، حين يأتي البعض من المؤمنين، ممن يدركون أهمية التواصي بالحق، فيوصون بالحق، ويدعون إلى الحق، ويسعون إلى أن يتوجه الموقف نحو الالتزام بالحق، والتمسك بالحق، المطالبة بالحق، والاقتصار على الحق.

إذا أصبح الحق هو المطلب للجميع ستحتل المشاكل بسهولة، ستحتل النزاعات بسهولة؛ عندما يصبح مطلباً للجميع في مجتمعاتنا الإسلامية.

على مستوى الأشخاص أو القضايا في الواقع المجتمعي، عندما يكون التذكير بالحق والتواصي بالحق في كل الأمور، في كبيرها وصغيرها، سيتجه الناس للالتزام بالحق الذي فيه نجاتهم وفوزهم وفلاحهم، وسيسلمون الخسارة الكبيرة **جدًّا**، وخسارات رهيبة، ما من موقفٍ باطل إلا ويترتب عليه خسارة، وخسارة خطيرة **جدًّا**؛ **لأن** الخسارة في الموقف الباطل ليست في الدنيا فحسب؛ **وإنما** تمتد إلى الآخرة، تمتد إلى المستقبل الأبدي، تمتد إلى الأمور المهمة والكبيرة، تخسر بها رضوان الله والجنة، تدخل بها النار- والعياذ بالله- فهي مسألة في غاية الأهمية.

ضرورة التواصي على مستوى الالتزام العملي

ثم إضافةً إلى جانب التذكير بالحق في المواقف المهمة والمسؤوليات الكبيرة، **والتذكير بالحق في القضايا الصغيرة والكبيرة:** التذكير بالحق على مستوى الالتزام العملي، التذكير بالحق على مستوى الالتزام العملي من أهم المسائل، والتواصي به في إطار الالتزام العملي، والناس يتحركون، والمؤمنون والمؤمنات يتحركون كأمة مؤمنة تعمل على إقامة الحق، وعلى التحرك للحق، وعلى أن تجسد في واقعها قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[1]، لا بـدَّ مـن التـواصي بالحـق.

الإنسـان قـد يتحـرك في هـذا الإطـار: في إطـار أمـة تسـعى لأن تقيـم الحـق، وأن تهـدي بالحـق، وتهتـدي بـه، وتعـدل بـه، وتقيمـه في واقـع الحيـاة. في إطـار المسيرة العملية يـأتي الهـوى، تـأتي المؤثـرات الكثيرة **جدًا** التـي تؤثـر عـلى الكثير مـن النـاس: إمـا إمكانيـات، إمـا سـلطة، إمـا موقـع، إمـا مسـؤولية معينـة، إمـا انفعـالات وغضـب، إمـا رغبـات وشـهوات، إمـا مخـاوف... عوامـل مؤثـرة تؤثـر عـلى الإنسـان، ففـي أدائـه العمـلي، وفي أداء مسـؤولياته، قـد يخـرج عـن الحـق في موقـفٍ معـين، في تـصرفٍ معـين، في فعـلٍ معـين، في سـلوكٍ معـين، حينهـا هنـاك أهميـة للتـواصي بالحـق، والتناصـح بالحـق، ولا يتحـول الواقـع إلى واقـع مجامـلات ومداهنـات يسـود فيـه الانحـراف، ويتعاظـم فيـه الانحـراف، ولا أحـد يتحـدث مـع أحـد، ولا أحـد يوصيـه بالحـق. لا بـدَّ مـن التـواصي بالحـق، والتنبيـه عنـد ملاحظـة بـوادر انحـراف، أو مـؤشرات انحـراف عـن هـذا الحـق في قضيـةٍ معينـة، في موقـفٍ معـين، في سـلوكٍ معـين، في تـصرفٍ معـين، في تقصـيرٍ معـين، تقصـيرٍ في مسـؤولية مهمـة، يـأتي التـواصي بالحـق، **ويجـب** أن تكـون هـذه حالـةً مقبولـة، ومطلوبـة، وليـس فقـط مقبولـة، مطلوبـة، والإنسـان المؤمـن لـن يأنـف إذا ذُكِّـر بالحـق؛ **لأنـه:** مـن اسـتثقل الحـق أن يقـال لـه، سيسـتثقله في العمـل أكـثر، كـما يفيـده كلام الإمـام عـلي عَلَيهِ السَّلَامُ، مـن اسـتثقل الحـق أن يقـال لـه وأن ينصـح بـه؛ **فبالتأكيـد** هـو أبعـد عـن الالتـزام بـه في الواقـع العمـلي، وهـو أثقـل عليـه في الالتـزام العمـلي.

لنتقبل النصيحة ونخلص في النصح

لا بـدَّ أن نتقبـل مـن بعضنـا البعـض التـواصي بالحـق، وأن يعتـبر الإنسـان هـذا أمـراً إيجابيـاً، وأنـه علامـة إيجابيـة ومـؤشر إيجـابي، **الإنسـان مهـما كان موقعـه ومرتبتـه في المسـؤوليات:** أنـت رئيـس، أو أنـت قائـد، أو أنـت زعيـم، أو أنـت مديـر،

[1] ١- الأعراف: الآية ١٨١

أو أنت وزير، أو أنت مسؤول، أو أنت شيخ، أو أنت مشرف... في أي مستوى من مستويات المسؤولية، وفي أي موقع من مواقع المسؤولية، وفي أي مرتبة أنت، لا تأنف عندما توصى بالحق، لا تغضب عندما توصى بالحق، لا تستاء عندما توصى بالحق، لا تنفعل عندما توصى بالحق، لا تعادي من يوصيك بالحق؛ **لأنه** أوصاك بالحق، لا تحاول أن تتغير في علاقتك معه، البعض قد يستاء ممن يوصيه بالحق بشكل ملاحظة تجاه تقصير قصر فيه، أو تجاه خطأً في موقف معين أو سلوكٍ معين، قد يغضب وينفعل ويستاء من ذلك الشخص، ويتخذ منه موقفاً، قد يتعامل معه بالإقصاء إذا كان في نطاق مسؤوليته، هو في إطار مديريته كمدير، أو في نطاق إشرافه كمشرف، أو في إطار مسؤوليته كقائد؛ **لأنه أوصاه بالحق:** يأنف منه، يغضب منه، يستاء منه، يحاول أن يبعده عنه وأن يتخلص منه، هذه جريمة، لا يجوز للإنسان أن يستاء لهذه الدرجة.

ثم أيضاً عملية التواصي بالحق لا بدَّ أن تكون بدافعٍ صحيح، بدافعٍ إيماني، وبطريقةٍ صحيحة، وبكيفيةٍ صحيحة، وفي جوٍ من المسؤولية والأخوة، لا تتوجه عملية التواصي بالحق إلى مناكفات إعلامية، لا تتحول عملية التواصي بالحق إلى تصفية حسابات شخصية؛ **لأنك** استأت من إنسانٍ معين لاعتبارات شخصية، أو اعتبارات أخرى، ثم قمت بالتصيُّد لأخطائه، بالتصيد لأدائه العملي، بالتصيد لجانب القصور لديه؛ **لتوظفها** سلباً في مهاجمته، في الانتقاد السلبي. هناك فرقٌ كبير بين الانتقاد البنَّاء والتواصي بالحق، بكيفيته الصحيحة والمسؤولة، والتي **يجب** أن تكون في جوٍ من الأخوة والنصح الصادق، ومراعاة الكرامة والأخوة. وبين عملية التجريح والتهجم، واستغلال الأخطاء للتهجم بها والتشنيع بها، هذا ليس تواصياً، هذا يتحول إلى حالة حرب إعلامية، أو حرب بالمناكفات الإعلامية، أو تجريح، أو تشويه... أو نحو ذلك. هذا ليس هو الأسلوب الصحيح.

البعض من الناس مثلاً قد يكون مفرِّطاً في المواقف الحق، المواقف الكبيرة والمهمة، معرِضاً بالكامل عن المسؤوليات الحق المهمة **جدًّا**، ثم يبقى في جوٍ من الفراغ يتصيد أخطاء الآخرين، ثم يأتي ليتكلم بكل شدة وبكل جرأة، قد يكون مطمئناً إليهم، وقد يكون مطمئناً إلى أنهم سيحترمونه، أو يعتبرون له قدره أو منزلته، أو احترامه، ثم يكون جريئاً عليهم في الوقت الذي هو ذليل، خانع، جبان أمام المواقف المهمة والمسؤوليات الكبيرة في مواجهة الأعداء الحقيقيين للأمة، **تحول إلى أخرس:** قلمه لا يكتب، ولسانه لا ينطق، أبكم، ليس له موقفٌ مستمر، إذا كانت له مواقف في النادر، لكنه عملياً ليس في موقفٍ مستمر وفاعلٍ ونشطٍ وجاد ومسؤول في ذلك الحق المهم، في ذلك الموقف المهم، في تلك القضية الكبيرة. ١٢

فالتواصي بالحق ليس عبارة عن تصيدٍ للأخطاء من الجامدين المفرطين المهملين، أو الذين يشتغلون على تصفية الحسابات الشخصية. |لا| إنما ينطلق من واقعٍ مسؤول، وبروحٍ أخوية، وبمسؤوليةٍ تامة، وبنصحٍ صادق، وبجد، وبدافعٍ إيماني خالص، هذا هو التواصي بالحق ممن يوصي وهو يتحرك، وهو ينطلق، وهو يلتزم، وهو جاد، مثل هذا **يجب** التفاهم معه، التقبل لنصحه، عندما يوصي بالحق فعلاً، ليس هو غالطاً فيما يطرحه، أو مشتبهاً في قضية لا حقيقة لها، هنا تأتي عملية التواصي بالحق التي **يجب** أن تكون قائمة، ومن يغضب منها، ويأنف منها، ويستكبر منها؛ **فهو** مستكبر.

أولياء الله مهما بلغت مرتبتهم الإيمانية لا يأنفون أبداً من التواصي بالحق، مهما كان دورهم العملي، لا يغضبون أن يوصيهم أحدٌ بالحق، لا يأنفون ولا يستكبرون من أن يقال لهم الحق، ومن أن تُقدَّم إليهم كلمة الحق، أياً كانت: ملاحظةً على تقصيرٍ معين، تبييناً لموقفٍ معين، تنبيهاً لخطأٍ في سلوكٍ معين... أو أياً كانت؛ **فلا** بد من التواصي بالحق في المواقف الكبيرة والمسؤوليات

المهمة، وفي القضايا بمختلفها، وفي الأداء العملي والالتزام العملي، وفي السلوك. التواصي بالحق أساسيٌ في السلامة من هذا الخسران الذي أقسم الله عليه.

إذا غاب التواصي بالحق، وحل بدلاً عنه الصمت والسكوت والجمود؛ **حصل** الفتور والملل، وقل النشاط، وكان لذلك تأثيرات سلبية، وإذا غاب التواصي بالحق أمام الالتزامات العملية وفي السلوك والأداء العملي، وحلت محله المجاملة والمداهنة السلبية؛ **حينها** تتعاظم الانحرافات، ويكثر الخطأ، ويكبر الانحراف، وتكثر الإشكاليات، ويترتب على ذلك المفاسد الكبيرة، ويغيب الحق شيئاً فشيئاً، تتسع المساحة التي يغيب عنها الحق في السلوك، في الالتزام العملي، في التصرف، في القضايا. فالتواصي بالحق لا بدَّ منه، وبكيفيته التي أشرنا إليها.

التواصي بالصبر لمواجهة كل الصعاب والتحديات

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، **تختم السورة بهذا العنصر الأساس من هذه العناصر الأربعة المترابطة:** التواصي بالصبر، في المواقف المهمة والمسؤوليات الكبيرة، وفي القضايا، وفي كثيرٍ من الأمور، حتى على مستوى الالتزام العملي، قد تأتي أحياناً بعض المشاكل، بعض الصعوبات، بعض المتاعب. وعادةً في واقع الحياة ما من عملٍ مهم إلا ونحتاج فيه إلى الصبر، هذه مسألة معروفة لدى كل الذين يتحركون في هذه الحياة، يعرفها الفلاح وهو (يشتغل) يعمل بين مزارعه أنه لا بدَّ من الصبر، يدرك أن ذلك المجهود العملي هو مهم، هو ضروري ومثمر، له نتيجة، ويوطن نفسه على الصبر، ولا تلمس منه أنه يشتكي يوماً بعد يوم على كل تعبٍ عانى منه في ذلك الجهد. |لا|، يعرفها التاجر، يعرفها العامل... يعرفها الناس في شؤون حياتهم وأعمالهم المتنوعة في هذه الحياة، قضية اعتيادية في كثيرٍ من الأعمال، أصبح الصبر قضيةً اعتياديةً في كثيرٍ من الأعمال والأنشطة في هذه الحياة، الناس يتعودون عليها (الرجال، والنساء)، يتعودون على الصبر في كثيرٍ من الأعمال، حتى يصبح مسألة اعتيادية.

في طريق الحق، في المواقف الحق، في المسؤوليات المهمة، لا بدَّ أيضاً من الصبر؛ **لأن** هذه الأعمال المهمة وإن حصل فيها شيءٌ من العناء، أو احتاجت إلى مقدارٍ من الجهد العملي، فهي في أهميتها تستحق منَّا أي جهد وأي تضحية، وتستحق منا التحمل على أي أعباء مهما كانت، **هنا قد يأتي التذمر في بعض الحالات:** عندما تحصل عوائق معينة في عملٍ معين، أو يحصل نقص معين، أو ظروف صعبة معينة، يحصل التذمر عند البعض، أو الملل والتعب عند البعض؛ **فيتأثر**، قد يصل التأثر عنده إلى درجة أن يترك ذلك الموقف، أو أن يتخلى عن ذلك العمل، أو أن يقصر فيه. فأمام هذا التذمر، أمام هذا الملل، أمام هذا التعب، أمام هذه المعاناة، أو أمام تلك المحنة، أمام ذلك الألم الذي قد نعيشه عندما نفقد شهيداً، عندما يحصل معاناة معينة، عندما تحصل بعض المشاكل المعينة التي لها مردود نفسي يتمثل بالألم والحزن، أمام كل هذه الحالات، أمام المتاعب النفسية والجسدية: لا بدَّ من التواصي بالصبر.

البعض مثلاً قد يشاهد حالة من التذمر، فيتفاعل معها على ذلك النحو، يتذمر أكثر، يرى من يتذمر لنقصٍ معين، أو لقصور معين، أو لإشكالات معينة، فيتذمر معه أكثر فأكثر، **بدلاً من التواصي بالصبر:** الصبر على المحنة، الصبر على الألم، الصبر على العناء النفسي، على التعب والمجهود. وطبعاً لا بدَّ أن يكون هذا الصبر في الإطار العملي، صبر ونحن نتحمل هذه المسؤوليات الحق، صبر ونحن ننهض بها، صبر ونحن نقف هذا الموقف الحق، ونضحي فيه، ونبذل الجهد العملي فيه، هذا هو الصبر المطلوب، الصبر في الإطار العملي هو صبر الإيمان، والتواصي بالصبر سيساهم على التشجيع للكثير أمام تلك الحالة، أو المعاناة، أو ذلك التعب، أو ذلك الألم، له أهمية كبيرة **جدًّا** على المستوى النفسي، وعلى مستوى أيضاً التحمل الجسدي.

لندرك قيمة الصبر وأثره وموقعه في الإسلام

عندما نتواصى بالصبر في كل المَواطن التي تحتاج إلى التواصي به، فقد يتسع الحديث في التشجيع على الصبر، وفي الترغيب في الصبر؛ عندما نتحدث عن هذا الصبر على ضوء الحديث عنه في القرآن الكريم- الحديث عن الصبر في القرآن الكريم حديث مشوق- يحول الصبر إلى محبوب، إلى أمرٍ مرغوب؛ **لأن** الإنسان أولاً يدرك قيمته وموقعه في الإسلام، قيمته وأثره في الواقع، في العمل، ثمرته الطيبة في النتائج، ثمرته المهمة أيضاً في الآخرة.

١٢

الصبر موقعه من الدين موقعٌ مهمٌ جدًّا، موقعه من الإيمان كما ورد في الحديث: **(بمنزلة الرأس من الجسد)**، منزلة أساسية، موقع مهم، لا يتم الإيمان إلَّا به، موقعه أيضاً في العلاقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موقعٌ مهم، الله -جلَّ شأنه- أكَّد في القرآن أنه يحب الصابرين، أنه مع الصابرين.

عندما نتحدث عن الصبر فمن أول ما نركِّز عليه في هذا الموضوع: الالتفات إلى أهمية أن نعود إلى الله، وأن نلتجئ إليه؛ **ليمنحنا**- أيضاً- المعونة في الصبر، الله -جلَّ شأنه- **قال في القرآن الكريم:** ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[1]، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، نحتاج إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، علَّمنا الله في القرآن الكريم أن نقول: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾[2]، ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، نطلب من الله هذا الطلب، نحتاج إلى أن نلتجئ إلى الله، أن نطلب من الله أن يمنحنا الصبر، وأن يعيننا بالصبر، وأن يلهمنا الصبر، وأن يمنحنا قوة التحمل؛ لنكون من الصابرين، هذه مسألة مهمة في موضوع الصبر.

ثم التذكير به كوسيلة مهمة مساعدة للنهوض بالأعمال، الإنسان إذا تعوَّد على أن يصبر، هو يكتسب القوة النفسية والمعنوية والطاقة في التحمل، كثيرٌ من الأمور قد تكون في بداية الأمر صعبة على الإنسان؛ يوطِّن نفسه على الصبر،

١- النحل: من الآية ١٢٧

٢- البقرة: من الآية ٢٥٠

ويتخذ قراراً جاداً بالصبر، وتتروض نفسه على ذلك المجهود العملي، تتروض وتستمر وتستمر، فإذا به- بمعونة الله- سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يتحول إلى عملٍ عادي بالنسبة له، لم تعد فيه تلك المشقة التي كانت في البداية، لم يعد فيه ذلك التعب النفسي أو الجسدي الذي كان في البداية؛ **تروَّض**، اكتسب القدرة، قوة التحمل، منحه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هذه القوة في التحمل، والطاقة في التحمل، وهذه مسألة مهمة؛ **لأن** الصبر يصبح وسيلةً مهمةً في الواقع العملي، كما قال الله -جلَّ شأنه-: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]، تجد كيف بدأ بالصبر حتى قبل الصلاة، ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾، ثم يختم هذه الآية بهذه العبارة المهمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾؛ **لأنك** عندما تصبر فالله سيتدخل، ويمنحك -جلَّ شأنه- معونته، هو معك يمنحك المعونة، يمنحك القوة، يحقق لك النتيجة المرجوة من وراء هذا العمل العظيم الذي تصبر فيه، وتصبر على التحمل فيه.

١٢

في مواقف الحق يحتاج الإنسان أن يصبر على أشياء كثيرة: اللوم، الانتقادات، الصعوبات المتنوعة: الصعوبات المادية... الصعوبات بكل أنواعها، أشياء كثيرة لا بد أن تواجهها بالصبر، إذا لم يكن الإنسان صبوراً، ولم يوطِّن نفسه على الصبر؛ **سيتراجع** من أي عمل بمجرد أن وجد فيه صعوبة معينة، عندما ندرك ثمرة الصبر، وأهميته، وما يترتب عليه من نتائج وعد بها الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، أول عبارة جامعة قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، عبارة جامعة يدخل تحتها الخير الكثير، والتفاصيل الكثيرة.

عندما يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، هذا على مستوى الأجر في الدنيا والآخرة، جزءٌ من الأجر- عادةً- يأتي في الدنيا، لكن يوفى في الآخرة، وهنا يتحدث عن كيف يوفى في الآخرة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

١- البقرة: من الآية ١٥٣
٢- الزمر: من الآية١٠

يُبشِّر؛ يقول -جلَّ شأنه-: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[١]، حتى أنَّ البشارات من الله تأتي في مراحل العمل، في ظل تلك الصعوبات تأتي تلك المبشرات، تلك المؤشرات الإيجابية **جدًّا**، التي تزرع الأمل عند الإنسان، وتعزز عنده الرجاء في الله ﷻ وفيما وعد الله.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[٢]، في ميدان الجهاد في سبيل الله ﷻ يكون للصبر أهمية قصوى في الغلبة والنصر والتأييد الإلهي، إلى هذا المستوى.

يقول -جلَّ شأنه-: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[٣]، في الصراع ومواجهة الأخطار من الأعداء، يأتي الصبر كعنصر أساس له هذه النتيجة وهذه الثمرة مع التقوى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، **يعني:** له غاية، له نتيجة في الواقع، أكثر من مسألة الحسنات، أكثر من مسألة الأجر في الآخرة، نتائج هنا تحصل عليها في الدنيا: نصر، عزة، دفع لكثيرٍ من مكائد الأعداء.

12

يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]، هنا يذكر نتيجة مهمة **جدًّا** هي الفلاح، والفلاح عنوان مهم **جدًّا**، الفلاح هو يتضمن معنى النجاح، معنى الوصول إلى الغاية المرجوة، معنى الظفر بما تسعى له بذلك المجهود العملي، ومن خلال الصبر تتجاوز حتى تلك المرحلة التي كانت مرحلة صعبة، لتصل إلى النتيجة المرجوة، النتيجة العظيمة، النتيجة المهمة.

١- البقرة: من الآية ١٥٥
٢- الأنفال: من الآية ٦٥
٣- آل عمران: من الآية ١٢٠
٤- آل عمران: الآية ٢٠٠

الصبر على الموقف الحق وقيمته في العاجل والآجل

من الأشياء المهمة التي ينبغي أن نستذكرها في مسألة الصبر: النتائج الخطيرة والعواقب الخطيرة إذا فرَّطنا في تلك الأعمال المهمة، في ذلك الموقف الحق؛ فلم نصبر، **يعني:** قد يكون البعض يتصور أنَّ المشاق مثلاً، أو التضحيات، أو المتاعب لا تأتي إلَّا في طريق الحق، هي تحصل في طريق الحق ولها ثمرة، ولها نتيجة، وجزءٌ منها قد يكون عائداً إلى نقص أو قصور في الأداء العملي؛ **أمَّا** إذا تركنا الموقف الحق، إذا تنصَّلنا عن المسؤوليات الحق، إذا فرَّطنا في المسؤوليات هذه، النتيجة الخطيرة هي بما يحصل إذا غاب هذا الحق، إذا تَرك هذا الموقف الحق، ما الذي يأتي؟ الخسران الحتمي، **في الدنيا إذا فرَّطت الأمة في المواقف والمسؤوليات الحق:** تهان، تذل، تقهر، تظلم، تضطهد، تتكبد الخسائر الهائلة **جدًّا في كل واقعها:** في أمنها، في استقرارها، في اقتصادها، خسارات رهيبة **جدًّا** وبدون مقابل، بدون إيجابية، بدون نتيجة مرجوة للخلاص من ذلك الواقع، وهذا مؤكدٌ في واقع الأمة الإسلامية. في كثيرٍ من الأقطار كم حصلت من مآسٍ رهيبة **جدًّا** نتيجة التفريط في مسؤوليات معينة؟ كم كان الثمن باهضاً **جدًّا** عندما تمكَّن الأعداء؟ وتمكُّن الأعداء **يعني:** تمكنهم بشرهم، بفسادهم، بظلمهم، بإجرامهم، بطغيانهم، **يعني:** أن تتاح لهم فرصة أكثر لارتكاب الجرائم، لممارسة الظلم، لما يحصل على الأمة وفي واقعها من الفساد... أمور رهيبة **جدًّا**، الكلفة هائلة **جدًّا جدًّا**، ووراءها جهنم- والعياذ بالله- جهنم.

والحالة تلك حتى لو صبر الناس عليها، لن يكون صبراً مثمراً، ولا مجدياً، الصبر على تمكُّن الطغاة، والمجرمين، والظالمين، والمفسدين، والأشرار، الصبر على تمكينهم بدلاً من التصدي لهم وفق المسؤوليات والمواقف الحق، الصبر حينها لن يكون مثمراً أبداً، لن يدفع شيئاً، لن يوقف ظلمهم، لن يوقف شرهم، لن يوقف طغيانهم، لن يدفع عن الأمة ذلك الواقع السلبي والمأساوي

والكارثي والخطير الذي يسوده الباطل، والفساد، والطغيان، والإجرام، والظلم، لن يفيد بشيء، حينها ستكون الحالة: اصبروا أو لا تصبروا سواءٌ عليكم.

أيضاً من نتائج التفريط في الصبر على الحق، وفي الصبر على الالتزام بالحق، وفي الصبر على الالتزام بالمواقف الحق، من نتائج هذا التفريط هو دخول النار، في النار في ذلك الكرب الرهيب، في ذلك العذاب الأليم، في تلك الحياة البئيسة جدًّا، في ذلك **العذاب الرهيب جدًّا، لن يفيدك الصبر، هناك يقول الله:** ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾[1]، حينها ستصل إلى كربٍ رهيب، عذابٍ أليم، تعبٍ حقيقي، حزنٍ شديد، ندمٍ عظيم، كل ما يمكن أن تترك الصبر من أجله في الدنيا من متاعب أو مشاق، يأتي بترك الصبر في الحق ما هو أشد من ذلك، وأقسى من ذلك، وأصعب من ذلك بكثير وبما لا يقارن، بما لا يقارن في الدنيا ثم في الآخرة؛ **ولذلك** قيمة هذا الصبر حميدة في الإطار العملي، في إطار الالتزام بالحق، في التمسك بالحق، **قيمة هذا الصبر قيمة عظيمة جدًّا في الدنيا:** فلاحاً، وفوزاً، ونصراً، وعزاً، وخيراً، **وفي الآخرة:** رضوان الله والجنة.

12

إنَّ لحظةً واحدة في الجنة في نعيمها العظيم يمكن أن تكون كافية لأن ينسى الإنسان كل ما قد كابده في هذه الحياة من مشاق، ومتاعب، ومعاناة، وأحزان، وآلام. **وإنَّ لحظةً واحدةً في النار** كفيلة بأن ينسى الإنسان كل نعيمٍ قد عاشه في هذه الدنيا، وأن يستشعر تلك اللحظة أكثر عناءً ومشقةً وألماً نفسياً وجسدياً من كل ما قد عاناه في هذه الدنيا بكله؛ **لذلك** قيمة الصبر قيمة عظيمة، وقيمة مهمة، وبدلاً من التواصي بالتذمر، وبدلاً من التواصي بالضعف، وبدلاً من التواصي بالتنصل عن المسؤولية، وبدلاً من التواصي بالتفريط والتقصير، **يجب** أن يسود فيما بيننا التواصي بالصبر، والتذكير على أساس الاستفادة من القرآن الكريم بقيمة هذا الصبر،

١- الطور: من الآية ١٦

وما يترتب عليه، **وما له من مكاسب مهمة:** نفسية، وتربوية، وعملية، وواقعية، وفي النتائج، وفي الآخرة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع الالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

تجتمع في هذه السورة هذه العناصر الأربعة: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، لتكون مجتمعةً- ومع بعضها البعض- الطريق الحصري الاستثنائي للنجاة من الخسارة الحتمية لكل إنسان، تلك الخسارة التي أقسم الله عليها في القرآن الكريم؛ **ليؤكِّدها لنا**، حتى لو لم تُصدِّق هذا القسم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إنما تورِّط نفسك وتوقعها في تلك الخسارة الرهيبة والحتمية.

إذاً هذا مقياس، وبعناوين واضحة جدًّا، وجلية، ومختصرة، ومقارَبة؛ **لتعرف** ١٢
هل أنت رابحٌ أم خاسر؟ معيار حقيقي للربح والخسارة، طريق الربح، طريق الفوز العظيم هي طريق واضحة، وهي أسهل من طريق الباطل، وهي أشرف، وهي أفضل، وفيها الخير لك، هي فوز بكل ما تعنيه العبارة، وفوزٌ عظيم.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

نافذة ومدخل

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نتحدث في محاضرة اليوم حول موضوعٍ مهم، من أهم المواضيع على الإطلاق، وهو موضوع الظلم، الظلم يعتبر من الجرائم الخطيرة **جدًّا** على الإنسان، ومن المعاصي والذنوب الكبيرة التي تحبَط بها الأعمال، والتي عليها وعيدٌ شديدٌ من الله ﷻ في الدنيا والآخرة.

والحديث عن الظلم يشمل دائرةً واسعة، هذه الدائرة يدخل فيها: الظلم للنفس، الظلم في المعاملة، الظلم في المسؤولية ومن موقع المسؤولية، المظالم العامة والكبرى، ويدخل فيها أيضاً الظلم بالإضلال للناس والافتراء على الله ﷻ.

والحديث عن هذا الموضوع مهم، والانتباه لهذا الموضوع مهم، **أولاً:** للإنسان نفسه؛ **لكي** يحذر من الظلم، لكي يحذر من التورط في هذه المعصية الكبيرة، وفي هذا الذنب العظيم، ولكي يتوب إلى الله وينيب، ويرجع إلى الله، ويتخلص من أي ظلمٍ أو مظلمة، ثم- أيضاً- مهمٌ لنا؛ **لكي** نعرف مسؤولياتنا وواجباتنا في التصدي للظلم، وفي العمل على إقامة العدل، وفي العمل على منع الظلم؛ **لأن** هناك مسؤوليات، إن لم نقم بها، نكون قد شاركنا فيما يقع من ظلمٍ- والعياذ بالله. ١٣

عندما نتحدث عن هذا الموضوع، سيتسع الحديث ليدخل إلى بعضٍ من التفاصيل **تحت تلك العناوين التي أشرنا إليها:** الظلم للنفس، الظلم في المعاملة، الظلم في المسؤولية ومن موقع المسؤولية، المظالم الكبرى والعامة، ثم الظلم كذلك بالإضلال والافتراء على الله ﷻ- وسنتحدث- عن ذلك بالتأكيد في أكثر من محاضرة.

الله تعالى لا يريد الظلم ولا يرضاه لعباده

اليوم نتحدث عن العناوين الرئيسية والمداخل الرئيسية لهذا الموضوع، وأول ما نتحدث عنه في ذلك هو أنَّ الله ﷻ وهو رب العالمين، وهو رب هذا الخلق بكله، وهو رب هذا الكون بأجمعه، وهو الخالق والفاطر -جلَّ شأنه- للسماوات والأرض، هو القائم بالقسط في خلقه، وفعله، وتدبيره، وتشريعه، وفي جزائه أيضاً، هو القائم بالقسط، الذي لا يريد الظلم، ولا يرضى بالظلم، ولا يقبل بالظلم، ويعاقب على الظلم، وهو ﷻ القائل في كتابه الكريم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، الشهادة بوحدانيته، أنه الإله الواحد، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾، **يعني:** أيضاً شهدوا بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿وَأُولُو

﴿الْعِلْمِ﴾، **يعني:** وهم كذلك شهدوا عن علمٍ وبصيرةٍ ويقين أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، فمع أنه الإله الواحد -جلَّ شأنه-: **فهو** أيضاً القائم بالقسط في خلقه، في تدبيره، في تشريعه، في الجزاء، هو القائم بالقسط في عباده، ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١].

هو أيضاً القائل -جلَّ شأنه- في كتابه الكريم عن جزائه: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢]، فهو -جلَّ شأنه- بريءٌ من الظلم، و﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾: لا يمارس الظلم في فعله، ولا في تدبيره، ولا في تشريعه، هو -جلَّ شأنه- القائل أيضاً في جزاء الإنسان: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٣]، هو -جلَّ شأنه- القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، **ولا حتى بهذا المقدار:** ولا بمقدار مثقال ذرة، فهو في جزائه في عباده يوفيهم بالعدل وبالقسط، ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

هو أيضاً لا يريد لعباده الظلم، ولا يريد لهم أن يُظْلَموا، ولا يريد منهم أن يَظلِموا بعضهم بعضاً؛ **ولهذا** هو -جلَّ شأنه- القائل: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾[٥]، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾[٦]، فهو لا يريده.

وبالتالي في هذا العالم، وفي واقعنا نحن البشر، واقعنا الممتلئ بالظلم، الدنيا اليوم ملئت ظلماً وجوراً، وأكثر ما تعاني منه البشرية هو الظلم، وأصبح الظلم هو من أكبر المشاكل التي تعاني منها المجتمعات البشرية في شتى الأقطار وفي معظم البلدان، فعندما نعرف أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في تشريعه وفي تدبيره لا يريد الظلم، ولا

١- آل عمران: من الآية ١٨
٢- آل عمران: الآية ١٨٢
٣- فصلت: الآية ٤٦
٤- النساء: من الآية ٤٠
٥- غافر: من الآية ٣١
٦- آل عمران: من الآية ١٠٨

١٣

يقبل بالظلم، نأتي إلى ما هناك من إجراءات من قبل الله سبحانه وتعالى تجاه هذا الموضوع:

مما ورد في القرآن من الوعيد الشديد على الظلم

أولاً: نجد في القرآن الكريم الوعيد الشديد على الظلم، الله حرَّم الظلم، وتوعَّد عليه بالوعيد الشديد، وبالعقوبات الشديدة، وبالعذاب الشديد على مستوى الآخرة، وعلى مستوى الدنيا، نجد في الوعيد قول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]، نعوذ بالله، نعوذ بالله! اللعنة من الله سبحانه وتعالى هي الطرد من رحمته، الإنسان إذا طرد من رحمة الله سبحانه وتعالى، **معناه:** أصبح إنساناً شريراً مخذولاً، لا يحظى من الله بأي رحمة، بأي توفيق، بأي هداية، ويستوجب عذاب الله سبحانه وتعالى، ويكون تدبير الله له في هذه الدنيا فيما يدبره بشأنه، وما يعده له في الآخرة، هو ما فيه هلاكه، ما فيه شقاؤه، ما فيه عذابه. ١٣

لاحظوا على سبيل المثال: الشيطان، إبليس عندما لعنه الله سبحانه وتعالى، عندما طرده من السماء ولعنه، قطع عنه رحمته، فلا يتوفق أبداً، لا يهتدي أبداً، لا يصلح أبداً، يتمادى في جرمه، في طغيانه، في فساده، في ضلاله، يزداد ضلالاً، يزداد شقاءً، يزداد خسراناً، يتحمل المزيد والمزيد من الأوزار.

فاللعنة من الله قضية خطيرة جدًّا على الإنسان، الإنسان إذا لُعِن من الله، معناه: طرد من ساحة الرحمة الإلهية، معناه: خرج من ألطاف الله وتوفيقه وهدايته إلى دائرة السخط الإلهي، والعقوبة الإلهية، وهذه حالة خطيرة **جدًّا، يجب** أن يحذر منها الإنسان **جدًّا**، فمن نتائج الظلم؛ الإنسان إذا ظلم، وأصر على ظلمه، وتمادى في ظلمه، لم يخرج مما هو فيه من مظلمة، وينيب إلى الله سبحانه وتعالى، ويتخلص من المظالم، فالقضية خطيرة **جدًّا**، يدخل في إطار هذه اللعنة من الله سبحانه وتعالى، بكل ما يترتب عليها من نتائج رهيبة **جدًّا** في الدنيا، وعذاب عظيم في الآخرة.

١- هود: من الآية ١٨

الله -جلَّ شأنه- يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا﴾: الله -جلَّ شأنه- عظيم الشأن، بقدرته، بجبروته، بقوته، بعزته، بانتقامه، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾(1)، السجن الأبدي الذي سينقل إليه كل الظالمين، ثم لا يخرجون منه، أبداً، النار، نار جهنم- والعياذ بالله- حيث سيسجنهم الله فيها للأبد، سجناً مؤبَّداً، ليس له نهاية، مليارات السنين قليلةٌ في الحساب، ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، لا يمكنهم أن يتخلصوا أبداً، قد أحيط بهم بالسرادق، **سرادق:** يشمل أشياء كثيرة في نار جهنم، يشمل أسوار جهنم، يشمل كذلك جدران قد تكون أو أماكن ضيقة في جهنم، توابيت في جهنم... أشياء كثيرة يدخلون إليها في جهنم، ثم لا يتخلصون منها- والعياذ بالله- ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، **يعني:** لا خلاص لهم منها، لا فرار لهم منها، لا ملاذ لهم منها، لا مناص لهم، لا إمكانية للهروب منها، أبداً.

١٣

يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(2)، وعيدٌ قاطع وواضح وصريح بعذاب الله الأليم **جدًّا**، يقول الله -جلَّ شأنه- في القرآن الكريم عن يوم القيامة في ساحة الحساب: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(3)، لا تنفعهم التبريرات والأعذار والتلفيقات التي يحاولون أن يبرروا بها الظلم الذي ارتكبوه، لا ينفعهم ذلك، أبداً، ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: فطردوا من رحمة الله نهائياً، ولا يحظون بذرةٍ من رحمة الله سبحانه وتعالى، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: وهو جهنم- والعياذ بالله.

يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾، **يعني:** في يوم القيامة وهم في وضعية رهيبة **جدًّا**، وقد جيء بجهنم، وسينتقلون إليها، ﴿مُشْفِقِينَ

١- الكهف: من الآية ٢٩

٢- إبراهيم: من الآية ٢٢

٣- غافر: الآية ٥٢

﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾[١]، أدركوا عظيم وزرهم، وكبير جرمهم، وشناعة أعمالهم، فأصبحوا في حالة من الخوف والذعر الشديد، ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾؛ **لأنهم** أدركوا ما هي النتائج الحتمية التي سيذهبون إليها، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾[٢]، لا يستطيعون دفعه، ولا التخلص منه- أبداً- من كان منهم يحتمي بالجيوش لا تنفعه جيوشه، من كان منهم يحتمي بالمال لا ينفعه ماله، من كان منهم يستند إلى سطوته وجبروته وقوته، تلاشى ذلك، من كان منهم في الدنيا يستند إلى ضعف من يظلمه، فهناك لا يمكنه أن يستند إلى ضعف ذلك؛ **لأنه** أصبح هو في دائرة الضعف والعجز والاستسلام التام.

١٣

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[٣]، قد يستغرب الإنسان ويتساءل أمام كثيرٍ من المظالم، عندما يرى الطغاة، عندما يرى الظالمين المستكبرين المجرمين وهم يرتكبون أبشع الجرائم، وأكبر المظالم، فيتعجب كيف لا يعاجلهم الله بعقوبة نهائية، وضربة قاضية! الله ليس غافلاً عن أعمالهم، وتصرفاتهم، وظلمهم، وجرائمهم، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجعل جزءاً من العقوبات في الدنيا، لكنَّ الجزاء الكبير، والكبير الحقيقي، والجزاء الوافي هو في الآخرة، ﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ﴾، **يعني:** ليوم القيامة، ليومٍ عظيم، ليومٍ رهيب، ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾، أولئك الذين كانوا في الدنيا يُفتِّحون أعينهم، على حسب التعبير المحلي [يبهررون] على عباد الله بكل كبر وغطرسة، في ذلك اليوم أبصارهم شاخصة، وهم في حالة من الرعب الشديد، والخوف العظيم، ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾، فهم في حالة من الذل، قد مدوا أعناقهم، ورفعوا رؤوسهم، أعناقهم

١- الشورى: من الآية ٢٢
٢- الشورى: من الآية ٢٢
٣- إبراهيم: الآية ٤٢

منحنية، ورؤوسهم مرتفعة هكذا في حالة من الذل والرهبة الشديدة **جدًّا**، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾[1]، من شدة الخوف والرعب، طرف العين لا يرتد، لا يتحرك، لا يرجع، **في حالة منبهرين:** وخائفين، ومفجوعين، ومرعوبين، وفي حالة من الإذلال الشديد **جدًّا**، انتقاماً منهم كما ظلموا وطغوا وتكبروا في هذه الدنيا، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾، **أفئدتهم:** واقعهم الداخلي في نفوسهم، في قلوبهم فراغ، ليس عندهم ذرة من الروح المعنوية، ولا من الاطمئنان، أبداً، خوف شديد **جدًّا** هم فيه.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾.. درس مهم!

13

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾[2]، الكثير من الظالمين يصل بهم الطغيان والكبر إلى أن يطمئنوا اطمئناناً تاماً في هذه الحياة، وكأنه لا حساب، ولا عقاب، ولا جزاء، وكأنهم سيفعلون كل ما يفعلون من دون أن يدفعوا ثمن ذلك، من دون أن يعاقبوا على ذلك، ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾[3]، في الدنيا هناك الكثير من العبر عمَّن ظلموا، عمَّن طغوا، وعمَّن تكبروا، وكيف عاقبهم الله في هذه الدنيا؛ **ثم** انتهت سطوتهم، انتهت حياتهم، انتهت إمكاناتهم، تلاشت قوتهم، **فلماذا لا تؤخذ العبرة من ذلك:** ممن يطغى، ممن يظلم، ممن يتكبر؟

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **عن يوم القيامة أيضاً:** ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[4]، هذا يبين على

١- إبراهيم: من الآية ٤٣
٢- إبراهيم: الآية ٤٤
٣- إبراهيم: الآية ٤٥
٤- الزمر: الآية ٤٧

مستوى الخوف الشديد **جدًّا**، وعلى سوء الحساب، وشدة العذاب الرهيب **جدًّا**، لدرجة أنه لو كان للظالم ما في الأرض، ونحن عندما نتخيل- على سبيل التخيل حتى- كم في الأرض من إمكانات... من أشياء يطمع فيها الناس، كل ما في الأرض من ممتلكات، كل ما في الأرض من أموال، كل ما في الأرض من مُدَّخرات ونفائس وأشياء غالية لدى الإنسان، مهمة لدى الإنسان، ليس هذا فحسب، بل ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾: ويكون أيضاً مثله معه يضاف إليه، ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾: لقدموه فديةً لو أمكن أن يفتدوا به ﴿مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ **لأنه** عذابٌ شديد **جدًّا**، عذاب رهيب **جدًّا**- وللأسف- الكثير من الناس قد يظلم من أجل شيء تافه، شيء تافه، أنت في يوم القيامة لو أمكنك أن تفتدي بكل ما في الأرض جميعاً، وبمثله معه، لافتديت به؛ **فكيف** تَظْلِم من أجل شيءٍ تافه تحصل عليه من هذه الدنيا؟! وأكثر المظالم، نسبة كبيرة **جدًّا** من المظالم تكون- وهي وراء سعي الإنسان- تكون نتاجاً لسعي الإنسان للحصول على شيء من هذه الدنيا، الذي يذهب في صف الطغاة والظالمين والمجرمين، يقاتل معهم ويناصرهم؛ **من أجل** أن يحصل على شيء معين، كم انطلق في صف العدوان، كم التحق بالسعودي والإماراتي من أجل الحصول على قليلٍ تافهٍ من المال؟ ثم كم حصل من ظلم نتيجة ذلك؟ ١٣

كثيرٌ من الناس من موقعه في المسؤولية قد يظلم؛ من أجل أن يحصل على شيءٍ من الدنيا، كثيرٌ من الناس في معاملاته قد يظلم؛ **من أجل** أن يحصل على شيءٍ من الدنيا، قد يظلم البعضُ حتى قريبه؛ **من أجل** أن يحصل على شيءٍ من هذه الدنيا.

يوم القيامة لو كان للإنسان ما في الأرض بكله ومثله معه لافتدى به، ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[1]، ظهر لهم من عذاب الله وبأسه وجبروته ما لم يكونوا يتوقعونه، ما لم يكن في حساباتهم، ولا في تقديراتهم، أمور رهيبة **جدًّا**.

١- الزمر : ٤٧

فهذا الوعيد في الآخرة: جهنم، العذاب الشديد، العذاب الدائم، أمر رهيب **جدًّا**، هذه الحسرة، هذا الذل، هذا الندم، هذا الخوف للظالمين في يوم القيامة، الاحتراق الدائم في نار جهنم، الإذلال الدائم في النار- والعياذ بالله! السجن في جهنم- والعياذ بالله! أمر رهيب **جدًّا** يستدعي من الإنسان أن يكون حذراً؛ **حتى** لا يكون ظالماً، ولا يكون مساهماً في ظلم عباد الله.

العبرة بما حصل للأمم والقرى نتيجة ظلمهم

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **-أيضاً- ذكر لنا في القرآن الكريم** كيف أهلك الكثير من الأمم والقرى نتيجةً لظلمهم، ذكر لنا في القرآن الكريم عن قوم نوح، عن ثمود، عن عاد قبل ثمود... عن أقوام متعددة، وكيف أهلكهم، تحدث لنا في القرآن الكريم عن قرى، عن أمم- على وجه الإجمال- كيف هلكت، **قال عن قوم نوح:** ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١]، قال عن فرعون وقوم فرعون: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[٢]، قال -جلَّ شأنه-: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾[٣]، **عبارة: (وَكَمْ)** يفيد التكثير، **يعني:** كثيراً من القرى حصل لها ذلك، أهلكها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعاجلها بالعقوبة في الدنيا بأنواعٍ من العقوبات المدمرة، عقوبات رهيبة **جدًّا**.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾، **فيما تفيده مفردة (قَصَمْنَا)** من ضربة قاضية وعذاب مهلك ومدمر، ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝١١ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ﴾[٤]، عودوا إلى حياتكم السابقة، عودوا إلى ما كنتم فيه من الترف، عودوا إلى ما كنتم عليه من الانشغال بمتعة هذه الحياة، مع ما

١- العنكبوت: من الآية ١٤
٢- الأنفال: من الآية ٥٤
٣- الأنبياء: من الآية ١١
٤- الأنبياء: ١١-١٣

كنتم عليه من ظلم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾[1]، لم ينفعهم، أحسوا، شعروا، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، لكن هذا لم يفدهم، أبداً، بل استمر الهلاك والعذاب حتى انتهوا، ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾.

لماذا يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **هذا لنا؟** ليذكرنا بأن هذا يمكن أن يحصل، ليس هذا فقط للماضين من البشر؛ **وإنما** أيضاً لمن بعدهم، تحصل أن تنزل عقوبات إلهية، عقوبات من الله، عقوبات جماعية- أحياناً- إذا أصبح الواقع في مجتمعٍ معين واقعاً منحرفاً، واقعاً فاسداً، واقعاً يسوده الظلم والانحراف؛ **يمكن** أن تأتيه- بل لا شك- أن تأتيه العقوبات الإلهية في الدنيا.

١٣

يقول الله -جلّ شأنه-: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[2]، تجد كثيراً من القرى التي قد انتهت الحياة فيها، بقيت آثارها، بقيت فيها الأطلال، بقيت خاويةً على عروشها، البئر معطلة، قصر مشيد، ولكن ليس فيه من سكان، آثار فقط، أين هم؟ انتهوا، هلكوا، رحلوا، عوقبوا، فهذا على مستوى الوعيد والتحذير، التحذير لبقية المجتمعات البشرية.

يأتي أيضاً ضمن الوعيد الإلهي الوعيد على الظلم في القضايا التفصيلية: جرائم معينة، مظالم معينة، مثلاً: القتل ظلماً عليه وعيدٌ في القرآن الكريم بالنار. أخذ مال الحرام، ونهب حق الناس بغير حق، عليه وعيدٌ بالنار. جرائم كثيرة عليها وعيدٌ بالنار في القرآن الكريم، سنأتي- إن شاء الله- إلى الحديث عن ذلك على نحوٍ أكثر تفصيلاً.

١- الأنبياء: ١٣-١٥

٢- الحج: الآية ٤٥

في القرآن الكريم وفي دين الله ﷻ بشكلٍ عام، حتى مع الأنبياء السابقين، شرع الله عقوبات، عقوبات على الظلم، عقوبات في الدنيا، عقوبات تنفذ ضد الظالمين، عقوبات مثلاً على القتل ظلماً، على السرقة، على النهب، على الربا... أشياء كثيرة عليها عقوبات تنفذ.

من أهم مسؤوليات المؤمنين: دفع الظلم وإقامة العدل

أيضاً في التشريعات والتعليمات الإلهية ما يشرّع لنا، وما يقدم ضمن أهم مسؤولياتنا: العمل على منع الظلم، والعمل على إقامة العدل. وإقامة العدل هي من المسؤوليات المهمة في الدين الإلهي، من أهم المسؤوليات أن يعمل
١٣ المؤمنون على إقامة العدل، وأن يعملوا على منع الظلم، وأن يحاربوا الطغاة والظالمين، وأن يعملوا على منع ظلمهم، والتصدي لظلمهم، وتشريعات من الله ﷻ تساعد عباده على بناء واقعهم وإصلاحه؛ **حتى** يكون واقعاً منيعاً، عصياً على الظلم والظالمين، واقعاً تنطلق فيه الأمة في القيام بمسؤولياتها لدفع الظلم، ولكن من واقع القوة، تشريعات وتعليمات تبني الأمة لتكون أمةً قوية، تقدر على دفع الظلم، فاعلة في التصدي للظلم، ومقتدرة- مع التأييد الإلهي- على معاقبة الظالمين والطغاة، والتخلص من ظلمهم، ومنع ظلمهم؛ ولهذا يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

يقول ﷻ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[2]، **يقول الله ﷻ**: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[3]، **حتى في القول، في الكلام**، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

١- النحل: الآية ٩٠
٢- النساء: من الآية ٥٨
٣- الأنعام: من الآية ١٥٢

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾، وهذه الآية القرآنية العظيمة هي تأمر بهذا الأمر الإلهي المهم: تأمر المؤمنين أن يكونوا (قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ)، بما تفيده مفردة (قَوَّامِينَ) من عملٍ مستمر، وسعيٍ مستمر، وبرنامج متكامل لإقامة القسط في الحياة، ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، يكون الإنسان مستعداً أن ينصف من نفسه، حريصاً على أن ينصف من نفسه، ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾، لا تُحابِ قريبك، لا تساعده على الظلم، اسعَ لإقامة العدل حتى ولو كان على نفسك أو أبيك أو قريبك، ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾، فلا الغني يجامَل لغناه، ولا الفقير يجامل لفقره، العدل على الجميع، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1]. ١٣

فنجد على نحوٍ عام تركيزاً كبيراً على مسألة العدل، والسعي لإقامة العدل، والحذر من الظلم، والنظرة إلى الظلم كجرم خطير **جدًّا**؛ يحذر الإنسان من ممارسته، ويسعى ضمن عباد الله المؤمنين كمسؤولية جماعية، يتعاون فيها المؤمنون لإقامة القسط، ومنع الظلم، والتصدي للظلم.

هذا على نحوٍ عام نفتتح به- إن شاء الله- المحاضرات القادمة في هذا الموضوع، لندخل- إن شاء الله- إلى بقية المواضيع، إلى ما تشمله هذه الدائرة على نحوٍ تفصيليٍ، وعلى ضوء بعضٍ من الآيات القرآنية المباركة.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لنكون من عباده القائمين بالقسط، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١- النساء: الآية ١٣٥

مع قائمة (الأظلم) التضليل باسم الدين

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

١٤

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث على ضوء ما بدأناه في محاضرة الأمس، في الحديث عن عنوانٍ من أخطر وأهم العناوين، وهو الظلم، وسبق لنا بالأمس الحديث عن عظيم جرم الظلم، وعن موقعه في الذنوب والمعاصي؛ **باعتباره** من أكبرها، وأفظعها، وأشدها، وأعظمها سخطاً عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعذاباً وعقوبة.

ونحن عندما نتحدث على ضوء الآيات المباركة، فعلى أمل- إن شاء الله- أن نستفيد نحن وإياكم من هذه الآيات المباركة، ونحن جميعاً معنيون أن تكون نظرتنا إلى هذه القضايا، إلى هذه المواضيع التي يأتي الحديث عنها على ضوء الآيات المباركة من القرآن الكريم، أن تكون نظرتنا قرآنية، حتى إذا كانت فكرة الإنسان تجاه موضوعٍ معين فكرةً أخرى، عليه أن يصوِّب فكرته، وأن يغيِّر نظرته، ويمتلك الرؤية القرآنية، يمتلك ما قدمه القرآن الكريم، يرسِّخ في نفسه ويقتنع بما قدمه القرآن الكريم. في بعض الأمور تكون لدى الناس أفكار أخرى، ونظرة أخرى، في بعض الأمور تكون نظرة الناس لا بأس في الاتجاه الجيد، ولكنها ليست بالمستوى المطلوب تجاه ذلك الموضوع، أو تلك القضية، أو ذلك الحدث، أو ذلك الموقف؛ **ولذلك** من الإهتداء بالقرآن الكريم أن ترسِّخ في نفسك ما قدَّمه القرآن الكريم، وأن يكون هو الفكرة لديك التي تعتمد عليها، وتوقن بها، وتؤمن بها، وتتقبلها. إذا كان لديك رأيٌ آخر، أو فكرةٌ ثانية، أو نظرةٌ أخرى، أو تقديرٌ مختلف أكبر أو أقل، فعدل موقفك، عدل فكرتك، عدل نظرتك؛ **لأننا** في الاهتداء بالقرآن الكريم لا بدَّ أن نهتدي بمضمون هذا الكتاب، ما يهدي إليه، ما يقدِّمه إلينا، ليست علاقتنا مع القرآن الكريم **أن نأتي فنقول فقط:** [هذا كتاب الله] وانتهى الأمر، لا تقف عند حد الإقرار بأنه من الله، حتى التصديق والإيمان بالآيات القرآنية لا يقف عند حد الإقرار بأنها من الله، أو الإقرار العام بأن هذا الكتاب حق، ثم أنت تكون لديك الكثير من الأفكار والرؤى المخالفة للقرآن، ثم تكون معتقداً أنَّ أفكارك المخالفة للقرآن هي الحق، هنا أنت تكذِّب، أنت تكون من المكذبين بآيات الله، عندما تمتلك أفكاراً مخالفة تعتبرها هي الحق، وتعتبر ما خالفه غير الحق؛ **فأنت** تعتبر- ضمناً- تلك الآيات القرآنية فيما تهدي إليه، فيما تدعو إليه، فيما تقدمه، بأنها ليست بحق، وهذا الموضوع خطيرٌ **جدًّا.**

١٤

حديثنا عن الظلم سيأتي فيه تفاصيل متعددة، كما سبقت منا العناوين العامة في محاضرة الأمس، ونبدأ اليوم من قائمة الأظلم. في القرآن الكريم حديث عن الظالمين، وحديث واسع، له مساحة واسعة في القرآن الكريم، ولكن ضمن هذه القائمة (قائمة الظالمين) قائمة داخلها هي قائمة الأظلم، وهذا يلفت نظرنا إلى مواضيع قد كانت- لربما- عند الكثير من الناس من المواضيع البسيطة، التي لا ينظرون إليها كما يقدِّمها القرآن الكريم.

القرآن الكريم في آياتٍ أُخَر يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾، هؤلاء الذين يقدِّمهم القرآن الكريم أنهم الأظلم، **يعني:** أنهم الأعظم ظلماً، الأكبر ظلماً؛ **ولذلك** ظلمهم فوق ظلم الآخرين، وأنَّ تلك الجرائم التي عبَّر القرآن الكريم عن مرتكبيها بالأظلم، هي أكبر الظلم، وأعظم الظلم، وأفظع الظلم، وهي جرائم يمكن أن يدخل فيها حتى الإنسان العادي، وقد يعتبر نفسه في موقفٍ بسيطٍ **جدًّا**، وقد يعتبر تصرفه ذلك، أو كلامه ذلك، أو موقفه ذلك موقفاً عادياً، فيما هو مصنفٌ في القرآن الكريم في هذه القائمة: الأظلم، **يعني:** الأعظم ظلماً، الأكبر ظلماً، فالمسألة خطيرة **جدًّا**.

جريمة افتراء الكذب على الله

يقول الله -جلَّ شأنه- في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[1]، آيات كثيرة في ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، بل أكثر الآيات في ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ اتجهت تجاه هذه الجريمة، **وتجاه هذا الظلم العظيم:** افتراء الكذب على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أن تفتري على الله الكذب، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، التكذيب بآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يساوي هذا الجرم، هذا الظلم، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

١- الأنعام: الآية٢١

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، وهنا كذلك حديثٌ عن هذا الظلم، عن هذه الجريمة الشنيعة **جدًّا**، التي هي من أظلم الظلم: الافتراء على الله كذباً، **والهدف من ذلك**: إضلال الناس، استخدام ذلك وسيلةً لإضلال الناس، ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾، **يعني**: في يوم القيامة، ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2]، **يقول الله** سبحانه وتعالى **في آيةٍ أخرى**: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾[3]، ولا يزال هناك آيات في القرآن الكريم- اكتفينا بهذه- تتحدث عن هذا الظلم الرهيب، الذي هو في مقدِّمة الظلم، ومن أبشع أنواع الظلم، ومن أظلم الظلم.

١٤

ومن خلال التأمل في هذه الآيات المباركة، نجد أنَّ هذا الظلم يقاس بمقياسين: من حيث جرمه، من حيث مستواه، **من حيث المستوى**: هو من أظلم الظلم، **ومن حيث** أنه يبتني عليه ويتفرع عنه الكثير من الظلم، وهذا النوع من الظلم الذي يتفرع عنه الكثير الكثير من الظلم، يعتبر من أظلم الظلم، وفاعله من أظلم الناس، هو في مقدِّمة الظالمين، من أسوئهم، من أظلمهم.

نموذج من الواقع: التضليل باسم الدين

جريمة الافتراء على الله كذباً جريمة خطيرة جدًّا، ومصاديقها في الواقع، وتطبيقاتها في الواقع العملي للناس كثيرة **جدًّا**، وقد يغفل عنها الكثير من الناس، **وعادةً تأتي: إمَّا** لدعم باطل، **أو** للتخذيل عن حق، **أو** لتبرير جريمة،

١- الأنعام: من الآية ١٤٤
٢- هود: الآية ١٨
٣- الزمر: من الآية ٣٢

في هذه الأحوال يأتي الكثير من الناس إما ليقول عن ذلك الباطل إنه حق، ويحاول أن يبرره، ويحسبه على دين الله ﷻ، **وفي مقدِّمة الذين يبررون ويفترون على الله كذباً:** علماء السوء، والمثقفون، والخطباء، والمرشدون، الذين هم في صف الباطل، أو يدعمون باطلاً، هذه النوعية من الناس، مع أنه حتى الإنسان العادي، حتى العامي من الناس قد يأتي ليبرر موقفاً باطلاً، ويقول إنه حق، وإنه يوافق دين الله ﷻ، وإنه يرضي الله -جلَّ شأنه- وإنه الذي يتوافق مع الإسلام والحق، وهو بذلك يفتري على الله كذباً؛ **لأن** كل ما حسب على دين الله، فأنت تنسبه إلى الله، كل ما تنسبه إلى الحق، وتقصد به الحق عند الله، فأنت تنسبه إلى الله ﷻ، وهذه الحالة تكثر في واقع الناس، أكثر ما يأتي من الباطل في الساحة يقدَّم على أنه حق، هذه حالةٌ حقيقية مؤكَّدة، **يعني:** واقعية، تحصل كثيراً في واقع الناس، أكثر ما يقدَّم في ساحة المسلمين حتى من مواقف، من تصرفات، من أعمال، تقدَّم على أنها حق، ثم تنسب على أنها موافقة للدين، يأتي ليرتكب مثل هذا الذنب العامي من الناس، يأتي بعضٌ من علماء الدين، من الخطباء الذين يخطبون في المناسبات الدينية وباسم الدين من المرشدين، الكثير من الناس يأتي ليدعم باطلاً على أنه حق، وأنه من الدين، وأنه يوافق دين الله ﷻ.

أمَّا- كما قلنا- علماء السوء، والعلماء المضلون والمبطلون، فسيأتي أيضاً ليحرِّف المعاني (معاني الآيات القرآنية)، ليقدِّمها على غير مصاديقها، على غير حقائقها، على غير واقعها؛ **ليدعم** بها الباطل، ولو تتأمل اليوم في الساحة الإسلامية سترى كل دعاة الضلال، وكل قوى الباطل والشر، حتى القوى الموالية لأعداء الإسلام، الموالية لأمريكا، الموالية لإسرائيل، ومعها جيش كبير باسم علماء، وباسم خطباء دين، وعلى منابر المساجد، وفي القنوات والفضائيات والإذاعات، وتحت عنوان (البرامج الدينية)، يدعمونها في باطلها، يدعمونها في مواقفها، يساندوها في خطواتها، يدعمون سياساتها، وهكذا بشكلٍ يحسب

عـلى الديـن، وباسـم الديـن، وتحـت العناويـن الدينيـة، هنـا افـتراء الكـذب على اللـه ﷻ، والدعـم للباطـل تحـت هـذا العنـوان الدينـي، وفي هـذا إسـاءة عظيمـة إلى اللـه، اللـه القائـم بالقسـط في عبـاده، اللـه الحـق، اللـه العـدل -جـلَّ شـأنه- يُحسَـب عليـه مـا يـبرر الظلـم، مـا يـبرر الفسـاد، مـا يـبرر المنكـر، مـا يـبرر الانحـراف، هـذا ظلـم شـنيع **جـدًّا**، فيـه إسـاءة بالغـة إلى اللـه ﷻ، إسـاءة كبـيرة إلى ربنـا العظيـم الملـك القـدوس، إسـاءة عظيمـة إلى اللـه في عدلـه، إلى اللـه في رحمتـه، إلى اللـه -جـلَّ شـأنه- وهـو القائـم بالقسـط في عبـاده، إلى اللـه في قدسـيته، إلى اللـه -جـلَّ شـأنه- في مـا تعنيـه أسـماؤه الحسـنى، وفي هـذا ظلـمٌ شـديد، ظلـمٌ رهيـب، ظلـمٌ ومجافـاةٌ للإنصـاف، وتنكـرٌ للعدالـة إلى حـدٍ كبـيرٍ **جـدًّا**.

١٤ **فتكـثر هـذه الحالـة، هـي قائمـة في واقـع النـاس:** في النزاعـات، في القضايـا، في المشـاكل، القـوى التـي تشـتغل في السـاحة الإسـلامية هـي توظِّـف ذلـك، وتسـتخدم هـذا الأسـلوب بشـكل كبـير **جـدًّا**، وتحـاول أن تدعـم باطلهـا، وخـارج السـاحة الإسـلامية كذلـك، لـدى اليهـود، لـدى النصـارى... لـدى فئـات كثـيرة مـن البشـر، هـي تتحـرك تحـت هـذا العنـوان؛ **فتكـثر** في واقـع النـاس مسـألة افـتراء الكـذب على اللـه: لدعـم باطـل، لدعـم ظلـم، لتبريـر جرائـم، وتـأتي أيضـاً كذلـك للتخذيـل عـن الحـق، وللصـد عـن الحـق، وهـذه- أيضـاً- مـن الإسـاءة الكبـيرة إلى اللـه ﷻ، عندمـا يـأتي مـن يتحـرك بالحـق في السـاحة، يدعـو النـاس إلى الحـق في السـاحة، يـأتي الكثـير ليعارضـه، وليثبـط حتـى عـن الموقـف الحـق، التثبيـط عـن الموقـف الحـق باسـم الديـن نفسـه، هـذا مـن افـتراء الكـذب عـلى اللـه ﷻ، افـتراء عـلى اللـه كذبـاً.

شطب مسؤولية الأمة في إقامة العدل.. كارثة كبرى!

عندمـا تجـد مثـلاً الموقـف الحـق الـذي يدعـو إليـه القـرآن الكريـم، يأمـر بـه اللـه ﷻ في القـرآن الكريـم، يوجّـه إليـه اللـه ﷻ في القـرآن الكريـم، فيـه آيـاتٌ بيّنـاتٌ واضحـاتٌ، مئـات الآيـات فيـه (في القـرآن الكريـم)، وتـرى مـن يـأتي ليشـطبه

بالكامل، ألم يأتِ من أبناء الأمة الإسلامية من يشطب الجهاد في سبيل الله بمفهومه القرآني الصحيح، يشطبه بالكامل، يلغيه نهائياً، يعطِّله تعطيلاً كاملاً، وكأنه ليس من الإسلام، ويقدِّم الإسلام منقوصاً، إسلامٌ بلا جهاد، ولا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، ولا مباينة للطغاة والظالمين، ولا موقف من أعداء الإسلام، ولا إعانة للمسلمين ونصرة لهم في مشارق الأرض ومغاربها، ولا تضامن مع المسلمين في فلسطين، ولا تبني لقضايا الأمة الكبرى... ولا أي شيء من هذه، كل هذه شُطِبَت، وهي مدعومةٌ في القرآن بمئات الآيات القرآنية المتنوعة: ما يحسب ذلك شرطاً في الإيمان، ما يعتبره من فرائض الله الواجبة، ما يعتبره شرطاً في دخول الجنة...إلخ. ألم يأتِ من يشطب المسؤولية على الأمة الإسلامية في العمل على إقامة العدل، وإقامة القسط والعدل في الحياة، ويشطب هذا من ضمن مسؤوليات الأمة، فلا يتحدث به في عِظَة، ولا كتاب، ولا تدريس، ولا تعليم، ولا إرشاد، وكأنه ليس من مسؤوليات الأمة الإسلامية- نهائياً- إقامة القسط في الحياة، إقامة العدل في الحياة، شَطَب جانب المسؤولية، قدَّم الدين طقوساً محدودة فقط، فيما يساعد على ماذا؟ على انتشار المظالم في داخل الأمة، على قيام الظلم، على هيمنة الطغاة والجبابرة وأعداء الأمة بكل ما يمثلونه من خطورة على الأمة. أكبر دعمٍ للباطل والظلم، أكبر سببٍ لانتشار الظلم، أكبر عاملٍ في تمكُّن الطغاة والظالمين والجبابرة، هو الافتراء على الله كذباً؛ **ولهذا** كان المفترون على الله كذباً هم أظلم عباد الله، أظلم الناس للناس، والأظلم في تضييع الحقائق المهمة والأسس المهمة.

عندما تنظر إلى الدين الإسلامي كمنظومة متكاملة، فيه جانب رئيسي هو جانب المسؤولية: العمل على إقامة القسط، على إقامة العدل، على إقامة الحق، منهج الله ﷻ هو منهج لإقامة العدل في الحياة؛ **لأن** العدل- قبل كل شيء- هو فكرة، هو رؤية، هو قاعدة، هو تشريع. العدل هو تشريعٌ إلهي، تعليمات إلهية، نطبقها في واقع الحياة فيتحقق لنا العدل،

تلك التعليمات الإلهية التي يقوم بها العدل في واقع الحياة عندما يُشطَب أكثرها، عندما يشطب أهمها، عندما يلغى أكثرها من قائمة الدين، من قائمة التعليم الديني، من قائمة الخطاب الديني، من قائمة الإرشاد الديني، ثم يأتي البديل عن ذلك ليحل محلها، وهو الطغيان، والظلم، والجبروت، والفساد، والمنكر، هذه كارثة، هذه مصيبة، هذا أمر رهيب **جدًّا**.

نجد أيضاً أن الافتراء على الله كذباً هو الوسيلة التي تستخدم لإضلال الناس، الإضلال عن نهج الحق، عن نهج العدل، وهذا ينسف البنيان الأساس الذي يقوم عليه العدل في واقع الحياة، ويعتبر كذلك ظلماً لما يسببه للضالين، الذين يتبعون أولئك الذين أضلوهم، ما يسبب لهم من خسران وضياع في الدنيا والآخرة، يعتبر ظلماً، فهو ظلمٌ من جوانب كثيرة. ١٤

من أشد الناس ظلما: المثبطون عن الموقف الحق

الظلم يأتي في الجانب الإيجابي: يعني عندما تدعم الباطل، وتقدم الباطل ليتبعه الناس، تدعو إلى الموقف الباطل، إلى الموقف الظالم ليتبعه الناس، تدعو إليه، تستقطب إليه، تدعمه. ويأتي أيضاً بطريقة النفي: عندما تنفي ما هو حق، تسقط لدى الناس في ذهنيتهم تلك المسؤوليات التي لا بدَّ منها في إقامة العدل، في إقامة القسط، تخذّل الناس عن أن يقفوا الموقف الحق ضد الظلم، ضد الباطل، هذا أيضاً هو من الظلم، وهو افتراء كذب على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنت تفتري على الله كذباً، عندما تجعل القعود عن الموقف من الظالمين وموقف من ظلم كبير **جدًّا** يجري، المظالم العامة والكبرى في واقع الأمة، عندما تأتي باسم أنك عالم دين، أو باسم أنك مرشد ترشد إلى الدين، فتخذل الناس حتى لا يقفوا في وجه ظلم من أكبر الظلم الذي يجري في عصرك، من أعظم الظلم، من أكبر المظالم، المظالم الكبرى القائمة في هذا الزمن، مظالم على شعوب بأكملها، **مظالم دخلت فيها كل أنواع الظلم:** الاستهداف للناس

في إيمانهم، في حريتهم، في أخلاقهم، في قيمهم؛ الاستهداف للناس في حياتهم، في اقتصادهم؛ **الاستهداف** للناس في أمنهم واستقرارهم... كل أنواع الظلم.

هذا العدوان الكبير على شعبنا اليمني، الظلم على شعب فلسطين، نماذج من المظالم الكبرى والعامة التي هي قائمة في واقع الناس في الساحة، كم من المتورطين في هذا الظلم؛ **إما لأنهم** يسوغونه، يبررونه، يدعمونه، يدعون إليه، يشرعنونه، هؤلاء هم من الذين يفترون على الله الكذب، **أو لأنهم** ممن يقدمون له الدعم بطريقة أخرى، فهم يثبطون الناس عن اتخاذ أي موقف ضد هذا الظلم، ويشككون الناس في الموقف من هذا الظلم، ويحاولون أن يقعدوا الناس عن أي تحرك للتصدي لهذا الظلم، ثم يقدمون هذا القعود، وهذا الجمود، وهذا التنصل عن المسؤولية باسم الدين، يفترون على الله كذباً بذلك، فهم من أظلم الناس، من أظلم الناس؛ **لأنهم** يدعمون ظلماً عظيماً، ويبررونه، ويهيئون له البيئة ليستحكم، يهيئون له الظروف ليتمكن، يهيئون له الواقع ليسيطر، يجمّدون أمامه الساحة ليتمكن من السيطرة عليها؛ **فهم من أظلم الناس،** انظر إليهم هذه النظرة، انظر إليهم نظرة القرآن الكريم.

وعن هذا الطريق ينتشر الظلم، عن هذا الطريق يقتنع أكثر الناس: **إما** بالوقوف في صف الظلم، **أو** بالقعود والتمكين له، وعدم الوقوف في وجهه، عن هذا الطريق؛ **ولذلك،** التمكين للظلم هو عن طريق الافتراء على الله كذباً، يتفرع الظلم عن هذه الطريقة، بهذا الأسلوب، فكان الافتراء على الله كذباً هو أكبر الظلم؛ **لأنه** الذي يتفرع عنه الظلم، وبواسطته وبطريقته ينتشر الظلم، ويعم الظلم، ويتمكن الظلم، عن طريقه وبواسطته تبقى مظالم كبيرة، تطول مظالم كبيرة، جرائم رهيبة **جدًّا،** مظلمة شعب بأكمله، فيها كل أنواع الظلم، تستمر وتلقى الكثير من المناصرين، ويقعد الكثير عن التصدي لها، ويتخاذلون عن المسؤولية في مواجهتها؛ **فتستمر** وتتمكن أكثر فأكثر.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، يتحول إلى وسيلة لإضلال الناس، اليوم من يتحركون في الساحة لإضلال الناس هم يفترون على الله الكذب، يزيفون الحقائق، يدعمون الباطل باسم الدين، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾، كذلك التكذيب بالصدق، بالموقف الحق، بما يقدم من الحق، إذا كذب به الإنسان، يعتبر هذا ظلماً منافياً للإنصاف، ويعتبر هذا انحرافاً يبنى عليه الكثير من الظلم.

المعرضون عن آيات الله ومصيرهم المخزي!

أيضاً في هذا المستوى من الظلم، أكبر الظلم، الأظلم، قائمة الأظلم: الإعراض عن آيات الله تعالى، وعدم القبول بها، فيما يفيده معنى التكذيب بآيات الله، الله -جلَّ شأنه- يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[١]، يقول -جلَّ شأنه-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[٢]، يقول -جلَّ شأنه-: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾[٣].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: لا أظلم، هذا هو في قائمة الأظلم، مثل المفتري على الله كذباً، الذي يساويه في هذه القائمة: قائمة الأظلم، هو من يُذكّر بآيات ربه، آيات الله ﷻ الذي هو ربه، أنت عبدٌ لله ﷻ، هو خالقك، رازقك، المنعم عليك، المربي لك.

١٤

١- الكهف: الآية ٥٧

٢-السجدة: الآية ٢٢

٣- الأنعام: من الآية ١٥٧

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: **لم يقبل بها**، لم يعمل بها، لم يلتزم بها، لم يستجب لها، تجاهلها، تركها، أهملها، وانطلق بناءً على هوى نفسه أو أهواء الآخرين، هنا أنت تدخل في قائمة الأظلم؛ **لأن** منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يتحقق به العدل في هذه الحياة، ولأنك أسأت إلى من؟ أسأت إلى ربك، إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المنعم عليك، هذه الإساءة هي ظلمٌ كبير، هي حيفٌ عن الإنصاف والعدل، هي تنكرٌ لمن؟ لمن هو ربك وولي كل نعمةٍ عليك، في مقابل أن تنطلق على أهواء مدعومة من الشيطان الرجيم، أو من شياطين الإنس، أو شياطين الجن، هذه الإساءة البالغة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا التنكر لآياته التي هي حقٌ وعدلٌ، وعلى ضوئها يترتب تحقيق العدل في هذه الحياة، وإقامة القسط في هذه الحياة؛ **لأن** العدل لن يتحقق إلا بمنهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بالتمسك بآياته، لا يمكن أن يتحقق العدل في واقع الحياة بدونه، هذا الإعراض هو ظلم، وهو إساءة بالغة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تنكرٌ كبيرٌ **جدًّا**، وهو من أعظم الظلم، وهو الذي سيتفرع عنه الكثير من الانحرافات والمظالم في هذه الحياة، هل يمكن أن تعرض عن آيات ربك، ثم تسير في هذه الحياة قائماً بالقسط، ملتزماً بالعدل؟ لا يمكن، الخروج عنها هو خروجٌ عن العدل، خروجٌ عن الحق، خروجٌ عن القسط.

هنا يقول -جلَّ شأنه-: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[1]، من العقوبات على هذا النوع من الظلم من الجرائم هذه العقوبة: عقوبة الخذلان، أن يخذل الإنسان، أن يسلب التوفيق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **حتى** لا يتأثر بآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كأن قلبه أصبح مغطى، ومغطى بغطاء لا ينفذ إليه ولا يصل إليه نور الحق والهداية، **وكأن سمعه فيه الوقر:** الصمم، كأنه لا يسمع، فهو يسمع، ولكنه لا يتأثر نهائياً بآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا يتفاعل معها، وبذلك كأنه في حالة صمم، كأنه لم يسمعها أصلاً، **تكون النتيجة:**

١- الكهف: من الآية ٥٧

﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾، خُذِل، خذل- والعياذ بالله!

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾[1]، قد يتأثر ويتقبل من أي شخصٍ آخر، من طاغية، من مجرم، من قرين سوء، من مضل، قد يتأثر ويتقبل منه؛ **فيما** هو رفَضَ ماذا؟ رفض آيات ربه، ورفض ما هو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأعرض عمَّا هو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي هو ربه، وولي كل نعمةٍ عليه، والخالق له، والرازق له، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾؛ **فهو** ينطلق في واقع هذه الحياة بعيداً عن منهج الله، الذي يضمن إقامة العدل وتحقيق العدل في الحياة، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[2]؛ **لأنه** يصبح إنساناً مجرماً، المعرض يصبح إنساناً مجرماً، ولا بدَّ أن يطاله العقاب الإلهي.

١٤

التكذيب والصد عن آيات الله.. العقوبة الأليمة

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[3]، التكذيب بآيات الله هو حالة منتشرة إلى حد كبير في واقع الناس، كما أشرنا سابقاً- الكثير من الناس لديهم أفكار وتصورات ومواقف مخالفة لكتاب الله، يعتبرونها هي الحق، ويعتبرون ما خالفها هو الباطل، والذي يخالفها هو القرآن، الإنسان يصبح له أحياناً مشكلة مع القرآن، هو يعتبر الموقف الذي يدعو إليه القرآن موقفاً خاطئاً، ويعتبر موقفه المخالف للقرآن هو الموقف الحق؛ **فهو** مكذب بآيات الله، في نفس الوقت كذب بها في مضمونها، والبعض قد يكون مكذباً حتى في النص والمضمون.

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾، **(صَدَفَ عَنْهَا) أعرض وصد،** فهو جمع بين الإعراض والصد، هو لا يتبع، ذُكِّر بآيات القرآن الكريم في قضية أو في موقف معين، والمفترض أن يستجيب للقرآن الكريم، أن يستجيب لتوجيهات الله وتعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكنه لم يقبل، ولم يستجب، وأعرض عن ذلك، وصد عن

١- الكهف: من الآية ٥٧
٢- السجدة: الآية ٢٢
٣- الأنعام: من الآية ١٥٧

ذلك الموقف، فهو يثبط عنه، ويخذل عنه، ويدعو إلى خلافه، هذه حالة الإعراض، هذه حالة الصدوف، **أن تصدف عن آيات الله:** أنت تركت ما دعت إليه في ذلك الموقف، أو ذلك العمل، أو ذلك الالتزام، وفي نفس الوقت أنت تدعو إلى خلاف ذلك؛ **فهذه** حالة أنت تصدف فيها عن آيات الله.

﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾؛ **لأنك** في هذه الحالة من أكبر الظالمين، ومن أكبر المجرمين، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾، وما أكثر هذه النوعية من الناس الذين يصدفون عن آيات الله؛ **لأنهم** يدعون إلى خلاف ما تدعو إليه، ويثبطون الناس عمَّا تدعو إليه تلك الآيات المباركة.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ

١٤ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١]، هذا الدور التخريبي لمساجد الله، سواءً التخريب للبنيان، أو التخريب للدور (دور المسجد)، أن يُفعَّل كما يريده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كمسجد لله، يكون محلاً لعبادة الله، ولتقديم هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وللتحرك من خلاله فيما يدعو إليه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا الدور التخريبي من أكبر الذنوب، ومن أكبر المعاصي، وهو قائم إلى حد كبير الآن في الساحة الإسلامية، كثير من المساجد يمنع عنها ويمنع فيها دورها الذي أراده الله لها، **وهي تُنسب على أنها:** مساجد الله، وفي نفس الوقت يأتي إما التعطيل لها عن هذا الدور، أو تفعيلها في دور آخر سلبي لخدمة الباطل، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[٢]، المسجد الذي يتحول منبره إلى منبر للضلال، المسجد الذي يتحول منبره إلى منبر يقدم للناس ما يثبطهم عن المواقف الحق، يدعو إلى خلاف ما يدعو إليه القرآن الكريم، المسجد الذي مِن على منبره يفتري

١- البقرة: الآية ١١٤

٢- التوبة: من الآية ١٠٧

الخطيب على الله الكذب؛ **ليضل** الناس بغير علم، هذا دورٌ تخريبيٌ، يعتبر ما يقوم به ومن يقوم به يرتكب ظلماً من أفظع الظلم ومن أبشع الظلم.

المنهج الإلهي.. من أجل العدل لتستقيم الحياة

بالمجمل نصل إلى قاعدة مهمة: العدل يحتاج إلى منهج، هذا المنهج هو منهج الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، الذي يقوم على أساسه العدل، ويتحقق به القسط، عندما يأتي كل ما يخالف هذا المنهج إلى واقع الحياة، في مختلف المواقف، في مختلف القضايا، فيقدم طرحاً مختلفاً؛ **هذا يعتبر من الافتراء كذبًا،** الافتراء على الله كذباً، ويترك تأثيراً سلبياً يزيغ بالناس عن العدل، يزيغ بالناس عن الموقف الحق الذي فيه ما يواجه الظلم، وما يساعد على إقامة القسط، والمسألة هذه خطيرة؛ **لأنها تنزل إلى التفصيل العملي:** إلى قضايا، إلى مواقف، إلى نزاعات، إلى أحداث، إلى قضايا ١٤
كبيرة **جدًّا**، فنجد هذه القائمة (الأظلم) يدخل فيها الكثير من الخطباء، من علماء السوء، من العلماء المتخاذلين عن نصرة الحق، الذين شطبوا المسؤولية، والجهاد، والعدل... وما إلى ذلك. **ونجد فيها الكثير من الناس من الذين يأتون على هذا النحو:** إما يدعمون باطلاً، وإما يخذلون عن موقف حق، يتورطون في هذا الظلم الرهيب؛ **فيكونون** من أظلم الناس، من أظلم الناس.

كذلك الإعراض عن آيات الله، التحرك بعيداً عنها، وتركها هناك على جانب، وكأن الإنسان ليس معنياً باتباع القرآن، البعض ينطلق في هذه الحياة وكأنه ليس معنياً باتباع القرآن، ولا بالاهتداء بالقرآن، ولا بالتمسك بالقرآن، إذا غاب هذا المنهج الإلهي، لن يكون هناك عدلٌ في الحياة.. ولا إمكانية لإقامة القسط في الحياة بدون هذا المنهج الإلهي.

نسأل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

افتراء الكذب على اللّه أشد وأسوأ الظلم

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

استكمالاً لما تحدثنا عنه بالأمس في الحديث على ضوء الآيات القرآنية المباركة عن الأظلم من الظالمين، وعن أشد مستوى من الظلم في مراتب ومستويات الظلم، الذي هو من أكبر الجرائم، ومن أفظع الذنوب- والعياذ بالله.

كما أشرنا بالأمس، قد تختلف وجهة نظر الكثير عمّا قدّمه القرآن الكريم في الموضوع، ولكن علينا أن نعود إلى القرآن الكريم؛ **لأن** هذه العودة عندما تكون عودةً نصحح بها أفكارنا وثقافتنا ومفاهيمنا، ثم ننطلق على ضوئها في واقعنا العملي، هي العودة التي سيتحقق لنا بها الخير والعدل، ونصلح بها واقعنا.

لماذا صار الافتراء على الله أشد وأسوأ الظلم؟

في قائمة الأظلم- أظلم الناس، والأعظم ظلماً من الناس- جاء الحديث في القرآن الكريم، وبأكثر من أي موضوعٍ آخر، عن الذين يفترون على الله الكذب، ثم يضاف إلى هذه القائمة المعرضون عن آيات الله، الصادون عنها، الذين اتجاهاتهم في هذه الحياة متباينة مع هدى الله ومع القرآن الكريم، بعد أن يذكَّروا ثم لا يتذكرون، ولا يتقبلون، ولا يهتدون، ولا يستجيبون، ويصرون على ما هم عليه من باطل، من مخالفةٍ لهدى الله، من مخالفةٍ للقرآن الكريم، التكذيب بآيات الله، الاعتداء الروحي والثقافي على الناس. ١٥

وعنوان الافتراء على الله كذباً هو يشمل التزييف في العقائد الدينية، يشمل التزييف في الشرائع، يشمل التزييف في الحلال والحرام، يشمل التزييف للمفاهيم الدينية، كل عمليات الإضلال هي تدخل باسم الدين، هي تدخل تحت هذا العنوان، وهذا ما وقع إلى حدٍ كبير في واقع البشر، وألحق ضرراً كبيراً بالبشرية، وكان لذلك تأثير سيء **جدًّا** في تحريف الرسالة الإلهية، حتى بعد الأنبياء السابقين، **مثل:** الرسالة الإلهية إلى موسى، الرسالة الإلهية إلى عيسى، ثم الرسالة السماوية الخاتمة إلى رسول الله محمد -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- فنجد أنَّ هذا النوع من الظلم الذي هو الافتراء على الله كذباً، هو من أفظع الظلم من حيث أنه إساءةٌ بالغةٌ إلى الله ﷻ **بقدر ما كانت هذه الإساءة كبيرة إلى الله في أن يُنسَب إليه ما ليس منه:** ما هو باطلٌ، ما هو زورٌ، ما هو ضلالٌ، ما يؤسس للظلم، ما ينتج عنه الظلم، ما يلحق بالناس بسببه الظلم، فكانت

هـذه إسـاءة بالغـة إلى اللـه ربنـا العظيـم، وإلى رحمتـه، إلى حكمتـه، إلى عدلـه، إلى قدسـيته، إلى ملكـه، إلى مـا تعنيـه أسـماؤه الحسـنى، وتعـبر عنـه مـن كمالـه.

مـن جانـبٍ آخـر ألحقـت الـضرر الكبـير بالبـشر في واقعهـم؛ لأنهـا أضاعـت عليهـم إلى حـدٍ كبـير في كل حالـة تزييـفٍ لعقيـدة، أو لشريعـة، أو لحكـمٍ مـن أحـكام اللـه ﷻ، أو في حـلالٍ، أو في حـرامٍ، أو في موقـف، أو في مسـؤولية، هنـاك إضاعـة لحـق، كل مـا حـلَّ باطـل؛ **هنـاك** إضاعـة لحـق، ذلـك الحـق الـذي أضيـع في ذلـك الموقـف، أو في تلـك المسـؤولية، أو في ذلـك الحـلال، أو ذلـك الحـرام، أو في تلـك العقيـدة، أو في ذلـك المفهـوم. ذلـك الحـق الـذي أضيـع كان سـيتحقق بـه عـدلٌ وخـيرٌ للنـاس في واقـع الحيـاة، لـمَّا حـلَّ محلـه باطـلٌ باسـم أنـه مـن اللـه، **باسـم أنـه هـو:** إمـا الحـلال، أو الحـرام، أو أنـه مـما يمثـل العقيـدة الحقـة، أو أنـه مـا يمثـل المفهـوم الدينـي الصحيـح، أو أنـه مـا يمثـل الموقـف المطلـوب، الموقـف المـشروع، أو أنـه مـا يمثـل المسـؤولية الحقيقيـة التـي فرضهـا اللـه ﷻ، هـو ذلـك الـذي حـلَّ محـل الحـق يترتـب عليـه ظلـم.

١٥

فهنـا مشـكلتان يعنـي: مشـكلة عندمـا يقـدَّم شيءٌ يفـترى عـلى اللـه ﷻ وهـو مـن الكـذب، فإنـه بذاتـه بنفسـه- مـا قُـدِّم- يمثـل مشـكلة عـلى النـاس في واقـع حياتهـم، ولـه تأثـيرات سـيئة عـلى الإنسـان في نفسـه وفي واقـع حياتـه، إضافـةً إلى ذلـك أنـه يمثـل إسـاءةً إلى اللـه ﷻ، إضافـةً إلى ذلـك أنـه أضيـع بسـببه حـقٌ، أو هـدى، كان سـيتحقق بـه ذلـك الحـق الـذي- لـو كان هـو الـذي قـدِّم وعمـل بـه- يتحقـق بـه الخـير والعـدل للنـاس.

فكانـت هـذه الثلاثـة الجوانـب مـن أهـم العوامـل التـي تجعـل هـذا النـوع مـن الظلـم هـو أظلـم الظلـم، وهـو أكـبر الظلـم، وهـو أسـوأ الظلـم، **وكـما قلـت:** يمكـن أن يرتكـب هـذا الظلـم أي إنسـان، الإنسـان العـادي يمكـن أن يتـورط في جريمـة الافـتراء عـلى اللـه كذبـاً، الإنسـان الـذي هـو في موقـع مسـؤولية يمكـن

أن يتورط في هذه الجريمة، الإنسان الذي قد يكون في موقع اجتماعي معين يمكن أن يتورط في هذه الجريمة، ولكن أكثر الناس تورطاً في هذا النوع من الجرائم، هم من يتحركون ويتقدمون وينشطون في الساحة باسم علماء دين، وهم من علماء السوء؛ **لأن** علماء الدين ليسوا سواءً، هناك من يتحدث باسم أنه من علماء الدين وهو من علماء السوء، ليس موثوقاً، ليس مأموناً، هو من علماء السوء الذين قد يفترون على الله كذباً؛ **وبالتالي** هو الذي قد يتقدم تحت هذا العنوان ويقدِّم من خلاله الكثير من المفاهيم، الكثير مما يقدَّم في مواعظ، أو في كتب، أو في مؤلفات، أو يقدَّم في فتاوى، ويقدم وفيه إضلالٌ للناس، فيه الافتراء على الله كذباً؛ **فيزيف** شيئاً في العقيدة، أو شيئاً في الشريعة، أو شيئاً من الحلال أو الحرام، أو في المواقف والمسؤوليات، وما أكثر ما يحدث في المواقف والمسؤوليات، وله ضرره أيضاً البالغ **جدًّا**.

الافتراء على الله بوابة ضلال الأمم

معظم الضلال في واقع البشرية انتشر من خلال هذا العنوان: من خلال الافتراء على الله كذباً، بين معظم أتباع الديانات التي تحسب على أنها من الدين الإلهي، أو تدَّعي لنفسها ذلك، والبعض لم يعد كذلك، البعض منها قد انحرف انحرافاً كلياً، وحتى في ديننا الإسلامي كم هناك من الافتراء كذباً على الله ﷻ، كم حصل من تزييف رهيب **جدًّا** في العقائد، وفي الشرائع، وفي المواقف، وفي المسؤوليات، وفي المفاهيم الدينية، حصل بشكل رهيب **جدًّا**، وترك تأثيراته السلبية **جدًّا** على واقع المسلمين؛ **لأن** الإسلام لو بقي كاملاً في واقعنا، وسليماً في واقعنا العملي كأمةٍ إسلامية، لكانت ثمرته في واقع حياتنا تختلف عن الواقع الذي نعيشه، لكُنَّا أمةً موحَّدةً، متآخيةً، متعاونةً، يسودها الحق، ويسودها العدل، ويسودها الخير، وتحارب المنكر، وتحارب المفاسد، ولكانت ثمرة هذا الدين في واقعنا في الحياة على المستوى الاقتصادي، على المستوى الاجتماعي... وعلى كل المستويات على أرقى مستوى، لما عشنا هذا الواقع الذي تعيشه

الأمة الإسلامية في كثيرٍ من أقطارها وما تعانيه، فكيف حصل ما حصل؟

معظمه هو عن هذا الطريق، وبهذه الطريقة، وبهذه الكيفية: وهو الافتراء على الله كذباً، الذي زُيِّفَت به الكثير من حقائق الدين ومفاهيمه، وحلَّ محلها ما يضر ولا ينفع، ما يفسد ولا يصلح، ما يشتت ويفرق ولا يجمع ولا يوحِّد، حلَّ محلها ما أسقط الأمة ولم ينهض بها، والحديث عن هذا الموضوع يمكن أن يطول **جدًّا**، لكننا نكتفي بهذه الإشارة، وبهذا المستوى، وبهذا المقدار.

المفترون وتعطيل فريضة الجهاد لإقامة القسط

هناك أيضاً في هذا الجانب: التعطيل للمسؤوليات؛ لأن هناك: إمَّا ما يساعد على ارتكاب مظالم، أو يبنى عليه مظالم ومفاسد معينة، **وإمَّا** ما يعطل مسؤولية الأمة على النحو الذي يمكِّن فيها الظالمين والجائرين والمجرمين، فيصبحون هم المتحكِّمين في الساحة، ويصبح الواقع مهيأً لهم، يتمكنون فيرتكبون أبشع الجرائم، ويتمكنون فيُلحقون بالأمة أبلغ الضرر في كل مجالات حياتها.

فريضة الجهاد في سبيل الله ﷻ هي فريضة؛ من أهم ثمراتها دفع الظلم عن الناس، فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي فريضة من أهم ثمراتها دفع الظلم عن الناس، فريضة التواصي بالحق والتواصي بالصبر هي فريضة من ثمارها دفع الظلم عن الناس، المسؤولية في إقامة العدل؛ **لأن** هناك منهجاً لله ﷻ يطبَّق؛ **ليتحقق** من خلال تطبيقه إقامة العدل، أيضاً هذه المسؤولية شطبت من قائمة الاهتمامات في واقع المسلمين، ومن قائمة الفرائض في واقع المسلمين، ولم يعد أكثر المسلمين يستشعر أنَّ عليه مسؤولية في هذا الجانب، بل أصبح الكثير منهم مقتنعاً أنَّ هذا لا يعنيه، لا يعنيه شيئاً، وأنه ليس عليه أن يسهم في هذا المجال بأي إسهام، ولم يعد في بال الكثير من المنتمين للإسلام أنَّ هذا جزءٌ أساسيٌّ من الإسلام في برنامجه، في فرائضه، في تشريعاته، في تعليماته، ويقوم به الإسلام على نحوٍ صحيح، ويكتمل به الإسلام؛ **ولذلك** ترى

الكثير تجاه الكثير من الأمور هذه لا يبالون أبداً، ولا يستشعرون المسؤولية فيها أبداً، وكأنَّ الله سبحانه وتعالى لم يقل تلك الآيات التي قرأنا بعضاً منها، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[1]، كأنَّ هذه الآية لم تنزل في كتاب الله، ولم يأتِ بها القرآن، أبداً، ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾، هذه مسؤولية من أهم مسؤولياتنا الدينية التي علينا أن نتعاون عليها، وأن تجتمع كلمتنا عليها، وأن نتحرك فيها، ويندرج تحتها الكثير من التفاصيل العملية، التي تحقق لنا أن نكون من الـ﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾، في آيةٍ أخرى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[2].

مسؤولية إقامة القسط هي مسؤولية جماعية، وهي من المسؤوليات الرئيسية في الرسالة الإلهية، **الله نزَّل الكتاب:** والذي هو كُتُبه، اسم عام لكل كتبه، ومن الغاية الرئيسية لهذا الإنزال للكتب وللرسالة الإلهية هي: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[3]، **من أهم الغايات لرسالة الله** سبحانه وتعالى: العمل على إقامة القسط، كل ما اتجهت الأمة وسعت لإقامة القسط للقيام بالعدل، كل ما تحرك الذين آمنوا ليكونوا قوَّامين بالقسط، تلقائياً ينكمش الظلم، وتلقائياً يزاح الظلم عن واقع الحياة، وتلقائياً تصلح حياة الناس بهذا العدل الذي يتحقق في الواقع؛ **لأن** العدل لا يمكن أن يقوم من ذات نفسه، لا بدَّ من إقامته، فمن الذي يتحمل هذه المسؤولية لإقامته؟ الذين آمنوا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، هذا المجتمع المسلم الذي عليه أن يتعاون، أن تجتمع كلمته، أي مجتمع من المجتمعات الإسلامية يتعاون لإقامة القسط، فهو بقيامه بهذا الواجب العظيم، بهذه المسؤولية المهمة، هو- في نفس الوقت- يتصدى للظلم، يتخلص من الظلم، يبعد نفسه عن أن يكون مجتمعاً مظلوماً، ومساعداً

١٥

١- النساء: من الآية ١٣٥
٢- المائدة: من الآية ٨
٣- الحديد: من الآية ٢٥

على الظلم، ومشتركاً في جريمة الظلم، فهذه مسألة مهمة **جدًّا**؛ **لأنه** في واقع الأمة الإسلامية عطِّلت هذه المسؤوليات، أحياناً ساهمت فتاوى في تعطيلها، أحياناً ساهم التقديم الخاطئ للدين، والتقديم المنقوص للدين، ساهم في تعطيل هذه المسؤوليات؛ **حتى** غابت من ذهنية الناس، الكثير منهم إذا تذكَّر الإسلام، لا يتذكر أنَّ منه هذا الجانب، ولا يتذكر أنَّ فيه هذه المسؤولية، وعنده تلك أركان الإسلام فحسب، وبعض التعليمات، وبعض الشرائع.

المفترون وتبرير الطغيان باسم الدين

في الافتراء على الله كذباً: فتاوى معينة أو عقائد معينة تدجِّن الأمة للطغاة والظالمين، فتكون من الافتراء على الله كذباً، الذي هو من أفظع الظلم، وتمثل خدمةً كبيرةً للطغاة والظالمين، ولا نزال نسمع بمثل هذا النوع من الفتاوى، بمثل هذا النوع من العقائد يردد في أوساط الناس. ١٥

اليوم يبرر الظلم لشعبنا اليمني والعدوان عليه بفتاوى، يبرر بفتاوى، إلى درجة أنَّ البعض أباح وأهدر دم أكثر من عشرين مليون، أربعة وعشرين مليون يمني، **قال: [لا مانع أن يقتلوا بكلهم:** نساءً وأطفالاً، كباراً وصغاراً، لا مشكلة في ذلك]، وهو يتحدث باسم عالم دين، وعلماء آخرون في السعودية والبعض في مصر كذلك، كانت لهم مواقف أهدروا فيها دماء الشعب اليمني، وأباحوا العدوان عليه، أباحوا استهدافه.

ما يجري على الشعب الفلسطيني، يروَّج له باسم الدين، ويروَّج للعلاقة مع إسرائيل، والولاء لإسرائيل، والتحالف مع إسرائيل باسم الدين، ويروَّج للمواقف المسيئة إلى الشعب الفلسطيني، والمنتقصة من مظلوميته، والمبررة للإسرائيلي، والمبررة للعلاقات مع الإسرائيلي، يروَّج لذلك باسم الدين، وهكذا تأتي جرائم فظيعة **جدًّا**، حتى الإسرائيلي نفسه هو يبرر احتلاله لفلسطين باسم الدين، ويفتري على الله كذباً في ذلك. جريمة الافتراء على الله كذباً هي من أفظع

الجرائم التي تستغل لظلم الناس، ويترتب عليها الكثير من الظلم، وتتسع دائرة الظلم الناشئة والناتجة عن هذا الذنب العظيم وعن هذا الظلم العظيم.

تأمل جيداً: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾!

نأتي- ما بعد هذا العنوان- إلى الحديث أيضاً عن المظالم الكبرى، هناك- كما قلنا- مظلمة شعب بأكمله، كما يجري على شعبنا اليمني اليوم في ظل هذا العدوان الأمريكي السعودي عليه، مثل ما هو حال الشعب الفلسطيني... شعوب أمتنا الإسلامية كلها مظلومة، تتفاوت نسبة الظلم من شعبٍ إلى آخر، من أخطر الأشياء على الإنسان أن يشترك في ظلمٍ كهذا، أن يشارك في ظلم شعب، في ظلم أمة، وهذا النوع من الجرائم، وهذا النوع من الظلم يمكن للإنسان أن يتورط فيه، وقد لا يشعر أنه بات متورطاً فيه.

١٥

مما يجعل الإنسان على هذا المستوى: متورطاً في جرائم كبيرة للغاية بكل ما فيها هو عدة عوامل، منها: الولاء، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، نجد هذه الآية المباركة التي حرم الله فيها تحريماً قاطعاً اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وذكر أنهم يوالون بعضهم البعض، ويتوحدون في مواقف ظالمة، ثم أكد هذا التحريم بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وختم هذه الآية المباركة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ظلم.

هذا الجرم الفظيع، الشنيع، الكبير، الخطير، تورطت فيه حكومات وأنظمة وزعماء بأكملهم، وتورط معهم الكثير من الناس الذين اتجهوا على نحو ما هم عليه، عندما تجد ما وقع فيه النظام السعودي، النظام الإماراتي، ومن

١- المائدة: الآية ٥١

يشبههم، ومن على شاكلتهم، ومن يواليهم ويتجه معهم من أبناء الأمة، وقعوا في هذا الذنب العظيم الفظيع، الله -جلَّ شأنه- قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾، **يعني** لا يزال يعتبر نفسه من الذين آمنوا، ولربما لا يزال يصلي، ولربما لا يزال يصوم شهر رمضان، ولربما لا يزال ينفق ويقدم الصدقات، لربما يعمل بعض الأعمال، لربما يتظاهر بالتدين، المهم أنه لا يزال يحسب نفسه من الذين آمنوا، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾: هو لا يزال يحسب نفسه من الذين آمنوا، **يعني:** لم يعلن بعد ارتداده عن الإسلام، لا يزال يشهد الشهادتين، ولا يزال يصلي، ولا يزال يحسب نفسه من المسلمين، ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، **يعني:** فإنه وهو على نفس هذا الحال الذي لا يزال يحسب فيه نفسه من المسلمين، قد أصبح عند الله من أولئك الذين اتخذهم أولياء، حكمه عند الله حكمهم، يحشره الله يوم القيامة معهم، يعتبره الله ﷻ شريكاً لهم في كل جرائمهم وفي كل ظلمهم.

١٥

هذا الظلم العظيم؛ لأن ظلم اليهود ظلم رهيب جدًّا، اليوم ظلم اليهود الصهاينة- لربما- هو في أعلى مستوى في الأرض، ظلم رهيب **جدًّا**، وظلمهم يمتد إلى الواقع البشري في كل أنحاء العالم، من خلال نفوذهم، وسيطرتهم، وتأثيرهم في السياسات والمواقف العالمية، ومن خلال تأثيرهم في كُشبرَيات الدول، وتأثيرهم على قراراتها، ومواقفها، وسياساتها، وتوجهاتها، ومن خلال مؤامراتهم الشاملة التي تمتد إلى بقية ومختلف الشعوب والأمم، ظلمهم رهيب **جدًّا**، من أفظع الأشياء، ومن أكبر الخسارة أن يورط الإنسان نفسه ليكون شريكاً لهم في ظلمهم العالمي، ظلمهم هو ظلم عالمي.

تنبه.. قد تكون متولياً لأمريكا وإسرائيل!

عندما يتخذهم الإنسان أولياء: إما بأن تنسق مع الإسرائيلي بشكلٍ مباشر، **وإما** أن تكون مع من يواليه، قد لا يحتاج الأمر لتحسَب معه، وتحسب في صفهم، وتحسب في موقفهم، قد لا يستدعي ذلك أن تكون على تنسيق مباشر

مع الإسرائيلي، لكن عندما تنسق أنت مع من ينسق مع الإسرائيلي: أنت تنسق مع السعودي، وهو ينسق مع الإسرائيلي، أنت تنسق مع الإماراتي، وهو ينسق مع الإسرائيلي، أنت مع طرف، هذا الطرف هو بنفسه متحالف مع أمريكا؛ **في هذه** الحالة أنت دخلت في صفهم، أنت دخلت في معِيَّتهم، أنت صرت من جملتهم، أنت أصبحت داخلاً في هذه القاعدة القرآنية التي تقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، فأصبحت بذلك شريكاً لهم في ظلمهم، وظلمهم كبير، وظلمهم عظيم، ظلمهم عالمي، ظلمهم سحقوا فيه شعوباً بأكملها، ظلمهم يشمل الواقع البشري في كثيرٍ من أنحاء الأرض، في كل مجالات الحياة هم يظلمون الناس ظلماً عاماً وشاملاً، يظلمون الناس اقتصادياً، يظلمون الناس عسكرياً، وأمنياً، وسياسياً، وثقافياً... ظلمهم شامل في كل مناحي الحياة.

١٥ **قد يكون الإنسان في مجتمعٍ من المجتمعات الإسلامية** يعتبر نفسه أنه خفيف الظهر، لم يقتل في حياته أي أحد، ولم يباشر في حياته لارتكاب جرائم معينة في حق المجتمع- مثلاً- لكنه لا يدري أنه بولائه لأولئك، **بدخوله ضمن هذا الاتجاه:** اتجاه الولاء لأمريكا، الولاء لإسرائيل، اتخاذ اليهود والنصارى أولياء بشكل مباشر، أو الدخول مع من يواليهم، أنه أصبح ثقيل الوزر، فظيع الذنب، عظيم الحمل والوزر والذنب، وأنه أصبح من جملة أولئك الذين هم أظلم عباد الله، ويتحملون أوزاراً رهيبةً **جدًّا**، وستكون حسرة هذا النوع من الناس يوم القيامة حسرةً رهيبة؛ **لأنه يتوقع أنه سيأتي يوم القيامة ويقول:** [أنا لم أقتُل في حياتي أحداً]، فإذا هو شريك في جرائم اليهود، في جرائم الإسرائيليين، لماذا صار شريكاً معهم في جرائمهم؟ **لأنه** أيدهم، كيف أيدهم؟ إما أيدهم بشكلٍ مباشر، أو كان مع من يؤيدهم، وقف في صفه، ناصره، ووقف ضد من يعترض عليه، فهذا أمرٌ خطيرٌ **جدًّا**، ولأن معايير الناس لم تعد قرآنية؛ **صارت** تصنيفاتهم للأمور تصنيفات ضعيفة، وغير موفقة إلى حدٍ كبير، **أكثر الناس هم على هذا النحو:** لا يدرك مثلاً أن هناك بعض الأمور التي هي خطيرة

جدًّا، ويستبسطها للغاية، قد يعتبرها من أبسط الأمور، من أسهل الأشياء، قد لا يعتبرها من الذنوب أصلاً، والذي يحدد لنا ما هي الذنوب هو الله، وهذا قرآنه، هذه آياته، هذه كلماته، عندما يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، ويختمها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، فهذا من أكبر الظلم.

يجب على الناس أن يحذروا من كل أشكال التأييد لأمريكا وإسرائيل، ومن كل أشكال التأييد لمن يوالي أمريكا وإسرائيل، هذه حالة خطرة **جدًّا**، عندما تؤيد بالموقف، عندما تؤيد بالكلام، عندما تؤيد بالقتال، عندما تؤيد بالمال، عندما تؤيد بأي شكلٍ من أشكال التأييد أمريكا أو إسرائيل، أو من يوالي أمريكا وإسرائيل؛ **فأنت** تدخل بلا شك ضمن هذا الوعيد الإلهي، وأنت دخلت تحت هذا التصنيف الذي هو تصنيفٌ من الله ﷻ، وهو أصدق القائلين، هو -جلَّ شأنه- الذي قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾؛ **وحينها** تصبح شريكاً لهم في ظلمهم، ظلم رهيب، ظلم لشعوب، ظلم لأمم، ظلم شامل في كل مجالات ومناحي الحياة، ظلم خطير **جدًّا**، وستورط نفسك هذه الورطة الرهيبة **جدًّا**؛ **فتكون** من الظالمين- والعياذ بالله.

١٥

الركون إلى الظالمين.. مفهومه ونتائجه

يقول الله ﷻ في آيةٍ قرآنيةٍ أخرى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[١]، هذه الآية تحذر- أيضاً- من الركون إلى الظالمين، وهذا يُدخِل الإنسان في هذا الوعيد الإلهي معهم، وهذه الأمور التي تربط الإنسان بالظالمين، وبظلمهم، وبجرائمهم، هي خطيرة **جدًّا**، ينبغي على الإنسان أن يحذر منها، وأن يكون متنبهاً إلى خطورتها الكبيرة؛ **لأنها** قد تفوق المظالم المحدودة والشخصية، كونها اشتراكاً في الظلم الجماعي.

١- هود: الآية ١١٣

الآية القرآنية يحذر الله فيها وينهى عن الركون إلى الذين ظلموا، المفهوم العرفي لدى الناس أن (الركون) يعني الثقة، لا تثقوا فيهم، لا تطمئنوا إليهم، هذا المعنى العرفي السائد في أذهان الناس، فما هو الركون المقصود في الآية المباركة؟.

يقول المفسرون ويقول أصحاب اللغة: أن الركون- يعرفونه- هو الميل اليسير، أدنى ميل، القليل من الميل سيعتبر كافياً في أن يعذبك الله بالنار، أدنى، **يعني:** القليل من الميل إلى الظالمين يكفي في أن يحسبك الله معهم، ويعذبك معهم، قضية خطيرة **جدًّا**، ولهذا يأتي في الإسلام البراءة منهم، المفاصلة، المباينة؛ لكي يكون الناس بعيدين عنهم، يأتي البرنامج الذي يتحرك الناس فيه لإقامة العدل؛ **لكي** يكونوا على نقيض تام مع الظالمين.

الله -جلَّ شأنه- يحذر أنه إلى هذا المستوى، وهو: الميل اليسير، النتيجة ستكون هي ماذا؟ ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾، هذا وعيدٌ بالنار، أيّ نار هذه؟ نار جهنم بلا شك، نار جهنم، لماذا؟ **لأن** هذا الميل اليسير فيه تأييد لهم، وهذا مساعدةٌ لهم على ظلمهم، وفيه تقاعسٌ عن المسؤوليات، وتنصلٌ عن المسؤوليات التي تساعد على إقامة العدل، وتمنع الظلم في هذه الحياة، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾. ١٥

اليوم هل يمكن أن يشتبه أحد أو يشك في ظلم أمريكا، في ظلم إسرائيل، في ظلم من يوالي أمريكا وإسرائيل، ما يترتب على ذلك من مظالم رهيبة جدًّا في الساحة الإسلامية؟ أمر واضح جدًّا.

التنصل عن المسؤولية وانعكاساته السيئة

الله ﷻ **يحذر- أيضاً- على مستوى التنصل** عن المسؤوليات وما ينتج عنه، يقول -جلَّ شأنه-: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١]، هذه الآية القرآنية هي تحذر من التنصل عن المسؤولية في إقامة العدل، في إقامة الحق؛ **لأن** الحالة التي يجلس الناس يتخاذلون فيها، يتنصلون- عن مسؤولياتهم هذه المهمة- فيها، حينها تأتي الفتن التي تعم الكل، تأتي المصائب التي تعم الكل، إذا أفسح المجال في الساحة الإسلامية، في أوساط المجتمع المسلم للذين ظلموا أن يفعلوا ما يريدون، والمجتمع يقعد، يتخاذل، يتنصل عن مسؤوليته، والناس لا ينهضون بواجباتهم في إقامة العدل والحق؛ **حينها** يجر أولئك المصائب على المجتمع بكله، فلا يسلم المجتمع من مصائبهم، من كوارثهم، من ظلمهم، مما يجرونه بظلمهم، سواءً العقوبات من الله ﷻ بشكلٍ مباشر، **أو التسليط الإلهي: إما** لأولئك، **أو** لغيرهم. فتكون النكبات كبيرة للمجتمع المسلم؛ **لأن** نتائج التفريط في المسؤولية هي نتائج خطيرة للغاية، نجد- مثلاً- أن الله ﷻ قال في القرآن الكريم في واجب الجهاد: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[٢]، كيف حالة التفريط في المسؤولية؟ يمكن أن يترتب عليها العذاب من الله ﷻ، ولهذا وعيد صريح.

عندما نقرأ قوله ﷻ **فيمن ينهزم في المعركة:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٣]؛ **لأنه** انهزم، فكانت هزيمته تلك بقدر ما هي تشوه الإسلام هي تمكّن العدو؛ **فتعتبر** مساعدةً للعدو على تمكنه، ومساهمةً معه، والعقوبة أصبحت هي

١٥

١- الأنفال: الآية ٢٥
٢- التوبة: من الآية ٣٩
٣- الأنفال: ١٥-١٦

ماذا؟ ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، مع أنه قد تحرك ليجاهد، ونزل إلى الميدان ليجاهد، وتحرك في إطار النهوض بهذه المسؤولية، لكنه عندما فعل ذلك كانت عقوبته هي جهنم، **يعني:** أن جهنم هي الجزاء الذي يترتب على هذا التفريط في هذه المسؤوليات المهمة- والعياذ بالله.

فالمجتمع المسلم لا بدَّ أن يعي أن مسؤوليته هي العمل على إقامة العدل، وأن يكون لدينا وعي عن المظالم الكبرى، اليوم ظلم أمريكا وظلم إسرائيل كيف تضمن لنفسك أنك لست شريكاً فيه؟ هذا من أكبر الظلم في الساحة اليوم في هذا العصر، في هذا الزمن، من أكبر الظلم ظلم أمريكا، ظلم إسرائيل.

اشترك في هذا الظلم السعودي، وأصبح أداة تنفيذية يرتكب أبشع الجرائم بحق شعبنا العزيز، يسعى للتطبيع مع إسرائيل، يروض للتطبيع مع إسرائيل، ويروِّج له؛ **حتى** بانتهاك حرمة هذا الشهر الكريم يعدون مسلسلات رمضانية تروج بكل وضوح، بكل صراحة، للعلاقة مع الإسرائيلي، وتقدم نظرة مختلفة عن الإسرائيليين، غير النظرة الحقيقية، نظرة مزيفة، باطلة، وتسيء إلى الشعب الفلسطيني.

الإماراتي ماذا يفعل؟ الكل من هؤلاء الذين دخلوا في هذا الجرم، في هذا الظلم العام، كيف تقي نفسك حتى لا تكون شريكاً لهم في ظلمهم؟ كيف تحرص على أن تكون بريئاً من التورط في الاشتراك في هذا الظلم العام، هذا الظلم الشامل، المظالم الكبرى، إذا لم يكن الإنسان متنبهاً؛ قد يكون شريكاً فيها بتأييد ولو بكلمة، قضية خطيرة للغاية.

المثبطون وورطتهم الرهيبة!

الذين يسعون إلى تثبيط الأمة عن القيام بمسؤولياتها في التصدي لهذا الظلم، الذين يغضبهم أن تقول شيئاً عن أمريكا، أن تقول شيئاً عن إسرائيل، ويسعون لإسكات الناس عن ذلك، ويلومون من يتحرك في هذا الاتجاه الذي يسعى فيه المؤمنون إلى استنهاض الأمة للقيام بواجباتها؛ **هم** يساهمون مع أمريكا في ظلمها، ومع إسرائيل في ظلمها، هم يورطون أنفسهم هذه الورطة الرهيبة **جدًّا**؛ **لأنها** خدمة مؤكدة وخدمة واضحة، لأنها إسهام واضح ومؤكد، من يغضب، **من يسعى إلى إسكات الناس:** لا يقولون شيئاً، لا يتكلمون كلمةً، لا يتبنون موقفاً، يخذِّل، يثبِّط، يسيء، يطلق الكثير من المواقف، يعمل الكثير الكثير في سبيل أن يسكت الناس عن ذلك؛ **هو** شريكٌ لهم في ظلمهم وجرائمهم، وهي جرائم رهيبة **جدًّا**، جرائم فظيعة **جدًّا**، وإلا فماذا يعنيه التعبير القرآني، ماذا يعنيه قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، هل يتحول منهم في النسب؟ يصبح اسمه فلان ترامب، ابن ترامب؟ إلا| (**مِنْهُمْ**) في جرمهم، في فظيع ما يعملون، في ظلمهم هذا الذي ملأ الساحة الإسلامية بكلها، وشمل كل مناحي الحياة بأجمعها، فيتحمل هذا الوزر الفظيع، ويدخل معهم، ويحشر يوم القيامة معهم- والعياذ بالله.

فمن أهم ما يجب أن نحذر منه، ومن أهم ما يجب أن نتوقاه: ألَّا نكون شركاء في هذا الظلم العام، شركاء في ظلم أمريكا، شركاء في ظلم إسرائيل، شركاء في ظلم السعودي، شركاء في ظلم الإماراتي، شركاء في ظلم الذين يوالون أمريكا وإسرائيل، أو يوالون من يوالي أمريكا وإسرائيل؛ **لأنه** ظلم رهيب، وظلم خطير، وظلم كبير.. نقول هذا بكل مسؤولية، بكل نصح، بكل صدق.

ونسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

الظلم من موقع المسؤولية.. من أخطر الظلم

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث عن موضوع الظلم، وفي المقابل عن المسؤولية على مجتمعنا المسلم في العمل على إقامة العدل والقيام بالقسط.

من أخطر المواقع التي عادةً ما يكون الظلم منها ظلماً كبيراً، وظلماً تتسع دائرته لتشمل أحياناً مجتمعاً معيناً، أو تكثر على كثيرٍ من الأفراد،

هـو موقـع المسـؤولية العامـة، في الدولـة، في أي موقـع مـن مواقـع المسـؤولية التـي يتحمـل الإنسـان فيهـا مسـؤوليةً تجـاه الآخريـن، **وبـأي مسـتوى:** مسـتوى كبـير، مسـتوى واسـع، مسـتوى أقـل، مسـتوى محـدود، ولـو في مجموعـةٍ واحـدة.

موقـع المسـؤولية هـو مـن المواقـع الخطـرة والحسَّاسـة التـي تتطلـب أن يكـون الإنسـان عـلى درجـةٍ عاليـةٍ مـن الإيمـان وتقـوى اللـه سُبحانه وتعالى، والاستشـعار للرقابـة الإلهيـة، والاستشـعار للقـاء اللـه سُبحانه وتعالى، وأنـه سيحاسـب، وسـيجازى، وسيسـأل عـما عمـل في مسـؤوليته تلـك، والمسـؤولية العامـة لمجتمعنـا المسـلم بشـكلٍ عـام هـي إقامـة القسـط، أن يكـون مجتمعـاً قوّامـاً بالقسـط، كـما قـال اللـه سُبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾[1]، مسـؤولية يتعـاون فيهـا الذيـن آمنـوا، وتعظـم وتكـبر هـذه المسـؤولية عـلى الذيـن يتبـوؤون مواقـع المسـؤولية العامـة، كل مـن يتحمـل مسـؤوليةً معينـة، في أي مجـال مـن المجـالات: في موقـع القـرار، وموقـع الإدارة، أو في مجـال العمـل الأمنـي، العمـل العسـكري، في القضـاء، في الأعـمال الاقتصاديـة، في المسـؤوليات التعليميـة... في مختلـف المسـؤوليات، وفي أي موقـع مـن مواقـع المسـؤولية، بـل كل مـا كان موقـع المسـؤولية أكـبر؛ **كانـت** المسـؤولية أمـام اللـه سُبحانه وتعالى أكـبر وأعظـم.

١٦

مـن المؤسـف جـدًّا أنَّ أمتنـا الإسـلامية عانـت عـبر تاريخهـا مـن الظلـم ومـن الجـور، وعـلى يـد حكوماتهـا المتعاقبـة، عـلى يـد أمرائهـا وملوكهـا وقادتهـا عـبر التاريـخ، **وكانـت الحـالات التـي هـي حـالات مختلفـة:** انطلقـت عـلى أسـاس شريعـة اللـه سُبحانه وتعالى وتعليماتـه، ومنهـج الإسـلام في إقامـة العـدل، حـالات اسـتثنائية في التاريـخ، أو في إطـارٍ محـدود، أو جغرافيـا محـدودة؛ **أمّـا** عـلى المسـتوى العـام، فتعاقبـت الكثـير مـن الـدول الكـبرى في العـالم الإسـلامي، أو الـدول المتفرقـة في كثـيرٍ

١- النساء: من الآية ١٣٥

مـن أقطار العـالم الإسـلامي، ولم تنطـلق مـن خـلال رؤيـة الإسـلام ومنهجـه العظيـم في إقامـة العـدل، وغابـت هـذه الرؤيـة وهـذه المنهجيـة حتـى عـن المجتمـع المسلم في كثيرٍ مـن الأقطـار، وفي كثيرٍ مـن المراحـل التاريخيـة المهمـة؛ **ولذلـك** سـاهم هـذا الأمـر في ترويـض المجتمـع المسـلم، وترسـيخ تصـور سـلبي إلى المسـؤولية العامـة، وغيـاب المنهجيـة الإسـلامية الحقيقيـة التـي عـلى ضوئهـا تتمكـن الأمـة مـن إقامـة القسـط، ومـن إقامـة العـدل في الحيـاة؛ **لأن هنـاك منهجيـة للإسـلام:** فيهـا مبـادئ، فيهـا أسـس، فيهـا قيـم، فيهـا أخـلاق، فيهـا تعليـمات، هـذه المنهجيـة إذا التزمت بها الأمـة، إذا اعتمـدت عليها الأمـة، إذا قبلـت بها الأمـة، إذا تحركت على أساسـها الأمة، إذا انطلقـت مـن خلالهـا الأمـة؛ **تتمكـن** مـن إقامـة العـدل في الحيـاة إلى حـدٍ كبـير.

كيف نصحح النظرة للمسؤولية؟

مـع تعاقـب الزمـن تغـيَّرت النظـرة إلى المسـؤولية العامـة تغـيراً كبـيراً في الذهنية العامـة، فأصبحـت مغنـماً، في تصـور الكثـير مـن النـاس أنـه يرغـب ويتمنـى أن يصل ١٦ إلى موقـع مـن مواقـع المسـؤولية، أو أن يتربع في منصـبٍ معين، لمـاذا؟ ليحظى بالمال، ليحظـى بالـثروة، ليتمتـع بالسـلطة باعتبارهـا موقعـاً للقـوة، والسـيطرة، والتغلـب، والتحكـم، وتنفيـذ مـا في النفـس مـن رغبـات وأهـواء، أصبحـت النظـرة العامـة إلى السـلطة وإلى المنصـب كمغنـم، ومكسـب شـخصي، وموقـع لتعزيـز النفـوذ أو تعزيز السـيطرة للإنسـان؛ **ليُنَفِّـذ** رغباتـه، وليكـون في موقـع القـوة والقـدرة والـثروة، هـذه النظـرة السـلبية **جدًّا** إلى المنصب، إلى المسـؤولية، إلى مواقع المسـؤولية في أي مسـتوى كان، هـي رهيبـة **جـدًّا**، رهيبـة وخطـيرة للغايـة، خطـيرة للغايـة، ولا بـدَّ لأمتنـا الإسـلامية أن تسـعى لفهـم منهجيـة الإسـلام في كيفيـة إقامـة العـدل في الحيـاة، وما تتطلبـه هـذه المسـؤولية مـن مواصفـات، مـن معايـير، مـن أسـس، مـن مبـادئ، مـن قيـم، وأن تنطلـق عـلى ضوئهـا لتصحـح وضعيتهـا المؤسـفة **جـدًّا**، وضعيـة المسـلمين اليـوم مؤسـفة **جـدًّا**، ظلـم في الداخـل، **ظلـم انتـشر إلى حـدٍ كبـير:** ظلـم في المجتمـع، ظلـم مـن الحكومـات والأنظمـة، وظلـم مـن الخـارج، ظلـم كبـير مـن أعـداء الأمـة

الإسلامية، من الأمريكيين والإسرائيليين ومن معهم، فتتراكم حالة الظلم، وتتنوع المظلومية، حتى يكاد العدل أن يغيب من واقع الحياة، ويعيش الناس الشعور بالمأساة، والشعور بالألم، وكثرة المظالم التي تتكرر وتحدث من هنا أو هناك.

في الإسلام نتعلم أنَّ المسؤولية في أي مستوى كانت، من أدنى مستوى إلى أعلى مستوى، يعني: مِن وأنت مسؤول عن عمل في إطار مجموعة، أو في نطاق صغير، بل حتى في نطاق الأسرة، ما يتعلق بالوضع الأسري والمجتمعي وغير ذلك، ولكن هذا سنتحدث عنه- إن شاء الله- لاحقاً. في أي مستوى من مستويات المسؤولية: تحملت مسؤولية؛ **يجب** أن تنطلق من منطلقك الإيماني كمؤمن، وأن ترسِّخ في نفسك وفي وجدانك أنَّ هذه المسؤولية هي كاسمها مسؤولية، عملٌ تحملت فيه مسؤوليةً أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنَّ الله سيحاسبك وسيجازيك، وأنه رقيبٌ عليك، وعلى أعمالك، وعلى تصرفاتك، وأنك تحملت التزاماً إضافياً في التزاماتك الإيمانية والدينية، فتتحرك لتؤدي هذا الالتزام الديني بما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وتحرص على هذا الأساس:** أن تتجه إلى رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وأن يكون هو همك الأكبر:** كيف تحصل على رضا الله، وكيف تقي نفسك في أدائك لهذه المسؤولية من سخط الله وغضبه وعذابه، وأن تدرك أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لن يتساهل معك ويهملك، ويترك لك المجال تفعل ما تشاء وتريد؛ **لأنك** أصبحت تحمل ذلك الاسم، أو في ذلك الموقع من مواقع المسؤولية، أنت مدير، أنت مسؤول، أنت مشرف، أنت وزير، أنت رئيس... بأي مسمىً وبأي عنوان، أنت خاضعٌ لرقابة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو سيجازيك بما عملت. وأن ينطلق الإنسان المؤمن عندما يتحمل مسؤوليةً ما، أو يكون في موقع من مواقع المسؤولية، من المنطلقات الإيمانية، ويستفيد من كل النماذج التي قدَّمها القرآن الكريم.

١٦

نماذج قرآنية في تحمل المسؤولية

القرآن الكريم قدَّم نماذج راقية جدًّا، من أرقى النماذج التي قدَّمها القرآن الكريم: نبي الله سليمان عليه السلام، الذي كان على مستوى عظيم من التمكين الإلهي، الله مكَّنه تمكيناً عظيماً، هو سأل الله أن يعطيه ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، والله أعطاه ملكاً عجيباً، ومكَّنه تمكيناً عجيباً، وقدَّم في سورة النمل دروساً مهمة عن نبي الله سليمان عليه السلام، كيف كانت روحيته الخاشعة لله، الخاضعة لله!

البعض من الناس قد يشعر بالطغيان، قد يشعر بالزهو، بالعجب بالنفس، قد يستشعر في نفسه القدرة؛ **لأنه** أصبح في منصب معين، أو موقع معين من مواقع المسؤولية، أصبح يقال له: مدير أو مسؤول، أو يقال له: مشرف، أو يقال له: رئيس، أو يقال له... أي مسمى من هذه المسميات، ويرى نفسه محاطاً في إطار مسؤوليته بظروف معينة، فتكبر نفسه لديه أكثر وأكثر، تكبر وتكبر وتكبر، يشعر يوماً بعد يوم بالمزيد من الغرور، يعتبر نفسه صاحب الإنجازات، يعتبر نفسه أنه في الموقع المهم... وهكذا تعظم عنده حالة الغرور، وحالة الكبر، وحالة العجب، والآفات السلبية التي تدمِّر إيمان الإنسان، وحتى إنسانية الإنسان؛ **فيصبح**- مع الوقت- يعيش حالة الطغيان، حالة الطغيان في نفسه، في مشاعره، في سلوكه، في طريقته في أداء المسؤولية، وهذه حالة خطيرة **جدًّا**.

النبي سليمان نموذج العدل والرفق

نبي الله سليمان عليه السلام الذي مكَّنه الله تمكيناً عجيباً، وسخَّر له الجن والإنس والطير، وسخَّر له الرياح، ومكَّن له تمكيناً عجيباً، لم يسبق له- ربما- مثيل في تاريخ البشرية، كيف كان خاشعاً لله وخاضعاً لله، وكان كل همه أن يكسب رضا الله، وأن يعمل العمل الصالح، وكان يدرك أن كل ما هو فيه من تمكين، قيمته في أن يعمل فيه بالعمل الصالح، وأن يسعى لمرضاة الله سبحانه وتعالى، فلم يشعر بالغرور، لم يشعر بالكبر، لم يشعر بالعجب

النفسي، لم يخرج عن حالة الخشوع والخضوع لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وسعى إلى العمل لإقامة العدل على أرقى مستوى، لدرجةٍ ينبهر منها الإنسان غاية الانبهار.

يحكي القرآن الكريم قصته هو وجنوده- وهم يتحركون- يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾[1]، وادٍ فيه نمل، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[2]، هو وجنوده، جنود بأعداد هائلة وكبيرة، وهم يتحركون، والله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى من عجيب تمكينه لنبيه سليمان عَلَيهِ السَّلَامُ أن يسمع هذا النمل، وأن يعرف لغة تخاطبه، هذا من التمكين العجيب الذي وصل إليه في ملكه، ومنحه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى إياه، تمكيناً عجيباً **جدًّا**، فسمع النملة، كانت هذه النملة تنادي بقية النمل للدخول إلى مساكنهم؛ **حتى** لا يحطمهم جيش سليمان عَلَيهِ السَّلَامُ بدون شعور، **كان هذا هو الملفت:** بدون انتباه، بدون تعمد، النملة- وهي النملة- كانت تأمن من نبي الله سليمان وجيشه أنه لا يمكن أن يتعمدوا ذلك النمل بالدهس عليه، وبالظلم له، فهم مطمئنون إلى عدله، حتى النمل اطمأنت إلى عدله، وإلى عدل جيشه، وأنهم لن يتعمدوا تعمداً، قد يحصل أن يدهسوا على هذا النمل، لكن بدون تعمد؛ **أمَّا** وهم يشعرون لا يمكن.

هذه العدالة العجيبة في ملك نبي الله سليمان عَلَيهِ السَّلَامُ التي كان فيها النمل يطمئن إلى أنه لا يمكن أن يظلم عمداً، وأن يستهدف عمداً، درسٌ مهمٌ **جدًّا** لعالمنا الإسلامي، لمجتمعنا الإسلامي، للذين آمنوا عندما يتحركون لإقامة العدل في أي مجتمعٍ من المجتمعات الإسلامية، أن يروا

١٦

١- النمل: من الآية ١٨

٢- النمل: ١٨-١٩

هـذه النـماذج العظيمـة **جـدًّا**، العاليـة، التـي لا مثيـل لهـا في إقامـة العـدل.

النبي سليمان.. التفقد وحسن الإدارة

في نفس الوقت يحكي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قصته كيف تعامل مع الهدهد، ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾[١]، يتفقـد وهـو يتابـع للمسـؤوليات، والقيـام بالمسـؤوليات، ومـن يغيـب عـن عملـه، عـن دوره، كيـف كان تعاملـه مـع الهدهـد؟ ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٢]، كان تعاملـه حازمـاً في إطـار أن يضبـط المسـؤوليات والأعـمال والواجبـات- وفي نفـس الوقـت- لا يخـرج عـن دائـرة العـدل، ليـس بالمتـسرع، حتـى عندمـا أتى الهدهـد وحـكى عليـه قصـة مملكـة سـبأ وتلـك المـرأة، ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٣]، يتحقـق، يتبـين، لا يسـتعجل باتخـاذ الإجـراءات، يحـرص عـلى أن تكـون الإجـراءات صحيحـة، ومبنيـة عـلى معلومـات مؤكـدة، ومعلومـات صحيحـة، نمـوذج عظيـم، بقيـة الآيـات في سـورة النمـل فيهـا دروس عجيبـة **جـدًّا** عـن نبـي اللـه سـليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ذو القرنين.. حسن التعامل والاهتمام بأمور الناس

قـدّم اللـه -جـلّ شـأنه- نموذجـاً آخـر وهـو ذو القرنـين، في سـورة الكهـف، مـع التمكـين العجيـب لـه، وهـو كذلـك مكّـن اللـه لـه تمكينـاً عجيبـاً، كيـف كان تعاملـه، كيـف كان اهتمامـه بالنـاس، كيـف كانـت روحيتـه، كيـف كانـت قواعـده في العمل: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[٤]، قاعـدة في التعامـل مـع النـاس، اهتـمام كبـير بأمرهـم، سـعي لدفـع الظلـم عنهـم، في قصـة أولئـك القـوم،

١- النمل: من الآية ٢٠

٢- النمل: ٢٠-٢١

٣- النمل: من الآية ٢٧

٤- الكهف: ٨٧-٨٨

وما كانوا يعانونه من يأجوج ومأجوج، كيف عمل ردماً يحول بينهم وبين التمكن من الاقتحام إلى أولئك القوم وظلمهم، في نهاية المطاف وبعد إنجاز ذلك المشروع العملاق، مشروعاً عجيباً، ومشروعاً عملاقاً، كيف قال؟ **هل قال:** [هذا إنجازي، أنا رجلٌ عظيم، أنا كذا، أنا أنا أنا أنا...]، ويفتح مجالاً للآخرين ليأتوا ليتحدثوا عنه باستمرار؟ أم أنه قال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[1]، حاول أن يشدهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يقدِّم ما مكَّنه الله فيه، وما وفَّقه له بأنه نعمة من الله، وهذه هي الحقيقة.

وهكذا قدَّم القرآن الكريم نماذج راقية متعددة، وقدَّم التاريخ الإسلامي نماذج عظيمة في سيرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ما يكفي ويفي في سعيه لإقامة العدل، في سلوكه، في سيرة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ **وهو الذي قال: (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جلب شعيرةٍ ما فعلت)**، هذه الدرجة العالية **جدًّا** من العدالة، هذه الدرجة العالية **جدًّا** من الإحساس بالمسؤولية، هو الذي قال وقد أشار إلى نعله، **يعني:** حذاءه البالي، أشار إليه **وقال: (إنَّ إمرتكم لا تساوي عندي هذا، إلَّا أن أحيي حقاً وأميت باطلاً)**، ليس هناك أي نظرة شخصية، ولا حسابات شخصية، ولا مصالح شخصية، ولا مكاسب شخصية، ولا مقاصد شخصية من وراء تحمل المسؤولية، وتقلد المسؤولية، والعمل في إطار المسؤولية. ١٦

درس مهم وعبرة لكل مؤمن

ولذلك، عندما نعود إلى النماذج، إلى منهج الإسلام، إلى الآيات القرآنية، ما فيها أيضاً من تحذير ووعيد، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكى لنا في (سورة ص) قصة نبيه داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، عندما اختبره الله اختباراً قد يكون من وجهة نظرنا اختباراً بسيطاً، وقد دخل عليه الخصمان وتشاجرا عنده، **أحدهما يقول:** أن معهُ تسعٌ وتسعون نعجة،

١- الكهف: من الآية ٩٨

والآخر قال: معه نعجة واحدة، وهو يشتكي من أن صاحب التسعة والتسعين نعجة طلب منه أن يضع نعجته عنده ليكفلها، ليقوم بكفالتها، **يعني قال:** لا تشغل نفسك، أنت ليس لديك إلا نعجة واحدة، ضعها مع غنمي وسأكفلها لك، وهنا استعجل في الجواب، ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾، فماذا كانت النتيجة؟ أدرك- فيما بعد- أن هذا اختبار: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[1]، ثم يأتي ذلك التحذير العجيب؛ **ليكون** درساً لكل المؤمنين، لكل الذين آمنوا، لكل الذين يتحملون المسؤولية، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[2]، تحذير شديد وهو نبي؛ **ليستفيد** منه كل الناس، ليعرف كل الذين يتحملون المسؤولية أن الموضوع خطير، إذا كان هذا التحذير قد صدر إلى نبيٍ من أنبياء الله، أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحذره هذا التحذير الشديد؛ **فليأخذوا** العبرة، فليحذروا، فلينتبهوا.

١٦

فلذلك عندما يكون الإنسان في أي موقع من مواقع المسؤولية عليه أن يستحضر الدوافع الإيمانية، وأن يحرص على أن يكون خاضعاً لله، وأن يدرك أن التزاماته الإيمانية والدينية زادت أكثر من غيره، فهو في موقع الخطورة إن فرط، إن ظلم، إن تجاوز، إن طغى. والذين يمكنهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من عباده المستضعفين، وقد تحركوا ضد الظلم، ضد الطغيان، وسعوا إلى إقامة العدل، هم معنيون أيضاً أن يكونوا مدركين لخطورة الغفلة عن مسؤولياتهم، عن منطلقاتهم الإيمانية التي انطلقوا منها ابتداءً، وأن يكونوا مستحضرين لذلك على الدوام؛ **لأن** الغفلة حالة خطيرة على الإنسان.

١- ص: ٢٤-٢٥

٢- ص: الآية ٢٦

وجوب الاستقامة مهما كان المنصب

البعض من الناس قد ينطلق في البداية ويكون في سعيه، في اهتمامه، في نيته، أن يسعى إلى إقامة الحق، إلى إقامة العدل، ولكنه عندما يصل إلى موقع من مواقع المسؤولية، في أي مجالٍ من المجالات، ثم يعيش تلك الظروف التي تأتي- عادةً- والإنسان في موقع المسؤولية، الناس يمدحونه، والبعض ينظرون إليه بإكبار، وهو يرى نفسه أنه أصبح في جو المسؤولية في وضعٍ مختلفٍ عمَّا كان عليه سابقاً، فيأتي الغرور، ويأتي الشيطان، ويأتي العجب، وتأتي الأطماع، وتأتي الأهواء النفسية، هذه حالة خطيرة **جدًّا**، نجد في القرآن الكريم تحذيراً عجيباً، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيه محمد صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ ولكل المؤمنين: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١]، الاستقامة وفق أوامر الله، وفق توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هي ما ينبغي أن يحرص عليه الإنسان المسلم في كل مسيرة حياته، وفي أي واقعٍ كان، وفي أي موقعٍ من مواقع المسؤولية كان، أن يتمسك بأوامر الله وتوجيهات الله، وأن يستشعر دائماً أنه عبدٌ لله، مأمورٌ، عليه أن يخضع لأوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذا أصبح الشعور عنده أنه مجرد آمر يصدر الأوامر، فهذا الشعور قد يعزز في نفسه الطغيان، أنه أصبح صاحب قرار، وصاحب أوامر، فقط يأمر ويصدر الأوامر، ليس في موقع أن يتلقى الأوامر. في أي مسؤوليةٍ أنت؛ **أنت** لا تزال عبداً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعليك أن ترسخ في نفسك أنك مأمور، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ﴾[٢]، هذا ما كان يعلّم به حتى رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ﴾، لا تزال عبداً لله ومأموراً، وعليك أن تخضع لأوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن تطبقها، وأن تلتزم بها، وأن ترسخ في نفسك أنك متلقٍ لتوجيهاته وتعليماته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٦

١- هود: الآية ١١٢

٢- الزمر: الآية ١١

من أخطر الأشياء على الإطلاق إذا فُقِدَ هذا الشعور الإيماني: أنه مأمور، واستبدله بشعور أنه آمر، وأنه الذي فقط يصدر الأوامر ويقول ولا يتلقى شيئاً ولا يتقبل شيئاً، هو الشعور الذي ينشأ عنه الطغيان، وينتج عنه الطغيان، حالة خطيرة للغاية.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾؛ **لأنه** بعد التمكين، بعد أن يكون الإنسان في موقع المسؤولية، الكثير من الناس تحصل عندهم حالة الطغيان، يدخل هذا الاختبار، وهو اختبار مهم، واختبار كبير، واختبار خطير، فلا يسيطر على مشاعره، لا ينمّي إيمانه، لا يجعل من ذلك الموقع موقعاً لعبادة الله ﷻ، يجسد فيه قيم الدين، قيم الإيمان، وينمّي في نفسه القيم الإيمانية؛ **فتأتي** عوامل ودوافع الطغيان، يرى نفسه متمكناً، والبعض إذا أحس نفسه بأنه متمكن: طغى. كان عجزه مثلاً في مراحل ماضية، كانت ظروفه في مراحل ماضية تساعده على أن يبقى إنساناً عادياً، لكنه عندما تمكن، إما إمكانات مادية، أو إمكانات عسكرية، أو إمكانات أمنية... أو إمكانات بأي شكلٍ من الأشكال؛ **حصل** عنده الطغيان؛ **فطغى** وتجبر وتكبر، وتجاوز الحد، وخرج عن دائرة الانضباط والالتزام والامتثال لأوامر الله وتوجيهات الله ﷻ.

١٦

البعض بمستوى أن يكون آمراً على مجموعة قد يحصل عنده الطغيان، قد يشعر في نفسه بالزهو والكبر والغرور؛ **وحينها** يصدر منه الظلم في معاملاته، في سلوكه، في تصرفاته، وكل ما كبرت المسؤولية كان الموضوع أخطر وأخطر، وكان الإنسان أكثر حاجةً إلى تعميق وترسيخ المشاعر الإيمانية، ومشاعر الخضوع لله، والامتثال لأوامر الله وتوجيهات الله ﷻ، والحذر- في نفس الوقت- من البواعث النفسية، ومن الروح الانتقامية.

من أخطر الحالات: التمحور حول الذات

من أخطر الأشياء على الإنسان، والإنسان في موقع المسؤولية يكون في **ظرف** حساس، البعض يمدحونه، يمجدونه، يثنون عليه؛ **البعض** يستفزونه بالكلام الجارح والمسيء والإساءة إليه، فهو مستفَز من جهة، وهو من جهة أخرى يرى من يمجده، من يثني عليه، من يشجعه، من يعلي من شأنه... في هذه الأحوال؛ الإنسان في حالات خطيرة **جدًّا** على المستوى النفسي، إذا لم يُخضع نفسه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا لم يُدرك أنه مسؤول عن كل تصرفاته وأعماله، فقد تتحرك البواعث النفسية، وتترسخ في نفسه الشخصنة، فيتمحور حول ذاته، يفكر في نفسه، والتمحور حول الذات من أخطر الآفات التي قد يعاني منها الإنسان، إما إنسان في موقع المسؤولية، أو إنسان يحظى بالشهرة، أو إنسان يعتبر نفسه أنه حقق إنجازات، عندما يتمحور حول ذاته، يبقى كل تفكيره حول نفسه، يستشعر أنه أصبح إنساناً مهماً، إنساناً عظيماً، إنساناً بمنزلةٍ عالية، وتمحوره حول ذاته يجعله يحسب كل الحسابات من هذا المنطلق، في علاقته مع الآخرين، حتى في أدائه للمسؤولية، حتى في أعماله، يركز على نفسه، المعيار هو نفسه، أقرب الناس إليه أكثرهم مديحاً له، وأكره الناس عنده أقولهم بمرّ الحق له، يأنف إذا نُصح، يغضب إذا قيل له اتق الله، يستاء إذا أوصي بالحق، لا يتقبل أن يسمع نصيحةً من أحد، أو ملاحظةً من أحد، أو تنبيهاً من أحد، يعتبر نفسه في حالةٍ وموقعٍ لم يعد فيها بحاجة إلى أن ينصحه أحد، ولا أن يوصيه بالحق أحد، ولا أن يذكره أحد، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾[1]، **يعتبر لنفسه الصلاحيات المنفلتة:** أن يتصرف كيفما يشاء ويريد، في حالة الغضب إذا غضب يعطي نفسه الحق أن يعمل ما يشاء ويريد.

حالة التمحور حول الذات حالة من أخطر الحالات على الإنسان في إيمانه، وفي إنسانيته، وفي واقعه الطبيعي، الإنسان يخرج عن الوضع الطبيعي،

١٦

١- البقرة: من الآية ٢٠٦

يعيش نفسيةً حساسةً **جدًّا**، يأتي سوء الظن، تأتي الأوهام، يتحول كل تفكيره حول نفسه، حول نفسه، والموضوع الأهم هو بنفسه في نفسه، كل شيءٍ يفكر فيها هي النفس، الموقع، (هل الآخرون يحترمونني، هل هم يفعلون لي، أو أنهم يتآمرون عليَّ، أو أنهم يمكرون علىَّ...)، تصبح الذات المتضخمة، والذات التي تملأ فكره ونفسه هي الموضوع الأهم، هي الصنم الكبير، الصنم الكبير التي أصبحت كل اتجاهاته نحوها في هذه الحياة.

المشاعر الإيمانية وثمرتها الطيبة

الحالة الإيمانية تجعل الإنسان يذوب في الله، يذوب في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ذهنيته دائماً منشدة إلى ما يرضي الله، إلى ما هو رضى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يعيش حالة الكبر، ولا حالة الغرور، ولا حالة العجب، أبداً، همه العمل الصالح، همه أن يكون في عباد الله الصالحين، همه أن يكون مقبولاً عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يرضى الله عنه، هذه هي النفسية الإيمانية، هي المشاعر الإيمانية التي **يجب** أن يحافظ عليها الإنسان، وأن يحرص عليها الإنسان، وألَّا تذهب هذه المشاعر نتيجة أن الإنسان أصبح في موقع من مواقع المسؤولية.

١٦

وهذه المشاعر الإيمانية هي التي ستجعل الإنسان دائماً خاشعاً لله، ومتواضعاً أمام عباد الله، يقبل النصيحة، يتفاهم، يتعاون على البر والتقوى، يَحذر من المزالق والآفات الشيطانية، يَحذر من الظلم، يَحذر من التجبر، يَحذر من الطغيان، يخشع لله، ويَخضع لله، يَتذكر إذا ذُكِّر، ينيب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذا استُفز في حالة غضب، أو انفعال... أو أيٍ من حالات الاستفزاز، يعود إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ينضبط، ينتبه، يُحافظ على الأمانة في الإمكانات المادية، في المال العام، في المال الذي قد يكون في إطار مسؤولية معينة، لا يخون الأمانة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١]، لا يخون الأمانة، يعيش جو الخوف من الله، والاستشعار للمسؤولية أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويتحول أداؤه في موقع المسؤولية إلى عملٍ إيماني، إلى عملٍ صالح، إلى عملٍ ضمن التزاماته الإيمانية والدينية التي يتقرب بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ينشد إلى قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٢].

هنا كلما كان الإنسان منشداً إلى هذه القيم، إلى هذه المبادئ، إلى هذه المعايير، مخلصاً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا ينتظر من الآخرين ثناءً، ولا ينتظر من الآخرين جزاءً، ولا شكوراً، ولا مديحاً في قيامه بمسؤولياته، في أدائه لواجباته، في أعماله الصالحة، بل كل همه أن يحظى برضى الله، كل ما جسد الإنسان تلك القيم الإيمانية العظيمة؛ **كلما** كان نموذجاً صالحاً في أدائه لمسؤولياته وواجباته.

هذا ما ينبغي التركيز عليه، وهذا ما ينبغي أن يكون الإنسان من خلال التركيز عليه بعيداً عن الظلم، بعيداً عن التكبر، بعيداً عن الغرور، **إذا كنت في مسؤوليةٍ أمنية:** مدير أمن، أو مديراً على مستوى معين، أو أي مسؤولية، في الجانب العسكري، في أي مجالٍ من المجالات، في العمل الاقتصادي، في العمل القضائي... ابق دائماً خاضعاً لله وركز على مسؤوليتك، وركز على العدل، وركز على تقديم النموذج، واحذر من الخيانة، احذر من الابتزاز المالي للناس، من أخذ أموالهم بغير حق، خيانة كبيرة، وزر عظيم، يتحول موقعك في المسؤولية إذا كان موقعاً للطغيان، أو التكبر، أو التجبر على عباد الله، أو الخروج عن مبدأ الرحمة والعدل والإحسان والخير، يتحول ذلك إلى موقع لكسب الوزر، لكسب الإثم، لتحمل الأوزار الثقيلة من المظالم والجرائم، وتكون الحالة خطيرةً على الإنسان **جدًّا**.

١٦

١- الأنفال: الآية ٢٧

٢- الحج: الآية ٤١

الإنسان المؤمن مهما كان في أي موقع من مواقع المسؤولية لا يعيش حالة الغرور، حتى في سلوكياته، حتى في تعاملاته، حتى في تخاطبه مع الناس، يتخاطب بمسؤولية، يتخاطب باحترام، يتخاطب وهو يؤمن بكرامة الناس وكرامة المجتمع، لا يتساهل في إطلاق الإهانات وفي توجيه الكلمات القاسية بدون مبرر على الناس، ويحرص على التعامل بالعدل، والتعامل بمسؤولية، والتعامل بالتزام القيم الإيمانية، والتعامل بالرحمة، ويسعى إلى أن يستوعب مسؤوليته بشكلٍ جيد؛ **ليؤديها** كما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليكون بعيداً عن تحمل الآثام والأوزار والذنوب العظيمة.

الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، الظلم حالة خطيرة جدًّا، الإنسان بالظلم يُدخِل نفسه في سخط الله، في غضب الله، إذا أصر على الظلم واستمر على الظلم يلعنه الله، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]، ينطبق عليه كل ذلك الوعيد الإلهي الذي توعد الله به الظالمين، قد يكون الإنسان نتيجة غروره وكبره، وأنه أصبح في موقع مسؤولية، وأنه أصبح معجباً بنفسه، ومستهتراً ومحتقراً للآخرين، **يستبسط ما يصدر منه من ظلم**: إما بالكلام، أو الفعل، وقد يتساهل، وقد لا يبالي، لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو على كل شيءٍ قدير، وهو الجبار العظيم، وهو العلي الكبير، فوقك، وأكبر منك، ويحصي عليك ما تعمل، وتلك التصرفات التي قد تكون تصرفت بها وهي ظالمة، تلك الإساءات التي وجهتها وهي ظالمة، تلك الإجراءات التي اتخذتها وهي ظالمة، ومستهتراً ومستهيناً بذلك؛ **لأنك** تستبسط ذلك الطرف أو ذلك الشخص، أو لأنك مغرورٌ أو متكبر، إن الله أحصاها عليك، وسيجازيك عليها، ولن تفلت من عقاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلا إذا أنت تخلصت من تلك المظلمة.

هذا ما يجب أن يستشعره الإنسان دائماً، وما يجب أن يستشعره أكثر الذين كانوا مستضعفين في الأرض، ثم مُكِّنوا، ثم أتيح لهم فرصة أن يساهموا في خدمة المجتمع، أن يتحملوا المسؤوليات، أن يعملوا على إقامة

١- هود: من الآية ١٨

القسـط، فيتجهـوا بـكل جـدٍ إلى تحمـل هـذه المسـؤولية كـما ينبغـي وفقـاً لمنهجيـة الإسـلام، ووفقـاً لهـذه الأخـلاق، وفقـاً لهـذه التعليـمات الإلهيـة.

أخـيراً، عـلى كل الذيـن هـم في كل موقـعٍ مـن مواقـع المسـؤولية، في أي مسـتوى مـن مسـتويات المسـؤولية، أن يحـذروا مـن التـورط في الظلـم، الظلـم خطـيرٌ عـلى الإنسـان، إذا وقعـت في الظلـم، وتحولـت إلى إنسـانٍ ظلـوم مسـتهترِاً مسـتهِيناً، دخلـت في كل ذلـك الوعيـد الإلهـي- والعيـاذ باللـه- وعـلى الجميـع أن يتعاونـوا، عـلى المجتمـع، عـلى كل الذيـن في مواقـع المسـؤولية، أن يسـعى الجميـع إلى إقامـة العـدل وإقامـة القسـط في الحيـاة.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسـأل اللـه ﷻ أن يوفِّقنـا وإيَّاكـم لمـا يرضيـه عنـا، وأن يرحـم شـهداءنا الأبـرار،
١٦ **وأن يشـفي جرحانـا، وأن يفـرِّج عـن أسرانـا، وأن ينصرنـا بنـصره، إنه سـميع الدعاء.**

والسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

الظلم في التعامل على المستوى الاجتماعي

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

حديثنا في هذه المحاضرة عن الظلم؛ يتناول الظلم على المستوى الاجتماعي في المعاملة، وعلى المستوى الشخصي.

والظلم جرمه عظيم على كل المستويات؛ إنما في كل مستوى معين قد يكون له جانب معين من الحرمة أكثر وأكد، ولكنه بكله، بكل

أنواعه خطيرٌ **جدًّا**، ومن كبائر الذنوب والمعاصي، ومما يسبب العقوبات العاجلة في الدنيا، والعقوبات الآجلة والعظيمة في الآخرة- نعوذ بالله.

التعاون على الإثم والعدوان.. مخاطره وعواقبه

من أبرز مظاهر الظلم في المعاملة وفي الواقع الاجتماعي لدى الناس: هو الظلم الذي يتعاون عليه البعض، قد يكون على مستوى قبيلة تتعاون في موقفٍ يعتبر ظلماً، أو على مستوى مجموعة من الناس، أو على مستوى جهة معينة، هذا الظلم الذي يتعصب فيه البعض مع بعضهم، ويقف البعض مع بعضهم، يعتبر خطيراً **جدًّا**، ويعتبر من الظواهر المنتشرة في المجتمع الإسلامي، كثيراً ما يحدث هذا النوع من الظلم.

وعندما نعود إلى القرآن الكريم يأتي النهي والتحذير، وكذلك عن الرسول صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ، النهي والتحذير الشديد من التعاون على العدوان، على الظلم للناس، على موقفٍ فيه ظلم، ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1]، وهذا يشمل كل مستويات التعاون على الإثم أو على العدوان، التعاون على الإثم والعدوان على أي مستوى: دولة، تحالف، مجتمع، قبيلة، أسرة، مجموعة... بأي مستوى يكون.

التعاون على الإثم والعدوان أمرٌ خطير، ولهذا جاء النهي عنه؛ لأنه من عوامل تعزيز الظلم، ومن العوامل المؤثرة سلباً على واقع المجتمع: على أمنه، على استقراره، على ألفته، على تعاونه... الحالة الصحيحة هي التعاون على البر والتقوى، هذه حالة إيجابية، حالة عظيمة، حالة مفيدة، حالة مثمرة، وفيها رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولها النتائج الإيجابية في واقع الحياة.

١- المائدة: من الآية ٢

١٧

أمَّا التعاون على الإثم والعدوان بدافع العصبية، أن تتعصب للظالم، أو في موقع ظلم، من أجل قبيلتك، أو من أجل أسرتك، أو من أجل أصحابك، أو من أجل حزبك، أو من أجل جماعتك، فهذا ما لا يجوز، هذا أمرٌ خطير، وهو العصبية (عصبية الجاهلية) المنهي عنها، في الحديث عن الرسول ﷺ أنه سُئِل عن العصبية ما هي؟ **قال: (أن تعين قومك على الظلم)**، فإذا تعاونت في موقفٍ هو ظلم، وتدعم ذلك الموقف الذي هو ظلم، وتدعم ذلك الشخص الذي هو في موقف ظلم، تدعمه على ظلمه، تعينه على ظلمه؛ **فأنت** ستكون شريكاً في ذلك الظلم، وستتحمل الوزر والإثم عند الله سبحانه وتعالى.

التناجي بالإثم والعدوان وأضراره

ولذلك في قضايا الناس: القضايا الكبيرة، والقضايا الصغيرة، والقضايا الاجتماعية، والقضايا التي تكون في إطار قبلي أو مجتمعي معين، من المنهي عنه: التناجي بالإثم، والتناجي بالعدوان، والتعاون بكل أشكال التعاون: على الموقف الخطأ، على الموقف الظلم، على الموقف الباطل، على مساندة من هو في موقفٍ ظالم، لا ينبغي ذلك، ولا يجوز، ولا يليق أبداً، حتى على مستوى التناجي، التناجي بالإثم والعدوان، الله يقول في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[١]، الناس في اجتماعاتهم، في مجالسهم، في مناقشتهم لقضايا معينة، أو لمواضيع معينة في أي مستوى كانت، **أي مستوىً كانت هذه القضايا:** قضية لشخص معين، قضية لمجتمع معين، قضية لقبيلة معينة، قضية لأسرة معينة، **وأياً كان هذا الموضوع:** موضوعاً يتعلق بالأمور المادية، أو النزاعات الشخصية... أو بأيٍ كانت، ﴿فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾، التناجي بالإثم والتناجي بالعدوان، الدعم لموقف خطأ، أو الاتفاق على موقف خطأ، موقف

١- المجادلة: من الآية ٩

يخالف ما هو رضا لله ﷻ، يخالف توجيهات الله ﷻ، له تأثيرات سيئة، وله توجهات عملية خاطئة، فلا يجوز أبداً أن يتجه الناس إلى مثل هذا النوع من التناجي في مجالسهم، في اجتماعاتهم، في لقاءاتهم الخاصة، في مناقشتهم للقضايا المختلفة والمتنوعة، أن يحذروا من التناجي بالإثم والعدوان؛ **لأن** البعض قد يحصل عندهم دافع العصبية، أو دافع العقدة، يأتي حتى في المجال العملي، حتى في مجال العمل في سبيل الله ﷻ، حتى في إطار الأعمال والمسؤوليات تحصل أحياناً عند البعض: العقد، أو الإشكالات، أو القضايا المعينة، فقد يتعصب معهم البعض، وقد يتناجون بدافع هذه العقد على ما هو إثم، وما هو عدوان، وما فيه تأثير سيء.. لا يجوز شق صف المؤمنين، له تأثيرات سلبية في الواقع العملي، مثل هذا التناجي بالإثم، بالعدوان، بمخالفة توجيهات الله وتعليماته ﷻ، بالأعمال السيئة، بالأعمال غير الصحيحة التي تتناقض مع توجيهات الله ومع تعليمات الله القائمة على الحق، والعدل، والأخوة الإيمانية، والألفة، والتفاهم، وصلاح ذات البين، ما يخالف هذه التوجيهات الإلهية والتعليمات الإلهية لا يجوز التعاون فيه، لا يجوز العصبية والتعاون عليه بدافع العقدة، أو بدافع العصبية، بدافع الصداقة الشخصية، بدافع الروابط، أياً كان شكل هذه الروابط، **ونوع هذه الروابط:** لأنه من قبيلتك، لأنه من أصحابك، لأنه من جماعتك، لأنه من حزبك، لأنه... أياً كان شكل هذه الروابط، لا يجوز، أبداً. ١٧

الشيء الصحيح، الموقف الصحيح هو التعاون على البر والتقوى، ومن ذلك إذا كان هناك شخص مخطئ، أن يتعاون الجميع لإقناعه للتراجع عن خطئه، للضغط عليه للتراجع عن خطئه- وبالحد الأدنى- إذا لم يتراجع عن خطئه، إذا لم يتراجع عن ظلمه، إذا لم يتراجع عن تصرفه السيء، بعد أن يثبت أنه ظُلم، أو تصرف سيء، أو خطأ؛ **فليجتنبوه**، يتركوه، لا يتعاونوا معه على ما هو عليه من ظلمٍ وعدوان، أو خطأٍ ومخالفة ومعصية، لا يقفوا معه على ذلك، هذا هو الموقف الصحيح، بدلاً من التعاون، وبدلاً من أن يُشاع في واقع

المجتمع الحديث الذي يزعزع الوضع الداخلي، الألفة فيما بين الناس، ما بين المجتمع المسلم، ما بين المؤمنين، من خلال إشاعة التذمر، والعقد، والكلام السلبي، والتناجي بالإثم، والتناجي بالعدوان، هذا ما **يجب** الحذر منه.

من مساوئ العصبية المقيتة

من أشكال هذا التعاون على الظلم، والتعاون على الإثم، والتعاون على العدوان، ومما يدخل في إطار العصبية: الجدال والمدافعة عمَّن له موقف ظلم، أو موقف معصية، فيقف الآخرون معه في موقفه، يجادلون عنه، يدافعون عنه، يحامون عنه، يؤيِّدون موقفه، وهذا من الظواهر التي تحصل، على المستوى القبلي قد تقف قبيلة مع شخص؛ **لأنه** منها، وقد يكون موقفه موقفاً ظالماً، وموقفاً خاطئاً، والموقف الصحيح أن ترده عن ظلمه، وأن تدفعه إلى الحق، هذا هو الموقف الصحيح، وهذا يحصل عند بعض المجتمعات والقبائل التي تحرص على أن تكون مواقفها صحيحة وعادلة، ويحصل أيضاً في كل الأطر العملية التي
١٧ قد يرتبط فيها البعض مع بعضهم، **أن يكون لهم هذا التوجه الصحيح**: الدفع للظلم، الإجبار على الحق، الإلزام بالحق، الإنصاف، وهذا هو الموقف الصحيح.

الله ﷻ قال في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[1]، قد يكون البعض في موقف جريمة، أو موقف معصية، أو موقف ظلم، فيأتي البعض ليجادلوا عنه، وليدافعوا عنه، وليبرروا موقفه، وليتشفعوا فيه، وليعملوا على المنع من اتخاذ الإجراءات بحقه، قد يكون ظالماً في قضية من قضايا الناس، قد يكون مرتكباً لجريمة معينة، قد يكون من المحششين، انتشار ظاهرة الحشيش والمخدرات من أسوأ الظواهر، ولكن من أخطر الأشياء أن يتعاون الناس على دعم من يتورط في مثل هكذا جريمة، فإذا سجن، يهب البعض للمراجعة فيه، والدفاع عنه، والسعي لإخراجه،

١- النساء: الآية ١٠٧

ونحن حذرنا من التعاون في مثل هذه الجريمة في المحاضرات الرمضانية في العام الماضي؛ باعتبارها من أخطر الأشياء تأثيراً سلبياً على واقع المجتمع؛ **لأن** البعض من أصحاب التجارة في الحشيش والمخدرات يحاول أن يعزز موقفه، ويوفر لنفسه الحماية من المجتمع، عن طريق أن يوزع بعض الأموال، **وأن يكسب بها صداقة أشخاص معينين:** هدية لذلك الشيخ، هدية لذلك المشرف، وعلاقة مع ذلك الشخص، اهتماماً بتلك القرية، اهتماماً بأولئك الناس، ويعزز هذه الروابط وينميها، ويعطيهم جزءاً يسيراً مما يحصل عليه من دخل من هذه التجارة المحرمة؛ **حتى** يحبوه، حتى يتعصبوا معه، حتى يروا فيه شخصاً يحقق لهم مصالح مادية معينة، فيربطهم بمصالحه بهذه الطريقة، عندما يسجن أو يطارد، يقفون إلى جانبه، يتعصبون معه، يراجعون فيه، يبذلون كل جهد في سبيل حمايته، والدفاع عنه، والعمل على إخراجه من السجن، ودفع العقوبة عنه، هذا من التعاون على الإثم والعدوان، وهذا من الاشتراك في الجرائم، هذا من الاشتراك في دعم الحرام، في تهديد الاقتصاد الإسلامي، في الإضرار بالمجتمع المسلم، في ما نال الناس من أضرار خطيرة ومن أضرار كبيرة. ١٧

البعض من الناس قد يدافع الآخرون عنه ويبررون موقفه، والله ينهى هنا حتى عن دعمهم بالكلام، عن الجدال عنهم، فيقول: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾[1]، من سيقف إلى جانبهم يوم القيامة؟ الذي وقف إلى جانبهم في الدنيا سيكون شريكاً معهم في جرمهم، وداخلاً معهم في إثمهم، ومتورطاً معهم في جرمهم، ويتحمل معهم من وزرهم، يوم القيامة هل سيجرؤ أحد على أن يدافع عنهم؟ |لا| سيكون موقف الكل موقفاً خائفاً، وموقف الانشغال بالنفس، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[2]، لا أحد يتدخل

١- النساء: الآية ١٠٩

٢- الانفطار: الآية ١٩

لإنقاذ أحدٍ من المجرمين في يوم القيامة، هذا تهديد ووعيد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

البعض من قبيلةٍ ما؛ قد يَقتُل ظلماً وعدواناً في قبيلةٍ أخرى، فتقف معه قبيلته وتناصره، أو يقف معه أصحابه، أو تقف معه جماعته، أو يقف معه البعض. البعض من الناس قد يغتصب أرضاً، أو ينهب حقاً، أو يصادر ملكاً بغير حق، ويقف البعض معه، هذه جريمة، اشتراك في الجرم، اشتراك في الإثم، معاونة على الظلم، معاونة على الإثم والعدوان، وهذا ما ورد النهي عنه.

التوجه الصحيح للمجتمع، والتوجه الصحيح للجميع: هو التركيز على الحق والعدل والإنصاف؛ **وبالتالي** التعاون على ذلك، ورد المسيء عن إساءته، في الحديث عن رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: **(لا تكونوا إمَّعة، تقولوا إن أحسن الناس أحسنا، وإن أساؤوا أسأنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم أنه: إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا)**، هكذا يكون لدى الناس هذا التوجه الإيجابي، التوجه للإنصاف، للحق، للخير، للعدل، حتى إذا حصل ظلم، لا يقابل بظلمٍ أكبر، إذا حصلت مشكلة، لا تقابل بمشكلة أكبر.

١٧

البعض قد يُقتَل منهم شخص ظلماً وعدواناً، فيتجهون للثأر بطريقة عشوائية، ويحصل ظلم أو مفسدة كبيرة، أو خلل كبير، أو فتنة كبيرة، **وهذا ما لا يجوز أبداً:** أن يقابل الظلم بظلمٍ أكبر، فالتعدي والتعاون على التعدي قد يطال الإنسان: **إما** في حياته (في نفسه)، **أو** يطال الإنسان في ممتلكاته وماله، أو في عرضه وسمعته... كل أشكال هذا الإثم وهذا العدوان، كل أشكال هذا الظلم **يجب** الحذر من التعاون فيه، **ويجب** التعاون على البر والتقوى، ورد المسيء عن إساءته.

ظلم النساء في الميراث

على مستوى الظلم في الأموال والحقوق، هو أيضاً من أسوأ أنواع الظلم، ومن الظلم المنتشر بين الناس لدرجة عجيبة، حتى داخل الأسرة الواحدة، من أقبح وأشنع أنواع الظلم داخل الأسر هو: ظلم النساء والأيتام، عندما يظلم الإنسان النساء عنده، أو يظلم اليتامى، من أبرز مظاهر الظلم في الأموال والحقوق هو الظلم في الإرث، وأكل إرث النساء، وهذا من الظواهر المنتشرة والخطيرة **جدًّا؛ لأن** الإنسان عندما يأكل إرث قريبته، حتى لو تظاهرت بالمسامحة له مجاملةً، لا ينفعه ذلك، هو وزرٌ يتقلده، وإثمٌ وظلمٌ يرتكبه، يحاسب عليه يوم القيامة، ولا ينفعه معه أي عمل صالح، إذا لم يتخلص منه في الدنيا فأعماله كلها باطلة، أعماله كلها محبطة: صلاته محبطة، صيامه محبط... حبطت أعماله كلها في الدنيا؛ **لأنه** مع هذا الظلم- الذي هو ظلم خطير **جدًّا**- خرج عن إطار التقوى، وعن دائرة المتقين، والله -جلَّ شأنه- **يقول:** ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١]، وللأسف تنتشر هذه المظالم بشكل كبير في أوساط المجتمعات، ولربما القليل من يحاول أن يخلِّص نفسه من هذا النوع من الظلم والإثم- والعياذ بالله. ١٧

ينبغي على الإنسان إذا أكل أو لديه إرث قريبته أن يحرص على التخلص، ألَّا يستمر في هذا الظلم وفي هذا الوزر، يمكن للإنسان إذا كانت قريبته بنفسها: أخته، أو قريبته أياً كانت، أمه... أي شكل من أشكال القرابة التي فيها إرث، ورغبت هي أن يبقى إرثها عنده، فأن يسوق إليها حصتها من الغلول (غلول الإرث)، من الثمار، من النتائج المادية التي سيحصل عليها ويحصّلها، ويكون عمله كشريك، بحسب العرف المعتاد عليه في الشراكة بين المجتمعات، وبطريقة صحيحة لا يكون فيها غبن، ولا يكون فيها ظلم، هذا هو- بالحد الأدنى- الذي يمكن أن يعمله الإنسان، أو أن يسلمها بالكامل ويخلص رقبته (ذمته) من ذلك.

١- المائدة: من الآية ٢٧

ظلم النساء في المهور

من أنواع الظلم أيضاً في أكل الأموال والحقوق حتى داخل الأسرة الواحدة: أكل مهور النساء، وهذه من الظواهر المنتشرة والسلبية **جدًّا** في المجتمعات، البعض يرى في ابنته وكأنها سلعة، يفرح بأن يزوجها؛ **ليحصل** على مبالغ مالية يأكلها شخصياً، ويجعل من مهرها قيمةً لها كسلعة يأكله ويستغله، وهذا من الحرام، ومن الظلم، وظلم للنساء، وظلم للأرحام، وظلم للأقارب، ظلم مضاعف وسيء، وينبغي الخلاص من مثل هذا الظلم، الإنسان إذا قد فعل ذلك في الماضي يحاول أن يسدد وأن يتخلص، وفي المستقبل يقلع الإنسان عن مثل هذا التصرف، ويكف عن مثل هذا الظلم ولا يتورط فيه، هذه قضية خطيرة **جدًّا**، ممكن أن يكون هناك مخصص لتكاليف العرس، ويكون بالمعقول، يكون بما يراعي الظروف العامة للمجتمع، وممكن؛ **وقد عملت بعض المجتمعات هذا:** اتفقت على مقدار معين لتكاليف الزواج وللمهر، وهذا شيء إيجابي بما يساعد على الزواج؛ **لأن** تيسير الزواج مسألة مهمة **جدًّا** للناس في حياتهم، سواءً للشباب أو للشابات، الكل بحاجة إلى ذلك، وللمجتمع بكله، بما يحافظ على العفة، والطهارة، والشرف، والأمن، **والاستقرار في المجتمع:** تيسير تكاليف الزواج بما يساعد الشباب أن يتزوجوا، فأكل مهور النساء يعتبر من الظلم، ومن الإثم الخطير، ومن أكل أموال الناس بغير حق.

١٧

أكل أموال اليتامى من أبشع الظلم

أكل أموال اليتامى، ومع ما يحصل في هذا الزمن من حروب وكثرة اليتامى، اليتامى موجودون في كل زمن، لكن مع الحروب بشكلٍ أكثر، أكل أموال اليتامى من أبشع أنواع الظلم، وعادةً ما يكون من القرابة، قد يكون الأخ، قد يكون الأب، قد يكون قريباً من القرابة، يأكل أموالهم أو يأكل حقوقهم، وهذه قضية خطيرة **جدًّا** وعليها وعيدٌ شديدٌ في القرآن الكريم، الله -جلَّ

شأنه- يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[١]، وعيد شديد وواضح وصريح بالعذاب في جهنم، فالذي يأكل أموال اليتامى أو حقوقهم، عقوبته جهنم، ولا تنفعه أي أعمال صالحة: لا صلاة، لا صيام... ولا أي عمل آخر، وهذا من أشنع أنواع الظلم، ظلمٌ رهيب، وظلمٌ خطيرٌ **جدًّا**، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[٢]، فهو ظلم شنيع، شنيع **جدًّا**، فيه لؤم، فيه دناءة، فيه خِسَّة، أن يعمد الإنسان إلى ظلم اليتامى؛ **بينما** الشيء الذي يربينا عليه الإسلام هو الرحمة والعطف بالمستضعفين، بالمظلومين، باليتامى، وهذا من الأمور المهمة **جدًّا**.

الطمع من أكبر عوامل الظلم

يعتبر الطمع أيضاً من أكبر عوامل الظلم في أخذ أموال الناس بغير حق، وما أكثر ما يحصل بين الناس من نزاعات ومشاكل على الأموال، وكثيرٌ من المظالم هي تتجه إلى المال، البعض قد يطمع في جربة شخصٍ معين في منطقة معينة، أو أرض لشخص معين، **أو مال بأي شكلٍ من الأشكال:** بضاعة، تجارة...إلخ. وقد يتجه **إمَّا** إلى أخذها، **أو** مضاررته فيها بأي شكلٍ من الأشكال، وهذا من الأمور الخطيرة التي ورد فيها التحذير الشديد، سواءً كانت الوسيلة للحصول عليها هي الاغتصاب، أو كانت الوسيلة هي المشاجرة واليمين، أو الرشوة.. أو بأي وسيلةٍ كانت، كل ذلك محرم، وكل ذلك يعتبر من الظلم الشنيع الذي عقوبته جهنم، الله -جلَّ شأنه- قال في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣]، عندما يسعى الإنسان إلى أن يأخذ مال الآخر بأي وسيلة، ولو بوسيلة الرشوة، والتزييف للحقائق، والاستغلال للقضاء، أو استغلال التقاضي

١- النساء: الآية ١٠

٢- النساء: من الآية ٢

٣- البقرة: الآية ١٨٨

عند شخصٍ معين، ثم السعي للتزوير للحقائق، والتحيل بالرشوة أو بالتزوير؛ **للوصول** إلى حق ذلك الآخر، هذا يعتبر من الظلم الشنيع الذي عقوبته النار، أو حتى باليمين، اليمين؛ **ورد تحذير شديد جدًّا** في القرآن الكريم بسخط الله وغضبه ووعيده بجهنم، وعن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله الذي قال فيما روي عنه: (**لا يقطع رجلٌ حق امرئٍ مسلمٍ بيمينه- يعني: باليمين- إلَّا حرَّم الله عليه الجنة، وأوجب له النار**)، هكذا النتيجة هي النار، هي النار، أن تخسر الجنة.

ولاحظوا، كم يكون غباء إنسان يقتطع حقاً على الآخرين، على شخصٍ آخر، أو على أشخاص آخرين، قد يكون شيئاً تافهاً، قد يكون أرضاً، قد يكون مبلغاً مالياً معيناً... قد يكون شيئاً من أعراض هذه الدنيا، في مقابل أن يخسر الجنة، وأن يدخل النار، وأن يتعذب للأبد في نار جهنم، عندما قال رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله هذا الكلام، كلام خطير **جدًّا** على الإنسان الذي يتورط في ذلك، (**فقال له رجلٍ من القوم يا رسول الله: وإن كان شيئاً يسيراً**)، **يعني:** حتى لو كان هذا الشيء الذي اقتطعه الإنسان من حق الآخرين شيئاً يسيراً، شيئاً بسيطاً، (**قال: وإن كان سواكاً من أراك**)، لو لم يكن إلا سواكاً من أراك، مسواك صغير أخذه الإنسان بغير حق على الآخرين، يمكن أن يدخل به نار جهنم، **يعني:** حتى أبسط الأمور، خطير هذا، خطير على الإنسان، **يجب** أن يكون الإنسان متورعاً من أخذ حق الآخرين بغير حق، من الأخذ ظلماً على أي أحد، ولو كان شيئاً يسيراً، فالطمع خطير **جدًّا** على الإنسان، قد يتهاون الإنسان ويطمع، فيأخذ شيئاً من الحرام من هنا أو هناك، أو من حقوق الآخرين، فيكون هذا جرماً خطيراً.

الظلم بالكلام.. أنواعه ومساوؤه

من أنواع الظلم: الظلم بالكلام؛ لأن الظلم قد يطال الإنسان في نفسه: اعتداء عليه إما بضرب أو بسجن، أو اعتداء عليه بجرح أو بقتل، وقد يطال الإنسان في ممتلكاته، أو يطال الإنسان في عرضه وكرامته

وسمعته، وقد سبق الحديث عن المظالم العامة التي **ينشأ عنها الكثير من الظلم:** الظلم العام، الظلم بالافتراء على الله كذباً، التزييف للحقائق، المظالم الكبرى في الواقع البشري. ثم هذا على مستوى المعاملة.

لربما من أكثر أنواع الظلم انتشاراً وشيوعاً هو الظلم في الكلام، الكثير من الناس قد يتورع عن الظلم فعلاً **يعني:** لا يقتل، لا يجرح، لا يسجن بظلم، لا يعتدي على أحد في جسده أو بدنه، وقد يتورع أيضاً عن الظلم في المال: لا يأخذ من حق الآخرين شيئاً من أموالهم، ولكن أكثر أنواع الظلم انتشاراً وشيوعاً هو الظلم في الكلام؛ **لأنه** سهل عند الكثير من الناس، وعملية قد لا تكون عليها مشاكل في كل لحظة؛ **مع أنه** ينتج عنها مشاكل رهيبة وكبيرة، ولها أضرار رهيبة، لكن اللسان وسيلة سهلة يتكلم بها الإنسان، والكلام كذلك- عند كثيرٍ من الناس- مسألة سهلة؛ **فيتجرأ**، ولا ينضبط، ولا يلتزم، مع ورود تحذير كبير في القرآن الكريم: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]، كل كلمة محسوبة على الإنسان، لكن الكثير قد يتجرأ؛ **ولذلك** ورد في القرآن الكريم التحذير من كل أنواع الظلم التي تأتي عن طريق الكلام. ١٧

يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[2]، **ويقول الله** سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[3].

١- ق: الآية ١٨

٢- الحجرات: ١١-١٢

٣- الأحزاب: الآية ٥٨

مخاطر السخرية والاستهزاء والاحتقار

الظلم بالكلام يشمل أشياء كثيرة، منها السخرية في الكلام، سواءً تسخر من شخص معين، أو تسخر من قومٍ معينين، من قبيلة معينة، من مجتمع معين، من أهل منطقة معينة، السخرية في الكلام هي ظلم، وهي إساءة، وهي من العوامل التي تفكك المجتمع، **لأن المفترض من المجتمع والمطلوب منه:** أن يكون مجتمعاً متآخياً بالأخوة الإيمانية، متعاوناً على البر والتقوى، معتصماً بحبل الله- جميعاً، متوحداً في موقف الحق، **متحركاً في إطار مسؤولياته الجماعية الكبرى:** من جهادٍ في سبيل الله، من إنفاقٍ في سبيل الله، من إقامةٍ للحق، من دفعٍ للظلم... هذا المجتمع عندما تأتي بما يفرقه، بما ينشر بينه العداوة والبغضاء، بما يفككه، وبدلاً عن الاحترام تأتي السخرية، والاستهزاء، والاستهتار، والاحتقار، وتبادل الكلمات المسيئة؛ **هذا حرامٌ**، وهذا ظلمٌ، وهذا جرمٌ، وهذا إثمٌ؛ **لأن** العمل بهذه الطريقة هو مما يزرع بين الناس- في نهاية المطاف- العداوة والبغضاء والكراهية.

والمطلوب في حالتنا الإسلامية، وفي القيم الإسلامية والتعليمات من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، أن يكون المجتمع متآلفاً، متآخياً، متعاوناً، متواداً، متحاباً، متراحماً، متعاوناً على البر والتقوى، لا يأتي ما يفرقه، إذا أتى ما يفرقه سيضعفه، ويحول دون اجتماعه للقيام بمسؤولياته الجماعية، هناك مسؤوليات جماعية على المجتمع كمجتمع، على المؤمنين كمؤمنين، **مسؤوليات جماعية:** الأمر بالمعروف والنهي على المنكر مسؤولية جماعية، الجهاد في سبيل الله مسؤولية جماعية، التعاون على البر والتقوى مسؤولية جماعية، دفع الظلم والفساد مسؤولية جماعية؛ **فالمجتمع** بحاجة إلى أن تسوده الألفة، والأخوة، والمحبة، والتراحم، والتعاطف، والتعاون، والتفاهم، والسائد في التعامل فيما بين الناس والكلام فيما بينهم يكون هو الاحترام المتبادل، الاحترام المتبادل في الكلمات التي تعبر عن هذا الاحترام.

بينما السخرية هي عكس الاحترام، هي استهتار، واحتقار، واستهزاء، ولها نتائج سيئة، وهي مستفزة، إذا وجَّه الإنسان كلمات السخرية إلى شخص آخر هو يستفزه، ويسيء إليه، ويظلمه، إذا وجه كلمات السخرية والاستهزاء إلى قبيلة معينة، أو مجتمع معين، أو قرية معينة، هو يستفزهم، يجرح مشاعرهم، وهو يؤثر على مستوى الألفة والأخوة والتعاون، وهو يظلم.

لا تجوز السخرية، ولا يجوز الاحتقار، لا يجوز الاحتقار لأي إنسان، أي إنسانٍ مسلم، لا يجوز الاحتقار له لا بنسبه، ولا بمنطقته، ولا بقريته، ولا بطريقة معيشته في الحياة... ولا بأي شكلٍ من الأشكال.

الاحتقار يوجه إلى الظالمين، إلى المجرمين، إلى الطغاة، إلى المفسدين الذين يبغون في الأرض بغير الحق، يوجه لهم الاحتقار، توجه إليهم الكلمات القاسية؛ **أما** إنسان في ظل المجتمع المسلم والمؤمن لا يجوز أن يُوجه إليه كلمات فيها احتقار، أو إساءة، أو سخرية، أو استهزاء به؛ **هذا** من الظلم، هذا من الإثم، هذا من الجرم، هذا من المعصية.

١٧

حرمة اللمز والتنابز بالألقاب

كذلك اللمز، (اللمز): الطعن بالكلام والتجريح بالكلام، غير مسألة الاستهزاء والسخرية والاحتقار، **اللمز:** الطعن والتجريح في الإنسان عندما تهتك عرضه بالذم، بالتجريح فيه، بالكلام فيه، هذا محرم؛ **لأن** الواجب هو الاحترام، وأن يكون هذا الاحترام متبادلاً بين المجتمع.

التنابز بالألقاب: كذلك إطلاق الألقاب السيئة والجارحة والمنقصة على شخص معين، عندما تطلق عليه لقباً معيناً تنتقصه به، هذا لا يجوز، **الواجب** هو الاحترام، اللازم هو الاحترام، والآية هنا تقول: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾، ثم تختم بهذا الختام المهم: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾،

هذا هو الشاهد، هذا من الظلم.

اللمز من الظلم، السخرية من الظلم، التنابز بالألقاب من الظلم، كل هذه التجاوزات في الكلام تعتبر ظلماً، من لم يتب منها عندما تصدر منه، فيعتبر عند الله من الظالمين، حتى أن من التوبة إذا قد وصل كلامك إلى الشخص الذي لمزته، أو سخرت منه، أو استهزأت به، أو نبزته بلقب، إذا قد وصل الكلام إليه لا بدَّ أن تسترضيه، لا بدَّ أن تطيب خاطره، وأن تسعى إلى عودة الألفة معه، وإلى إنصافه واحترامه، وأن تعتذر منه، لا بدَّ، وإلا بقي الذنب عليك.

فالله يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، إذا لم تنصف؛ فتعتبر من الظالمين، إن لم تتب من ذلك فتعتبر من الظالمين، قضية خطيرة **جدًّا** على الإنسان، أما إذا لم يكن قد وصل الكلام إليه فلا ضرورة لأن يصل، بل تب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واستغفر لك وله، وتب إلى الله من ذلك؛ **لأنك** عندما تخبره قد تجرح مشاعره من جديد، إن لم يكن قد وصل إليه الكلام.

١٧

سوء الظنّ وآثاره المدمرة

ثم يحذِّر من الكثير من الظن، ويأمر باجتنابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾، الظن السيء هو الذي نحن مأمورون باجتنابه الظن السيء، عندما تظن ظناً سوءاً بأخيك المسلم، بأخيك المؤمن، قضية خطيرة **جدًّا، من أسوأ الأشياء على الناس:** سوء الظن، سوء الظن يفكك العلاقات، سوء الظن يهدم كل مبنىً للأخوة، وينشر بين الناس التعامل السيء، العقد على بعضهم بعض، الكراهية، البغضاء، يضعف فيما بينهم التعاون حتى في الأعمال المهمة، حتى في أعمال الخير، حتى في أعمال الجهاد في سبيل الله، حتى في النهوض بالمسؤوليات، إذا دخل سوء الظن أفسد بين الناس التعاون حتى على البر والتقوى، أفسد صلاح ذات بينهم، يعتبر خطيراً **جدًّا؛ ولهذا** نهى الله عنه، وهو- في نفس الوقت- يمثِّل مشكلة كبيرة وينتج عنه الظلم، بدءاً بما أصبح في

نفسك من تصور باطل تجاه شخصٍ ما، أنت بذلك التصور ظلمته، ثم تبني على ذلك معاملة؛ **فيكثر** الظلم، ويزداد الظلم إلى ظلم، ثم تضيف إلى ذلك أيضاً مواقف معينة، ويترتب على هذا تأثير سيء حتى في الواقع العملي، سوء الظن من أخطر الأشياء حتى في مجال العمل في سبيل الله، سوء الظن من أخطر الأشياء، وإذا اعتمد الإنسان على سوء ظنه، فسيتورط في مظالم، في تصرفات سيئة، قد يصل هذا التورط إلى مستوى جرائم- والعياذ بالله- قضية خطيرة **جدًّا**.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، **التجسس كذلك مدعاةٌ للظلم، وتفكيكٌ لعرى المجتمع.**

الغيبة معول هدم

﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾، الغيبة كذلك من أخطر الأشياء في تفكيك المجتمع، عندما تنتشر الغيبة في مجتمعٍ معين، وضاعت عن الناس حرمة بعضهم بعضاً، وحرمة أعراض بعضهم البعض، فيتجرؤون على الكلام في بعضهم البعض، والانتقاص من بعضهم البعض، والإساءة إلى بعضهم البعض، والكلام على بعضهم البعض في غيبتهم، تغتابه، تتحدث عنه وهو غائب بما يسوؤه، بما يسيء إليه، بما ينتقص منه، هذه من المحرمات، **وقدّم لها هذا المثل:** ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، تأكل لحم أخيك وهو ميت، **هل ستجرؤ على ذلك:** أن تأكل لحم أخيك وهو ميت؟ كيف سيكون منظرك بشعاً **جدًّا** لو رءاك الآخرون، وهذه الحالة- حالة المغتاب- وكأنه يأكل لحم أخيه ميتاً حالة خطيرة **جدًّا**، ذنب عظيم، ووزر كبير، وحالة دنيئة، من الدناءة في الإنسان، من نقص الشرف فيه أن يكون من المغتابين، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾.

١٧

جريمة البهتان ونشر وتقبّل الشائعات

أيضاً من الجرائم في الكلام البهتان: عندما تبهت إنساناً بما ليس فيه، عندما تنسب إليه ما هو بريءٌ منه، تتكلم عليه أنه فعل كذا، وأنه صنع كذا، وأنه الذي قال كذا، وأنه الذي تصرف كذا... وهو بريءٌ من ذلك، وهذا مما يكثر في هذا الزمن، خصوصاً مع انتشار الشائعات، وتقبّل الشائعات، على مواقع التواصل الاجتماعي؛ **أول** ما تنتشر شائعة يتفاعل معها- أحياناً- الآلاف من الناس، وهي شائعة على إنسان قد يكون بريئاً، قبل التثبت، قبل التبين، ينطلق الآخرون ليتكلموا فيه، ليلمزوه، ليسيئوا إليه.

في واقع الناس، في المجتمع، الكثير من الناس ما إن يسمع كلاماً في أحد حتى يبادر بتصديقه؛ **ثم** يتكلم فيه، ويسيء إليه، وهذا مما لا ينبغي، مما لا يجوز، **يجب** التثبت، **يجب** التبين، حتى لو كان الذي سمعته شكوى، أو تظلماً، أو كلاماً مؤلماً عن شخص أنه فعل كذا، أو شيئاً مستفزاً، **يجب** التبين، فتبينوا، الله يقول: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾[1]، ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[2]، كم في القرآن الكريم يأمر بالتبين والتثبت، ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾[3]، حسن الظن **يجب** أن يكون هو السائد، التبين **يجب** أن يكون هو السائد، التثبت **يجب** أن يكون هو السائد، والقاعدة الأساس التي يعتمد الناس عليها، لكن التسرع عادة سيئة **جدًّا** لدى الناس، بمجرد أن يسمعوا شائعة يتفاعلون معها؛ **ثم** هذا يقول، وهذا يكتب، وهذا يتحدث، وهذا ينشر الكلام في المجالس، وهذا في الشارع، وهذا عند من يلقاه، وهذا في مواقع التواصل الاجتماعي، ويحمِّل الناس أنفسهم وزراً وظلماً وجرماً وإثماً بغير لازم، هكذا بكل استهتار وتهاون.

١-النساء: من الآية ٩٤
٢- الحجرات: من الآية ٦
٣- النور: الآية ١٢

خطورة التهاون والاستهتار بهذه الأمور

التهاون في هذه الأمور من أخطر الأشياء التي تؤثر على الإنسان، والظلم حتى بهذا المستوى: الظلم في الكلام، الظلم في نشر الشائعات قبل التثبت والتبين، والإساءة إلى الآخرين في ما هم منه براء، هذا خطيرٌ على الإنسان في نفسه، في مشاعره، في ما بينه وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في إحباط أعماله.

(إياكم والظلم فإنه يخرِّب قلوبكم) في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ **(كما تُخْرَب الدور)**، مثلما تهدم بيتاً بأكمله، الظلم يفسد حتى نفسيتك، حتى قلبك، حتى مشاعرك، عندما تكون ظلوماً ولو بكلامك، ولو بشائعاتك، ولو بلمزك وهمزك، **الله يقول:** ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[1]، الإنسان الذي اعتاد الطعن في أعراض الناس، والكلام في هذا، والكلام في ذاك، والإساءة إلى هذا، والإساءة إلى ذاك، ونشر شائعة عن هذا في مواقع التواصل الاجتماعي، في المجالس، في الاجتماعات، في اللقاءات، قضية خطيرة **جدًّا**، قضية خطيرة.

الإنسان قد يستهتر، قد لا يبالي، قد يصر، قد يستمر على ذلك، ولكن هذا يفسد عليه نفسه، يبطل أعماله الصالحة، يحمِّله الأوزار العظيمة والكبيرة، ويجعله من المساهمين في تفكيك المجتمع، في نشر الفتن، في إفساد ذات البين بين المؤمنين والمؤمنات، قضية خطيرة **جدًّا**، الواجب هو الكلمة الطيبة، الله -جلَّ شأنه- يقول في كتابه الكريم: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[2].

١- الهمزة: الآية ١

٢- الإسراء: الآية ٥٣

الـكلام الـسيء، الكلمـة الجارحـة: كلمـة السـخرية، كلمـة اللمـز، كلمـة البهتـان... الكلـمات الجارحـة هـي مدمـرة لألفـة المجتمـع، وتـزرع الـشر، تعطـي فرصـة للشـيطان ليثـير الفتنـة والكراهيـة بـين المجتمـع، ويؤثـر عليـه في النهـوض بمسـؤولياته وواجباتـه، الجماعيـة.

لذلـك يجـب التـواصي بالحـق، والتـواصي بالصـبر، والتناصـح بـترك مثـل هـذه العـادات والظواهـر السـلبية.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسـأل اللـه ﷻ أن يوفِّقنـا وإيَّاكـم لمـا يرضيـه عنـا، وأن يرحـم شـهداءنا الأبـرار، وأن يشـفي جرحانـا، وأن يفـرِّج عـن أسرانـا، وأن ينصرنـا بنـصره، إنـه سـميع الدعـاء.

والسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١٧

يوم الفرقان (١)

عطاء متجدد عبر الزمن

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وبركَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

في محاضرة اليوم نتحدث عن غزوة بدرٍ الكبرى، والتي كانت حدثاً مهماً وتاريخياً واستثنائياً ومفصلياً في تاريخ الأمة الإسلامية، وأسمى الله ﷻ هذه الغزوة بـ(يوم الفرقان)، قال في القرآن الكريم في سورة الأنفال:

﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[1]، وهذه التسمية هي تعطينا فكرةً عن أهمية هذه الغزوة، وتقدِّم دلالةً مهمةً على ما مثَّلته هذه الغزوة من متغيرات ومن تحولات كبيرة في الواقع.

فما قبل غزوة بدرٍ الكبرى، عاش المسلمون منذ بداية البعثة بالرسالة، وبداية تكوُّن الأمة الإسلامية من القليل من أبناء المجتمع في مكة، ثم امتد الدخول في الإسلام ليشمل مناطق متعددة، ولكن على نحوٍ محدودٍ **جدًا**، وفي حالة من الاستضعاف والتكذيب والصد، وبأشكال متنوعة من الحرب الإعلامية، والحرب الاقتصادية، والمضايقات، والتعذيب، والاضطهاد.. والمعاناة كانت كبيرة فيما قبل هذا اليوم بالنسبة للمسلمين.

وعاش الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في مكة وهو يتحرك بالرسالة الإلهية، ويدعو إليها، ويبلغها إلى الناس، في ظروفٍ عصيبة، وفي مواجهة تحدياتٍ كبيرة، ومعاناةٍ حقيقية، المجتمع في مكة، وهو مجتمع قريش، وقريش هم قوم النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- كان موقف أكثرهم من هذه الرسالة الإلهية هو الكفر، والتكذيب، والجحود، والصد، والمحاربة، وعملوا بكل ما يستطيعون على تثبيط الناس وتخذيلهم عن الالتحاق بهذا الدين العظيم، **وكان قلقهم من هذه الرسالة:** أنهم يدركون ما تمثِّله من أهمية، وأنها تصنع تغيراً حقيقياً في واقع الناس، وأنها منهجٌ يحرر كل من التزم به، وكل من آمن به من هيمنة كل القوى الأخرى، فهي تبني أمةً مستقلة على أساس منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٨

التحديات تحيط بحركة الرسول الأكرم

في مرحلة مكة بقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في عمله في تبليغ الرسالة لثلاث عشرة سنة- منذ بداية حركته بالرسالة- ثم هاجر إلى المدينة، وهناك كان عمله ينصب في تكوين مجتمعٍ جديد، ولكن مع كل ذلك- مع عمله هذا، مع

١- الأنفال: من الآية ٤١

جهوده هذه- كان لا يزال يواجه الصعوبات، وكانت تسود الناس في شتى المجتمعات العربية المخاوف وعدم الاطمئنان من إمكانية بناء هذه الأمة وتكوينها، وقلق كبير **جدًّا** تجاه مستقبل هذه الأمة، ومستقبل هذا الدين، ومستقبل الإسلام، فالكثير من الناس عندما كانوا يلحظون حجم ومستوى التحديات المحيطة بحركة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ بالرسالة الإلهية، وكانوا يلحظون انتشار حالة التكذيب والصد من **القوى المختلفة والمتنوعة في الساحة:** الوثنيون من جهة، اليهود من جهةٍ أخرى، النصارى من جهةٍ ثالثة، البيئة كلها كانت بيئة غير مرحِّبة بهذا الدين، وغير متقبلة لهذه الرسالة العظيمة.

والظروف التي يتحرك فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ظروفٌ عصيبة، منذ بداية الدعوة لم يكن يعتمد على إمكانيات مادية ضخمة، أو إمكانات عسكرية، جاءت هذه الرسالة، جاء هذا الهدى يقدِّمه إلى الناس ويدعوهم إلى اتباعه من دون إغراءات مادية، يمتلك- مثلاً- ثروات ضخمة على المستوى الشخصي، أو على مستوى واقعه، ولم يكن منذ البداية يمتلك الإمكانات العسكرية الكبيرة، التي يرى الناس فيها سنداً لهذه الدعوة، ولهذه الرسالة، فأثَّرت المخاوف في الكثير من الناس، **وجعلت الكثير منهم: إمَّا** يتخاذل ولا يقبل بالالتحاق بهذه الرسالة، **وإمَّا** يُسلم، ولكن مع هذا الهاجس الضاغط عليه في إسلامه: الريب، القلق، عدم الاطمئنان، التردد، الاضطراب، التأثر بالمخاوف والدعايات والشائعات، القلق أمام هذه التحديات، وكذلك كان الآخرون من أعداء هذه الرسالة وهذا الدين، عندما يلحظون ظروف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: إمكانات مادية بسيطة، قلة من الأنصار والأعوان، وأكثرهم من الفئة المستضعفة في المجتمع: من الفقراء، ممن لا يمتلكون إمكانيات ضخمة، ومع القلة، ومع الظروف الصعبة، ومع هذا الواقع الصعب، وتأثير العادات والتقاليد، ورسوخ تلك الأفكار الباطلة في أوساط المجتمع، حتى أصبحت من المسلَّمات التي يعتقدها الناس في واقع حياتهم، ويدينون بها، ويلتزمون بها، ويتشبثون

بها، فكانت قوى الشرك، وقوى الضلال، وقوى الباطل المحاربة للنبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ولدعوته، ولرسالة الله، طامعة؛ **لأنها** تَحسب أنها تمتلك الأوراق الرابحة في مواجهة هذه الرسالة وهذا الدين: تمتلك القوة العسكرية، تمتلك الإمكانات المادية الضخمة، تمتلك النفوذ في أوساط المجتمع والتأثير، تمتلك كذلك التأثير الإعلامي والفكري والثقافي في أوساط الناس، أفكارها هي المسلّمات المنتشرة في الساحة، والتي أصبحت في كثيرٍ منها حتى إلى مستوى عادات وتقاليد.

الثقة بالله في مواجهة كل التحديات

أمام كل هذه الصعوبات وكل هذه التحديات، كان النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ يتحرك واثقاً بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، متوكلاً على الله -جلَّ شأنه- وهو- في نفس الوقت- يؤمن بهذه الرسالة، يؤمن بعظمتها، يؤمن بأهميتها، يؤمن بإيجابيتها في الواقع، وقد حمل روحيتها العالية؛ **لأن** هذا الدين العظيم يترك أثراً عظيماً في نفس الإنسان، في مشاعره، يعزز فيه اليقين، الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الاطمئنان، التوكل على الله، ينمِّي فيه مكارم الأخلاق، يبني فيه الروحية والمعنوية العالية، والنبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ هو الذي حمل كل ذلك على أرقى مستوى؛ **فلذلك** كان يتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويثق بنصره، ويعتمد عليه، ويواصل كل جهوده أمام كل تلك الصعوبات وبقوة: قوة في الموقف، قوة في الثبات، قوة في الصمود، وعدم تأثر بكل تلك الضغوط؛ **ولذلك** وصل الأعداء معه في ضغوطهم، في استهدافهم، إلى مراحل خطيرة، قال الله -جلَّ شأنه-: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[١].

فهذه التحديات الكبيرة التي كانت قائمة في الساحة، لم تثنِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ولم تضعف من عزمه، ولم تدفعه إلى التراجع، ولم تحد أو تضعف من عزمه وتوجهه ونشاطه؛ **بل** كان يتحرك بكل جد، وبكل اهتمام، وبكل

١- الأنفال: الآية ٣٠

مسؤولية، فجهوده في المدينة بدأت ثمارها، وبدأت النتائج الإيجابية تتحقق في تكوين هذه الأمة التي تحمل هذه الرسالة، وتتمسك بهذا الدين، والذي هو دين الفطرة، ودين الحق، كل ما فيه من أسس، من مبادئ، من تشريعات، هي حقٌ، وهي منسجمةٌ مع الفطرة البشرية؛ **إنما** كانت الفطرة قد تلوثت بفعل الممارسات والعقائد السلبية، والأفكار السيئة، والضلال المبين، **والسلوكيات المنحرفة التي تعززت في الساحة:** تشويش ثقافي وفكري على الفطرة هذه، وتدنيس سلوكي وعملي لهذه الفطرة، والنبي ﷺ جاء بهذا الدين الذي ينسجم مع هذه الفطرة، ويعيد إليها نقاءها.

فهذا الدين العظيم بحركة رسول الله ﷺ الذي جسَّد فيها قيم هذا الدين، مبادئ الدين، عظمة هذا الدين، وامتلك بهداية الله ﷻ وبالتربية والإعداد الإلهي له؛ **امتلك** المقومات العملية الراقية **جدًّا**: امتلك الحكمة، امتلك الرشد، امتلك قوة البيان، وهو في أخلاقه على نحوٍ عظيمٍ **جدًّا**، لا مثيل له في الواقع البشري، فكان يتحرك وهو يمتلك هذه العناصر المهمة، التي هي في مقابل تلك التحديات هي عناصر قوة، فهو في مقابل أنه لم يمتلك الإمكانات المادية الضخمة، امتلك الأخلاق، امتلك الحق، امتلك قيم الإسلام، امتلك تلك الروحية العالية، امتلك الإيمان، والثقة بالله، والتوكل على الله ﷻ، امتلك هذه الرسالة التي تنسجم مع الفطرة، والتي تمثل حلاً فعلياً لواقع البشرية؛ **إنما** كانت بحاجة إلى نموذج يبتني، ثم يقدِّم في واقع حياته وفي سلوك حياته هذا الدين، ثم تلحظ وتتجسد نتائج هذا الدين وإيجابية هذا الدين في واقع ذلك المجتمع، في واقع تلك النواة، في واقع تلك الأمة؛ **مهما** كانت في البداية أمةً محدودة، أو قليلة العدد.

فرسول الله ﷺ **تحرك و- كما قلنا-** كانت المخاوف هي الحالة السائدة، كانت المعاناة من الاستضعاف، كانت الضغوط المؤثرة في كثيرٍ من الناس هي

الحالة المنتشرة والسائدة؛ **ولذلك** بلغ عناد الأعداء، وبلغ مكرهم في محاربة هذا الدين، إلى ما قدم القرآن الكريم كثيراً من السور عنه، **مثلاً:** في عنادهم، يقدم لنا القرآن الكريم ما وصلوا إليه في مستوى عنادهم العجيب، ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] إلى هذا المستوى من العناد: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، كانوا وصلوا إلى هذا المستوى من العناد، الذي يطلبون فيه: إن كان ما أتى به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ هو الحق، فأن يمطر الله عليهم حجارة من السماء، ويبيدهم، ويقضي عليهم، فهم يعبِّرون بهذا العناد عن عدم استعدادهم نهائياً لتقبل هذه الرسالة، ولم يصل الأمر فقط إلى هذا المستوى؛ **وإنما** اتجهوا إلى محاربتها، إلى منعها، إلى عدم السماح للناس بالإيمان بها، والالتفاف حولها، واتجهوا بالمؤامرة على شخص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وحاولوا استهدافه، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾.

حتمية الصراع مع قوى الطاغوت

١٨

فبعد هجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ **إلى المدينة** بدأ بتكوين هذه الأمة، وبدأ الأعداء تحركاتهم في الساحة لاستهدافه، وعدم السماح لهذه الأمة الناشئة بالاستمرار، ولهذا الدين بالاستمرار، وكانت لهم تحركاتهم الواسعة، **واستعداداتهم الواسعة:** تحركات لمضايقة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، تحركات لحصار النبي وعزله في المدينة، والتحالف مع مختلف القبائل والمناطق، لتشكيل حركة واسعة لاستهداف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ والحرب عليه، فكانت من الخطوات الأولى التي عملوها: الاتفاق مع كثيرٍ من القبائل على المقاطعة الاقتصادية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ثم بدأوا ترتيباتهم واستعداداتهم العسكرية بهدف الزحف باتجاه المدينة.

١- الأنفال: الآية ٣٢

رسول الله ﷺ كان يدرك طبيعة هذه التحركات، وكان يتحرك بتوجيهات الله سبحانه وتعالى وتعليماته للتصدي لكل هذه التحديات والمخاطر، والله سبحانه وتعالى هو العليم بالواقع البشري، وهو -جلَّ شأنه- المدبر لشؤون السماوات والأرض، والصراع في هذه الحياة هو جزءٌ من واقع هذه الحياة، ولذلك كان الصراع مع أعداء هذا الإسلام، مع أعداء النبي ﷺ والمسلمين، كان حتمياً، كان لا بدَّ منه، وهذا هو درسٌ مهمٌ نحرص دائماً على ترسيخه، وعلى التذكير به؛ **لأن** البعض أحياناً ينشرون مفاهيم خاطئة **جدًّا**، وخطيرة على الناس **جدًّا**، عندما يتجهون ويحاولون أن يروِّجوا في الساحة أنَّ الأمة ليست بحاجة إلى الجهاد، وأنَّ الجهاد لا ضرورة له، وأنه يمثل -بحد ذاته- مشكلة أمام الناس، وأنَّ بالإمكان أن يكون الناس مؤمنين، وصالحين، وطيبين، ومسلمين، ومن دون أن يواجهوا هذه المخاطر وهذه التحديات، وأن يستقر حالهم على ذلك ومن دون أي مشاكل.

نحن طالما كررنا التذكير بأن مثل هذه الأفكار هي ضالة، وساذجة، وغبية، وغير واقعية، وأنها -في نفس الوقت- خطيرة على الناس؛ **لأنها** تترك الناس في حالة من الجمود، وبعيداً عن الاستعداد، وتُعطِّل -في نفس الوقت- فريضةً من أهم الفرائض في الدين الإسلامي، وهي فريضة الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، وهي كذلك تدجِّن الناس وتخضعهم لصالح أعدائهم، وهذا ظلمٌ للناس، أنا أُوقن بأنَّ من أظلم الناس من يدجِّن الناس للأعداء، هذا ظلوم، ظالم، أي عالم، أي مثقف، أي أكاديمي، أي شخصية تتجه إلى الناس وتجعل من الجمود والركود والقعود والتخاذل ثقافةً، وسلوكاً دينياً، والتزاماً إيمانياً، وحالةً إيجابية، فهي تظلمهم بذلك، هي تضل وتظلم، لو كان ذلك متاحاً لكان أولى الناس بذلك هو رسول الله ﷺ، لكان أولى الناس بأن يتحقق له في واقع هذه الحياة يتحقق له استقرار الإسلام، وأمر الإسلام بدون مشاكل، بدون تحديات، بدون تضحية، بدون عناء... بدون أي شيء. مجرد دعوة ويستقر ويجلس، وتنتشر هذه الدعوة، وتستمر هذه الدعوة، وتنجح هذه الدعوة، وتقوم

هذه الدعوة، ومن دون أي جهاد، ولا أي عناء، ولا أي تضحية، ولا أي مشاكل.

ما الذي كان ينقصه بنظر مثل هذا النوع من الناس، الذين لديهم هذه الفكرة؟ ما الذي كان ينقص رسول الله صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ وَعَلَى آلِه؟ هل كانوا يتصورون أنها تنقصه الحكمة، أنهم كانوا حكماء، فابتكروا طريقةً يحافظون بها على الإسلام، ويقيمون بها الإسلام، وتلتزم الأمة بالإسلام، من دون أي صدام مع أي أحد، من دون أي مشكلة مع أي أحد، لكن الرسول لم يمتلك هذه الحكمة التي امتلكوها هم؟! هل يتصورون هكذا؟! هل كان ينقصه الكمال والرشد وحسن التدبير؟ هل كان ينقصه السلوك الجذَّاب؟ هل كانت جاذبية الدعوة الإسلامية، وهي جذابة في واقعها وفي جوهرها، أو جاذبية الرسول في كماله وأخلاقه وسلوكه العظيم، وخلقه العظيم، فيه نقص؟ ما الذي كان ينقص؟ أم أنَّ الزمن فقط هو الفارق، فذلك زمنٌ كان فيه أعداء ألدَّاء يعارضون الإسلام، ومبادئه، وقيمه، ولا يسمحون للأمة الإسلامية أن تنشأ وتبني نفسها كأمة مستقلة، تتحرك في واقع حياتها وفي مسيرة حياتها على أساس تعاليم هذا الدين العظيم؟ أمَّا هذا الزمن فأصبحنا في ظروف مختلفة، وأصبحنا أمام واقع لا نواجه فيه التحديات، ولا الأعداء الخطيرين، والكل من حولنا يفتحوا لنا المجال أن ننشأ أمةً مستقلةً تبني مسيرة حياتها على أساس هذا الدين؟! لو قلنا أنهم يفكِّرون هذا التفكير فهذا مضحك؛ **لأننا** نعلم أنَّ المخاطر في هذا الزمن وأن التحديات كبيرة **جدًّا**، وأنَّ الواقع يشهد أن الأعداء يسعون بكل جهدهم إلى السيطرة على الأمة الإسلامية، **والتحكم بها في كل شؤونها:** على المستوى السياسي، على المستوى الاقتصادي... على كل المستويات، بل حتى على مستوى الخطاب الديني، والتثقيف، والتعليم، والمناهج، يتدخلون في كل شيء، وواقع المسلمين في هذا الزمن واقعٌ معروف، هناك أمريكا، وهناك إسرائيل تسعى بكل جهدها لضرب هذه الأمة، واستهداف هذه الأمة، وهناك الكثير معهم ممن يتحالفون معهم ويُناصِرَونهم.

لليائسين ومن يرى الجهاد عبئاً!

لو قلنا أنهم يعيشون حالة اليأس، يعني: يدركون أنه ليس بالإمكان بالفعل التحرك بشكل صحيح وسليم لإقامة دين الله ﷻ والالتزام بتعليماته، وأن نبني واقعنا ومسيرة حياتنا على أساسه كأمةٍ مستقلة، لا نفوذ لأعدائها فيها، ولا سيطرة لأعدائها عليها، ولكنهم مع إدراكهم لهذه المخاطر والتحديات يائسون، **يعني:** يعتبرون أنه ليس بمقدورنا أبداً أن نتحرك، وأنه لا يمكننا أبداً أن ننجح في أن نتحرك حركةً على ضوء الاقتداء برسول الله ﷺ، فنسعى لأن نبني واقعنا كأمةٍ مسلمة مستقلة تلتزم بتعليمات هذا الدين، وتسير على أساس هدي هذا الدين، وأنَّ حجم التحديات في هذا الزمن يحول دون ذلك، فهذا اليأس هو- بحد ذاته- أمرٌ خطيرٌ على المستوى الإيماني والديني؛ **لأنه** ينطلق من واقع المقارنة بيننا وبين الآخرين، بيننا وبين خصومنا، بيننا وبين أعدائنا، ويلغي- في نفس الوقت- حساب الله -جلَّ شأنه- ولا يأخذ الدرس أيضاً من مسيرة النبي ﷺ **ومن حركته:** أنه عندما انطلق وتحرك لم يكن يعتمد اعتماداً رئيسياً وكلياً على الإمكانات المادية، لا على العدد، ولا على العدة، وأنه انطلق من ظروف صعبة، وبإمكانات بسيطة، ولكنه كان يتوكل على الله ﷻ، وكان يعتمد على الله ﷻ، إضافةً إلى وجود الشواهد في زمننا هذا لقوى تحركت معتمدةً على الله ﷻ، حققت انتصارات؛ منَّ الله عليها بالتأييد الإلهي، ولكن هناك نقطة هي من أهم النقاط: **يجب** علينا أن نعي جيداً أنَّ الجهاد في سبيل الله ﷻ ليس عبئاً علينا جديداً في هذه الحياة، ومشكلةً إضافية، وخطراً؛ **إنما** هو حل، إنما هو ضرورة، إنما هو حاجة، وهذه النظرة التي هي غائبة عن الكثير من الناس نتيجة بُعدهم عن الاهتداء بالقرآن الكريم، وبُعدهم عن التأمل في الواقع.

الإسلام هو حلٌ لنا في حياتنا، والجهاد هو حلٌ لنا في حياتنا؛ لكي نكون أمةً مستقلةً، أمةً متحررةً من العبودية للطاغوت والاستكبار، من العبودية للظالمين والمجرمين، هناك في هذا الزمن المجرمون العالميون، قوى كبيرة تمتلك الإمكانات الهائلة، مستكبرة، ظالمة، مفسدة في الأرض، لا يمكننا أن نتحرر منها، ومن سيطرتها، ومن ظلمها، ومن طغيانها، ومن إجرامها، **إلَّا** إذا تحركنا وفق هذا التوجه الصحيح الذي يضمن لنا أن نحظى بنصر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتأييده ومعيته ومعونته، أن يكون معنا وأن يؤيدنا بنصره.

فعلينا أن ننظر هذه النظرة الإيجابية، وأن نعود لدراسة التاريخ، ودراسة سيرة الرسول صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، على أساس الاهتداء بحركة رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، والاقتداء به، والاستلهام للدروس والعبر من سيرته، ومن حركته؛ **لأن** الله -جلَّ شأنه- جعله هادياً لنا، وقدوةً لنا، وأسوةً لنا في كل الأمور، وليس فقط في الأمور البسيطة، والسلوكيات الأخلاقية البسيطة، في جزءٍ من شؤون الحياة؛ **إنما** أيضاً في الأمور: ما يعظم منها، وما نراه بسيطاً، وما نراه كبيراً، وما نراه صغيراً، قدوةً لنا في كل هذه الأمور.

١٨

يوم الفرقان.. وعطاؤه الممتد عبر الأجيال

من هنا نتطلع إلى هذا اليوم (يوم الفرقان) على أنه يومٌ فارقٌ في التاريخ، ويومٌ عظيم، ويومٌ مهم، أسس لمرحلةٍ جديدة، هو لم يكن نهاية المعركة مع الأعداء، هو كان بداية المعركة مع الأعداء، ولكنه أسس لمرحلة جديدة، ولنقلة جديدة؛ **لأن** الانتصار في هذا اليوم طمأن الكثير من الناس، عزز الثقة بالله، أعطى الأمل لكثيرٍ من اليائسين، غيَّر النظرة التي كانت ترى بأنه من المستحيل أن ينتصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ومعه جنوده، وهم في ذلك المستوى من الإمكانات المتواضعة والبسيطة، وهم في ذلك المستوى مما يعانونه من قلة العدد والعدة، في مقابل الأعداء وما يمتلكونه من قوة وإمكانات مادية، فهذا النصر أسهم في تغيير نظرة الناس، وفي طمأنتهم، وفي تعزيز الأمل والثقة، وغيَّر

الموازين والمعادلات التي كانت قائمة في الساحة، وصنع معادلات جديدة في الصراع، وفي نفس الوقت وجَّه ضربةً مؤلمةً **جدًّا** للأعداء، وبالذات لقريش، الذين كانوا هم أول فئة في الساحة تتصدر لمواجهة الإسلام ومواجهة النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وتخوض معه المعركة، هذا العدو الذي نزل إلى الميدان ليخوض المعركة العسكرية، وإلَّا هو كان يخوض الصراع في أبعاده وجوانبه الأخرى، لكنه عندما نزل المعركة العسكرية، فواجه فيها هذه الهزيمة القاسية، وقُتِل فيها الكثير من قاداته، ومن أبطاله، ومن جنوده، وأسر الكثير منهم، كانت ضربةً قوية ومؤثرة **جدًّا**، وأثَّرت فيما بعدها، واستمر تأثيرها فيما بعدها وصولاً إلى يوم الفتح، من يوم الفرقان إلى يوم الفتح (يوم فتح مكة)، من السنة الثانية للهجرة النبوية، إلى السنة الثامنة للهجرة النبوية، استمرت التأثيرات وبركات هذا اليوم، ثم استمرت وامتدت إلى عصرنا وإلى زمننا؛ **لأن** المعركة في بدر كانت معركةً مصيرية، كان التهديد فيها على النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وتلك المجموعة معه من المسلمين الذين كانوا معرَّضين للإبادة، وكانت المعركة مصيرية بما تعنيه الكلمة.

١٨ **فهذا اليوم (يوم الفرقان) الذي وصل فيه النبي** صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ واتجه إلى بدر، وعندما وصل إلى هناك كان يؤمِّل ومعه المسلمون أنهم في مواجهتهم لإحدى الطائفتين: **إمَّا** أن يظفروا بالطائفة التي هي طائفة القافلة التجارية ومن معها، معها: أبو سفيان أهم شخصية قيادية للأعداء، ومعه أيضاً البعض لحماية القافلة، والقافلة كانت قافلة تجارية كبيرة يمكن أن تؤثِّر في الوضع الاقتصادي على قريش، وهم كانوا يريدون الاستفادة منها في تمويل عملية عسكرية كبيرة تستهدف النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ والمسلمين في المدينة، **أو** أن يُظفِّرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وينصرهم في مواجهة الجيش العسكري الذي قد خرج أصلاً من مكة ووصل إلى بدر، ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[1]، كانت إرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يظفر المؤمنون بالجيش العسكري، بالقوة العسكرية، بالطائفة التي خرجت لتقاتل، وليس بالقافلة التجارية، حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفي تدبيره -جلَّ شأنه- **أنَّ هذا هو الأهم:** الظفر عسكرياً كان هو الأهم من الظفر بالقافلة التجارية ومعها الأسرى الذين كان بالإمكان أن يأسروهم.

وكما قلنا الكثير تغيب عنهم هذه الحسابات وهذه الاعتبارات: إيجابية الصراع العسكري، وما يترتب عليه من نتائج مهمة في الواقع، القرآن الكريم كم فيه من حديثٍ واسع يعطينا نظرةً واقعية، وفهماً صحيحاً لواقع الحياة، وللناس، **يقدم التقييم للناس:** أنَّ قوى الشر، قوى الإجرام، قوى الطغيان في الأرض من البشر، لا يمكن أبداً أن يدَعوا من يريدون التحرك على أساس هدى الله، على أساس الاستقلال وبناء حياتهم ومسيرة حياتهم وشؤونهم على أساس تعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يمكن أن يدَعوهم وشأنهم، هم يسعون دائماً إلى الاستحواذ، إلى السيطرة، هم يعيشون حالة الطغيان، ويمارسونها في الواقع العملي: سياسات، ومواقف، وتوجهات، ويسعون إلى السيطرة على الآخرين، والسيطرة التي فيها ظلم، فيها ضلال، فيها إذلال، فيها قهر، فيها استعباد.

١٨

الرسالة الإلهية مشروع متكامل لإنقاذ البشرية

ولذلك فالرسالة الإلهية هي نعمة، هي رحمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هي عملية إنقاذ، وهي متكاملة، هي مشروعٌ متكامل، لا تلحظ فقط الجانب الروحي، أو تلحظ فقط الجانب السلوكي والأخلاقي، إنما هي تشمل كل ما يضمن للأمة أن تستطيعَ أن تقوم، أن تنهض، أن تتحرر، أن تحظى بالعدل، أن تدفع عن نفسها الظلم، أن تدفع عن نفسها الاستعباد، بل هذا من أعظم ما في الرسالة الإلهية. لو استبعدنا هذا الجانب، وأبقينا الحالة حالة طقوس معينة،

١- الأنفال: ٧-٨

يتكيـف فيهـا النـاس مـع العبوديـة للطاغـوت والاسـتكبار، وللمجرمـين والظالمـين والمفسـدين في الأرض، لكانـت المسـألة نقصـاً كبـيراً **جـدًّا** في هـذا الديـن، لكانـت إيجابيتـه في الحيـاة إيجابيـة محـدودة للغايـة، محـدودة للغايـة، وهـذا هـو الواقـع الـذي كان عليـه أهـل الكتـاب مـا قبـل رسـالة النبـي ﷺ والبعثـة لـه، كانـوا قـد تكيَّفـوا مـع الواقـع، كانـوا قـد اسـتبْقوا فقـط مـن الرسـالة الإلهيـة- رسـالة اللـه إلى عيـسى، ورسـالة اللـه إلى مـوسى- طقوسـاً معينـة، وبعضـاً مـن الشرائـع، بعضـاً مـن التعليـمات المحـدودة، مـع تكيُّـفٍ تـام مـع الطغـاة، مـع الظالمـين، مـع المجرمـين، مـع المفسـدين، فأذهبـوا عـن الرسـالة أهـم مـا فيهـا، وأفقدوهـا إيجابيتهـا في الحيـاة، لم تعـد رسـالة تعبِّـد النـاس تعبيـداً كليـاً للـه، وتحررهـم تحريـراً كامـلاً مـن العبوديـة لغـيره، إلا إنمـا دخلـت فيهـا آفـات وانحرافـات وعمليـة تحريـف، عمليـة تحريـف وعمليـة انحـراف عمـلي جعلتهـا تتكيـف مـع ذلـك الواقـع؛ **حتـى** أفقدتهـا جدوائيتهـا في الحيـاة، نفعهـا في الحيـاة، إيجابيتهـا في الحيـاة، أثرهـا النافـع للإنسـان؛ **فلـم** تعـد رسـالة خـلاص، لم تعـد رسـالة إنقـاذ، لم تعـد رسـالة تحـرر، وهـذا مـا يريـده الأعـداء للإسـلام، وهـذا مـا سـعوا لـه في ضغوطهـم عـلى رسـول اللـه ﷺ في بدايـة رسـالته، وهـم عملـوا بجهـدٍ كبـير أن يقنعـوه أن يتكيَّـف معهـم كـما الآخريـن، مثلـما هـو حـال أهـل الكتـاب، مثلـما هـو حـال اليهـود، وكان بالإمـكان لـو أراد النبـي أن يتكيَّـف معهـم، أن يدخـل في تعديـلات لهـذا الديـن، لهـذه الشريعـة الإلهيـة، ويُذهِـب منهـا جوهرهـا ولبَّهـا وأساسـها، ثـم يبقـي منهـا طقـوس معينـة، كـما فعـل أهـل الكتـاب وتكيَّفـوا، لكنـه لـو فعـل ذلـك لـكان ذلـك جنايـة كبـيرة عـلى هـذه الرسـالة الإلهيـة، ولعاقبـه اللـه سبحانه وتعالى، لمـا سـمح لـه بذلـك، أبـداً، وهـو كان أبعـد عـن كل ذلـك -صلـوات اللـه وسـلامه عليـه وعـلى آلـه- وكان في إيمانـه بهـذه الرسـالة، في ثباتـه عليهـا، في يقينـه بهـا، في إيمانـه العظيـم باللـه سبحانه وتعالى عـلى نحـوٍ لا يمكـن- أبـداً- أن يفكـر فيـه حتـى التفكـير: بـأن يداهـن، بـأن يغـيِّر، بـأن يبـدل، أو أن يتقـوَّل، أو أن يتراجـع، أبـداً.

١٨

الله -جلَّ شأنه- قال عنه: ﴿وَدُّوا﴾[١]، **يعني:** الأعداء، أولئك الأعداء، أعداء هذه الرسالة وهذا الدين، ﴿لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٢]، ودوا منك يتمنون منك أن تداهنهم، وأن تجاملهم، ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾، فيقابلونك بذلك، تكون عملية مداهنة من الطرفين، ولكنه كان صلباً في ثباته، وقوياً في تمسكه بهذه الرسالة، وهذا ما أثمر- في نهاية المطاف- ثمرةً طيبةً، وثمرةً عظيمة، وحقق نقلات كبيرة **جدًّا** من بداية أمر الدعوة الذي تحرك فيه الرسول صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ بدايةً عجيبةً **جدًّا**: الواقع العالمي من حوله مظلم، الأفكار، والمفاهيم، والعادات، والتقاليد، والاعتقادات، وواقع الحياة بكله، التركيبة السياسية، التركيبة الاجتماعية... الواقع من حوله بكله واقعٌ مظلم، لكنه تحرك بهذه الرسالة، وبهذا النور، وبهذا الهدى، بعزمٍ وإيمانٍ ويقينٍ وثباتٍ عظيم، فبدأت التغيرات والنقلات من مرحلة إلى مرحلة إلى مرحلة، وصولاً إلى يوم الفرقان.

إن شاء الله نتحدث عن بعض التفاصيل المهمة والدروس المهمة في محاضرة الغد على ضوء ما ورد في الآيات القرآنية، وما يستلهم منها من دروس في هذا الواقع الذي نعيشه نحن، في مواجهة هذه التحديات التي تواجهنا في هذا الزمن وفي هذه المرحلة.

١٨

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١- القلم: من الآية ٩

٢- القلم: من الآية ٩

يوم الفرقان (٢)

الركائز الأساسية للمسيرة الجهادية

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل اللهُ منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنَّك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث في هذه المحاضرة عن غزوة بدرٍ الكبرى، وعلى أساس التقديم لهذه الغزوة من خلال الآيات القرآنية المباركة، والتي اختلف أسلوبها في تقديم هذه الغزوة عن طريقة أصحاب السِّير والتاريخ؛ **لأن القرآن الكريم** كتاب هداية، فهو قدَّم هذه الغزوة وضمَّنها الدروس والعبر، والتعليمات المهمة،

التي تحتاج إليها الأمة، وتستفيد منها الأمة جيلاً بعد جيل إلى آخر أيام الدنيا.

ونحن كمسلمين في أمسِّ الحاجة إلى العودة إلى القرآن الكريم، وإلى أن نستفيد منه في النظرة إلى الجهاد في سبيل الله، هذه الفريضة العظيمة التي **لقيت من جانبٍ:** تثبيطاً، وتخذيلاً، وإعراضاً، وتجاهلاً، وشطباً، وإلغاءً، حتى كأنها ليست من فرائض الإسلام، وكأنها لم ترد عنها ولا حتى آية واحدة في كتاب الله، **ولقيت من جانبٍ آخر:** تشويهاً شنيعاً، حتى قدِّمت بشكلٍ بشعٍ، وبشكلٍ مشوِّهٍ للإسلام نفسه، وبشكلٍ يقدِّم أسوأ صورة ممكنة عن الإسلام، وعن الدين الإسلامي، وعن فرائضه، وعن تعليماته، وعن توجيهاته، كما فعل ذلك التكفيريون، التكفيريون هم قدَّموا- ولا زالوا يقدِّمون- صورةً مشوَّهةً سوداء عن مفهوم الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

بعودتنا إلى القرآن الكريم، ومن خلال الآيات المباركة التي تحدثت عن الجهاد بشكلٍ عام، أو قدَّمت لنا الغزوات والجهاد في حياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وهو القدوة والأسوة، وما تضمَّنته مع هذا العرض من دروس وتعليمات وتوجيهات، تقدِّم لنا صورةً إيجابيةً مكتملةً راقيةً عظيمةً عن هذه الفريضة المقدَّسة، التي لا بدَّ منها؛ **لكي** تحظى الأمة بالمنعة والقوة، ولتدفع عن نفسها أخطار العدو، ولتصون أمنها واستقرارها، ولتحافظ على استقلالها وكرامتها، ولتكون أمةً عزيزة تدفع عن نفسها الذل والاستعباد.

سورة الأنفال هي السورة التي عرضت- إلى حدٍ كبير- غزوة بدرٍ الكبرى، وكما قلنا- عرضاً تضمن الدروس والعبر والتعليمات التي تحتاج إليها الأمةُ- في كل أجيالها، وفي كل مراحلها، وفي مواجهة كل التحديات الحاضرة والمستقبلية.

يقول الله ﷻ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١].

في المسيرة الجهادية لا مكان للأطماع الشخصية

تاريخياً- بدأت بالعرض من حيث انتهت المعركة، ما بعد المعركة، حيث تشاجر البعض من المسلمين من المجاهدين الحاضرين في تلك الغزوة، تشاجروا على الأنفال، وساء ذات بينهم، وسألوا رسول الله ﷺ من موقع الخصومة التي دارت بينهم، والتشاجر والحساسيات التي نتجت عن التركيز على موضوع الغنائم، عندما حرص البعض أن يحصل على قسطٍ وافر، وأصبحت المسألة حسَّاسة، أثَّرت على ذات بينهم.

الدروس: القرآن الكريم جعل المدخل إلى مسألة الجهاد في سبيل الله ﷻ في هذه السورة المباركة، من نقطةٍ مهمةٍ **جدًّا:** فالجهاد في سبيل الله ليست مجرد عملية عسكرية تنطلق فيها وأنت تحمل هاجس النصر والغنيمة؛ **إنما** هي مسيرةٌ عظيمةٌ مقدَّسةٌ، تنطلق معتمدةً على أسس، وعلى مبادئ، وعلى تعليمات، وعلى أخلاق، وعلى قيم، **وأول خطوةٍ فيها في هذه السورة المباركة هي:** التجرد من الأطماع المادية والمكاسب والمقاصد الشخصية.

وفي القرآن الكريم حديثٌ واسع يركِّز على هذا الجانب في صياغة الشخصية المسلمة، وفي بناء الإنسان المجاهد في سبيل الله ﷻ: **كي** يتطهر من الطمع، كي يَخلُص من التوجه الذي يغلب عليه المقاصد والمكاسب الشخصية والأنانيات، مثل هذا التوجه الخاضع للطمع، ومثل هذا التوجه الذي يركِّز بشكلٍ رئيسي على المقاصد والمكاسب الشخصية، سيؤثر سلباً على المسيرة الجهادية، التي تحتاج إلى الألفة، وإلى التعاون، وإلى تظافر الجهود، وإلى أن

١- الأنفال: الآية ١

تكون الأمة والقوة التي تتحرك في هذا العمل المهم أن تكون متآخية بالأخوة الإيمانية، أن تكون متعاونة، أن تكون متظافرةً في جهودها، أن تكون متآلفةً، أن تكون مستويات التعاون والتنسيق بينها على أرقى مستوى، وأعلى مستوى.

إذا دخلت المكاسب والمقاصد الشخصية، وحضرت الأطماع المادية، وغلبت الأنانية؛ **فهذا** سيوجه ضربة قاضية لما لا بُدَّ منه للنجاح في العمل في سبيل الله: من ألفة، من تعاون، من تنسيق، من تآخٍ، يساعد على العمل الجماعي؛ **لأن** العمل في سبيل الله هو عمل جماعي، ومسؤولية جماعية، وحينها لا يمكن النجاح، النتيجة التي تترتب على فساد ذات البين، على ضعف التعاون، على الخلل في الألفة، على الخلل في التنسيق، على الخلل في تظافر الجهود، التي تسبب الخلل في مدى اللحمة والتعاون؛ **الهزيمة** ستكون هي النتيجة الحتمية لذلك.

فالموضوع مهم جدًّا بكل الاعتبارات، كقيمة أخلاقية ودينية وإيمانية؛ **لأن** من أهم ما يركِّز عليه الإيمان في العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين هو: إرساء دعائم الأخوة، والمحبة، والمودة، والاستقرار، والتعاون، والألفة. وعندما تأتي الحساسيات، والنزاعات، والخلافات... هي تفسد ذات البين، ثم تؤثِّر على التعاون، وهذا بلا شك. ١٩

فالله ﷻ **يربينا في القرآن الكريم** على أن نتجرَّد من الأطماع، أن نتخلص من المقاصد الشخصية، والأنانيات، وهو- في نفس الوقت- سيمنُّ علينا هو من واسع فضله؛ **لأنه** عندما قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، بعد أن يجرِّد الشخصية المسلمة من الأطماع، والمقاصد الشخصية، والمكاسب الشخصية، هو لا يحرمها من ذلك، في نهاية المطاف- إنما تتجه الأنفال التي هي لله والرسول، وما يمنُّ الله به سواءً على مستوى الغنائم أو غيرها، إنما يتجه- في نهاية المطاف- إلى ما يمثل عاملاً مساعداً لتنفيذ المسؤوليات والأعمال، فرعاية الله تتجه إلى عباده، والخير من الله ﷻ واسع، والبركة واسعة؛ **إذا** تجرَّد الناس من الأنانيات، والأطماع، والحساسيات الشخصية، والتنافس على الغنائم.

ثم يرسِّخ عندنا هذه النظرة، ويقررها كحكمٍ شرعي: أنها لا تعود إلى الملكية الشخصية أبداً، لا يتجه الإنسان- ابتداءً- وهو يرى أن له فيها ملكية شخصية، أو استحقاقاً شخصياً، وأنَّ هذه النظرة إذا تعامل الإنسان على ضوئها، وأخذ شيئاً بناءً على ذلك، أو طمع شيئاً بناءً على ذلك، فهذا يعتبر من الغلول، ومن الخيانة التي نهى الله ﷻ عنها، فهي- بدءاً- تدخل في إطار الحق العام، على هذا النحو الذي يخضع لتوجيهات الرسول وتعليماته كقائدٍ للمسلمين، وهذا ما يزيح عن الناس التنافس والحساسيات، إذا بقيت المسألة مسألة أطماع ومكاسب شخصية، سيترتب عليها الحساسيات الكبيرة، والفتن، والتنافس غير الإيجابي، التنافس السلبي، التنافس غير الشريف، التنافس المطبوع بالطابع المادي والطمع.

ركائز أساسية للعمل في سبيل الله

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، الأمر بتقوى الله ﷻ، وبصلاح ذات البين، وبالطاعة لله، والطاعة لرسوله ﷺ، **ركائز أساسية** في العمل في سبيل الله ﷻ، وتتحقق بها النجاحات، ويبنى عليها الخير كله، سيأتي الخير، وتأتي الأنفال، وتأتي الغنائم، وتأتي الانتصارات، ويأتي التمكين الإلهي، ويأتي الرزق والبركة من الله ﷻ، ويترتب عليها كل خير، **وهذا ما يجب أن نرسِّخه؛ لأن** البعض يكون مهووساً وراء أن يسعى هو- شخصياً- إلى أن يحقق مثل هذه المكاسب، وتتحول حالة الطمع لديه، والتنافس غير الشريف على اقتناء الغنائم، أو الحصول على مكاسب مادية من وراء عمله وتحركه في سبيل الله، تتحول إلى سلوك سلبي، وسلوك هدَّام، وسلوك يخرِّب حالة الألفة والتعاون، وسلوك يؤثِّر- في نهاية المطاف- على زكاء النفوس، وعلى التأييد الإلهي، وسلوك يؤثِّر حتى على النجاح في الميدان، يؤثر على النجاح في الميدان؛ **لأنه** يتحول إلى هدف، يوم تحوَّلت المكاسب المادية والحصول على الغنائم إلى هدف في معركة أحد؛ **سببت** هزيمة المسلمين. والإسلام يربي

تربية عالية وعظيمة وأخلاقية وناجحة عملياً، فتبقى الذهنية، ويبقى التركيز، ويبقى التوجه على نحوٍ يساعد على النجاح، فيوم يتجه إلى الغنائم، يوم يتجه إلى الأطماع والمكاسب المادية، لا يمكن أن يحقق نجاحاً في الواقع العملي.

التقوى وصلاح ذات البين

فالتقوى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **لا بدَّ منها؛ لأنها** تجعل الإنسان يتعامل بمسؤولية، وليس بأطماع، وليس بأنانيات، وليس بأهواء، وليس بمقاصد ومكاسب شخصية؛ **إنما** يتحرك في إطار عمله في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بمسؤولية، فهو يدرك أنه مسؤولٌ أمام الله، فيلتزم وينضبط وفق التعليمات والتوجيهات الإلهية.

العناية بصلاح ذات البين، لا بدَّ من تقوى الله حتى في ذلك، حتى في صلاح ذات البين؛ **لأن** البعض ممن هو ناقص الإيمان، وناقص الوعي، يستهتر بأهمية هذه المسألة، ولا ينظر إليها بما تمثله من أهمية كبيرة، وعامل في النجاح، وقيمة إيمانية وأخلاقية، فبكل بساطة لا مشكلة عنده في أن يسوء ذات البين، **يعني:** العلاقة فيما بين المؤمنين، العلاقة فيما بين المجاهدين كمجاهدين، كمجتمع يتحرك في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ١٩

صلاح ذات البين من الأمور المهمة الإلزامية، ويعتبر الاهتمام بها من ضمن الالتزامات الدينية الإيمانية، فالإنسان الذي هو مؤمنٌ حقاً، وصادقٌ مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سيحرص على صلاح ذات البين، وسيحرص أن تكون العلاقة الأخوية مع بقية أبناء مجتمعه المؤمن وإخوته المؤمنين والمجاهدين والعاملين في سبيل الله علاقةً أخويةً إيجابيةً سليمة، ويسعى لصلاح ذات البين، **بكل ما يساعد على صلاح ذات البين:** من حسن التعامل، من بذل المعروف، من الاحترام المتبادل، من الإنصاف عند الخطأ، من العدل في المعاملة... بكل ما يساعد، وهي تعليمات كثيرة جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سبباً لصلاح ذات البين.

ويحذر- في نفس الوقت- مما يفسد ذات البين، مما يفسد العلاقة الأخوية: من سوء تعامل، من أوهام، من سوء الظن، من تصرفات سيئة، من معاملات سلبية ظالمة... كل التصرفات، وكل التأثيرات النفسية التي تفسد ذات البين يتجنبها، ويحذر منها، فهذه مسألة مهمة **جدًّا**، وهي تدخل ضمن الالتزامات الإيمانية، **بمعنى:** أنَّ من يخل بها، من يستهتر بها، ومن لا يلتزم بها؛ **فهو** يبرهن على أنه ليس بمؤمنٍ حقاً، أنه ناقص الإيمان، لم يصل بعد إلى مصداقية تامة مع الله ﷻ في انتمائه الإيماني، ولا يبرر للإنسان وجود إشكالات في الواقع العملي أن يتعامل مع ذلك بإفساد ذات البين، لا يبرر ذلك، أبداً؛ **لأن** هذا يخالف توجيهات الله وتعليمات الله ﷻ.

طريقة التعامل مع الإشكالات هي: المعالجة بطريقة عملية، وليس بإفساد ذات البين، وليس بنشر البغضاء، والكراهية، والكلام السيء، وتعزيز حالة سوء الظن، وتوجيه الاتهامات، وكذلك نشر الكلام السلبي الذي يهدم هذه الحالة من الأخوة الإيمانية، التي هي فريضة إيمانية بحد ذاتها.

١٩ **فصلاح ذات البين من ضمن الالتزامات الإيمانية التي يجب** أن تراعى إيمانياً، بدافعٍ إيماني كطاعةٍ لله ﷻ، والتزامٍ بتوجيهاته وتعليماته ﷻ، وأنَّ أيَّ أسلوبٍ آخر يخالف ذلك في التعامل مع الأمور، مع القضايا في معالجتها، هو مخالفةٌ لهذا التوجيه الإلهي.

الطاعة في مفهومها الصحيح

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: **لأن الالتزام العملي والطاعة هي التي لا بدَّ منها** تجاه كل هذه التوجيهات، الإنسان الذي يسمع ثم لا يطبِّق، لا يلتزم، لا يعمل، ليس بمؤمنٍ حقاً، أو يطبِّق جزئياً، ويرفض الجزء الآخر بحسب مزاجه الشخصي، لا يجوز أبداً أن يكون المزاج الشخصي هو الذي يحكم عملية

الالتزام والتنفيذ العملي، لا يجوز ذلك، **يجب** أن يكون الإنسان مطيعاً لله ﷻ طاعةً تامة، قانتاً لله، وأن يتعامل مع هذه التوجيهات سواءً في صلاح ذات البين، أو في تقوى الله ﷻ والالتزام بتقواه في أداء المسؤولية، أو في التجرد من المقاصد الشخصية، والأطماع الشخصية، والأطماع المادية، **يجب** التعامل بطاعة وتنفيذ لتوجيهات الله ﷻ، وأن تكون عملية الالتزام هي الطابع الذي يحكم الواقع العملي، والتنفيذ في مسار العمل في سبيل الله ﷻ،

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، **إن كان الإنسان مؤمناً حقاً فمصداقية إيمانه تتجلى من خلال هذا الالتزام: الالتزام بتقوى الله، الالتزام بصلاح ذات البين، الطاعة في الواقع العملي وفي مسار العمل في سبيل الله ﷻ.**

المواصفات الإيمانية للمنتمين للمسيرة الجهادية

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[١].

١٩

مسيرة الجهاد في سبيل الله هي مسيرة إيمانية، يجب أن تكون منطلقاتها إيمانية، إذا غاب الدافع الإيماني والمنطلق الإيماني، تحول العمل في سبيل الله إلى عمل روتيني، وعمل تحكمه أطماع وأهواء، فيمثل هذا إنحرافاً يترتب عليه سلبيات كثيرة في الأداء العملي، وتتحول المسألة إلى مسألة أخرى، **خارجة عن مفهوم الجهاد في سبيل الله:** عمل لتحقيق المطامع، للحصول على مناصب، للحصول على أموال، للحصول على مكاسب شخصية، وبسلوكيات سلبية غير إيمانية، خارجة عن الاستقامة؛ حينها يحصل الظلم، حينها يحصل الفساد، حينها يحصل الشتات، حينها تظهر السلبيات الكثيرة، وهذا غير مقبول، أبداً،

١- الأنفال: ٢-٤

ولا يمثِّل الجهاد في سبيل الله، فالجهاد في سبيل الله هو عمل إيماني، منطلقاته إيمانية، دوافعه **يجب** أن تكون إيمانية، والالتزام فيه في كيفية الأداء، في عملية التنفيذ، في كل تفاصيلها، **يجب** أن تكون محكومةً بالإيمان. الإيمان أخلاق، الإيمان تشريع، الإيمان كذلك توجيهات وتعليمات، الإيمان ضوابط يلتزم بها الإنسان.

من مواصفات المؤمنين حقاً

فالمؤمنون حقاً هم الملتزمون بهذا، وهم من: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ **لاستشعارهم** لعظمة الله، لخوفهم من الله، لمحبتهم لله، لرجائهم في الله، قلوب ملؤها الإيمان، الإيمان حاضرٌ فيها، يحل محل الأطماع، محل الأنانيات، إيمانٌ يعمر هذه القلوب ويؤثِّر فيها، فإذا ذكر الله، وذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو ذكرٌ في مقام العمل، في مقام المسؤولية، في مقام العبادة والطاعة؛ **وبالتالي** تتأثر وتتقبل، الإنسان الذي يوجل قلبه من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا ذُكِّر بالله حتى في حالة الغفلة التي كان فيها قد خالف، أو أخطأ في شيءٍ ما، أو كان توجهه في موضوعٍ ما توجهاً خاطئاً، فهو بالتذكير له بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتأثر، ويخاف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فيتقبل، وينضبط، ويلتزم، ويطيع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وينفِّذ تلك التعليمات مهما كانت مخالفةً لهوى نفسه، مهما كان بمزاجه الشخصي لا ينسجم معها، مهما كان في حالة غضبٍ وانفعال، أو في حالة إغراءٍ وأطماع، أو في حالة مخاوف ضاغطة سلبية، فالتذكير له بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يترك أثراً إيجابياً في نفسه يساعده بل يدفعه إلى الالتزام العملي.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، فهم إذا ذُكِّروا بآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يزداد وعيهم، يزداد فهمهم، تزداد بصيرتهم، تزكو نفوسهم، يتأثَّرون؛ **فيتقبَّلون**- وفي نفس الوقت- تتجلى لديهم الحقائق في الواقع العملي بما يزيدهم بصيرةً، بما يزيدهم قناعةً، بما يزيدهم يقيناً، فزيادة الإيمان عند التذكير بآيات الله هي زيادةٌ في الوعي، زيادةٌ في الفهم، زيادةٌ في البصيرة، زيادةٌ في المعرفة، زيادةٌ في زكاء النفس، زيادةٌ في إصلاح الإنسان وتهذيبه،

وتصحيح وتصويب تصرفاته وأعماله وسلوكياته ومواقفه، وفي تصحيح توجهاته واندفاعاته ومنطلقاته، وهي أيضاً تجلٍ في الواقع بشكل حقائق تظهر في الواقع العملي، ونتائج تظهر في الواقع العملي، تمثل شواهد لتلك الآيات التي سمعها الإنسان في كتاب الله ﷻ؛ **فيزداد** يقيناً بهدي الله وبآيات الله ﷻ.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وهم يعتمدون بشكلٍ أساسيٍ وتامٍ وكاملٍ على الله ﷻ، اعتمادهم على الله ﷻ- كلياً- من منطلق الثقة بالله ﷻ، من منطلق الالتجاء إلى الله ﷻ، والاعتماد عليه، والأمل بفضله، والرجاء فيما وعد به؛ **ولذلك** لا يعتمدون على أنفسهم، ولا ينطلقون من حسابات يرتكزون فيها على ما يؤملون أن يحققوه شخصياً، بل كل اعتمادهم على الله، وتوكلهم على الله ﷻ، هذا التوكل الذي يساعدهم على الانطلاق في مواجهة التحديات مهما كانت، في عدم التأثر بالمخاوف والاعتبارات الأخرى، **فمثلاً:** الخوف من الفقر، أو الخوف من الظروف الصعبة، أو الخوف من نفاد ما يمتلكونه أو ما بأيديهم من وسائل، لا يؤثِّر عليهم، وهذا يساعدهم على الاستقامة، إذا ضعف توكل الإنسان على الله، فهذا يؤثِّر عليه تأثيراً سلبياً حتى لو كان يتحرك في سبيل الله.

١٩

مثلاً: يظن أنه إذا لم يغل من الغنائم، إذا لم يحسب حساب مصالحه الشخصية، أو حتى في إطار الحسابات العملية، فيتجه إلى اللعب، ويتجه إلى الإخفاء، ويتجه إلى تصرفات سلبية؛ **لأنه** يظن أنها هي التي ستفيده في المستقبل، هنا لم يعد يحسب حساب الله ﷻ، يحسب حساب شطارته حسب التعبير المحلي، أنه وبحسب ذكائه، وما يفعله من حيل والتواءات وتصرفات فيها غش، فيها غلول، فيها خداع، فيها ابتزاز، فيها سلوكيات مقيتة، لا تشرفه أخلاقياً، ولا إنسانياً، ولا إيمانياً، فهو تصرف ليحصل على أكبر حصة ممكنة من الإمكانات على حساب كل الأعمال الأخرى، وكل الجبهات الأخرى، أو يتصرف بأي طريقة غير سوية، ولا سليمة، ولا إيمانية،

ولا أخويـة، ينطلـق هكـذا سـجيناً وأسـيراً للحسـابات الشـخصية والنظـرة الشـخصية، وقـد ضعفـت ثقتـه باللـه ﷻ، وأملـه باللـه، وتوكلـه عـلى اللـه ﷻ.

التوكل عـلى اللـه ركيـزة أساسـية في العمـل في سـبيل اللـه ﷻ، أمـام كل هـذه السـلبيات والمخـاوف: المخـاوف مـن الأعـداء، المخـاوف- أيضـاً- عـلى المسـتوى الاقتصادي، المخاوف على المسـتوى المادي... المخاوف من كل جانب، الإنسـان المؤمن حقـاً هـو دائمـاً دائمـاً في كل الظـروف، في كل المراحـل، في كل المحطـات، تجاه مختلف الأوضـاع، هـو متـوكلٌ عـلى اللـه ﷻ، **وقُدِّمت هـذه المواصفات:** الذيـن إذا ذكر الله وجلـت قلوبهـم، إذا تليـت عليهـم آياتـه زادتهـم إيمانـاً، عـلى ربهـم يتوكلـون، كلهـا معطوفـةً عـلى بعضها البعـض كمواصفات إيمانيـة موجودة وقائمة ومسـتمرة ولازمة.

ضرورة الاستقامة على المواصفات الإيمانية

ولاحظـوا أهميـة ذلـك؛ لأن البعـض قـد تكـون منطلقاتـه إيجابيـة في البدايـة وفي مراحـل معينـة، إلى أن يصـل إلى مراحـل معينـة، في مرحلـة مـن المراحـل تتغـير نفسـيته، يتحـول إلى إنسـان ضَعُـفَ التزامـه العمـلي، طاعتـه العمليـة، اسـتقامته في مجـال العمـل، وأصبـح لا ينفـع فيـه التذكـير بآيـات اللـه، يصـل إلى هـذا المسـتوى مـن السـوء، وهـذه حالـة لم يعـد الإنسـان فيهـا مؤمنـاً حقـاً.

مثـلاً: إذا أصر عـلى فسـاد ذات البـين وهـو يذكـر بمـاذا؟ بآيـات اللـه، بكلـمات اللـه، بتوجيهـات اللـه، بتعليـمات اللـه، بأوامـر اللـه في إصـلاح ذات البـين، فيرفـض، ويـصر عـلى فسـاد ذات البـين، عليـه أن يعـرف، حتـى وإن كان قـد جاهـد، حتـى وإن كان قـد عمـل، حتـى وإن كان قـد ضحـى، لكنـه وصـل إلى وضعيـة خطـيرة، وهـو في منزلـقٍ خطـير قـد فقـد فيـه إيمانـه باللـه ﷻ، وأصبـح أسـيراً لمقاصـد شـخصية، لأغـراض شـخصية، لمنطلقـات شـخصية سـجنته وغطـت عـلى قلبـه، وأفسـدت نفسـيته إلى درجـة فقـد فيهـا التأثـر بآيـات اللـه ﷻ، ليسـت مسـألة سـهلة إذا فقـد الإنسـان تأثـره بآيـات اللـه، **قضيـة خطـيرة**

جـدًّا، قضيـة خطـيرة للغايـة، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾[١]، يعتـبر هـذا مـؤشراً خطـيراً، عـلى الإنسـان إذا أحـسَّ بـه في نفسـه أن يحـذر، أن يسـعى للخـروج مـن تلـك الحالـة الخطـيرة **جـدًّا**.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، فهـم دائمـو التـوكل عـلى اللـه سبحانه وتعالى في مختلـف المراحـل والظـروف، عندهـم ثقـة باللـه وأمـل عظيـم فيـما عنـد اللـه، مهـما كانـت التحديـات، مهـما حصـل في الواقـع، لا يفقـدون ثقتهـم باللـه، ولا أملهـم باللـه، ولا التجاءهـم إلى اللـه سبحانه وتعالى.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، مـن الحـالات اللازمـة لهـم الصـلاة القيمـة، فهـم مسـتمرون عـلى اهتمامهـم بالصـلاة، وأن تكـون صـلاةً قيمـة، تـؤتي ثمرتهـا في أنفسـهم، في اسـتقامتهم، في التزامهـم، تنهاهـم عـن الفحشـاء وعـن المنكـر بـكل أشـكاله، المنكـر الـذي يـأتي إلى التصرفـات، والسـلوكيات، والأعـمال، والمواقـف، والتوجهـات، والنفسـيات.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، وهـم يحملـون روحيـة العطـاء بشـكلٍ دائـم، فكلـما رزقهـم اللـه رزقـاً؛ **ينفقـون** منـه، وهـي حالـةٌ مسـتمرةٌ عندهـم (روحيـة العطـاء والإنفـاق)، ولذلـك ليسـوا ممـن يحمـل روحيـة الطمـع، ولا يفكـر إلا بـأن يأخـذ، ولا يفكـر إلا بـأن يحتكـر، ولا يفكـر إلا بـأن يسـيطر عـلى المزيـد والمزيـد، [لا] هـم يختلفـون عـن ذلـك، روحيتهـم روحيـة عطـاء وروحيـة إنفـاق، وهـذا عـلى نحـوٍ واسـع **يعنـي**: يشـمل الـزكاة، يشـمل الإنفـاق في سـبيل اللـه، يشـمل الصدقـة في الـبر، يشـمل التعـاون في العطـاء فيـما فيـه الخـير، فيـما فيـه العمـل في سـبيل اللـه سبحانه وتعالى.

١٩

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، **هـؤلاء هـم المؤمنـون حقـاً، غيرهـم عنـده نقـصٌ في إيمانـه، قـد يصـل إلى انعـدام حالـة الإيمـان.**

١- الأعلى: ١٠-١٢

العطاء الإلهي للمؤمنين حقاً!

﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، مراتب عالية، هذه المراتب عند الله ﷻ يترتب عليها رعاية من الله، يترتب عليها مستوى العطاء الإلهي لهم، حتى مستوى منازلهم في الجنة، ومستوى ما أعده الله لهم في الجنة.

البعض مثلاً في مقابل أن يحصل على رتبة، قد تكون هذه المسألة في غاية الأهمية عنده، وأن تكون **رتبة عالية:** رتبة عقيد، رتبة عميد، رتبة لواء، رتبة مشير، رتبة فريق... المراتب هذه، طَموح إليها، وقد يعمل أي شيءٍ في مقابل الوصول إليها.

هذه المراتب أعلى- أعلى من مسألة رتبة عميد، أو لواء، أو فريق، أو مشير... أو غير ذلك- رتبة عند الله، ومنزلة عالية عند الله ﷻ، يترتب عليها أشياء كثيرة **جدًّا،** في تدبير الله، في رعايته، فيما أعده، فيما يعطيه من واسع فضله ﷻ، وهذا ما تطمح إليه النفوس العالية، وذوو الهمم العالية والنفوس الرفيعة، تطمح إلى المقام والمنزلة العالية عند الله ﷻ، وهذا هو الأهم.

﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، **(وَمَغْفِرَةٌ):** مغفرة على الزلل، مغفرة على التقصير الذي يسعون إلى تداركه، وعلى التقصير الذي قد يحصل- عادةً- في الواقع العملي، مهما بذل الإنسان جهده يبقى عنده تقصير، فهم ينيبون إلى الله، وهو -جلَّ شأنه- الذي يغفر لهم بهذا التوجه، بهذا التقبل، بهذا الاهتداء، بهذا التجاوب، هذه الاستجابة مع تعليمات الله وتوجيهات الله ﷻ.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: **وعدٌ من الله ﷻ بالرزق الكريم،** رزقٌ كريمٌ في الدنيا وفي الآخرة، في الآخرة الجنة، رزقٌ كريمٌ **جدًّا** وعظيمٌ **جدًّا،** وفي الدنيا يمنحهم الله ما يمنُّ به عليهم من الرزق بكرامة، من دون تحيلات، من دون أساليب سلبية، ووسائل غير مشروعة للحصول على المال من هنا أو من هنا، أو للخيانة، أو للغلول، أو للحيل والالتفافات للحصول على المزيد والمزيد من

الأموال، الطرق غير الكريمة، الطرق التي هي سلبية وسيئة ودنيئة؛ **أما هم** فيحصلون على رزقٍ كريمٍ من الله؛ **لالتزامهم**، وإيمانهم، وتقواهم.

التحرك وفق توجيهات الله وتعليماته

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝٥ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[1]، تاريخياً عندما خرج رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ إلى بدر، وبدر منطقة واقعة ما بين مكة والمدينة، وتحرك وخرج من المدينة، وكان البعض ممن خرج كارهون للخروج؛ **لأنها** ستكون أول عملية عسكرية كبيرة، وأول صدام مباشر وكبير ما بين المسلمين وأعدائهم، وهي أول غزوة بالمفهوم الذي اصطلح عليه أهل السير في الغزوات، **بالمفهوم الحقيقي لها:** كغزوة كبيرة، وغزوة يحدث فيها التحام عسكري كبير، فلأنها المواجهة الأولى التي سيخرج إليها المسلمون؛ **كان** البعض متخوفين وقلقين، ولربما يتوقعون- إلى حدٍ كبير- الهزيمة، ويتوقعون أن العدو سيسحقهم، وهذا كان حالاً يَنِمُّ عن قصور في الجانب الإيماني، وفي التوكل على الله، وفي الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الرسول صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ **كان خروجه أولاً بأمرٍ من الله**، بتوجيهاتٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وهذا هو الذي نتربى عليه في الجهاد في سبيل الله:** أن نتحرك بناءً على تعليمات الله، استجابةً لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾، ولأن هناك توجيهات من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **فهذا** كافٍ في أن يتحرك الإنسان، وفي أن يندفع، وفي أن ينطلق، وفي أن يستجيب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والدافع الإيماني يدفع الإنسان للالتزام والطاعة والتحرك. ١٩

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾، والخروج هو بالحق، عندما تتحرك في سبيل الله فلا بدَّ أن تكون في موقف الحق، وخروجك هو بالحق؛ **لأن** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عندما أمرنا هو يأمرنا بالحق، وبمقتضى الحق؛ **لأن** هذا هو الحق،

١- الأنفال: ٥-٦

والقضية التي تتحرك فيها لا بدَّ أن تكون قضية حق، لا تكون فيها ظالماً، لا تكون فيها مبطلاً، لا تكون فيها متجبراً، لا تكون فيها مفسداً؛ **إنما** تتحرك وفق التعليمات الإلهية في الموقف الحق والقضية الحق، وهذا **يستوجب** أن يكون المنطلق منطلقاً إيمانياً، من أجل الله ﷻ، وأن تكون قضيتك عادلة، لا تقف في موقف الباطل، الذي يقف في موقف الباطل حتى لو سماه جهاداً في سبيل الله فليس بجهاد، عندما يكون ظالماً، مبطلاً، مفسداً، غاشماً، مجرماً... كما يحصل اليوم، التكفيريون يتحركون بظلم وإجرام وإفساد، وخدمة لأعداء الأمة، ويسمون ذلك جهاداً، المعتدون على بلدنا (على اليمن) يسمون ما يرتكبونه من أبشع الجرائم الرهيبة والشنيعة، وسعيهم لاحتلال هذا البلد واستعباد هذا الشعب، جهاداً في سبيل الله، ليست المسألة مسألة عنوان، بل لا بد- أيضاً- من المضمون، تكون القضية حقاً وبالحق، وهذا كافٍ للخروج والتحرك.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾، فهم يجادلون من منطلق مخاوفهم، وليس من منطلق أن هذا الموقف خاطئ؛ **يجب** تصحيحه من منظور الحق، ومن معيار الحق؛ **وإنما** من منظور المخاوف النفسية التي هي ناتجة عن ضعفٍ في الإيمان.

﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، كانوا يعانون من هذه الحالة: مخاوف شديدة طغت عليهم وأثرت عليهم، حتى لم يكونوا مؤملين للنصر وراجين للنصر، كأن المسألة الحتمية هي الهلاك، **والتوقعات التي أصبحت توقعات رئيسية لديهم:** (هي النهاية)، فكانت توقعاتهم وحساباتهم خاطئة. هناك درس مهم من هذا؛ **لأن** الكثير من الناس لا يزال ينظر هذه النظرة الفاقدة للأمل، اليائسة من النصر، التي لا تثق بالله ﷻ ولا ترجوه، والتي تنطلق من حساب التكافؤ المادي والعددي، وليس بحساب التوكل على الله ﷻ، والأخذ بأسباب النصر التي أرشد إليها القرآن الكريم.

حتى لا يبقى الحق مجرد عنوان!

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[1]، **الطائفتين:** (طائفة العير) القافلة التجارية التي كان على رأسها أبو سفيان ومعه عددٌ معه، والطائفة الأخرى: (الجيش المسلح) الذي خرج من مكة؛ **بهدف** القضاء على المسلمين عسكرياً. الله وعد المؤمنين إحدى الطائفتين (الظفر بإحدى الطائفتين)، فكانت رغبتهم تتجه في أن يظفروا بـ(**غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ**)، **يعني:** غير الطائفة المسلحة، **يعني** القافلة التجارية التي على رأسها أبو سفيان ومعه عددٌ من المشركين، ومعنى هذا أنهم كانوا يرغبون بالحصول على تلك القافلة التجارية ومن معها، كان أبو سفيان- بنفسه- هدفاً مهماً بالنسبة للمسلمين؛ **باعتباره** أحد القيادات البارزة والأساسية للأعداء، ومعه البعض ، وكانوا لا يرغبون بالاصطدام العسكري، كانوا لا يرغبون بالدخول في المعركة العسكرية، ولكن إرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يلتحموا عسكرياً، وأن يكون الظفر بالجيش المسلح الذي خرج للقتال من جانب العدو؛ **لأن** تحطيم قوة العدو العسكرية كان الأهم، والأكثر نتيجة من مسألة الظفر بالطائفة غير المسلحة، التي هي طائفة القافلة التجارية (أبو سفيان ومن معه).

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾؛ **لأن** إحقاق الحق يكون بتحطيم قوة العدو العسكرية، وبإفشاله عسكرياً؛ **هذا** الذي يحق الحق في الواقع العملي؛ **لأن** الحق يبقى عنواناً، ما لم يأتِ التحرك به في الواقع العملي، وإزاحة كل الباطل من أمامه في الواقع العملي، إحقاق الحق يأتي بالتضحية، يأتي بالموقف، يأتي بالعمل، يأتي بالجهاد في سبيل الله وفق التعليمات والتوجيهات القرآنية، لو كنت صاحب حق ومظلومية ولا

١- الأنفال: ٧-٨

تريد أن تتحرك، ولا تريد أن تضحي، ولا تريد أن تنهض بهذه المسؤولية؛ **فلن** يتحقق لك هذا الحق، سيبقى مجرد عنوان، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾، **يعني:** عن طريق توجيه ضربة قاضية لتلك القوة العسكرية التي خرجت.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾، ليحق الحق في الواقع، يتحول إلى حالة قائمة، حالة سائدة في الواقع، وليس مجرد عناوين؛ **إنما** عملياً من خلال انتصار لهذا الحق ولأهله، فيتحول إلى حالة قائمة في الساحة. ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾، يبطل الباطل كذلك بضربه، وبتحطيم قوته وما يستند إليه وما يعتمد عليه؛ **حتى** يزاح من الواقع.

لكي يحق الله الحق لا بد من التحرك

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾، ولو كرهوا وترتب على كرههم هذا كل ما يستطيعونه، وكل ما يحيكونه من مؤامرات ومكائد؛ **لأن** تحت عنوان (كَرِهَ) كل ما سيفعلونه من أعمال، وما سيخططون له من أعمال، وما يكيدون له من مؤامرات، فكل مؤامراتهم ستبوء بالفشل، عندما تتحرك الأمة بجد، بصدق، بتوكلٍ على الله ﷻ وفق التعليمات والتوجيهات الإلهية، بصلاح ذات البين، بالتعاون، بالالتزام بهذه التعليمات والقيم، الله ﷻ يحق الحق، وفعلاً هذا ما حصل، أحق الله الحق، وانتشرت راية الإسلام، وثبت الإسلام، واستقوى أمره، استقوت الأمة الإسلامية ونمت وعظمت، وكانت هذه المعركة بداية السقوط لقوى الشرك والاستكبار آنذاك، حتى اضمحلت وتلاشت وانتهت، وهزمت هزيمةً نهائية، وحتى أتى يوم الفتح الذي فتح الله به مكة، وانتشر به الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية كافة، فإذاً لا بدَّ من التحرك.

عندما نتأمل مثلاً في نماذج كثيرة في واقعنا المعاصر، مثلاً: في مظلومية الشعب اللبناني، كان الحق هو خروج إسرائيل من لبنان، وطرد إسرائيل من لبنان، من الذي أحق هذا الحق، هل مجلس الأمن؟ هل الأمم المتحدة؟ هل الجامعة

العربية؟ من الذي أحق هذا الحق؟ الله أحق هذا الحق بجهود وتضحيات المجاهدين اللبنانيين في حزب الله وحركات المقاومة، عندما تحركت، عندما قاتلت، عندما اعتمدت على الله، عندما توكلت على الله، عندما جعلت من المنطلقات الإيمانية منطلقات تتحرك بها في الواقع العملي، ووثقت بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ في نهاية المطاف أحق الله هذا الحق عملياً، ودحر إسرائيل، وطردت.

ما الذي أحق الحق في غزة؟ ما الذي أحق الحق يوم طردت أمريكا من العراق؟ ما الذي أحق الحق في ثبات شعبنا اليمني إلى اليوم؟ إلا أن يتحرك الناس وِفق توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من هذه المنطلقات الإيمانية العظيمة التي تمثل وقوداً عظيماً، وتمثل طاقةً هائلة في مواجهة التحديات مهما كانت.

نستكمل- إن شاء الله- في المحاضرة القادمة، ونكتفي بهذا المقدار...

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

١٩

***

يوم الفرقان (٣)

التعزيزات والمدد الإلهي.. كيف. ولمن؟!

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إلهَ إلّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث على ضوء الآيات المباركة في سورة الأنفال، التي عرضت لنا غزوة بدرٍ الكبرى، مضمِّنةً لها الدروس والعبر المهمة التي تحتاج إليها الأمة إلى آخر أيام الدنيا.

ومرَّ بنا الحديث بالأمس عن البعض ممن خرجوا مع النبي صَلَّاَللهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِ إلى تلك الغزوة وهم كارهون، ومجادلون للنبي صَلَّاَللهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِ، مع أنه قد اتضح لهم أنه خرج بالحق، وأنَّ الخروج هو الحق، وأنه في موقف الحق، البعض من الناس مهما كان الحق واضحاً وجلياً، فهذا لا يكفي في أن يُدفعوا، في أن ينطلقوا، في أن يتحركوا في ذلك الموقف الحق، العوامل النفسية التي تؤثِّر على الإنسان، والمخاوف الكبيرة التي تضغط على نفسيته وعلى مشاعره، **قد تجعله: إمَّا** يتراجع، **أو** يتردد في تحركه.

وفي القرآن الكريم وفي تربية الرسول صَلَّاَللهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِ ما يعالج هذه الحالة، وما يعزز في نفس الإنسان روح الاستجابة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والرغبة في الانطلاقة في موقف الحق، الذي فيه مرضاة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولكن يحتاج الإنسان إلى أن يتفاعل إيجاباً مع هذه التربية من الرسول صَلَّاَللهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِ، وأن يفتح قلبه لنور الحق، وأن يلتفت إلى القرآن الكريم التفاتةً واعية، بتقبلٍ وتفهمٍ واستفادةٍ تعالج في واقعه النفسي مثل هذا الخلل.

حالة إيمانية.. الاستغاثة واللجوء إلى الله

يقول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1].

٢٠

تاريخياً: عند الوصول إلى وادي بدر، منطقة بدر هذه فيها وادٍ، ووصل المسلمون مساءً إلى الضفة الأقرب إلى جهة المدينة، الناحية من الوادي والضفة من الوادي التي إلى جهة المدينة المنورة، وصلوا مساءً واستقروا، كان قد سبقهم الأعداء، وهم في الضفة الأخرى (في الناحية الأخرى) على حافة الوادي، وقد سيطروا على آبار المياه الموجودة في الوادي وبالقرب منه، وهم معسكرون في تلك الجهة، وصل المسلمون مساءً واستقروا وعسكروا في حافة الوادي الأقرب إلى المدينة، وبقوا ليلتهم تلك استعداداً للمعركة في النهار، في

١- الأنفال: الآية ٩

صبيحة تلك الليلة، عندما وصلوا واستقروا وعسكروا في تلك الجهة في حافة الوادي الأخرى، كانوا يعيشون الوضع النفسي القلق تجاه المعركة المقبلة، ولكنهم توجَّهوا إلى الله ﷻ، والتجأوا إليه، واستغاثوه، وطلبوا منه النصر، وطلبوا منه المعونة والتثبيت، وهذه هي الحالة الإيجابية الصحيحة، هي تربية القرآن، وهي تربية الرسول ﷺ، التي نتعلم فيها أن نلتجئ دائماً إلى الله ﷻ، فالتجأوا إلى الله بالاستغاثة، وطلب النصر منه ﷻ، وهم يرجون منه النصر، هو ربهم، هو رب العالمين، هو الرحيم، هو العظيم، ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، عندما استغاثوا الله ﷻ، عندما التجأوا إليه، عندما طلبوا منه النصر؛ **استجاب** لهم، فقال -جلَّ شأنه-: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، استجاب لهم -جلَّ شأنه- بهذا المدد من ملائكته، الذين وصلوا كتعزيزات؛ **ليقوموا** بدورٍ مهمٍ في تلك المعركة.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، الله ﷻ جعل هذا المدد، والذي وصل خبره إلى المسلمين والمجاهدين في تلك الغزوة عن طريق الرسول ﷺ، جعل الله هذا المدد بشارةً لهم بالنصر، وطمأنةً لقلوبهم، وإشعاراً لهم بأنهم ليسوا لوحدهم في ميدان المعركة، أنَّ الله معهم، وأنه قد أمدَّهم بملائكته، وأنها قد وصلتهم هذه التعزيزات التي هي بعدد يفوق عددهم أضعافاً مضاعفة، عدد المسلمين كان لا يزيد على ثلاثمائة شخص إلَّا عدداً قليلاً، **تختلف الروايات في هذه الزيادة كم كانت** : ثلاثة عشر، سبعة عشر... أو نحو ذلك، فكان لهذا تأثير معنوي إيجابي كبير في نفوسهم يساعدهم على الاطمئنان.

١- الأنفال: الآية ١٠

الدروس المهمة من الآيتين المباركتين

وعندما نعود إلى الدروس المستفادة من هاتين الآيتين المباركتين، نجد أنَّ من أهم لوازم المعركة ولوازم الصراع عموماً في المعركة، وما قبل المعركة، وفي كل ميدان من ميادين الصراع: **الالتجاء الدائم إلى الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا بدَّ من هذا: من الالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **أولاً:** من واقع الشعور بالضعف والحاجة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإنسان بحاجة دائمة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأمة بحاجة إلى أن تلتجئ إلى الله؛ **ليمدها** بنصره، بمعونته، بألطافه، بتأييده، ليرعاها برعايته.

وعندما يعيش الناس هذه الثقة بالله، وهذا الأمل، وهذا الرجاء، فهذا يساعدهم للتحرك في ميدان الصراع والنزول إلى ميدان المعركة بمعنويات عالية، بطمأنينة، بثبات، بأنهم ليسوا في واقعهم سيخوضون هذا الصراع فقط بمستوى ما يمتلكونه من إمكانيات؛ **إنما**- أيضاً- بما يؤمِّلونه ويرجونه من معونة الله، من تأييد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعندما لا تبقى الحسابات ضيِّقة والتقديرات محدودة، أننا نواجه بهذا العدد، بهذه الإمكانات فقط، بل تعدى ذلك هذا الأمل، وهذا الرجاء المفتوح في فضل الله، في تأييده، في معونته، في نصره، والاعتداد بمعيته، أنه -جلَّ شأنه- معنا إن صبرنا، إن ثبتنا على الموقف الحق، إن بذلنا ما بوسعنا، وأدينا ما علينا، فإنه -جلَّ شأنه- معنا، ينصرنا، يعيننا، يؤيدنا، فهذا له أهميته- وفي نفس الوقت- له نتيجته، الله -جلَّ شأنه- يقول هنا: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، عندما نكون في موقف الحق، عندما نتحرك في مسؤولياتنا وواجباتنا في هذا الموقف الحق، ونلتجئ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونرجوه، ونأمل فضله ونصره وعونه، هو -جلَّ شأنه- الكريم العظيم، وهو الذي قدَّم الوعود المؤكَّدة في كتابه، ولا يمكن أن يخلف وعده، فهو يتدخل، هو يستجيب، هو يأتي بمدده، تأتي منه الرعاية الواسعة المتنوعة، يأتي منه التدخل الواسع الذي يغيِّر به الكثير والكثير من الأمور، ويصنع به الكثير والكثير من المتغيرات

٢٠

التي تساعد على الانتصار في المعركة، التي تدفع عن عباده المؤمنين الذين استجابوا له، وتحرّكوا على ضوء توجيهاته وتعليماته، وتمسَّكوا بالحق، وثبتوا على موقف الحق، تأتي منه الرعاية الواسعة التي تمثل دعماً لهم، وتساعدهم في الواقع، وتصنع لهم الكثير من المتغيرات التي تساهم في انتصارهم وفي ثباتهم.

وهنا قدَّم المسألة موجَّهةً إلى المؤمنين، لو بقي الحديث هنا كله موجهاً إلى رسول الله، إلى نبي الله محمد صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، لقال البعض: [هذا أمرٌ يخص النبي]، لكن يأتي الحديث هنا موجهاً إلى المؤمنين: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، ويأتي الحديث أيضاً بالتوصيفات التي تعبِّر عن طبيعة الانتماء، وعن طبيعة السلوك، وعن طبيعة الموقف، سواءً في اتجاه المؤمنين باعتبار انطلاقتهم الإيمانية وموقفهم الحق، الحق عنوان، والإيمان عنوان، وفي المقابل هناك الإجرام والمجرمون عنوان آخر، الكفر والكافرون عنوان آخر، النفاق والمنافقون عنوان آخر، وهذه العناوين هي التي تجري وتأتي على مصاديقها في واقع الناس عبر الزمن.

العامل المعنوي ودوره في تحقيق النصر

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يؤكِّد على نقطةٍ مهمةٍ هنا: أنه جعل هذا المدد من ملائكته بشارةً، طبعاً البشارات في القرآن الكريم كثيرة، منها آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **ومعنى ذلك:** أنَّ الله يهيئ أيضاً بشارات في الواقع، ومؤشرات تعزز الأمل بالنصر، ويحصل في واقع الناس الكثير من هذا عندما يتحركون في موقف الحق، يلحظون في الواقع- نفسه- مؤشرات وبشائر يؤمِّلون من خلالها النصر، وتقدِّم لهم البشرى بأنَّ النصر الكبير آتٍ.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾؛ **لأن** اطمئنان القلوب والعامل المعنوي هو من أهم العوامل الرئيسية في تحقيق الانتصار، وفي الثبات قبل ذلك، اطمئنان القلوب مسألة مهمة **جدًّا**، لها تأثيرها الكبير على مستوى الثبات من جانب، وعلى مستوى الأداء العملي في الميدان من جانبٍ آخر.

الإنسان إذا عاش حالة الارتباك، واستبد به القلق، وسيطرت على ذهنيته ونفسيته المخاوف؛ **يسوء** أداؤه، تكثر أخطاؤه، لا تتفرغ ذهنيته، ولا يسلم تفكيره نحو المواقف الصحيحة، والأداء الصحيح، والتصرفات الصحيحة؛ **فذهنه** مشوش، ونفسيته مضطربة، ومشاعره مضغوطة، في جوٍ كهذا تتأثر قراراته سلباً، وتتأثر تصرفاته سلباً، ويتأثر سلباً في تعامله مع المواقف والمجريات والأحداث؛ **فتكون** النتيجة- في نهاية المطاف- هي الهزيمة، مع الارتباك تصدر قرارات خاطئة، تصرفات خاطئة، تعاملٌ خاطئٌ مع بعض المواقف والظروف.

لكن عندما يعيش الإنسان حالة الاطمئنان في قلبه ومشاعره، ويعيش حالة الشعور بمعية الله، أنَّ الله معه، وأنه مع الله، وأنه في موقف الحق؛ **سيكون** أسلم في تفكيره، وأقدر وأنجح في تصرفاته، وأدق في كيفية تعامله مع المواقف والمستجدات التي تأتي في ثنايا الأحداث، وفي واقع الميدان والمعركة، فاطمئنان القلب مسألة مهمة **جدًّا**، ويأتي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الدعم المعنوي الذي يساعد على هذا.

في مختلف الظروف يبقى الرهان على الله وحده

ثم يؤكِّد على حقيقةٍ مهمةٍ جدًّا، يقول -جلَّ شأنه-: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، النصر هو من عند الله فقط، لا يمكن أن تراهن على التعزيزات، ولا على الإمكانات، ولا على القدرات... ولا على أيِّ شيءٍ آخر، هي كلها وسائل، هي مهمة كوسائل، وعليك أن تعدَّ فيها ما تستطيع، وأن تقدِّم فيها الممكن والمتاح، لكن لا تراهن عليها هي، لا تعلِّق عليها أملك، لا توجِّه إليها رجاءك. ليكن أملك بالله، رجاؤك في الله، توكلك على الله، اعتمادك على الله، التجاؤك إلى الله؛ **لأن** البعض من الناس عندما تصل إليهم- مثلاً- تعزيزات، **أو تصل إلى أيديهم وسائل معينة تساعد في الموقف العسكري:** أنواع معينة من السلاح، إمكانات معينة، قدرات معينة، قد يطمئنون إليها بأنها هي ستساعدهم على حسم المعركة وكسبها؛ **فيقِّل** التجاؤهم إلى الله، ويضعف شعورهم بالاعتماد

٢٠

والالتجاء إلى الله ﷻ، برهانهم على كثرة عدد، أو على توفير عدة، وتحصيل إمكانات، وتوفر قدرات، ضَعُفَ اعتمادهم على الله، وكبر اعتمادهم على تلك الإمكانات، أو تلك التعزيزات، أو تلك القدرات، أو تلك الخطط... أياً كانت، فأثَّر عليهم سلباً؛ **فتكون** النتيجة هي أن يخسروا المعركة، أن يتراجعوا وأن يفشلوا في تلك المهمة العسكرية، فلا بدَّ من أن يكون الالتجاء في كل الأحوال:

في الوقت الذي أنت تشعر فيه بقلة العدد، بقلة العدة، بضعف الإمكانات، بالظرف الصعب والحسَّاس، بكبر التحديات، في هذه الحالة تلتجئ إلى الله، وتعتد على معيته، وتؤمِّل فضله، وترجو نصره، وتبقى في حالة استغاثة ودعاء وعمل.

أو في الحالة التي توفرت لك فيها التعزيزات، وتوفرت لك فيها إمكانات وقدرات، وأعددت فيها الترتيبات التي تعتبرها ترتيبات عملية ناجحة، في هذه الحالة- أيضاً- لا بدَّ أن تبقى في حالة التجاء إلى الله، شعور بالافتقار إلى الله ﷻ، شعور بالعجز، أنك لا شيء من دون الله، والقوة بالله ﷻ وبتأييده وبنصره، **فلا غرور** عند توفر التعزيزات والإمكانات والقدرات، وعند استتمام واستكمال الترتيبات التي تعتبر ترتيبات يعوَّل عليها في النجاح، **ولا انهيار** أمام المخاوف، أمام الظروف الصعبة والمعاناة، أمام التحديات الضاغطة.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، فالنصر بيده ﷻ، وهو -جلَّ شأنه- الذي يتخذ القرار بالنصر ويمد بالنصر، حتى ملائكته لا تمتلك ذلك من دونه، أبداً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ومن عزته ومن حكمته أن ينصر عباده المؤمنين الذين هم في موقف الحق، إذا استجابوا له، وأدوا ما عليهم، والتزموا بتوجيهاته، وأخذوا بأسباب النصر، فمن عزته أن ينصرهم، ومن حكمته أن ينصرهم.

الدعم الإلهي الخاص والمتميز

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[١].

تاريخياً: وصل المسلمون مساءً إلى منطقة بدر، وعسكروا في حافة الوادي الأقرب إلى المدينة، وفي مساء تلك الليلة باتوا هناك، وكانوا بحاجة إلى أن يشعروا بالاطمئنان، وأن يأخذوا قسطاً من الراحة؛ **ليستعدوا** للمعركة في اليوم الثاني، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منحهم من السكينة ومن الاطمئنان ما ساعدهم على أن يحظوا بهذه الراحة المطلوبة، والتي توفرت لهم عن طريق النعاس الذي أمدَّهم الله به، وغشاهم به، عندما كان يغشيهم النعاس، كان يصحبه الشعور بالاطمئنان، بالأمن؛ **فكانت** عملية طمأنة إضافية، تساعد على الراحة النفسية، والاطمئنان القلبي، وعلى اطمئنان النفس الذي يساعد على التهدئة من التوتر والاضطراب والقلق، وتهدئة الأعصاب، فهم استفادوا من هذا النعاس الذي كان يأتي كنعاس ﴿أَمَنَةً﴾، يشعرون معه بالاطمئنان وبالأمن، **النعاس:** هو النوم الخفيف المتقطع؛ **لأنهم** في تلك الحالة لا يناسب أن يمنحهم الله نوماً كاملاً، وأن يغطوا في النوم ويخلدوا إلى النوم بشكلٍ كامل إلى الصباح، الميدان ميدان معركة، لا بدَّ فيه من الانتباه، ولا يناسب أيضاً أن يكونوا في تلك الليلة في حالة توتر شديد، ولا يحظوا بأي شيءٍ ولو بمقدارٍ بسيطٍ من النوم، وأن يبقوا [محدِّقين] ومستيقظين، وفي حالة قلق وتوتر طوال الليل، فيذهبون إلى المعركة في اليوم الثاني ولا زالت أعصابهم متعبة نتيجة توترهم طوال تلك الليلة، فأتاهم النعاس من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الذي كان معه الشعور بالأمنة والاطمئنان، هذا من الدعم الإلهي، دعم خاص ومتميز، لا يمكن أن يحصل الإنسان عليه من أي طرفٍ آخر.

١- الأنفال: الآية ١١

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾، والنعمة الأخرى التي أمدهم الله بها، ومثَّلت أيضاً جزءاً من هذا الإمداد، من هذه الرعاية، من هذه المعونة المتتابعة: نزول الملائكة، تغشية النعاس أمنة- أيضاً- إنزال المطر، إنزال الغيث، نزَّل الله عليهم من السماء ماءً، وهذا الماء كانوا في أمسِّ الحاجة إليه؛ **لأن** الأعداء كانوا قد سبقوهم إلى آبار المياه، **وكان لهذا الماء فوائد متعددة:**

﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾، **يستفيدون منه للطهارة:** الطهارة للصلاة، وللاغتسال، وللنظافة، ولما يستفيدون به من الاغتسال بذلك المطر (بذلك الماء) من راحة الجسم، من حيويته، من انتعاشه بالاغتسال، فهذه الطهارة للصلاة، وهذه الحيوية والانتعاش التي تحصل بالاغتسال، وهذه النظافة لها فائدة مناسبة ومطلوبة وصحية.

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾، **رجز الشيطان:** وساوسه القذرة؛ **لأن** الشيطان قد استغل حالة انعدام الماء، وسيطرة العدو على الماء؛ **ليوسوس**، ويزرع المخاوف والهواجس: [أنكم قد تموتون عطشاً، من أين ستحصلون على الماء؟ قد سيطر العدو على الماء، كيف سيتوفر لكم الماء؟]، فهو يلعب من خلال هذه المشكلة ويستغلها، والشيطان يستغل أي مشكلة أو أي ظروف؛ **ليحاول** التأثير من خلالها، فهو يحاول أن يستغل انعدام الماء وسيطرة العدو عليه؛ **لإثارة** الهواجس والخوف والقلق تجاه ذلك، فعندما أتى غيث الله، أتى الماء من السماء، ونزل الغيث، توفر الماء بشكلٍ كبير، واستفادوا منه، وعملوا الحياض التي احتوته؛ **ليستفيدوا** منه أيضاً في اليوم الثاني، وتوفر لهم ما يكفيهم من الماء، واحتلت هذه المشكلة.

والفائدة الأخرى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾، وسيلةً أيضاً مع إذهاب وساوس الشيطان وسيلة للربط على القلوب، وفي المعركة، وفي ميدان

الصراع يحتاج الإنسان إلى الربط على قلبه؛ **لتبقى** معنوياته عالية، ليبقى متماسكاً، ليبقى كذلك ثابتاً ورابط الجأش؛ **حتى** لا يعيش حالة الاضطراب والقلق في قلبه التي تؤثر عليه.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾، **فهذا الشد على القلب، وهذا الربط على القلب يساعد على بقاء التماسك والروح المعنوية العالية، والتي لها أهمية كبيرة جدًّا في المعركة.**

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾، في ميدان المعركة، الميدان الذي سيلتقي فيه الجمعان (في بدر) كان منطقةً رملية، وكان القتال فيها صعباً؛ **سواءً** بالنسبة للمشاة أو للفرسان، لكن بالنسبة للمسلمين كانوا- تقريباً- كلهم مشاة، ما عدا فرساً واحداً كان معهم، فسيصعب عليهم القتال في منطقة رملية تنزل فيها أرجلهم، ويصعب عليهم التحرك الذي يستلزمه القتال؛ **لأن** للقتال حركته المناسبة.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **من خلال ذلك المطر** قدَّم هذه المساعدة الكبيرة التي تغير الوضع في ميدان المعركة- نفسه- نفس هذا الميدان يتحول إلى مكان متماسك، مكان ثابت، مكان صُلب؛ **نتيجةً** للمطر، فهذه كانت نعمةً كبيرة، فهيأ الله لهم حتى ميدان المعركة، ووفر لهم كل الظروف المساعدة على الانتصار، وحل لهم المشكلات التي تمثِّل ثغرةً عليهم يستغلها حتى الشيطان في وساوسه، ولها تأثيرات في الواقع، لو لم يتوفر الماء وعانوا من العطش، كان هذا سيجهدهم حتى بدنياً، فكيف كانت هذه الرعاية الإلهية؟ كيف كانت الاستجابة من الله لـمَّا استغاثوه، وتوفر من خلالها هذا المدد المتنوع والمتعدد؟ ٢٠

هذا فيه درسٌ مهمٌ لنا: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **يتدخل ويمنُّ برعاية واسعة، ويهيئ الكثير من الظروف والعوامل التي تساعد على الانتصار، والتي توفر من خلالها الظروف المساعدة للإنسان في موقفه.**

الرعاية الإلهية تواكب المعركة

يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1]، بدأت المعركة، تاريخياً- بدأت المعركة- والله سبحانه وتعالى يواكب هذه المعركة لحظةً بلحظة، وتبقى رعايته المستمرة مواكبةً لمجريات المعركة بشكلٍ مستمر، فأوحى الله سبحانه وتعالى -وقد بدأت المعركة- إلى الملائكة: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ وهو يواكب المعركة -جل شأنه- ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ **فالوظيفة الرئيسية والمهمة الأساسية للملائكة كانت هي:** التثبيت للذين آمنوا في هذه المعركة، التثبيت للذين آمنوا عن طريق تعزيز الروح المعنوية، وحتى لو لم يشعروا أو لم يشعر الكثير منهم، أو يدركوا أو يروا الملائكة، فحضور الملائكة بين أوساطهم، والطرق التي يمتلكها الملائكة، والتي يمكنهم الله من خلالها بالتأثير الإيجابي على المستوى النفسي والمعنوي على الإنسان، سيكون لها الأثر الذي يساعد الإنسان على الثبات، فالملائكة لها وسائلها وطرقها التي يمكنها من خلالها أن **تؤدي هذا الدور:** أن تساعد على رفع الروح المعنوية للإنسان، حتى لو لم يرَ الملك إلى جانبه، أو لو لم ير الملائكة إلى جانبه، لكن لهم طريقتهم التي تمكنهم من رفع روحهم المعنوية، من الاطمئنان، من الإحساس بأنه ليس وحده في المعركة، من العوامل التي تساعده: تمده بالنشاط أكثر، بالحيوية أكثر، بالقوة أكثر، **وقد تأتي مساعدات في ظل ظروف المعركة والحركة القتالية:** تساعد الإنسان في بعض حركاته، في بعض أدائه... تُساعده بشكل أو بآخر، الله أعلم كيف تفاصيل هذه المسألة! لكنها تثمر هذه النتيجة المهمة، **وهي:** التثبيت للذين آمنوا، والثبات هو المطلوب؛ **لأنه** في الميدان حتى نصل إلى النصر لا بدَّ من الثبات أولاً، لا بدَّ من الثبات،

٢٠

١- الأنفال: الآية ١٢

فمع الثبات والالتجاء إلى الله يأتي النصر من الله ﷻ، ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

الدعم الكبير والحاسم.. متى وكيف؟

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، وهذا الدعم الكبير العظيم الذي يأتي عندما يثبت الذين آمنوا، عندما يؤدون واجبهم، يتحركون في مسؤولياتهم، يأتي مع ذلك هذا الدعم والمعونة من الله ﷻ بإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، وهذه الحاسمة، هذه الضربة الحاسمة التي يأتي بها النصر.

الله ﷻ يربط على قلوب المؤمنين في موقفهم الحق عندما يثبتون- وفي نفس الوقت- يلقي الرعب في قلوب أعدائهم، وعندما يلقي الرعب لا يتماسكون، لا يثبتون، ينهزمون فوراً، تنهار معنوياتهم ويفشلون، فتصبح هزيمتهم حتمية، **وهذا يأتي على ضوء هذه الخطوات العملية:** الانطلاقة في موقف الحق، الأخذ بأسباب النصر، الاستغاثة والالتجاء إلى الله ﷻ، الثبات. تأتي هذه الرعاية والتي في نهايتها يلقي الله الرعب في قلوب الأعداء، والله ﷻ هو الذي يملك القلوب ويسيطر عليها، ويسيطر على أزِمَّة النفوس، وهو الذي يستطيع أن يلقي الرعب إلى قلوبهم، وكأنها قذائف أُلقِيَت تصل إلى قلوبهم، فيشعرون بالرعب والخوف والفزع الشديد؛ **فلا** يتماسكون، ولا يستطيعون الثبات، وينهزمون، وهذا من أهم ما يقدمه الله ﷻ من دعم وإسناد وتأييد لعباده المؤمنين في موقفهم الحق، ومهما كانت إمكانات الأعداء، إذا ألقي الرعب في قلوبهم لا يستطيعون الثبات، وتصبح نتيجتهم حتمية، مهما امتلكوا من السلاح، مهما امتلكوا من العدة والعدد، من الإمكانات والقدرات، من الخبرات والمهارات، كلها تضيع، إذا ألقى الله في قلوبهم الرعب، كل تلك الإمكانات والخبرات تتلاشى في تأثيرها، وفي تمكينهم من الثبات بها.

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، هذا توجيه للمؤمنين أن يضربوا ضربات مُنَكِّلة بالعدو؛ **لأنها** أيضاً من العوامل المهمة التي تساعد على تحقيق النصر، وطبعاً لو لم يكن في زمن السيوف، الضربات مطلوبة في ميدان المعركة التي تترك تأثيرها على العدو، **يعني: في مقابل:** ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، هناك ضربات أيضاً تؤثر بشكل كبير على العدو، ضربات حساسة، ضربات استراتيجية، ضربات مُنَكِّلة، ضربات موجعة للعدو، تعزز الهزيمة، وتساعد على التنكيل به، **وكذلك:** ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، يقابلها الضربات التي تترك تأثيراً منكلاً بالعدو، وتؤثر عليه؛ **فلا** يستطيعون الاستمرار في المعركة. فمع الثبات- ليس مجرد ثبات وجلسة، |الا|- ثبات بتوجيه ضربات قوية لاستهداف العدو، وللتنكيل بالعدو، وضربات نوعية أيضاً، وضربات استراتيجية تساعد على التنكيل بالعدو، وهذه من الدروس المهمة في هذه الآية المباركة.

لِمَ كل هذا التدخل الإلهي في قمع الطغاة؟

ولماذا كل هذا؟ لماذا يقف الله مع بعض عباده ضد بعض؟ أليسوا بكلهم من عبيده وخلقه؟ يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾[1]، لا يمكن أن يقف الله مع بعضٍ من عبيده ضد بعض لاعتبارات تخرج عن إطار الحق، لا لمنطقتهم، ولا لأي اعتبارٍ آخر، ولا لاسم، ولا لعنوان... ولا لأي شيء آخر مما لا يرتبط بالحق، هو -جلَّ شأنه- **يقول هنا:** ﴿ذَلِكَ﴾ **يعني:** السبب في أن يكون سخط الله عليهم إلى هذا المستوى، وأن يمنح عباده المؤمنين هذا النصر والتأييد، وأن يقدم لهم هذه التوجيهات بضربهم على هذا النحو، وأن يمكنهم منهم، وأن يلقي في قلوبهم الرعب، السبب في ذلك بكله: ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

١- الأنفال: ١٣-١٤

كيف تكون مشاقاً لله؟ وما هي المشاقة هذه؟ المشاقَّة لله ولرسوله عندما تقف في موقف الباطل ضد الحق، عندما تحارب الحق، عندما تخدم الباطل؛ **فأنت** في مشاقَّة لله، عندما تقف مع الظالمين ضد المظلومين، عندما تقف مع المبطلين ضد أهل الحق، عندما يسعى العدو إلى محاربة من يريدون أن يبنوا أنفسهم وواقعهم على أساس منهج الله وتعليماته، عندما تكون المعركة من هذا النوع يأتي هذا التدخل الإلهي مع الأخذ بالأسباب، ومنها الأسباب المذكورة.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، العقوبة من الله عقوبة شديدة، وهي التي ينبغي الخوف منها، في هذا درس مهم **جدًّا للمؤمنين أولاً:** أن يفهموا أن الله يقف معهم لموقف الحق؛ **فلا** ينحرفوا عن موقف الحق، وعليهم أن يحذروا ألَّا يشاقُّوا الله، عليهم أن يطيعوا الله، أن يلتزموا بمنهج الله، أن يسيروا وفق توجيهاته وتعليماته، ثم ليطمئنوا أن الآخرين الذين يحاربونهم- لما هم عليه من الحق، ولتمسكهم بهذا الحق- هم في الموقف الخطير الذي يشاقّون فيه الله ورسوله؛ **وبالتالي** هم محط سخط الله، وغضب الله، وعذاب الله، وانتقام الله، وعقوبة الله، فهم في الموقف الخطر، ونقاط ضعفهم كبيرة وخطيرة، وهذا درسٌ مهم. ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾، عقوبة عاجلة في الدنيا؛ **أما** في الآخرة فالنار وهي أشد. ٢٠

على ضوء الأحداث.. تعليمات ودروس مهمة

ثم تأتي التعليمات المهمة من الله ﷻ على ضوء هذه الأحداث المهمة، كما هي عادة القرآن الكريم، وكما هي الطريقة في هداية الله ﷻ لعباده، يقدم الحدث ومعه الكثير من الهداية، الكثير من الدروس، والكثير من العبر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1]. لا بدَّ من التحرك للقاء العدو، عندما يأتي العدو، عندما يزحف العدو، عندما يتحرك العدو عسكرياً لا بدَّ من لقائه، لا بدَّ من التصدي له، وهذا التصدي **يجب** أن يكون بفاعلية، بثبات، بتوكل على الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى، في القرآن الكريم وفي تربية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ ما يساعد الإنسان أن يتحرك بفاعلية عالية، بمعنويات كبيرة، بثبات، باستبسال، بصمود، فعندما يتم لقاء العدو والتصدي لزحفه، والتصدي لهجومه، والتصدي لعملياته العسكرية، **يجب** أن يكون بثبات واستبسال وصمود، ولا يجوز أن يهرب الإنسان، لا يجوز للذين آمنوا أن ينهزموا، هذه تعتبر جريمة كبيرة **جدًّا**.

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ **ينهزم ويهرب**، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، المنهزم الهارب من المعركة يغضب الله عليه غضباً شديداً، الله عزيز، ولا يرضى لعباده الذين آمنوا في موقف الحق أن يكونوا انهزاميين، وأن يكونوا جبناء، وأن يفروا، وأن يكون تحركهم في سبيل الله وفي موقف الحق تحركاً بضعفٍ نفسي وفشل (انهيار وتراجع وذلة)، الا الله هو القوي العزيز، ويريد لأوليائه ولعباده المؤمنين في موقف الحق أن يتحركوا بقوة وثبات واستبسال، وقدَّم لهم في هديه ما يساعدهم على ذلك، ويمدهم في الميدان إذا أخذوا بأسباب النصر والتزموا بموقف الحق بكل ما يساعدهم على ذلك، ويمكنهم من ذلك، ويوفقهم لذلك، فإذا انهزموا، فتعتبر جريمةً كبيرةً **جدًّا** عقوبتها النار، من يهرب فهو هرب وهو متحمل لهذا الوزر الرهيب **جدًّا**: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾، هرب وهو يتحمل هذا الغضب من الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى،

١- الأنفال: ١٥-١٦

يغضب الله عليه غضباً شديداً، ويكتب له عقوبته: جهنم، فتكون مأواه، فهو كما لو هرب من المعركة إلى جهنم، نعوذ بالله، ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾.

وطبعاً الغضب من الله يترتب عليه عقوبات في الدنيا، عقوبات متنوعة، قد يكون منها: أن يُخذل الإنسان، أن يُسلب التوفيق، أن يُسلب من الله المعونة النفسية؛ **فيعيش** دائم الخوف والهواجس والقلق والاضطراب، أن تضُرب عليه الذلة والمسكنة... أشياء كثيرة يمكن أن يُعاقبه الله بها، ومأواه في الآخرة: ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، مأواه الذي يأوي إليه وكأنه هرب إليه والتجأ إليه ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، أسوأ مصير يصير الإنسان إليه.

هذا الوعيد ممن، ولمن، ولماذا؟!

في هذا درس مهم وكبير جدًّا: هذا الغضب من الله، وهذا الوعيد بجهنم من الله هو لمن هو مؤمن، **يعني**: من الذين آمنوا، ينتسب للإيمان، وقد تحرك مجاهداً، وقد نزل إلى ميدان المعركة، لكنه انهزم، فكيف بالذي يعارض الجهاد أصلاً؟! كيف بالذي يثبط عن التصدي لأعداء الله، وهم في عملياتهم الهجومية التي يسعون فيها للسيطرة على الأمة؟! كيف بمن يعمل لخدمة أعداء الأمة؟! كيف بمن يقاتل في صف أعداء الأمة؟! هو في وضع خطير، كيف غضب الله عليه! ٢٠

عندما نتأمل في هذه الآية المباركة، وهذا الوعيد شمل حتى المعاصرين للنبي صلوات الله عليه وعلى آله، بل إنهم أول من خاطبهم الله بهذا، الصحابة الذين في عصره أول من خاطبهم الله بهذا، وتوعدهم بهذا، ثم يتلوهم بقية الذين آمنوا إلى آخر أيام الدنيا، لا يجوز- أبداً- أن يتحرك المؤمنون في موقف الحق بنفسية مهزوزة، بمعنويات ضعيفة، بتردد، بتذبذب، لا بدَّ أن تكون الانطلاقة -أصلاً- انطلاقة جادة، انطلاقة قوية، يحصل الإنسان على هذا من خلال الإيمان، الإيمان الذي يساعدك وأنت تنطلق، ويساعدك في الميدان وأنت

تلتجئ إلى الله، فيمدك بالسكينة، فيربط على قلبك، هذا أمرٌ مهمٌ **جدًّا**.

الهزيمة مسألة خطيرة جدًّا؛ لأنها تقدم صورة مشوهة عن الدين، عن الإسلام، عن الحق، وفي نفس الوقت تساعد العدو، الهزيمة تمثل عاملاً مساعداً ومساهمةً تساعد العدو على التمكن من السيطرة على الأمة، **وتساعد أيضاً العدو في أن يرتكب الجرائم بحق الناس، تساعد العدو عندما يتمكن أن يمارس ما يمارسه من:** ظلم، وفساد، ومنكر، وباطل... فالهزيمة دعم ومساهمة لصالح الباطل، المنهزمون هم ليسوا فقط ارتكبوا جرماً في حدود فعلتهم التي شوهوا بها الدين وشوهوا بها الحق، ولكنهم قدموا أيضاً مساهمة دعموا بها الأعداء؛ **فكأنهم** مكنوا الأعداء، وكأنهم أعانوهم، وكأنهم ساهموا معهم ومكنوهم، فهي خطيرة **جدًّا**، عقوبتها غضب من الله سبحانه وتعالى في الدنيا، يترتب عليه الكثير من الأشياء، ثم المأوى ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، والعياذ بالله.

كما قلنا المسألة خطيرة جدًّا، والاستثناء فيها لحالتين: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾، عندما تكون حركته القتالية فيها كر وفر، أو فيها انتقال من مكان إلى آخر ضمن تكتيك عسكري، واستراتيجية عسكرية، وخطة عسكرية يتحرك على ضوئها، فما كان ضمن الحركة القتالية والأداء القتالي، ليس للهروب، ليس للعزوف عن المواصلة في القتال، فهذا له استثناؤه.

٢٠

وما كان أيضاً تحيزاً إلى فئة، عندما مثلاً: يستشهد رفاقك في المعركة، وبقيت أنت تريد أن تنتقل إلى فئة أخرى من المؤمنين؛ **لتواصل** مشوارك معهم، أو كذلك في إطار جبهة معينة، أو موقع معين؛ **لم يبق** إلا البعض الذين لم يصبح لوجودهم في ذلك الميدان أو في تلك الجهة أي تأثير في صد العدو، فأرادوا أن ينتقلوا إلى جانب إخوتهم المؤمنين؛ **ليواصلوا** مشوارهم، **فهذا له استثناؤه:** ما كان تحرفاً للقتال، ما كان تحيزاً إلى فئة.

أما الهزيمة، أما الهروب، أما العزوف عن القتال، فهو من أكبر الكبائر، ومن أعظم الذنوب التي تسبب لغضب الله، والعقوبة عليها جهنم وبئس المصير، وهذا ما **يجب** أن يستحضره الإنسان وهو في ميدان المعركة؛ **ليثبت**، ليستعين بالله، ليحذر حتى لا يتورط في مثل ذنبٍ كهذا.

نكتفي بهذا المقدار...

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

****

٢٠

ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

بمناسبة انقضاء عشرين يوماً من شهر رمضان المبارك، وبمناسبة قدوم العشر الأواخر نخصص هذه المحاضرة للحديث عن موضوعين اثنين:

الأول: الحديث عن أهمية العشر الأواخر، وعن أهمية الْتماس ليلة القدر فيها:

شهر رمضان من أوله إلى آخره هو شهرٌ مبارك، وعظيم الفضل، والعمل فيه يمثّل فرصةً مهمةً في القربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والأجر فيه مضاعف، والعطاء التربوي والروحي لهذا الشهر المبارك، والأثر المهم لصيامه وقيامه والأجواء المباركة فيه، يساعدنا على التزود بالتقوى، ويساعدنا على القربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكثر وأكثر، وهو فرصةٌ مهمةٌ لاكتساب الأجر والفضل عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولما يترتب على ذلك من فضل الله ومن رعايته في الدنيا والآخرة، فهو شهرٌ عظيم البركة، والتجارة فيه مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رابحة، والفضل فيه عظيم، ومع ذلك فللعشر الأواخر منه الأهمية الزائدة، وورد في الأثر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أنه كان يولي العشر الأواخر بالمزيد من الاهتمام، والمزيد من العناية، وكان- كما ورد في الأثر- إذا أتت ليلة الحادي والعشرين شمَّر واجتهد، وشدَّ المئزر، وكثَّف من اهتماماته بالقربة إلى الله والدعاء والذكر والعبادة.

من أهمِّ ما يتعلق بالعشر الأواخر هو: التماس ليلة القدر فيها، فالاحتمال لليلة القدر في العشر الأواخر هو أكثر من كل شهر رمضان فيما قد مضى منه، وعادةً ما يركِّز الناس- بحسب الآثار والروايات- على بعض الليالي في العشر الأواخر، ولكن الأفضل- بلا شك- هو التركيز على العشر الأواخر بكلها، وليس فقط على بعض الليالي فيها، هذا هو الأفضل للإنسان، وهو كذلك الأكثر قربةً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ **لأن** الإنسان سيستفيد على كل حال؛ **لأن** لكل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك بركتها وفائدتها، هو كله شهر بركةٍ، وشهر خيرٍ، وشهر قربةٍ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والإنسان لن يخسر، واهتمامه بالعشر بكلها سيجعله أكثر احتمالاً لنيل هذا الفضل العظيم، واغتنام فرصة ليلة القدر.

٢١

﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.. عظمتها وأهميتها

ليلة القدر، تحدَّث القرآن الكريم عنها في سورةٍ من سور القرآن الكريم، هي سورة القدر، وأيضاً تحدث القرآن الكريم عنها في سورة الدخان، والحديث عنها هو حديثٌ عجيب، **يلفت نظرنا إلى أهمية هذه الليلة من جوانب متعددة:** أهمية هذه الليلة وهي الليلة التي نزل فيها القرآن الكريم، ولعظمة القرآن الكريم ولبركته اختار الله أن ينزله في هذه الليلة، ولصلته بالتدبير الإلهي، ولصلته بالفضل والأجر والقربة إلى الله ﷻ، ولأنه رحمة من الله ﷻ لعباده، ولأنه كتاب هدايةٍ، ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولأن له فضله العظيم وأهميته الحتمية في نجاة الإنسان وفوزه، كان نزوله في ليلةٍ مباركةٍ وعظيمةٍ ومهمة، هي ليلة القدر.

وهذه الليلة أهميتها، ابتداءً: أنها ليلة تقديرٍ للأمور؛ **في تدبير** الله ﷻ لأمور عباده على مستوى العام القادم، في ليلة القدر يأتي التدبير التفصيلي لكثيرٍ من شؤون حياة الناس على المستوى الشخصي لكل إنسان، وعلى المستوى الجماعي للأمم، للمجتمعات، للكيانات.

وتدبير الله ﷻ لأمور عباده يتعلق- إلى حدٍ كبير- بطبيعة توجهاتهم، وسلوكياتهم، وعلاقتهم بالله ﷻ، وهذا من أهم ما **يجب** أن نستوعبه؛ **لأن** لأعمالنا، وتصرفاتنا، وسلوكياتنا، ومواقفنا، وتوجهاتنا، علاقة فيما يكتبه الله وبما يكتبه الله لنا أو علينا، أعمال الإنسان لها نتائج، هذا من أهمِّ ما قرره الله ﷻ وما بنى عليه مسيرة حياة البشرية.

الله ﷻ مكَّن الإنسان، زوَّده في هذه الحياة بالوسائل التي تساعده على العمل، والإنسان عندما يفعل الخير، يترتب على ذلك النتائج الإيجابية له في حياته، وما يكتبه الله له في الدنيا والآخرة، وعندما يعمل الشر، عندما

ينحرف عن منهج الله، عندما يعصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يترتب على ذلك النتائج السيئة عليه في هذه الحياة وفي الآخرة، القانون الإلهي عن النفس البشرية: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[1].

ما الذي ينبغي التركيز عليه في ليالي القدر؟

فمن أهم ما ينبغي أن نركِّز عليه على المستوى الشخصي كإنسان: أنت، وأنا... كلٌ منا، **على المستوى الجماعي كأمة:** أن نجدد العزم والنية، وأن نعقد العزم والتوجه الصادق إلى العمل بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع الاستعانة به للتوفيق لذلك، إلى أن ننهض بمسؤولياتنا في هذه الحياة التي حمَّلنا الله إياها على ضوء توجيهاته وتعليماته، إلى أن نسعى للجد في ذلك، وأن نلتمس من الله ونطلب منه المعونة على ذلك، والتوفيق لذلك؛ **حتى** يعلم الله منا نيتنا الصادقة، وتوجهنا الجاد لطاعته والعمل بما يرضيه، هذا من أهم الأمور التي **يجب** أن يركِّز عليها الإنسان في مثل هذه الليالي المباركة وهو يلتمس ليلة القدر، فإذا علم الله منك في نيتك، وفي مقصدك، وفي توجهك، وفي عزمك، هذا التوجه الجاد في هذا الطريق الذي هو رضا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا مما يرجى به من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الخير والبركة، وأن يكتب للإنسان في واقعه الشخصي، وللأمة التي تتجه هذا التوجه، أن يكتب لها الخير الكبير في شتى شؤون حياتها، وعنده كل الخير، وهو يريد لنا الخير، هو -جل شأنه- أرحم الراحمين؛ **إنما** مشكلتنا دائماً هي ذنوبنا، هي معاصينا، هي مخالفاتنا لتوجيهات الله وتعليماته، مشكلتنا في تقصيرنا الكبير في مسؤولياتنا وواجباتنا في هذه الحياة، هذا ما يسبب لنا الكثير من الشقاء، والعناء، والمتاعب في هذه الحياة، وما يترتب عليه الكثير من النتائج السيئة في هذه الحياة.

٢١

١- البقرة: من الآية ٢٨٦

من أهم الأمور أيضاً التي ينبغي أن يحرص الإنسان عليها، وأن يحرص عليها المؤمنون في توجههم العملي: أن يكونوا أيضاً على المستوى العملي في ظل اهتمام فعلي، وتحركٍ جاد، الله ﷻ عندما يطّلع على واقع عباده، ويعلم منهم ومن واقعهم ما هم فيه من العمل، والجهد، والسعي، والتضحية، والبذل، وإخلاص النية، فهذا أيضاً له أهميته الكبيرة في القربة إلى الله ﷻ، ويرجى من وراء ذلك ما يكتبه الله لعباده المؤمنين، وقد رأى منهم في نيتهم الصدق، وفي واقعهم العملي الجد، والالتزام، والعطاء، والتحرك الجاد والفعلي.

من أهم الأمور التي ينبغي التركيز عليها أيضاً: القربة إلى الله بالعمل الصالح، فالأجر في ليلة القدر مضاعفٌ جدًّا جدًّا جدًّا، أضعافاً كبيرة جدًّا.

الليلة المباركة في القرآن الكريم

الله -جل شأنه- قال في القرآن الكريم عن هذه الليلة المباركة: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيْمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1]، ﴿إِنَّا﴾: الله -جلَّ شأنه- عظيم الشأن، أنزل كتابه المبارك، كتاب الهداية للعباد، كتاب الفوز والفلاح والنجاة في هذه الليلة المباركة: ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ﴿فِي﴾ هذه يعني في الإشارة إلى النص القرآني، وإلَّا لا يدري الإنسان متى هي، في أيٍ من الليالي العشر على وجه الدقة والتأكيد، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾[2]، هذا للتعظيم، لتعظيم هذه الليلة، هذا التعبير القرآني: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾، يعبِّر عن الأهمية الكبيرة **جدًّا** لهذه الليلة، عن عظيم فضلها وبركتها، أنها ليلة عظيمة ومباركة.

ثم يزيد أكثر من ذلك فيقول: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[3]، فهذه الليلة المباركة، العظيمة الفضل، المشار إليها في الآية المباركة، وهي ليلة القدر، ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، منزلتها فضلها يفوق ألف شهر، وليس

١- القدر: الآية ١
٢- القدر: الآية ٢
٣- القدر: الآية ٣

يساوي؛ **إنما يفوق**، ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، **بمعنى:** أنَّ ذلك يفوق الثمانين عاماً، فما يعمله الإنسان من العمل الصالح إذا قُبِلَ منه في ليلة القدر، سيتضاعف بأضعاف كثيرة **جدًّا** تفوق عمراً كاملاً؛ **لأن** ثمانين عاماً هو عمرٌ كامل، فالأعمال الصالحة من جهاد، من إنفاق... من أنواع البر، من الصدقات، من الإحسان، من الصلاة... كل أعمال البر المتنوعة، تضاعف في هذه الليلة أضعافاً كبيرةً **جدًّا**، وكأنَّ الإنسان قدَّم ذلك على مستوى أكثر من ثمانين عاماً، فضل عظيم يفوق الخيال، يفوق التصور، وفرصة عظيمة **جدًّا**، ومن الخسارة الرهيبة أن تفوت الإنسان هذه الفرصة، وأن يفوّتها، أن يضيع مثل هذه الليالي العشر، التي فيها هذه الليلة المباركة بالاحتمال الأكبر. خسارة كبيرة **جدًّا**.

ثم يقول: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[١]، هي ليلةٌ تنزل فيها وتتنزل الملائكة فيها من السماء إلى الأرض، وفق التدبير الإلهي؛ **لأمور** لها صلة بالتدبير الإلهي، والترتيبات والإجراءات التي يتم الترتيب لها في الأرض حسب تدبير الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[٢]، وهي ليلة سلامٍ من العقوبات الإلهية، يمنُّ الله فيها برحمته فلا ينزل فيها عذابٌ، ليلة مباركة، وليلةٌ عظيمة، وليلةٌ مهمة.

٢١ **يقول الله -جل شأنه- في سورة الدخان عن القرآن الكريم:** ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[٣]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، **يعني: القرآن**، ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾، يصفها بالبركة، وبركتها بركة عظيمة، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝٣ فِيهَا﴾[٤]، **يعني:** في تلك الليلة (ليلة القدر)، ﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٥]، يُفصل ويُميز وتُحدد في تدبير

١- القدر: الآية ٤

٢- القدر: الآية ٥

٣- الدخان: من الآية ٣

٤- الدخان: ٣-٤

٥- الدخان: من الآية ٤

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للعباد كل أمورهم المتعلقة بشؤون حياتهم، ووفقاً لحكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

فليلة القدر لها أهميتها، من حيث أنها ليلة لتقدير الأمور وتدبير شؤون العباد على مدى عامٍ قادمٍ، ولها أهميتها في عظيم فضلها بالنسبة للعمل، والتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتجديد العزم والنية على الالتزام بكتاب الله، التمسك بهدي الله، الطاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والاهتداء بكتابه، والتمسك بكتابه الذي نزل في ليلة القدر، **والذي سيتحدد مصير البشر ومصير الإنسان على ضوء علاقته بهذا الكتاب في مستوى:** الاهتداء به، والتمسك به، والالتزام به؛ **لأنه** صلتنا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو نزل في ليلة القدر، وله علاقة بالتدبير الإلهي، والتدبير الإلهي سيكون له علاقة بمدى تمسُّكنا بهذا الكتاب، واهتدائنا بهذا الكتاب الذي هو حبل الله، وصلة بيننا وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الدعاء الذي نركز عليه في ليلة القدر

ثم أهمية ذلك على مستوى الدعاء، يعني: من أهم ما ينبغي التركيز عليه- أيضاً- في التماس هذه الليلة المباركة هو الدعاء، الدعاء بطلب المغفرة، ومن أول ما يركِّز الإنسان عليه في دعائه هو: طلب المغفرة، وهكذا كان الأنبياء يفعلون -صلوات الله وسلامه عليهم- كيف أدعيتهم التي سطرها الله في القرآن الكريم يتصدرها الدعاء بطلب المغفرة: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾... وهكذا تركيز كبير على **طلب المغفرة؛ لأن** أحوج ما نحتاج إليه ابتداءً هو المغفرة، أن يغفر الله لنا ذنوبنا، أن يغفر الله لنا تقصيرنا، وطلب العفو، وطلب النجاة والعتق من النار، هذا من أهمِّ ما يركِّز الإنسان عليه في دعائه، والدعاء أيضاً بالنصر، بالفلاح، بخير الدنيا والآخرة، والدعاء بالآية المباركة الجامعة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا

١- الدخان: ٥-٦

عَذَابَ النَّارِ﴾[١]، **طلب العتق من النار هو من أهم** ما يحرص عليه الإنسان المؤمن، ومن ضمن أولوياته فيما يطلبه من الله، ويسأله من الله، ويرجوه من الله سُبحانَهُ وَتَعالَى: **لأنه أمرٌ مهمٌ جدًّا**، **طلب التوفيق**، الدعاء إلى الله فيما يتعلق بقضايا معينة يعاني منها الإنسان في حياته، أو مشاكل معينة، أو أمور معينة، أو قضايا ذات تأثير معين على الإنسان، وعلى الأمة كذلك، **الدعاء بالنصر** في مواجهة أعداء الله، أعداء الأمة، أعداء الحق والإنسانية... وهكذا أدعية تتناول خير الدنيا والآخرة، وقضايا تفصيلية أو خاصة ذات أهمية في حياة الإنسان، أو تأثير عليه في واقع حياته: **طلب العافية**، **طلب الرزق**، **طلب البركة**...إلخ.

فمن المهم الالتماس لهذه الليلة في العشر الأواخر، والتركيز- من ضمن ما نركِّز عليه فيها- على الدعاء، والعناية بالدعاء، والإكثار من ذكر الله سُبحانَهُ وَتَعالَى، ذكر الله مسألة متاحة للإنسان أينما كان، حتى في الجبهة في ميدان القتال، في ظل أي ظروف عملية هو فيها، يستطيع أن يكرر من ذكر الله، وأن يكثر من ذكر الله، وأن يدعو بالأدعية القرآنية التي لها ميزة أنها جامعة ومختصرة، وتتناول أيضاً المواضيع المهمة.

وللأسف الشديد يقصِّر الناس أكثر ما يقصِّرون في الأدعية: في الأدعية القرآنية، يركِّزون على كثيرٍ من الأدعية من هنا وهنا، ونحن لا نلوم ولا نذم على مسألة الاهتمام بالأدعية، سواءً من الصحيفة السجَّادية، أو من غيرها من الأدعية المأثورة، ولكن مع التركيز على الأدعية القرآنية التي هي جامعة، والتي قدَّمها لنا الله سُبحانَهُ وَتَعالَى، الدعاء بالنصر: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢]، من الأدعية المهمة والعظيمة:

٢١

١- البقرة: من الآية ٢٠١
٢- آل عمران: من الآية ١٤٧

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1]، الدعاء بالهداية وأن يقينا الله الزيغ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[2]... وهكذا الكثير من الأدعية المهمة، وحتى الأدعية بشكل طبيعي، **يعني:** لا يحتاج الإنسان إلى تكلف، حتى العامي من الناس يمكنه أن يدعو الله بلهجته العادية، بعباراته العادية، لا يحتاج إلى تكلف، يطلب من الله النجاة من عذاب الله، يطلب من الله التوفيق، يطلب من الله حسن الختام، يطلب من الله الرزق، البركة، الخير، العافية... إلخ. يدعو للمؤمنين والمؤمنات، يدعو لوالديه، لا ينسى الإنسان والديه من البر لهما: سواءً على مستوى الدعاء، أو على مستوى القرب الأخرى التي يمكن أن ينوي بها الإنسان عن والديه ليبرهما؛ **لأن** بر الوالدين يدخل فيه الدعاء لهما، تقديم القربة عنهما، كالصدقة... ونحوها، هذا مهم.

من المهم أيضاً ملاحظة صلة الأرحام، ونحو ذلك من القرب إلى الله سبحانه وتعالى، هذا هو الموضوع الأول.

الموضوع الثاني:

ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام

٢١

في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك التحق الإمام عليٌّ عليه السلام بالرفيق الأعلى شهيداً، والإمام عليٌّ عليه السلام هو أصيب في شهر رمضان في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، لكنه نال الشهادة والتحق بالرفيق الأعلى في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك، ويعتبر هذا بالنسبة للإمام عليٍ عليه السلام، يعتبر هذا فوزاً عظيماً له، لقي الله سبحانه وتعالى في ليلةٍ قد تكون هي ليلة القدر شهيداً، مع رصيدٍ عظيمٍ **جدًّا** من العمل الصالح، والجهاد في سبيل الله، والهداية للعباد

١- البقرة: من الآية ٢٥٠

٢- آل عمران: الآية ٨

إلى دين الله، والمرتبة العالية **جدًّا** على المستوى الإيماني التي كان قد بلغها.

استشهاد الإمام علي وأثره في واقع الأمة

والإمام عليٌّ عليه السلام **هو في علاقتنا به وفي موقعه في الإسلام** في المرتبة التي قدَّمه فيها الرسول صلوات الله عليه وعلى آله، وتحدث عنها رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، ولذلك تعتبر أكبر نكبة وفاجعة للأمة من بعد وفاة الرسول -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- هي استشهاد الإمام علي عليه السلام، تعتبر نكبةً كبيرة، وكيف لا تكون كذلك والرسول -صلوات الله عليه وعلى آله وسلم- قال للإمام عليٍ عليه السلام: **(أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)**، فالإمام عليٌّ عليه السلام هو في هذه المنزلة، في هذه المرتبة، في هذا الموقع، منزلته من رسول الله محمد صلوات الله عليه وعلى آله هي بمنزلة هارون من نبي الله موسى عليهما السلام. **في هذا الموقع المهم، في هذا المستوى العظيم**، في هذه المنزلة المهمة كان الإمام عليٌّ عليه السلام؛ **ولذلك** تعتبر نكبة كبيرة، وخسارة رهيبة على الأمة، وفي مرحلة من أخطر المراحل في تاريخ الأمة؛ **ولذلك** كان لاستشهاد الإمام علي عليه السلام تأثير كبير **جدًّا** في واقع الأمة، واستغل أعداء الأمة من المنافقين والطغاة والظالمين والجبابرة الفراغ الكبير الذي تركه رحيل الإمام علي عليه السلام، وتخاذل الأمة ما بعد ذلك عن الإمام الحسن عليه السلام، وعن الإمام الحسين عليه السلام، فكانت النتيجة كارثية في واقع الأمة، وانتشر الضلال، وعمَّ الظلم والجور والملك العضوض.

الإمام عليٌّ عليه السلام **من خلال الأحاديث** والنصوص التي وردت عن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، ورَوتها الأمة- كل الأمة- باختلاف مذاهبها ومشاربها، **يتضح لنا ما يمثله من أهمية في جانبين مهمين ورئيسيين:**

النموذج الأصيل والحقيقي والسليم عن الإسلام

الأول: أنه يقدم النموذج الأصيل والحقيقي والسليم عن الإسلام، وعن الشخصية المسلمة: وهو هنا يقدم النموذج الذي لا تشوبه شائبة، النموذج الأصيل، المتطابق حتماً مع المعايير والمواصفات القرآنية، فهو جسَّد قيم الإسلام ومبادئه، وحمل روحية هذا الدين وأثره في فكره، وفي وعيه، وفي ثقافته، وفي مبادئه، وفي أخلاقه، وفي سلوكه، وفي أعماله، وفي مواقفه؛ **فكان** بحقٍ قرآناً ناطقاً، وإيماناً متجسداً يمشي على الأرض، وهذا من أهم ما نحتاج إليه في واقعنا كأمةٍ مسلمة: إلى أن يتشخص لنا النموذج الحقيقي، النموذج الصحيح؛ **لأن** الأمة لها ارتباطات كثيرة بكثيرٍ من الرموز الدينية، بكثيرٍ من الشخصيات التي تقدَّم على أنها تمثِّل الإسلام، أنها حملته فكراً، وأنها تمثله سلوكاً وعملاً ومواقف، والكثير من هذه الشخصيات قد تكون شخصيات مزيفة، أو تشوبها الشوائب، فهي لا تمثل حقيقة الإسلام والإيمان متكاملةً ونقيةً دون شوائب؛ **إنما** تشوبها الكثير من الشوائب، وهذا يترك تأثيراً سيئاً على الناس في ارتباطهم بمثل هذا النوع من القدوات المزيفة، التي يتأثرون بها تأثراً أعمى؛ **فينعكس** ذلك سلباً فيما يأخذونه عنها من الشوائب المحسوبة على أنها من لُبِّ الإسلام ومن جوهر الإيمان، ثم تقدم على أنها من القيم الأساسية للإسلام؛ **فيعظم** الالتباس، ويحصل الخلل.

تحتاج الأمة إلى أن يتشخص لها النموذج، الذي هو نموذجٌ سليمٌ وصائبٌ وصحيحٌ ومتكاملٌ وراقٍ؛ **فتجعل** منه النموذج الذي تحذو حذوه، ويتشخص فيه، ويظهر فيه، ويتجلى فيه أثر هذا الإسلام، وعظمة هذا الإسلام في كل مجالات الحياة، وفي كل الأبعاد والمعاني والجوانب في الشخصية الإنسانية؛ **لأن** الإمام علياً عليه السلام كان شخصيةً متكاملةً فيما حمله من هذا الدين، فكان هذا التكامل وهذا الكمال الذي قدم فيه أرقى صورة عن الإسلام، وعن الإيمان، وعن الدين الإسلامي.

حلقة الوصل والامتداد الأصيل للرسول الأكرم

ثم الجانب الثاني: وهو أيضاً في غاية الأهمية، وهو أنه يمثل حلقة الوصل والامتداد الأصيل بالرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ: ما بعد رسول الله اختلفت الأمة، وأتى الكثير الكثير، **كلٌّ منهم يقول:** [قال الله، وقال الرسول]، ثم يقدِّم هذا شيئاً، وهذا شيئاً مختلفاً عنه، وهذا شيئاً مناقضاً له... وهكذا، ومعروف ما وصلت إليه الأمة من الاختلاف والفرقة في الدين وللأسف الشديد، فلا بد من معالم للحق، ما بعد وفاة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ، ما بعد أن تدخل الأمة مثل هذه الحالة من الفرقة والاختلاف، وأن يكثر فيها الزيف، وأن يأتي الكل ليقدم نفسه أنه الناطق الرسمي باسم الإسلام، والمعبر الحقيقي عن الإسلام، والممثل الصادق لهذا الدين، فكان أول هذه المعالم من معالم الحق: هو الإمام عليٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا ما ركَّز الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ ليوضحه للأمة، وليتحدث عنه في مواطن ومقاماتٍ كثيرة في حياته، فيما كان يتحدث فيه عن الإمام عليٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، **عندما كان يقول: (عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي)**، ماذا كان يقصد بذلك؟ أليس القرآن هو كتاب الهداية، أليست الأمة ستأتي فيما بعد وفيها الكثير من الرموز والشخصيات العلمائية، ليتحدثوا عن القرآن ومن القرآن وباسم القرآن، الله حفظ القرآن من التحريف لنصه، لكن الأمة ستختلف على تأويله، على مفاهيمه، على معانيه، على مصاديق آياته، هنا الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ **يحدد فيقول: (عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي)؛ ليؤكد** هذا التلازم وهذا الاقتران، فعندما تختلف الأمة على التأويل، عندما تختلف الأمة على المفاهيم، عندما تختلف الأمة على المعاني، عندما تختلف الأمة على المصاديق، في الوقت الذي تقول فيه عن القرآن، وتتحدث فيه بالآيات القرآنية، فالذي هو مع القرآن والقرآن معه، وهو يقدم المفهوم الصحيح للآيات القرآنية، والمصاديق الحقيقية للنصوص القرآنية، **والتأويل الصحيح المتطابق للنص القرآني:** هو عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَم للحق، معلم واضح وبارز للحق.

عندما قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه: (عليٌّ مع الحق، والحق مع علي)؛ كذلك ليؤكد هذا الاقتران وهذا التلازم، فعندما تختلف الأمة على الحق، وهي- في نفس الوقت- تنطق عن الحق، وتعبر عن الحق، فكلٌّ يأتي ليقول أنه هو الذي يقدم الحق، هو الذي يمتلك الحق، **هو الذي يعرف الحق:** على مستوى العقائد، على مستوى الشرع، على مستوى التفاصيل والمفاهيم، على مستوى المواقف، فأين هو الحق، بين كل الذي يأتون ليقدموا ما يقدمونه باسم أنه الحق؟ **الرسول يقول هنا: (عليٌّ مع الحق**- وأكثر من ذلك- **والحق مع علي)؛ تلازم** واقتران، فتلتمس وتتعرف على الحق من خلال ما قدمه عليٌّ، هو الجهة المؤتمنة في هذه الأمة، حلقت الوصل المؤتمنة.

عندما تقول الأمة عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه، وتتحدث عن الرسول، وتروي عن الرسول، ثم تروي المتناقضات، ثم تختلف فيما ترويه وفيما تنقله، وفيما تقدمه، **فيقول هذا:** [قال رسول الله]، **والآخر:** [عن رسول الله]، **والثالث:** [بلغنا عن رسول الله]، فهذا الحديث يختلف عن هذا، وهذا يتناقض مع هذا، وهذا يصطدم بهذا؛ **هنا** الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه **يقول: (أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها)**، عليٌّ هو الباب الذي نأتي منه، وهو حلقة الوصل الذي تربطنا بشكلٍ موثوقٍ ونقيٍ، بدون أي شائبة.

المعيار لتمييز المؤمن من المنافق

ثم هكذا في علاقتنا الإيمانية، الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه عندما قال للإمام عليٍ عَلَيْهِ السَّلَام: **(لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)؛ ليكون** الحب الصادق، الحب الذي يترتب عليه العمل والاقتداء والاتباع، ليكون هو المعيار والعلامة الفارقة بين المؤمن والمنافق في هذه الأمة، وهذه من أهم العلامات الفارقة في واقع الأمة، وهذا نصٌ متفقٌ عليه بين الأمة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه؛ **فالمنافق** لن يطيق علياً، لن يتقبل علياً عَلَيْهِ السَّلَام، لا بد وأن يكون له موقف سلبي، أن تبرز

منه حالة الاستياء حتى عند الحديث عن الإمام علي عليه السلام، لا يرتاح لذلك، على حسب التعبير المحلي [يضبح]، وهذه حالة بارزة في الكثير من أبناء الأمة ممن كان لهم الدور السلبي، **ولا يزال في تاريخ الأمة وإلى اليوم وفي عصرنا حالة بارزة فيهم:** الاستياء من الإمام عليٍ عليه السلام، البغض لمولانا أمير المؤمنين عليٍ عليه السلام، والمحاربة للإمام علي عليه السلام، للحديث عن فضائله، عن مناقبه؛ **السعي لفصل** الأمة عن التولي له، مع أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله قال أيضاً فيما روته الأمة، واتفقت عليه الأمة، **وصح عند الأمة: (يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا عليٌ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)**، لا يتحقق لك الولاء الصادق لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله، إلا بالولاء لأمير المؤمنين عليٍ عليه السلام، وفق هذا النص الواضح الصريح، الذي جعل فيه التلازم ما بين التولي لرسول الله والتولي للإمام عليٍ عليه السلام، وإلا فأنت في الموقع الذي لم تتقبل فيه ما أتى به رسول الله؛ **لأنه هو الذي يقول كل هذا: (عليٌ مع القرآن، والقرآن مع علي)، (عليٌ مع الحق، والحق مع علي)، (من كنت مولاه، فهذا عليٌ مولاه)**... هو الذي يقول كل هذا، كيف يمكن أن تكون متولياً لرسول الله وأنت ترفض جملةً مما أتى به، مما بلغه، وهو بلغه عن الله، لم يكن اجتهاداً شخصياً، ولم يكن رأياً شخصياً، الله قال عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]، ما قدمه؛ **يقدمه** عن الله، ليست مسألة اجتهادات شخصية، أو آراء شخصية، أو إعجاباً شخصياً بالإمام عليٍ عليه السلام. [الا] المسألة هي في غاية الأهمية. ٢١

فالإمام عليٌ عليه السلام يمثِّل هذه الأهمية بالنسبة لنا كأمةٍ مسلمة، هذا ما يجب أن نرسخه وأن نركز عليه؛ **لترسيخ** الولاء والمحبة للإمام عليٍ عليه السلام في أنفسنا، في واقعنا، في علاقتنا الإيمانية، وأيضاً في أبنائنا وفي مجتمعاتنا، في جيلنا، ومن خلال- أيضاً- العناية بتعليم جيلنا ومجتمعنا ما قاله الرسول -صلوات

١- النجم: ٣-٤

الله عليه وعلى آله وسلم- عن الإمام عليٍ عليه السلام، وتعريفهم بسيرة الإمام عليٍ عليه السلام، دون الاكتراث للإرهاب الثقافي الذي يأتي من مبغضي الإمام علي عليه السلام، والذين يكفيهم سوءاً أن بغضهم له، عداوتهم له، استياءهم منه، عدم ارتياحهم للإمام علي عليه السلام شاهد على نفاقهم، وعلى خذلانهم، وعلى انحرافهم.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره.

وإن شاء الله نعود إلى دروسنا في المحاضرات القادمة، لاستكمال ما ورد في الآيات المباركة عن غزوة بدرٍ الكبرى، والدروس المهمة للأمة، التي تبني الأمة؛ لتكون أمةً قويةً مجاهدةً، في مستوى مواجهة التحديات والأخطار، في المحاضرات القادمة.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

يوم الفرقان (٤)

الاعتماد على الله والتنكر للذات

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحمَّداً عبدُهُ ورَسُولُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحمّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث على ضوء الآيات القرآنية المباركة في سورة الأنفال، التي عرضت لنا غزوة بدرٍ الكبرى، وضمَّنتها الكثير من الدروس والعبر المهمة جدًّا، والتي تستفيد منها الأمة في مواجهة كل التحديات والأخطار والأعداء.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

تاريخياً: في معركة بدر بعدما التحم الجمعان، واشتبك الفريقان، مكَّن الله سبحانه وتعالى المؤمنين من إلحاق الخسائر الكبيرة في صفوف العدو، وقُتِل الكثير من مقاتلي العدو، بينهم قيادات بارزة، وبينهم أيضاً فرسان ومقاتلون أشداء، فكانوا قرابة السبعين قتيلاً، وكانت هذه نكاية كبيرة وموجعة للعدو، وساهمت في هزيمته الهزيمة الساحقة، وكان لها تأثيرها الكبير في ضرب الروح المعنوية للعدو فيما بعد ذلك.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، يذكرون في كتب السيرة والتاريخ أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله عندما اشتد القتال وحمي الوطيس- كما يقال في التعبير عن اشتداد المعركة- أخذ في كفه الحصباء ورماهم بها، **وقال:** شاهت الوجوه، ودعا عليهم، مع تلك الرمية بدأت هزيمة الأعداء، وكأنه رمى عليهم بالكثير من الصواعق، أو القنابل، أو القذائف الفتَّاكة المدمِّرة، **بمعنى:** كان تأثيرها كبيراً عليهم على المستوى النفسي والمعنوي، فمع تلك الرمية بدأت هزيمتهم، وحصل انهيارهم فوراً، فكانت هذه الرمية العجيبة عند اشتداد المعركة من جانب النبي صلوات الله عليه وعلى آله رميةً مسددة من الله، أعطاها الله سبحانه وتعالى فاعليةً كبيرةً في التأثير على العدو، ولهذا قال هنا: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، فكانت رميةً إلهيةً مسددةً من الله سبحانه وتعالى، وبفاعلية عالية من الله- جل شأنه.

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾، أمدَّ المؤمنين المجاهدين في تلك المعركة بمعونته، ورعاهم بجميل رعايته، بما أمدهم به، وبما أيدهم به، وبما أعانهم به، وبما وفقهم له في تلك المعركة، ﴿إِنَّ اللَّهَ

١- الأنفال: الآية ١٧

﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، فهـو سـمع نـداء المؤمنـين، واسـتغاثتهم، والتجاءهـم إليـه، ودعاءهـم، وهـو العليـم بحالهـم، بظروفهـم، بمعاناتهـم، بصـدق نياتهـم.

ثمرة الاعتماد والتوكل على الله تعالى

الدروس والعبر من هذه الآية المباركة: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾:

أول درس هـو: ثمـرة الاعتـماد عـلى اللـه ﷻ، والتـوكل عـلى اللـه -جـلَّ شـأنه- فاللـه -جـل شـأنه- يمـنح مـن رعايتـه، ومعونتـه، وتأييـده، مـا يمكِّـن عبـاده المؤمنـين في موقفهـم الحـق مـن إلحـاق الخسـائر الكبـيرة بالعـدو، بالرغـم مـن محدوديـة الإمكانـات عـلى المسـتوى المـادي والعسـكري في يـد المؤمنـين، ومـا يمتلكـه المؤمنـون، ولكـن اللـه يمكنهـم فيعطيهـم فاعليـة عاليـة في المواجهـة، ويمكنهـم أيضـاً مـن إلحـاق خسـائر حساسـة وكبـيرة، تصـل أحيانـاً إلى قتـل قـادة في صفـوف العـدو، والقتـل في صفـوف العـدو في المعركـة العسـكرية مـن أكـبر مـا يؤثِّـر عليـه، ويسـبب لـه الهزيمـة، ويـترك تأثـيراً كبـيراً عليـه فيـما بعـد ذلـك، ودائـماً مـا تحسـب في مقدِّمـة الخسـائر العسـكرية: القتـلى؛ **باعتبارهـم**- في حسـاب الخسـائر- مـن أخطـر الخسـائر، ومـن أكـبر الخسـائر العسـكرية التـي تـترك تأثـيراً كبـيراً في ميـدان القتـال، **واللـه** ﷻ **يتدخـل في هـذا الجانـب المؤثـر أيضـاً:** التمكـين مـن قتـل الأعـداء، مـن قتـل قادتهـم، مـن قتـل فرسـانهم وشـجعانهم، فيمثـل هـذا نكايـةً بهـم، وتطهـيراً لـلأرض منهـم ومـن شرهـم؛ **لأن** العنـصر البـشري هـو الأسـاس في المعركـة وفي الـصراع، العنـصر البـشري هـو الفاعـل، هـو المؤثـر، هـو الـذي يتحـرك، فعندمـا يُـضْرَب العنـصر البـشري للعـدو، هـذا يؤثـر عليـه، وهـذا يفيـد أيضـاً في مهمـة تطهـير الأرض مـن المجرمـين والأشرار، الذيـن يشـكِّلون خطـراً عـلى البشريـة في أمنهـا، واسـتقرارها، وصلاحهـا، وصـلاح حياتهـا...إلـخ.

ابتعد عن الغرور واستشعر فضل الله عليك

الدرس الآخر هو درسٌ تربويٌ مهم، وهو: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يذكِّرنا بأنه -جل شأنه- الذي يمكِّن، لولا تمكينه، لولا تأييده، لولا معونته، لولا إمداده المعنوي، لولا تسهيلاته الكثيرة التي يحققها لعباده المؤمنين؛ **لما** تمكَّنوا من النكاية بالعدو بحساب إمكاناتهم المادية وقدراتهم البشرية، ولكن تأييد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومعونته كانت هي الحاسمة، والتي حققت هذه النتيجة، وبدونها لم يكن ذلك ليحدث، ولم تكن تلك النتيجة لتكون.

فعلى المستوى التربوي يبقى الإنسان المؤمن معترفاً بالفضل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويبقى مستشعراً فضل الله عليه، ونعمته عليه؛ **حتى** لا يصاب بالغرور، عندما تكون في ميدان المعركة، عندما يحقق الله على يديك البعض من النتائج، أو التنكيل بالعدو، أو القتل لقادة من قادة العدو، أو إلحاق نكاية شديدة بالعدو، لا تعش حالة الغرور والعجب بالنفس، وتتجه إلى نفسك فتحسب هذا إنجازك، وقدرتك، وخبرتك، وجدارتك... وهكذا تتجه إلى نفسك، بدلاً من التوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا أمرٌ خطيرٌ **جدًّا**، هو يبعدك عن التوجه بالشكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأنت بدلاً من الشكر لله، والاعتراف بنعمته، والإقرار بفضله، والتأثر بالانشداد نحو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالتعظيم له، والمحبة له، تخسر كل هذا، وتتجه نحو نفسك لتعيش حالةً سلبية من تضخُّم الذات، من التعظيم للنفس، من الاستشعار لعظمة النفس... وهكذا تجعل من نفسك صنماً تتجه إليه، تعظِّمه، تمجِّده، تكبر أنت في نفسك على نحوٍ سلبي، تكبر فيك حالة الغرور، حالة العجب؛ تفترض لنفسك مقاماً عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **أولاً**، فترى أنَّ لك حقاً على الله، هذه حالة خطيرة ورهيبة **جدًّا**، أن ترى لنفسك حقاً عليه أن يمنحك، وأن يعطيك، وأن يمكِّنك، وأن يجعل لك موقعاً مهماً في هذه الحياة، وفي وسط الناس، وتفترض لنفسك في واقع الناس كذلك أن يكون لك مكانة مهمة، وموقع كبير، **مثلاً:** على المستوى

القيـادي، عـلى مسـتوى الإمكانـات، عـلى مسـتوى المزيـد مـن الاحـترام والتقديـر والتبجيـل والتعظيـم، فتتحـول الحالـة لديـك إلى حالـة سـلبية خطـيرة **جـدًّا، أنـت تجـاه اللـه تفـترض منـه أن يعطيـك أشـياء تحددهـا أنـت عليـه:** أن يجعلـك طالوت عـصرك، أو داوود زمانـك، أو يجعـل لـك شـيئاً معينـاً، أو يمنحـك شـيئاً معينـاً، تصبح ناقـداً عـلى اللـه ﷻ، **يعنـي:** تعيـش حالـة الاستشـعار بـأنَّ لـك حقـاً عليـه ﷻ.

وكذلـك ناقـماً عـلى النـاس، أنـت تفـترض منهـم أشـياء كثـيرة بحقـك: أن يـروك كبـيراً، أن يـروك مهـماً، أن يـروك عظيـماً، أن يقدِّمـوا لـك إمكانـات معينـة، أن يعطـوك ماديـات معينـة، أن يعطـوك مناصـب ومواقـع معينـة؛ **فتفسـد** نفسـيتك، وتتحـول إلى صاحـب أطـماع وأهـواء، وتتحـول رغباتـك في هـذه الحيـاة وتوجهاتـك محكومـةً بهـذا الهـوى وبهـذا الهـوس.

الغرق في الذات من أعظم الآفات!

وقـد يصـل الحـد بالبعـض إلى أن يصـاب بجنـون العظمـة، وبالتمحـور والغرق في الـذات؛ **فـلا** يبقى مفكِّراً إلَّا في نفسـه، وفي أهمية نفسـه، وفي عظمة نفسـه... وهكذا. وغارقـاً في نفسـه، ويبقـى حسَّـاساً **جـدًّا** تجـاه الآخريـن بهذا الحسـاب، بهـذه النظرة، **مـن هـذه التقديـرات:** [كيـف هـم؟ هـل هـم يحترمونني **جـدًّا** أم لا؟ هـل يقـرون بمكانتي ودوري أم لا؟ هـل هـم كـذا أم لا؟]، فيحكـم علاقتـه بالآخريـن مـن خـلال هـذا الاعتبـار الشـخصي، ويغـرق في شـخصنة الأمـور مـن حولـه، المواضيع مـن حوله، الأعـمال مـن حولـه يطبعهـا بالطابـع الشـخصي، هو يريـد من كل عمل أن يكسـب به المزيـد مـن الأهميـة، المزيـد مـن تعزيز الموقـع والشـخصية؛ **فيفقد** إخلاصـه لله ﷻ.

ولاحظـوا، كـم تكـثر الآفـات عندمـا يصـاب الإنسـان بمثـل هـذه الحالـة: يفقـد الإخـلاص للـه ﷻ، يفقـد الاستشـعار للقربـة إلى اللـه ﷻ بمـا يعمـل، يعيـش حالـة الغـرور، يعيـش حالـة العجـب، يعيـش حالـة الكـبر، يتحـول مـن المختالـين، واللـه

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[1]، يصبح كثير الافتخار والاعتداد بالنفس، فيكثر من قول: [أنا وأنا وأنا... وأنا الذي فعلت، وأنا الذي صنعت، وأنا الذي حققت، وأنا الذي أنجزت]... وهكذا، وهذه حالة رهيبة **جدًّا**.

يعالجها القرآن الكريم بهذه التربية الإيمانية، التي يعيش الإنسان فيها حالة الذوبان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وحالة الاستشعار لفضل الله، وهي الحالة الصحيحة، ليست مسألة مجاملة مع الله، هي الحالة الصحيحة والواقعية، أنَّك بدون الله لا شيء لا شيء، أنَّك بدون الله أنت الضعيف، أنت العاجز، أنت الذي لا تمتلك لا في روحك المعنوية، ولا في واقعك العملي ما كان من الممكن أن تحقق ما حققه الله على يديك، لولا رعاية الله لك، لولا أنه هو الذي هيَّأ لك على مستوى الواقع العملي، وأمدك في واقعك النفسي والمعنوي، وهكذا هيَّأ الأشياء الكثيرة.

لاحظوا، مثلاً في قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي ربط على القلوب، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي منح الطمأنينة والسكينة، وهذا العامل المعنوي هو الرئيسي في أن يتم الثبات أولاً، **ثم أن يكون الموقف أكثر من الثبات موقفاً متقدِّماً:** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يسدد في الضربات والرمي، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يقذف الرعب في قلوب الأعداء، ويوهن من كيدهم... وهكذا، لولا الله، لولا رعايته، لولا مدده وتأييده ومعونته لما تم شيءٌ من ذلك أصلاً، **فالحالة الإيجابية:** أن يتجه الإنسان إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يستشعر القربة إليه فيما وفَّقه له، وأن يتخلَّص كلياً من كل هذه المشاعر السلبية.

٢٢

هناك أيضاً درس على المستوى الأمني: لا يستحسن أن يتباهى الإنسان بقتل أشخاص مثلاً في صف العدو، فيصبح يتباهى أنه الذي قتل فلاناً، أو أنه الذي تمكَّن من قتل فلان. على المستوى الأمني يمكن أن يركِّزوا

١- النساء: من الآية ٣٦

عليـه شـخصياً، وتتحـول القضيـة إلى قضيـة شـبه شـخصية وثـأر شـخصي.

هنـاك درس أيضاً عـلى المسـتوى الاجتماعـي: وهـو أنَّ البعـض قـد يكـون مـن أسرة معينـة، أو مـن منطقـة معينـة، أو مـن قبيلـة معينـة، والتباهـي بقتلـه قـد يـورث الضغائـن في نفـس أسرتـه، في نفـس أصحابـه، في قبيلتـه، وتكـون المسألة حسَّاسـة، تـترك تأثـيراً سـلبياً عـلى المسـتوى الاجتماعـي، البعـض قـد يكـون مـن نفـس مجتمعـك الـذي أنـت تعيـش فيـه، فيكـون لهـذا آثـار سـلبية حتـى عـلى مسـتوى المسـتقبل، عـلى مسـتوى المسـتقبل قـد يؤثِّـر عـلى البعـض في موقفهـم، في هدايتهـم، في صلاحهـم، فلهـذا دروس متعـددة، هـذا بعـضٌ منهـا.

كيف يكون التأييد والتسديد. ومتى؟

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، وكذلـك يفيدنـا كيـف أنَّ الاعتمـاد عـلى اللـه، والتـوكل عـلى اللـه ﷻ، والتحـرك الجـاد في موقـف الحـق يسـاعد عـلى التسـديد مـن اللـه ﷻ، وإعطـاء فاعليـة كبـيرة **جـدًّا** للأشـياء الممكنـة والمتاحـة، حتـى لـو كانـت بنظـر النـاس بسـيطة، فتلـك الحصبـاء التـي رمـى بهـا النبـي ﷺ تحوَّلـت إلى ذات تأثـير كبـير في نفـوس الأعـداء وعليهـم، عندمـا يتحـرك النـاس في سـبيل اللـه ﷻ في موقـف الحـق، بإمكاناتهـم ومـا يسـتطيعونه، وبتـوكلٍ عـلى اللـه ﷻ، فاللـه سـيعطيها الفاعليـة العاليـة في مواجهـة العـدو.

هنـاك أيضاً درسٌ مهـمٌ مـن قولـه -جـل شـأنه-: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾، المؤمنـون- والإيمـان هـو صلـة عظيمـة باللـه ﷻ- عندمـا يتحركـون في سـبيل اللـه، عندمـا ينهضـون في الموقـف الحـق ويتحملـون مسـؤولياتهم، فاللـه ﷻ هـو يوليهـم مـن رعايتـه، مـن معونتـه، مـن تأييـده، **وهـم في مثـل هـذا الظـرف الصعـب:** وهـم يخوضـون المعركـة، وهـم يواجهـون التحديـات، يوليهـم مـن رعايته، ومـن فضلـه، ومـن إحسـانه الـشيء العظيـم والكبـير والواسـع، ويؤيِّدهـم -جـل

شأنه- هو يتدخل في الظروف الحسّاسة والصعبة، ويواكبهم لحظةً بلحظة، فيمنحهم معونته وتأييده ورعايته العجيبة **جدًّا**، ولكن المهم **جدًّا** بالنسبة لنا أن نفهم أنَّ هذه الصلة التي تحظى الأمة من خلالها بمثل هذه الرعاية الإلهية، بمثل هذه المعونة من الله سبحانه وتعالى، بمثل هذا التمكين والتأييد الكبير من الله سبحانه وتعالى، **هي الإيمان**، ولهذا يأتي العنوان هنا: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فالإيمان هو الصلة الهامة والأساسية بالله سبحانه وتعالى، التي يحظى الناس من خلالها بمعونة عجيبة من الله، برعاية عجيبة من الله، بتأييد كبير من الله سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، يسمع للمؤمنين دعاءهم، نداءهم، استغاثتهم، التجاءهم، ويعلم بصدق نياتهم، وإخلاصهم، وجدهم، وجهودهم، وتضحياتهم، وعنائهم، وصبرهم، وأعمالهم، وعطاءاتهم، يعلم بكل ذلك، فيكافؤهم في الدنيا، ويكافؤهم في الآخرة، ويجزيهم خير الجزاء، ويعينهم، وما يعطي من نعمة، من تأييد، هو- في نفس الوقت- اختبار إيجابي، إذا تعامل الإنسان معه بالشكر، يزداد الفضل من الله، وتزداد الرعاية من الله سبحانه وتعالى.

لكي يوهن الله كيد الكافرين

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾[1]، ﴿ذَلِكُمْ﴾ ما ذكره من تأييده سبحانه وتعالى، من تمكينه من قتلهم في بدر، وما تحقق من النصر عليهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾، الكافرون يعني هم أعداء الله، أعداء البشرية، أعداء الإنسانية، هم المشاقُّون لله، هم الذين يتحركون في سبيل الطاغوت، هم الذين يستهدفون المؤمنين؛ **ليمنعوهم** من أن يتحركوا أمةً مستقلةً على أساس منهج الله وهديه، فهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، ويعتمدون على الكيد، على مستوى الخطط، وعلى مستوى الوسائل التي يرون فيها وسائل تساعدهم على ضرب المؤمنين، وعلى السيطرة على المؤمنين، وعلى سحق

٢٢

١- الأنفال: الآية ١٨

المؤمنين، فالله سبحانه وتعالى في تدخله هو يوهن كيدهم، ﴿مُوهِنُ﴾، وجاء هذا التعبير (مُوهِنُ) -اسم الفاعل كما يقولون- ليبين أنها سنة من سنن الله سبحانه وتعالى، وأنَّ الله -جل شأنه- مستمرٌ في ذلك وفي هذا النوع من التأييد لعباده المؤمنين في كل زمان، وفي كل معركةٍ وتحدٍ، طالما التزموا بأسباب نصره وتأييده، فهو سبحانه وتعالى يوهن ﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾: ما يعتمدون عليه من خطط، ومؤامرات، ووسائل، وإمكانات تمكِّنهم من السيطرة، تمكِّنهم من حسم المعركة، الله يوهنها؛ **فيفقدها** فاعليتها، ويفقدها تأثيرها، ويحد من مستوى فاعليتها، **وهذا من أهم مظاهر التأييد الإلهي والمعونة الإلهية:** أنَّ الله يَحد ويُضعِف ويقلل من صلابتها وتأثيرها وفاعليتها، فتكون النتيجة كبيرة عليهم، تكون نتيجة الوهن التي تهيؤهم للهزيمة، وتفشل عليهم- في نهاية المطاف- الكثير من خططهم، فتكون نجاحاتهم محدودة، وغير مؤثرة بالشكل الذي يحسم المعركة لصالحهم، وهذا يشمل كل المجالات: على المستوى العسكري، على المستوى الأمني، على المستوى الاقتصادي، إذا تحرَّكت الأمةُ معتمدةً على الله سبحانه وتعالى، وعززت الصلة الإيمانية بالله -جلَّ شأنه- واستجابت عملياً، وتحركت كما ينبغي، فالله سبحانه وتعالى يجعل **جزءاً** من معونته وتأييده لصالح المؤمنين يتجه إليهم كمدد معنوي، وتهيئة، وتسخير... وعوامل كثيرة، **وجزءاً** من التأييد يتجه إلى ضرب العدو في نفسه، مثل: قذف الرعب، أو أن يوهن كيدهم.

إنذار للمشركين. وطمأنة للمؤمنين

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾، هم خرجوا على أساس أن تحسم المشكلة بينهم وبين المسلمين، وأن يحسموا المعركة لصالحهم، وطلبوا من الله

١- الأنفال: الآية ١٩

الفتح، وتظاهروا بأنهم هم في موقف الحق، بالنسبة لقريش والجيش الذي خرج لمحاربة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وطلبوا من الله أن يهلك المبطل من الطرفين؛ **فأهلكهم الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وضربهم، وكانت المعركة بتلك الظروف، بتلك الإمكانات، في تلك الوضعية بحد ذاتها، شاهداً على مصداقية النبي والمؤمنين على أنهم أهل الحق، كانت شاهداً للحق، كانت دلالةً على تأييد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، **وهذه نصيحةٌ لهم؛ ليكفوا** عن محاربتهم، عن عدوانهم، عن إصرارهم على بغيهم، ومن المهم النصح للعدو، والتذكير له بأن الخير له في أن يكف عن عدوانه، يكف عن استهدافه، يكف عن محاربته للحق، فهذا هو خيرٌ له وأسلم له؛ **لأنه** بإصراره واستمراره لن يحقق النتائج التي يسعى لتحقيقها، ولن يَحصد إلا المزيد والمزيد من الخسائر.

﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾ - عادةً- يسعى العدو بعد هزيمة معينة، أو في معركة معينة، إلى أن يرتب من جديد ويهيئ من جديد ويستعد من جديد لخوض المعركة مرةً أخرى، في سياق إصراره وتعنته، أحياناً على مستوى المعركة في ظل حرب مستمرة، وأحياناً على مستوى حرب أخرى، في كلتا الحالتين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقدم تهديداً ووعيداً للعدو، ويقدم وعداً وطمأنةً لعباده المؤمنين الذين هم في موقف الحق، فإذا عاد العدو من جديد، إلى معركة جديدة، أو إلى حربٍ جديدة، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعود بنصره، بتأييده، بمعونته لعباده المؤمنين، وهذه طمأنة مهمة للمؤمنين.

٢٢

أحياناً بعد أن تحسم معركة، أو تنتهي معركة معينة حصل فيها التأييد والمعونة الإلهية، يعيش المؤمنون والمجاهدون حالة القلق من المعركة القادمة، عليهم أن يطمئنوا، أنهم عندما يستمرون في موقفهم الحق، ويعززون صلتهم الإيمانية بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويستمرون في الأخذ بأسباب النصر المعنوية والعملية، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لن يتخلى عنهم، لن يتركهم في المعركة القادمة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو

القـوي العزيـز، ومعونتـه ونـصره لعبـاده المؤمنـين المظلومـين في موقفهـم الحـق ليسـت فقـط لمـرة واحـدة، هـو -جـلَّ شـأنه- لـن يتعـب، **لـن يقـول:** [مشـكلتكم كبـيرة، ومعارككـم كثـيرة، وكـم عـليَّ أن أعينكـم، وأسـاهم معكـم، وأتدخـل إلى جانبكـم، كل يـوم وهـي معركـة، أو كل شـهر وهـي معركـة]. هـو -جـلَّ شـأنه- القـوي العزيـز، لا يمكـن أن يتعـب، ولا أن يمـل، ولا أن يتغـير عليـه حـال -جـلَّ شـأنه- هـو العـلي العظيـم، والقـوي العزيـز، والقاهـر المهيمـن فـوق العبـاد.

ولذلـك، لإصرار الأعـداء وتعنتهـم عـلى الاسـتمرار في موقفهـم الباطـل، الظـالم، المعتـدي، الباغـي، ضـد الحـق وأهلـه، ضـد المؤمنـين، هنـا اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سـيمد عبـاده أكـثر بالنـصر والتأييـد، كل مـا تعنـت العـدو أكـثر، وكل مـا طغـى أكـثر، وكل مـا تجـبر واسـتكبر أكـثر؛ **كلـما** سـبب لنفسـه سـخطاً أكـبر مـن اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكل مـا كان التأييـد الإلهـي أكـبر، حتـى كل مـا كـبرت التحديـات والأخطـار؛ **كلـما** كـبر معهـا التأييـد مـن اللـه والمعونـة مـن اللـه.

المهـم دائمـاً هـو: تعزيـز الصلـة الإيمانيـة باللـه، هـذه أهـم مسـألة، والالتجـاء الدائـم إلى اللـه، والاسـتجابة العمليـة، والأخـذ بأسـباب النـصر، هـذه هـي الأمـور المهمـة **جـدًّا**؛ ولذلـك عـلى المؤمنـين ألَّا يشـعروا بالوهـن، ألَّا يَكترِثُـوا وتكـبر عليهـم مسـألة أن العـدو يعـد لمعركـة جديـدة، أو يريـد شـن هجـوم مجـدداً هنـا أو هنـا، أو يتحـرك عسـكرياً مـن جديـد مـن هنـا أو هنـا، المهـم هـو أن يركـزوا عـلى تلـك العوامـل الأساسـية للنـصر، ولمعونـة اللـه، ولتأييـده. ٢٢

هذه هي القضية المحورية والرئيسية!

القضيـة المحوريـة والرئيسـية جـدًّا: كيـف نكـون بحيـث يكـون اللـه معنـا، إذا كنـا عـلى النحـو الـذي يكـون اللـه فيـه معنـا فـلا قلـق في مواجهـة أي تحديـات مهمـا كانـت، أي أعـداء مهمـا كانـوا ومهمـا كانـت إمكاناتهـم، أي مؤامـرات مـن جانـب الأعـداء مهمـا كان حجمهـا، في كل المجـالات، **لكـن**

الـذي يجـب أن نركـز عليـه جـدًّا، وأن ننتبـه لـه جيـداً، وأن يكـون محط اهتمامنا الكبير: كيـف تكـون صلتنـا الإيمانيـة باللـه ﷻ قويـة؛ **حتـى** يكـون اللـه معنـا. **أهـم عامل وعنصـر قـوة:** أن نكسـب معيـة اللـه، أن يكـون معنـا.

فهـو يقـول: ﴿وَإِنْ تَعُودُوا﴾ **أنتـم الأعـداء** ﴿نَعُدْ﴾، مـن؟ اللـه ﷻ، الله القوي العزيـز، اللـه العلـي الكبـير، اللـه القهـار الجبـار، وعندمـا يعـود فهـو الـذي سيحسـم المعركـة لصالـح عبـاده المؤمنـين، ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾؛ **لأن** العـدو قـد يعمـد إلى التحشـيد مـن جديـد، وإلى أن يزيـد مـن عديـد قواتـه وزخمها البـشري، أن يحشـد المزيـد والمزيـد مـن قـواه العسـكرية، ليشـغّلها ويحركها إلى المعركـة، لـو كـثرت فئتكـم ليسـت شـيئاً؛ **لأنـه** عندمـا يـأتي اللـه ﷻ، يتدخـل الله ﷻ، يعـود اللـه ﷻ بتأييـده، ونـصره، فأنتـم لا شيء أمـام قوتـه وجبروتـه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ومـا أعظـم هـذه الآيـة المباركـة: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾، اللـه ﷻ بقوتـه، بتأييـده، بمعونتـه، بنـصره، هـو القائـل: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[١]، **(فَلَا غَالِـبَ لَكُـمْ)**: لا أحـد أبـداً يسـتطيع أن يغلبكـم، فهـو مـع المؤمنين، **والمسـألة المهمة هـي هـذه:** تعزيـز الصلـة الإيمانيـة عـلى كل المسـتويات: عـلى مسـتوى الطاعـة، الالتـزام العمـلي، التقـوى، التحـرك وِفـق توجيهـات اللـه ﷻ، تعزيـز الصلـة الإيمانية، والالتـزام الإيمـاني، والعلاقـة الإيمانيـة باللـه ﷻ، هو أهـم شيء؛ **لكي** يكـون الله معنا.

المعيار المهم لصدق الانتماء الإيماني!

٢٢

ثـم يـأتي في الآيـة المباركـة بعـد ذلـك قولـه ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٢].

١- آل عمران: من الآية ١٦٠

٢- الأنفال: ٢٠-٢٣

الثلاث الآيات المباركات هي ركزت على موضوع مهم جدًّا، وجدنا مثلاً فيما سبق كثيراً من التوجيهات المهمة والأوامر المهمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أول السورة، في أول آيةٍ منها ثلاثة أوامر: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]، ثم تأتي البعض من الأوامر المهمة، والنواهي والتحذيرات المهمة، التوجيهات من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي توجيهات من منطلق رحمته وحكمته، وهو ربنا العظيم، ومن منطلق علمه بما هو الخير لنا، وكلها مهمة، ولها نتائج مهمة في واقع الحياة، ويترتب على الالتزام بها النتائج الإيجابية، من مثل هذه: المعونة من الله والتأييد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وأكبر خلل، وأخطر خلل هو الخلل في مدى الالتزام بالطاعة العملية تجاه التوجيهات الإلهية، التوجيهات تأتي، والأوامر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نسمعها، ولكن المهم هو الالتزام، هو العمل، هو الطاعة، هو التنفيذ، والخلل يكون هنا عادةً، الخلل هو في الالتزام العملي، وفي الطاعة، وفي التنفيذ، وفي الاستجابة العملية؛ **وحينها** لا نستفيد من تلك التوجيهات الإلهية، ونخسر، في نهاية المطاف يفوتنا أشياء مهمة **جدًّا**، بل يترتب على ذلك نتائج سيئة علينا في واقعنا في هذه الحياة؛ **أما** في الآخرة- فالمعصية لله، والمخالفة لتوجيهاته وتعليماته وأوامره- هي جهنم، النتيجة هي جهنم- والعياذ بالله.

فالطاعة هي المسألة المهمة والأساسية، والمعيار المهم لمصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني، أن يكون مطيعاً؛ **فينفذ** التوجيهات، فيلتزم بالتعليمات، فيطيع الله في تلك الأوامر، ويلتزم بها على الواقع العملي، هذا الالتزام العملي هو الميزة الصحيحة والصادقة والمهمة للإنسان المؤمن حقاً، وقد تقدم في قوله -جلَّ شأنه-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[2]، والنتيجة لهذا كله هي ماذا؟ الالتزام، حتى لو كان مقصراً في

١- الأنفال: من الآية ١
٢- الأنفال: من الآية ٢

شيءٍ معين فذكّر يتذكر؛ **فيتلافى** تقصيره، حتى لو كان قد خالف في مسألة معينة، أو في توجيهات معينة، عندما يذكر يتذكر؛ **فيرجع**، وينزجر، ويتقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قد تكون الأشياء التي تؤثر على الإنسان فلا يطيع، فلا يلتزم عملياً: إما رغبات وأهواء وأطماع، **وإما** شهوات، **وإما** غضب وانفعال وكبر وغرور، **وإما** مخاوف معينة، مثل هذه المؤثرات التي تؤثر على الكثير من الناس، بحسب طبائعهم وتوجهاتهم واهتماماتهم في هذه الحياة، **ولكن الشيء المهم الذي يؤكد عليه القرآن الكريم هو:** أن الطاعة معيار لمصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني، قد يأتي الكثير ليقول عن نفسه أنه مؤمن، وأنه مجاهد، وأنه من أنصار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنه من زمرة المؤمنين، ولكنه في سلوكياته، أو في مواقفه، أو في التزامه العملي بعيدٌ عن ذلك، بعيدٌ في التزامه العملي، يصدر منه تصرفات ومخالفات يخالف بها التوجيهات من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو لا يستجيب لتوجيهات مهمة، توجيهات لها أهميتها الكبيرة التي تبني الأمة، وتساعد الأمة لتكون في مستوى مواجهة التحديات، وللنهوض بالمسؤوليات التي عليها، فيأتي هنا التأكيد على الطاعة، وعلى الالتزام العملي، وعلى الاستجابة للتوجيهات، والاستجابة للتعليمات.

الاستهانة بالتوجيهات الإلهية ونتائجها الكارثية

﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾، {**وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ**}: هذا الإعراض، هذا التنصل عن المسؤولية، هذا التهرب من الاستجابة، التهرب من الالتزام العملي، {**وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**}: تسمعون التوجيهات، وتسمعون الآيات، وتسمعون التذكير، فهي تعتبر من أسوأ الحالات على الإنسان عندما يصل إلى هذا المستوى من الاستهانة بالتوجيهات والتعليمات من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي كتابه الكريم، والتي تأتي إلى الواقع العملي، إلى الأداء العملي.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، حالة سلبية **جدًّا** أن يصل الإنسان إلى هذا المستوى، فهو يصغي أو يسمع، ولكنه لا يلتزم، وكأنه لم يسمع، لا يتأثر، وكأنه لا يسمع، لا يتجه عملياً على ضوء ما سمعه من توجيهات وتعليمات من الله ﷻ، **مثلاً:** البعض قد يكون سمع قول الله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1]، وهو لا يزال يحمل الضغينة في نفسه على إخوته المؤمنين، وهو بعد لم يتجه عملياً ويلتزم عملياً ليسعى لصلاح ذات البين، فكأنه لم يسمع، البعض قد يكون سمع التعليمات والأوامر من الله ﷻ عن التحرك في سبيل الله، عن العمل، عن الإنفاق... عن أشياء كثيرة، كم يسمع الناس من الأشياء الكثيرة من توجيهات الله وتعليماته، وكأنهم لم يسمعوا، **كما يقال في المثل الشعبي:** [دخل من أذن، وخرج من الأذن الأخرى]، كأنهم لم يسمعوا، في واقعهم العملي لم يتجهوا للتنفيذ، وللتطبيق، وللالتزام العملي.

فيأتي هنا التركيز على الالتزام العملي، وعلى الاستجابة لتعليمات الله وتوجيهاته، وهنا ستتحقق الثمرة، ستأتي النتائج لهذه التوجيهات؛ **لأن** مخالفة هذه التوجيهات وهذه التعليمات له أضرار كبيرة على الأمة في دنياها وفي آخرتها، الأمة تدفع ثمن مخالفة التوجيهات والتعليمات الإلهية **ثمناً باهضاً:** ذلةً، هواناً، فشلاً، تمكيناً للعدو، خسارةً، مشاكل كثيرة على كل المستويات، أزمات كبيرة في كل المجالات، وكل ما يعيشه المسلمون في واقعهم من حالةٍ سلبية، وأزمات كثيرة، ومشاكل كثيرة؛ **إنما** هي نتيجة للخلل في مدى الالتزام العملي والاستجابة العملية.

الإنسان إذا وصل إلى هذه الحالة، إلى حالة يستهين فيها بالتوجيهات، لا يقدس أوامر الله، لا يعظم توجيهات الله ﷻ، لا يتفاعل معها، فقد وصل إلى حالة خطيرة **جدًّا**، ولذلك قال الله -جلَّ شأنه-: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، يصبح الإنسان من شر الدواب، يكون

١- الأنفال: من الآية ١

الثور أحسن حالاً منك إذا وصلت إلى هذه الحالة، الثور، البغل يمكن أن يكون أحسن حالاً منك، عندما تصل إلى حالة لا تتفاعل فيها مع توجيهات الله، مع تعليماته المهمة والتي لها نتيجة مهمة، أنت تذكر عدة أمور:

تَذكَّر مصدر هذه التوجيهات، أنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا كافٍ لو بقي فيك خير، لو بقي فيك إيمان، أن تخجل من الله، أن تستحي من الله، أن تخشى الله؛ **فتهتم** بالتوجيهات التي مصدرها الله، التعليمات التي هي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يكون لها أهميتها عندك، قيمتها عندك؛ **لأن** مصدرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم أيضاً كل هذه التوجيهات التي تأتي من الله هي لخيرنا، ولمصلحتنا، ولفائدتنا، ولفلاحنا، ولنجاحنا، ولعزتنا، ولكرامتنا، ولصلاح حياتنا، والإخلال بها وعدم الاستجابة لها له نتائج سلبية **جدًّا** وخطيرة علينا في واقع حياتنا، وراء كلَّ توجيهٍ من الله خير، ووراء الإخلال به وعدم الاستجابة له شر، ونتائج سلبية في الواقع، هذا أيضاً يمثل دافعاً للاستجابة؛ **لأن** في هذا الخير لنا، وهو لمصلحتنا، وإذا لم نستجب فوراء ذلك شرٌّ علينا، وهو خطرٌ علينا وليس لمصلحتنا؛ فإذاً المفترض أن يكون هذا أيضاً حافزاً ودافعاً للاستجابة.

ثم ما يأتينا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيه الكثير مما يفيدنا تربوياً: يمنحنا الرشد، التفكير الصحيح، يزكي نفوسنا؛ **حتى** تكون نفوساً زاكية تتفاعل مع الأشياء الإيجابية في الحياة، مع الأشياء الصحيحة في الحياة، وتحمل الهمم العالية، وتدرك قيمة هذه التوجيهات فيما لها من آثار ونتائج مهمة وإيجابية وكبيرة في هذه الحياة، فالنفوس الزاكية، والهمم العالية، والرشد والنضج الفكري، يساعد الإنسان أن يدرك قيمة التوجيهات الإلهية، أن يدرك أهمية أوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما يترتب عليها من النتائج المهمة؛ **فيكون** ذلك دافعاً للاستجابة.

فـإذا وصـل الإنسـان إلى مسـتوى لا يتفاعـل فيـه مع توجيهـات اللـه ﷻ، مع أوامـر اللـه -جلَّ شـأنه- وحتـى عندمـا يسـمع كأنـه لم يسـمع، لا يتأثـر ولا يتفاعـل؛ **فـلا** يتجـه عمليـاً عـلى أسـاس التنفيـذ، فهـو في هـذه الحالـة أصبـح في وضعيـةٍ نفسيـةٍ خطيـرة، وأصبـح شر الـدواب، أصبـح شر دابـة تـدب عـلى وجـه هـذه الأرض، كـما قلنـا يكـون الحـمار أحسـن حـالاً منـه، والبغـل أحسـن حـالاً منـه، والثـور أحسـن حـالاً منـه، لقـد أصبـح شر دابـةٍ تـدب عـلى وجـه هـذه الأرض، وكأنـه أصـم لا يسـمع، والتوجيهـات والتعليـمات مـن اللـه ﷻ وهـدى اللـه فيـه مـا يكفـي في التأثـير عـلى الإنسـان، مـا يخلـق قناعـةً لـدى الإنسـان، مـا يـترك تأثـيراً عظيـماً لـدى الإنسـان، فـإذا وصـل الإنسـان إلى هـذه الحالـة فهـي حالـة خطـيرة **جـدًّا**، إذا وصـل مجتمـع إلى هـذا المسـتوى فحالـه سيء **جـدًّا**، حالـه سيء **جـدًّا**، يفقـد الإنسـان قيمتـه الإنسـانية فيـما أولاه اللـه ومـا أعطـاه مـن مؤهـلات، تسـاعده عـلى أن يكـون أكـثر وعيـاً ونضجـاً وفهـماً وتفاعـلاً وإيجابيـةً في الحيـاة مـن بقيـة الـدواب، كأنـه أصـم، وكأنـه أبكـم لا ينطـق، وكأنـه لا يعقـل ولا يفهـم شـيئاً.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾؛ **لأن** الإنسان إذا وصل إلى درجة لم يعد يتفاعل مـع مـا يسـمع، فقـد فقـد الخـير في نفسـه، مـا فيـه خـير، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾؛ **لأنهـم** في حالـة حتـى لـو سـمع، حتى لـو فهـم الموضـوع، لم يعـد يتفاعـل معـه، يتجـه للإعـراض، للتنصـل عـن المسـؤولية، للتهـرب، وكأنـه لم يسـمع، يحـاول أن يتجـه عمليـاً باتجـاهٍ آخـر، وكأنـه لم يسـمع شـيئاً مـن هـدى اللـه ومـن توجيهاتـه، تعتـبر هـذه حالـة خطـيرة **جـدًّا**- والعيـاذ باللـه.

والإنسـان إذا عـوّد نفسـه عـلى الاسـتهانة بالتوجيهـات، وعـلى المخالفـة، تـزداد هـذه الحالـة عنـده حتـى يصـل إلى وضـع سيء **جـدًّا**- والعيـاذ باللـه- يصـل إلى هـذه الحالـة: (شَرَّ الـدَّوَابِّ).

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

****

﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُهُ خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

وصلنا إلى قول الله سُبحانَهُ وَتَعالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[١].

١- الأنفال: ٢٤-٢٥

تأتي هذه الآية المباركة في سياق الحديث عن غزوة بدرٍ الكبرى، وقد سبق في بداية العرض لهذه الغزوة، كيف كان البعض من المسلمين عندما خرجوا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ كارهين لخروجه، وللخروج أصلاً، وكانوا يجادلونه في الحق بعدما تبين، **يعني:** وقد علموا أنه الحق، فهم يعلمون أنَّ ذلك الموقف هو حق، وهم يعلمون أنَّ ذلك الخروج والتحرك هو بالحق، ومع ذلك كانوا كارهين، وكانوا مجادلين، وكانوا يسعون إلى إقناع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ بالتوقف، وبعدم الخروج والتحرك.

لماذا التنصل عن الموقف الحق رغم وضوحه

مثل هذه الحالة تحصل كثيراً في واقع الأمة، وفي هذا الزمن على نحوٍ واسع، فقد تتضح الكثير من المواقف، الكثير من القضايا أنها حق، وأنها بالحق، عندما نلحظ مثلاً من أبرز القضايا التي الحق فيها واضحٌ **جدًّا:** مظلومية الشعب الفلسطيني، وخطر إسرائيل، وخطر أمريكا، ومع ذلك، مع كل الوضوح المتعلق بالحق في هذه القضية، أكثر أبناء الأمة هم خارج الموقف المفترض، خارج الموقف الحق، **أي:** لا يقفون الموقف الحق عملياً، ولا يتحركون وفق ذلك.

هذه الحالة لها أسبابها، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل كثيراً من توجيهاته على النحو الذي يبني الأمة، يحيي الأمة؛ **لتكون** أمةً عزيزةً وقويةً، تتحرك في مواجهة التحديات من واقعٍ قوي، يحيي فيها روح المسؤولية، يحيي فيها الإباء، يحيي فيها العزة، يحيي فيها الإيمان، يحيي فيها الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ينظم أمرها، يجمع كلمتها، يصلح واقعها، ويهيؤها لأن تكون في مستوى مواجهة التحديات، وفي مستوى تحمل المسؤولية. ٢٣

فعلى المستوى الشخصي، في القرآن الكريم في هدايته، في تربية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ما ينمِّي في الإنسان ويعزز فيه قيم الإسلام العظيمة: العزة، الكرامة، الإباء، الاستشعار العالي للمسؤولية، التفاعل مع القضايا المهمة، والوعي بخطورة التفريط وخطورة التقصير، والتعلق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والروحية

الإيمانية العالية التي يتوفر فيها الدافع الكافي، والدافع القوي لتحمل المسؤولية، وللتحرك في المواقف المهمة، وللانطلاقة في الموقف الحق.

أيضاً على المستوى العام، المستوى الجماعي للأمة، هناك الكثير من الأعمال والمسؤوليات الهامة ذات الطابع الجماعي، التي تدعى إليها الأمة، وتربَّى عليها الأمة، وتحرك فيها الأمة، والكثير من هذه المسؤوليات والتفاصيل العملية ذات أهمية كبيرة في بناء الأمة، فالأمة عندما تعيش حالة الفراغ، ولا تتحرك ضمن هذا المشروع الإلهي، ولا تستجيب لهذه التوجيهات الإلهية التي تبنيها، التي تربيها، التي تحيي فيها روح المسؤولية، التي ترفع مستوى الوعي لديها، التي تساعدها في واقعها لتبني نفسها **في كل المجالات:** على المستوى العسكري، على المستوى الاقتصادي... على كل المستويات، إذا لم تتجه هذا الاتجاه؛ **فسيكون** واقعها- نفسه- واقعاً سلبياً، يؤثِّر عليها في مدى الاستجابة لتوجيهات الله ﷻ، وللتحرك في المواقف المهمة؛ **لأنها** ترى نفسها في واقعٍ ضعيفٍ، أو واقعٍ هشٍ، أو واقعٍ يسوده الكثير من الخلل والاشكالات والعوائق، وترى نفسها ليست جاهزة لمواجهة التحديات، وتعتبر نفسها ليست مهيأة لتحمل المسؤوليات.

التوجيهات الإلهية لمعالجة الخلل في واقع الأمة

فالكثير من توجيهات الله ﷻ، وبالتحديد التوجيهات التي يتهرب الكثير من الناس عن الالتزام بها، وعن تنفيذها، هي ذات أهمية كبيرة في معالجة هذه المشكلة: معالجة مشكلة الخلل في واقع الأمة، الضعف في واقع الأمة، الحالة التي يموت فيها الاستشعار للمسؤولية، الحالة التي يتردى فيها واقع الأمة ووضع الأمة في كل المجالات، فتتحول إلى أمةٍ ضعيفة، أمةٍ مفككة، أمةٍ عاجزة، أمةٍ تغيب عنها حالة الجهوزية لمواجهة التحديات، أمة تموت فيها المعاني والقيم ذات الأهمية الكبيرة، التي تجعل الإنسان حاضراً ومهيأً لتحمل المسؤوليات، ومواجهة التحديات.

فالكثير من التوجيهات التي تأتي لتعلِّمنا أن نتحمل مسؤولياتنا، وتربينا على ذلك، تقدِّم لنا على المستوى التربوي ما يساعدنا على ذلك، على المستوى التوعوي ما يساعدنا على ذلك، ترفع من مستوى وعينا، ترفع من مستوى استشعارنا للمسؤولية، تعزز فينا تلك المعاني العظيمة، **مثل:** العزة، الكرامة، الإباء... القيم المهمة، وفي نفس الوقت تدلنا عملياً على كثيرٍ من الأعمال التي نتحرك فيها، فنكون أمةً يقظةً عمليةً تتحرك، ليست أمةً جامدة، الموات الذي يعاكس ويناقض هذه الحياة المقصودة في الآية القرآنية هو الجمود، هو غياب روح المسؤولية، هو انعدام الوعي، هو حالة الاستسلام والخنوع، هو حالة الفتور والكسل، التي تجعل الأمة بعيدةً عن التحرك العملي، والحياة التي نراها في هذه الآية المباركة هي حياة العزة والإيمان، هي الحياة التي تجعل الأمة في موقع القوة، في موقع العمل، أمةً متحركة، أمةً جادة، أمةً لا تبقى جامدةً في الوقت الذي تتعرض فيه للخطر الكبير، والتحديات الكبيرة، وتنتظر لأعدائها ليعملوا بها ما يشاؤون ويريدون، فهذه الحياة التي تأتي إلى **كل المجالات التي تبني الأمة:** في المستوى العسكري، في المستوى الاقتصادي... في كل المستويات، في المواقف العملية التي تجعل من الأمة أمةً حيةً، ناهضةً، قائمةً، متحركةً، عمليةً، جادةً، واعيةً، منتبهةً، يقظةً، وليس أمةً جامدة، غافلة، مستسلمة، خانعة، تعاني من الكسل، تعاني من الفتور، تعاني من انعدام الرؤية، تقف مكبَّلةً عن التحرك حتى في أخطر المواقف، وفي مواجهة أخطر التحديات.

٢٣ **فهنا يأتي هذا النداء من الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، فهذه التوجيهات التي تأتينا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفيها حياتنا: حياة العزة، حياة الإيمان، حياة القوة، انتظام الأمر، صلاح واقع الأمة من الداخل، هي توجيهات تتصل بمجالات كثيرة، **مثلاً: منها ما يتعلق بالجانب التربوي،** يربينا تربيةً إيمانية، وينمّي فينا الوعي، **ومنها ما يتجه إلى الواقع العملي،** من خلال مواقف عملية، تحركات عملية، ويأتي هنا -أيضاً-

التأكيد في الاستجابة للرسول، وحتى (باللام): ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾؛ **لأن** الرسول ﷺ في موقعه في قيادة الأمة، يتحرك في الواقع التنفيذي لتطبيق التوجيهات، وتنفيذ التوجيهات من الله سبحانه وتعالى، فيدعو إلى خطوات عملية ومواقف، ويتحرك بالأمة، ويدعو الأمة، فتكون الأمة في واقعها في واقعٍ قويٍ، تتجه حينئذٍ لمواجهة التحديات والأخطار والأعداء من واقعٍ قويٍ، من واقعٍ جيد؛ **نتيجة** الاستجابة لتلك الأعمال التي تبني الأمة، تقوي الأمة، تعتز بها الأمة، يصلح بها واقع الأمة، ينتظم بها واقع الأمة، فيدخل هنا الكثير من التفصيلات العملية.

المستهترون بدعوة الله والمدجِنون للأمة

هناك كثير من التفاصيل المهمة التي لها أهمية في **هذا الجانب:** أنَّ فيها إحياء للأمة، حركة للأمة، واقع عملي وإيجابي وبنَّاء للأمة، ويستهتر البعض من الناس بمثل هذه الأعمال، وبمثل هذه التفاصيل العملية، ويتهربون من كثير من الأعمال والأنشطة والبرامج التي تساعد على هذا، مع أنَّ فيه الحياة للأمة، الحياة الحقيقية، الحياة التي تكون فيها الأمة أمةً عزيزةً، أمةً قويةً، أمةً منيعةً وعصيةً على أعدائها، أمة يصلح واقعها، وينتظم أمرها بفعل هذه الاهتمامات، وتحمل هذه المسؤوليات، بفعل هذه الحركة وهذا النشاط، وهنا يتهرب الكثير من الناس، وبعضهم قد يتهاون بكثيرٍ من الأعمال ذات الأهمية الكبيرة، والتفاصيل العملية التي يكون فيها أنشطة عملية، برامج عملية، اهتمامات عملية في الساحة، تساعد على أن تظهر الأمة أمةً قويةً، أمةً جاهزةً لمواجهة أعدائها، ولا تبقى في حالةٍ من الجمود الذي يشبه الموت، حالة من الركود الذي يشبه الموت، ويطمع العدو في الأمة، حالةً تعبِّر عن استسلام أو خنوع.

﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، فيشمل هذا كل المجالات- كما قلنا- التي فيها حياة الأمة، وقوتها، وعزتها، وبناؤها، ونهضتها، وحيويتها، وخروجها من تلك الحالات السلبية.

﴿اسْتَجِيبُوا﴾، الحالة الصحيحة هي الاستجابة العملية، التنفيذ، بدلاً من التجاهل، بدلاً من التنصل عن المسؤولية، بدلاً من التهرب، وكما قلنا، عادةً ما يتهرب الناس- أكثر شيء- من مثل هذه التوجيهات وهذه التعليمات **التي لها هذا التأثير:** تحيي الأمة، تقوي الأمة، تنهض بالأمة، تجعل الأمة في موقعٍ قوي، في موقع الجهوزية في مواجهة التحديات والأخطار، وليس في حالة ركود، فإذا دهمها الخطر كانت غير جاهزة، **بل أكثر من ذلك:** تكون جاهزة للاستسلام.

البعض من الناس- للأسف الشديد- ممن لم يفهموا الدين الإسلامي بشكلٍ صحيح، أسلوبهم حتى وهم يتحركون باسم الدين، هو على النحو الذي يجهِّزون فيه الأمة للاستسلام، أن تكون جاهزة للاستسلام إذا داهمها العدو، إذا أتاها الخطر، ويعارضون أي تحرك فيه حالة من تجهيز الأمة لمواجهة الأخطار، أو تحريك الأمة لمواجهة الأخطار التي قد أتت، وهي حتمية لا بدَّ منها، كثير من الأعمال التي فيها حياة الأمة، وقوة الأمة، وعزة الأمة، وفتوة الإيمان، وحركية الإيمان، التي تجعل من الأمة أمةً عملية، أمةً ناهضة، أمةً متحركةً، تمتلك مشروعاً من الأساس، ولا تبقى في حالةٍ من الغفلة، ثم تواجه التحديات بكثيرٍ من التهرب عن المسؤولية، والضعف، والتعلُلات، والإشكالات، والعقد، والكراهة للخروج، والكراهة للعمل، |الا| هنا يؤكِّد على أهمية هذه الاستجابة العملية، والطاعة العملية، والتحرك العملي.

تحذير شديد للمتنصلين عن المسؤولية ٢٣

ثم يقدِّم تحذيرات شديدة وخطيرة للغاية:

أول هذه التحذيرات قوله -جلَّ شأنه-: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، واعلموا أنكم إن لم تستجيبوا لله ولرسوله تجاه هذه التوجيهات والتعليمات التي تتهربون منها، تتهربون من تنفيذها، مع أنَّ فيها حياتكم، حياة الإنسان: يحيى حياة العزة والإيمان، وحياة الأمة: تقوى بها الأمة،

تعتز بها الأمة، تنهض بها الأمة، تبنى بها الأمة، يصلح بها واقع الأمة، ينتظم بها أمر الأمة، تجتمع بها كلمة الأمة، تصحح الخلل في واقع الأمة، تعالج مشاكل الأمة، مسؤوليات مهمة، وأعمال ذات نتيجة إيجابية للناس في الحياة، **إن لم تستجيبوا فأنتم معرَّضون لهذه المخاطر الكبيرة:** أولًا على المستوى الشخصي: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، هذا تحذير على المستوى الشخصي لكل إنسان، لكل شخص، تحذيرٌ لك أنت على مستوى واقعك الشخصي، إن لم تستجب فقد تتعرض لهذه الخطورة.

لاحظوا، البعض من الناس يعتمدون على التسويف والإحالة، فلا يتحركون في كثيرٍ من الأعمال المهمة، والتفاصيل التي لها نتيجة جيدة: تجعل الأمة في حالة من الحركة، والاستعداد، والعمل، **ويقول:** [إذا حصل كذا، أو وقع كذا، أو حدث كذا، أو وصل الخطر إلى عند رأسه، فإنه- فيما بعد- سيتحرك]! إذا وقع أمرٌ ما من الأمور الكبيرة **جدًّا، مثلاً:** [إذا تمكَّن أعداء الأمة، إذا أتى الأمريكيون ووصلوا عند باب كل منزل، ودخلوا كل مسجد، ووصلوا إلى كل بقعة، فإنه حينئذٍ سيتحرك، فيما بعد]! هكذا يحيل الموضوع، [إذا أصبحت إسرائيل مسيطرةً بشكلٍ فعليٍ وملموسٍ وواضح، وأصبح الصهيوني هو الذي يدير منطقته، فهو- فيما بعد- سيتحرك]! من هذه الإحالات، وهذه التَعلُلات التي يتهرب بها الإنسان عن مسؤوليته، [إذا انطمست كل معالم الإسلام، وأصبح- في نهاية المطاف- في آخر رمق، فإنه حينئذٍ سيتحرك]... وهكذا، وقد يمنِّي البعض نفسه بأنه سيتحرك فيما بعد، [أنا أريد هذه الفرصة، وهذه المرحلة، وهذه الفترة لاهتمامات شخصية بحتة، ولا أريد أن أنشغل بأي شيء، ولا أريد أن احمِّل نفسي أي دور، ولا أقوم بأي عمل]، مثل هذه الإحالات غير المسؤولة، التي هي- في واقع الحال- تنصلٌ عن المسؤولية، وعصيانٌ وخروجٌ عن حد الاستجابة العملية لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

اللــه ﷻ **يأمرنـا بالمســارعة:** ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[١]، ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[٢]، روحيــة المســارعة، المبــادرة، الحركــة، العمــل، يقــدِّم لنــا مشروعــاً عملياً لا ننتظــر فيــه أن نمكِّــن أعداءنــا إلى النقطــة الأخــيرة، إلى آخــر مســتوى، وأن نبقــى إلى آخــر رمــق، **ثــم نقــول:** [أننــا ســنتحرك فيــما بعــد]، يعلِّمنــا كيــف نتحــرك ابتــداءً، كيــف نتحــرك في كل المجــالات، كيــف نبنــي واقعنــا لنكــون أمــةً كبــيرةً قويــةً تدفــع الكثــير مــن الأخطــار قبــل أن تصــل، وتواجــه التحديــات قبــل أن تســتفحل تلــك التحديــات وتســحقها، بــل كيــف تكــون في موقــع القــوة التــي تتصــدر منهــا لمواجهــة الأحــداث والأعــداء والأخطــار في موقــع القــوة والانتصــار.

لا يقبــل القــرآن مثــل هــذه الحــالات مــن التســويف، والإرجــاء، والتنصــل عــن المســؤولية، والكســل، والفتــور، والجمــود، لا يقبلهــا القــرآن الكريــم، فــإذا قرر الإنســان مــن واقــع الاســتهتار والــرأي الشــخصي **أن يتــصرف عــلى هــذا النحــو:** مــن التنصــل والتهــرب، قــد يتهــرب مــن أبســط الأعــمال، أعــمال بســيطة، لكنهــا مهمــة، لكنهــا مفيــدة، لكنهــا نافعــة، قــد يتهــرب مــن الحضــور لاســتماع محــاضرة تنمِّــي وعيــه، وتُســاعد عــلى ارتفــاع مســتوى الوعــي لديــه، قــد يتهــرب من الحضــور في وقفــة تعبِّر عــن حضــور، عــن انتبــاه، عــن اســتجابة، عــن اســتعداد، قــد يتهــرب مــن إنفــاق شيءٍ بســيطٍ في ســبيل اللــه يَدعــم بــه الأمــة في موقفهــا لمواجهــة الأخطــار والتحديــات، قــد يتهــرب مــن كثــيرٍ مــن الأعــمال والتفاصيــل التــي هــي أعــمال حتــى بســيطة في كثــيرٍ منهــا، ولكنهــا ذات قيمــة، وأهميــة، وحيويــة، وتجعــل النــاس في موقــع الفعــل والعمــل والحركــة، وليــس في واقــع الجمــود، والركــود، والخنــوع، والاســتسلام، والمــوت، فقــد يتهــرب مــن كل ذلــك، وقــد يتخــذ هــذا القــرار، وكثــيرٌ مــن النــاس يتخــذون مثــل هــذا القــرار بغبــاء شــديد، كأنهــم أحكــم مــن اللــه، وأرحــم مــن

٢٣

١- آل عمران: من الآية ١٣٣

٢- الحديد: من الآية ٢١

الله، وأعلم من الله، فيتجهون لاتخاذ مثل هذه القرارات، ويعتبرون أنها هي الحكمة، وأنهم بذلك نظروا لأنفسهم فيما هو خيرٌ لها، وأنهم أعلم بمصلحة أنفسهم، وبناءً على ذلك اتخذوا مثل هذه القرارات، وأرجأوا وسوفوا وأهملوا.

الإنسان بين الاستجابة وبين الرفض لتوجيهات الله

هنا الإنسان يعاقَب بهذه العقوبة الخطيرة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾؛ **لأن** الإنسان **إمَّا** أن يتجه الاتجاه الإيجابي، ما هو الاتجاه الإيجابي؟ الاستجابة العملية لله ﷻ، فيسارع في الخيرات، والأعمال الصالحات، والمواقف المهمة، والأعمال التي فيها حياة، فيها عزة، فيها كرامة، فيها قوة، فيها تحمل للمسؤولية، واستجابة عملية بالتحرك في إطار المسؤولية، إمَّا أن يكون على هذا النحو، ويتحرك أيضاً، ويلتفت، ويهتم بما ينمِّي من وعيه، بما يربيه التربية الإيمانية، ويحيي فيه قيم الإيمان، يعزز فيه الثقة بالله، وهنا يزداد وعيه، يزداد إيمانه، يرتقي ويرشد وينضج في تفكيره، في نظرته الصائبة للأمور، في تفاعله مع الأمور المهمة، تزكو نفسه أكثر فأكثر، ويزداد وعيه أكثر فأكثر، ويتروَّض على تحمل المسؤولية وعلى القيام بالأعمال المهمة، ويتعود على ذلك، ويكسر حاجز الخوف، وينمو فيه الشعور بالعزة والكرامة والقوة، وينمو فيه الإباء؛ **فيتأهل** أكثر وأكثر لمواجهة التحديات، ويمنحه الله ﷻ المزيد من الهداية والتوفيق، ويحظى برعاية من الله ﷻ؛ **فيتحول** في واقعه العملي إلى محبٍ وعاشقٍ وراغبٍ للتحرك في العمل في رضا الله ﷻ، والاستجابة العملية في كل تلك المسؤوليات المهمة التي يتهرب الناس منها، ومن التنفيذ للأعمال فيها، يتحول إلى إنسان امتلك- بهداية الله، بتوفيق الله ﷻ الدافع الإيماني القوي، فإذا به ينطلق ويسارع بكل رغبة، يلتمس الأجر من الله، يلتمس القربة إلى الله ﷻ بتلك الأعمال، يمتلئ قلبه بالإيمان، ويتحرك بكل اندفاعٍ، بكل شوقٍ، بكل تلهفٍ، بكل اهتمام.

وإمَّا أن يتجه الإنسان الاتجاه الآخر: اتجاه التنصل عن المسؤولية، التهرب من الأعمال المهمة، عدم الاستجابة العملية لمثل كل هذه التوجيهات والأعمال والتفاصيل المهمة، **ويحاول كل ما دُعِي إلى ما فيه حياته:** حياته المعنوية، حياته الإيمانية، حياة العزة والقوة والكرامة، على أي مستوى، إلى ما يساعد على تنمية وعيه وتربيته تربيةً إيمانية، إلى أعمال ومواقف مهمة؛ **يتهرب**، يتنصل... وهكذا، في مثل هذه الحالة تلقائياً يتربى ويتعود على التنصل عن المسؤولية، والتهرب، والجمود، والفتور، والكسل؛ **وفي** نهاية المطاف تتحول هذه إلى حالةٍ نفسية تترسخ في قلبه، وتعظم المخاوف، وتكبر المخاوف، ويضمحل ويتلاشى منه الإيمان والدافع الإيماني، ويطبع الله على قلبه؛ **فحينها** لا تستطيع فيما بعد- أنت يا أيها المسوِّف، يا أيها الإنسان الذي يحيل استجابته العملية إلى ما بعد- لا تستطيع أن تمتلك في قلبك هذا الدافع، لا تستطيع أن تمتلك في قلبك وفي مشاعرك وفي وجدانك ما يساعدك على الاستجابة العملية فيما بعد، يأتي فيما بعد ظروف معينة يكون التفريط فيها والتقصير فيها أعظم خطورةً عليك، وأكبر في الإثم والجرم عند الله سبحانه وتعالى، فتجد نفسك غير مهيَّأ نفسياً للتحرك والاستجابة العملية، نفسيتك غير مهيأة، أنت كنت تتهرب من أعمال بسيطة، من أمور بسيطة؛ **فكبرت** عليك الأمور الكبيرة **جدًّا**، لو كنت تستجيب، **لكنت** قد تأهلت، قد تهيأت وصرت في مستوى الاستجابة العملية أمام تلك الأمور الكبيرة والمهمة.

فهذا إنذارٌ شديدٌ، وهو- في نفس الوقت- أمرٌ حقيقيٌ ومؤكد، هي نتيجةٌ حتميةٌ يصل إليها الإنسان الذي يتجه في اتجاه التنصل عن الاستجابة العملية لله سبحانه وتعالى، في التحرك العملي فيما يحييه ويحيي الأمة، هي نتيجةٌ حتميةٌ أنه سيتأثر نفسياً إلى هذا المستوى الذي يفقد فيه كل الدوافع الإيجابية والإيمانية والإنسانية فيما بعد؛ **فيطبع** الله على قلبه، ويمتلئ قلبه أكثر بالعوامل السلبية والمشاعر السلبية التي كانت تقعده فيما قبل، قد كبرت في قلبه؛ **فأقعدته** أكثر، وتعاظمت في مشاعره

٢٣

ووجدانه؛ **فكبلته**، وحالت بينه وبين التحرك والاستجابة العملية فيما بعد.

ولذلك تجد النذير في القرآن الكريم في آياتٍ أخرى للمتخاذلين عن العمل في سبيل الله بالطبع على قلوبهم، تكرر هذا في سورة التوبة في أكثر من آية، يحذرهم، بل يؤكد أن الله يطبع على قلوبهم، يطبع عليها، وهذه الحالة خطيرة **جدًّا** على الإنسان؛ **لأنها** حالةٌ لا يُوفق فيها الإنسان إذا حصلت له، يسلب التوفيق؛ **فلا** يتوفق، أبداً، حالة خطيرة **جدًّا**، هذا الإنذار الأول.

العقوبة الأخروية للمتنصلين عن المسؤولية

الإنذار الثاني: ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، عندما تتنصل عن الاستجابة العملية لله سبحانه وتعالى في هذه الأعمال المهمة، التي فيها حياة الأمة، وعزتها، وكرامتها، وقوتها، وبناؤها، وصلاح أمرها، وانتظام أمرها، ومعالجة مشاكلها، عندما تتنصل عن هذه المسؤوليات التي أمرك الله بها، وهي تدخل في إطار العنوان المهم: عنوان الجهاد في سبيل الله، العمل لإعلاء كلمة الله، العمل لدفع الأخطار عن الأمة، عندما تتنصل عن هذه المسؤولية؛ **أنت** تعصي الله سبحانه وتعالى، أنت ترد تلك الآيات المهمة، المئات من الآيات القرآنية أنت تردها، في واقعك العملي أنت لا تلتزم بها، أنت رفضتها، أو أنت تجاهلتها كلياً، وكأنه لا وجود لها، وكأن الله لم يأمرك، كأنه لم يوجهك، كأنه لم يخاطبك، أو كأنك لست واحداً من الذين آمنوا المقصودين في تلك الآيات المباركة، وفي تلك

٢٣ النداءات والخطابات والتوجيهات، تقرأ الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾[1]، كأنك لست من الذين آمنوا المعنيين في هذه الآية، فلا تتحرك في أي موقف، في أي عمل يحقق استجابتك العملية لهذه الآية المباركة، لهذا التوجيه من الله سبحانه وتعالى، تقرأ الآيات عن الانفاق في سبيل الله، عن الجهاد في سبيل الله، أو تسمعها وتتلى عليك، وتأتي الكثير من التفاصيل العملية التي

١- الصف: من الآية ١٤

تدخل تحت هذا العنوان فلا تستجيب، في هذه الحالة التي اتخذت فيها قرارك الخاطئ (قرار العصيان)، وتنصلت فيها عن الاستجابة العملية، أنت تورط نفسك، أن توقع نفسك في الوعيد الإلهي، في وعيد الله سبحانه وتعالى؛ **لأنه** توعد، توعد بالعذاب، توعد بالعذاب المؤكد. في سورة التوبة كم فيها من وعيد، كم فيها من وعيد بنار جهنم، بالعذاب في الدنيا والآخرة؟ ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١]، أليس هذا من الوعيد الإلهي؟ ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[٢]، أليس هذا من الوعيد؟ وكم في القرآن الكريم.

ثم في هذه الحالة اعلم أنك ستحشر إلى الله، وأنه سيحاسبك وسيجازيك، فإذا أنت كنت قررت لنفسك قراراً خاطئاً بالتنصل عن المسؤولية وعدم الاستجابة العملية؛ **أنت** تحمِّل نفسك هذا الوزر الكبير، والإثم العظيم الذي سيحاسبك الله عليه، ومرجعك إلى الله، أنت راجعٌ إلى الله وسيحشرك ويحاسبك ويجازيك.

الفتنة للمتخاذلين.. أشكالها وأنواعها

ثم أيضاً يقدم تحذيراً آخر: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، ثم يقدم أيضاً تحذيراً آخر: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣]، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ أنت مهددٌ بالفتنة، المتنصل عن الاستجابة العملية، المتخاذل، المهمل، المفرط، هو مهددٌ بالفتنة؛ **لأن** الفتن لا تختص بالمجرمين، **يعني:** تتصور أن الذين يُفتنون مثلاً هم من يتجهون في صف الباطل بشكلٍ مباشر، فيقاتلون في سبيل الباطل، ويتحركون في جبهات الباطل، الفتنة أيضاً هي تأتي إلى من؟ هي تأتي إلى المتخاذلين، إلى المفرطين، إلى العصاة المتنصلين عن المسؤولية، تأتي إليهم أيضاً، وهم في ذلك الحال تأتي إليهم الفتنة فتضربهم، تؤثر عليهم؛ **فيخسرون**

٢٣

١- التوبة: من الآية ٣٩
٢- التوبة: من الآية ٨١
٣- الأنفال: الآية٢٥

ويفشلون أمام الاختبار، وهذه من الأمور العجيبة والملموسة **جدًّا** في واقع الأمة.

البعض من الناس- مثلاً- قد يتنصل عن المسؤولية إما ابتداءً، منذ اليوم الأول وهو متنصل، لم ينطلق أصلاً، أو فيما بعد ينطلق لمرحلة معينة، يهتم لمرحلة معينة، وقد يجاهد حتى إلى مرحلة معينة، ثم يقعد ويتخاذل ويتنصل عن المسؤولية ويجمد. في مثل هذه الحالة هو يظن نفسه أنه سيبقى في وضع عادي، وفي واقع الحال لن يبقى كذلك، ستأتيه الفتنة، والفتنة لها أشكال متعددة ومتنوعة، **مثلاً:** في الوقت الذي فكر فيه أن يجلس، وأن يقعد، وأن يتنصل عن المسؤولية، وألَّا يهتم، ولا يتدخل، ولا يتحرك، قد تأتي له مشكلة معينة، أو قضية معينة تثيره، فإذا هو يتحرك سلباً، يتحرك في الاتجاه الخاطئ، هو لم يتحرك في الموقف الصحيح، في الموقف الحق، في القضايا المهمة، واختار أن يقعد وأن يجمد، وأن يتنصل عن المسؤولية، فإذا به وقد استثارته قضية معينة، أو حساسيات شخصية، أو مواقف شخصية، أو اعتبارات شخصية، أو تأثيرات معينة، أو استقطابات معينة [كم يا عوامل وكم يا أسباب]، فإذا به يتحرك، كان ساكتاً، لم ينطق تجاه القضايا المهمة والكبيرة، لم يتحرك من أجل الأمور المهمة والكبيرة، فإذا به يتحرك، إذا به ينطق، إذا به يتكلم، أو قد يكتب إذا كان ممن يكتبون، قد يكتب مقالات، قد يتحرك، كان أبكم يوم كان المطلوب منه أن ينطق بكلمة الحق، تجاه القضايا الكبيرة والمهمة والواضحة كان أبكم، فإذا به ينطق، وإذا به أصبح جريئاً يوم جَبُن، يوم صمت، يوم سكت، يوم لم يتحرك تجاه القضايا المهمة والكبيرة والباقية في واقع الأمة، فإذا به يتكلم أو يكتب، وإذا به يتحرك، وإذا به ينشط وكان كسولاً، كان جامداً، وكان يعاني من الفتور، وإذا به يتحرك وينشط، هذا من الخذلان، وهذه من الفتنة، هذه من الفتنة.

قد يكون أيضاً من الفتنة أن تأتي مرحلة فيها خطورة أكبر، ومسؤولية أعظم، والتفريط فيها يعتبر جرماً أكبر، فيفرط ولا يتحرك؛ فيعظم وزره، ويكبر جرمه، ويعظم إثمه، وتكون المسألة خطيرة جدًّا.

أشكال الفتن كثيرة جدًّا، قد يتحرك أيضاً بالاتجاه الخاطئ؛ **ليثبط** الأمة عن التحرك في الاتجاه الصحيح والعمل الصحيح، أو لإثارة مشاكل هامشية في داخل الأمة، على حساب تلك القضايا المهمة والكبيرة، وهذا ملموس في واقع الأمة، البعض من الناس ممن لا يتحركون- أصلاً- في مرحلة معينة إذا به يتحرك [في القَلَب]، في الخطأ، في الاتجاه السلبي، لو كان يمتلك الدافع الإيماني لتحرك في القضايا الأكبر والأهم، ولكن دافعه في تلك القضايا- مهما برر، ولو حلف فهو فاجر وكاذب، دافعه ليس إيمانياً- دافعه في تلك القضايا الأخرى حساسيات شخصية، عقد شخصية، اعتبارات نفسية، أشياء أخرى؛ **أما** لو كان الدافع هو الدافع الإيماني لتوفر ذلك الدافع الإيماني تجاه ما هو أكبر وأخطر وأهم، فانعدامه في ذلك دليلٌ على أنه لم يكن هو المتوفر والدافع في تلك القضايا الأخرى، التي بدأ يتحرك فيها ويركز عليها، وهو لا يزال في حالة تنصل تام عن القضايا المهمة والقضايا الكبيرة.

فالفتنة أيضاً هي من الوعيد الإلهي للمتخاذلين، للمتنصلين عن المسؤولية، ممن كانوا من البداية متخاذلين، أو ممن يتخاذلون فيما بعد، ممن قد استجابوا في مراحل معينة، وانطلقوا في مراحل معينة، وتحركوا في مراحل معينة، ثم اتجهوا إلى التنصل عن المسؤولية والتخاذل؛ **فهم** معرضون لهذه الفتنة، ويقعون فيها بذلك.

٢٣

أيضاً يأتي التحذير في ختام هذه التحذيرات: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، فأنت معرض للعقوبة الإلهية، أنت في واقع التنصل عن المسؤولية أنت معرض للعقوبة الإلهية الشديدة، والله شديد العقاب -جلَّ شأنه- عقوبته عقوبة شديدة، وقد يُخذل الإنسان، ويدخل في مواقف خطيرة؛ **بسبب** هذه الفتنة،

وهو قد تنصل عن المسؤولية، وحتى قد تؤدي إما إلى أن يَقتُل أو يُقتل، أو يدخل في مشاكل كبيرة **جدًّا**، ومشاكل خطيرة **جدًّا** يصل إليها وهو في إطار تنصله عن المسؤولية، كان الأولى به أن يكون جهده، اهتمامه، موقفه، تضحيته، شدته، جرأته، عمله... **في الاتجاه الصحيح:** اتجاه الاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيه الخير له.

﴿وَاذْكُرُوا﴾.. درس للأمة على مدى الزمن

ثم يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، وهذه الآية لا تزال في نفس السياق: في الحث على الاستجابة؛ **لأن** ثمرة الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تُلمس في الواقع، وإذا تحرك المؤمنون بناءً على هذه التوجيهات والتعليمات من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يمنحهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الخير، والعزة، والنصر، والتأييد، وينقلهم من وضعية وظروف صعبة إلى وضعية وظروف أفضل بكثير.

في هذه الآية المباركة يذكِّر المسلمين- تاريخياً- بما كانوا فيه قبل الهجرة إلى المدينة من استضعاف، وقلة، وخوف، وتهديد، ولا يمتلكون قوةً عسكرية، وظروف صعبة على المستوى الاقتصادي، ثم بعد ذلك كيف مكنهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في المدينة، آواهم، فجعل لهم منطقة مهيأة يأوون إليها، ويسكنون فيها، ويقطنون فيها، وهيأ لهم أيضاً أرزاقاً طيبة، وسع لهم في أرزاقهم بعد الظروف الصعبة، هيأ لهم أيضاً أن يصبحوا أمة، بدلاً عن القِلّة يوم كانوا قلائل **جدًّا**، أن يصبحوا أمة تتكون وتجتمع وتقوى، ويصلح حالها، وتتحرك، ثم أيدهم بنصره، مثلما حصل في معركة بدر.

هذا درس مهم لهم، ثم هو درس للأمة في كل زمن، في كل عصر، وللمؤمنين الذين يعيشون هذه التجربة في تحركهم، **فيتحركون** في بداية الأمر من واقع قلةٍ،

١- الأنفال: الآية ٢٦

استضعافٍ، وخوفٍ، وتهديد، ثم يمنحهم الله ﷻ التأييد والنصر، ويؤويهم، ويمكنهم؛ **فتتغير** أحوالهم إلى الأفضل، **وهذه الآية لها فوائد مهمة جدًّا في أحوال متعددة:**

هي في البداية تعطي أملاً للمؤمنين أنهم إذا تحركوا، إذا استجابوا، فإن الله ﷻ مهما كانت ظروفهم صعبة، مهما كانوا يعانون من القلة والاستضعاف وقلة الإمكانيات، فإن الله ﷻ يمدهم، فهي- ما قبل ذلك- هي أمل، هي تعزز الرجاء في الله ﷻ، هي وعد صادق من الله ﷻ لعباده المؤمنين أن ينقلهم إلى هذه الوضعية المتقدمة.

ثم ما بعد ذلك، ما بعد أن ينتقلوا إلى هذه الوضعية هي تذكيرٌ لهم، كيف كانت ثمرة الاستجابة العملية لله ﷻ في واقع حياتهم، كانت نصراً، وكانت عزاً، وكانت قوةً، وكانت تمكيناً، وكانت سعةً في الرزق والحال، فهي ثمرة مهمة **جدًّا**، المفترض أن يزدادوا استجابةً، أن يكونوا أكثر تفاعلاً، وأكثر استجابةً، وأكثر اندفاعاً وطاعةً والتزاماً عملياً؛ **لأن** البعض من الذين آمنوا قد يتحرك وينطلق حتى في المراحل الصعبة، ولكن بعد أن تتغير الأحوال إلى هذا المستوى المريح والإيجابي من التمكين الإلهي، والتأييد بالنصر، والسعة في الرزق، والإيواء، ويصبح الإنسان ضمن واقعٍ فيه استجابة واسعة، يبرد تفاعله، تتغير نفسيته، يتجه بعيداً عن الاهتمام العملي، إلى التركيز على الراحة والدعة، ويخلد إلى الأرض، وإلى متاعها، وإلى الراحة فيها، وتقل عنده الاستجابة؛ **فيصاب** بالفتور، والكسل، والإهمال، ويضعف اهتمامه، ويستهين بتنصله عن المسؤولية، يستبسط ذلك، ثم تراه وقد بدأ يهمل في كثيرٍ من الأعمال والمسؤوليات، يتنصل عن كثيرٍ من الأعمال المهمة، يغيب عن كثيرٍ من الأعمال المهمة، ويرى نفسه وكأنه قد أكمل ما عليه، وعلى حسب التعبير المحلي [وَدّا، خلاص ما عاد عليه منقود].

وهذه حالة تحصل لدى البعض، أنهم قد ينطلقون لمراحل معينة وحتى في الظروف الصعبة، وبروحية إيجابية، بدافعٍ جيد، ولكن عندما تتغير الأحوال نحو الواقع الأفضل والتمكين الإلهي تتغير نفسياتهم، وقد تتغير الاهتمامات، عند التمكين تتجه النفس للتركيز على المناصب، للتركيز على الأطماع المادية، للتركيز على المكاسب الشخصية، للتركيز على السمعة والبروز الشخصي، وهذه تمثل حالة من الانحراف الخطير **جدًّا** على الإنسان.

فوائد التذكر.. وعاقبة النسيان

فالتَّذكُّر للمراحل الماضية مهمٌ في كل الأحوال، ويساعد على الاستجابة العملية لله ﷻ.

عندما يتذكر الذين آمنوا ما كانوا فيه من الاستضعاف، ويمكن في عملية التَذكُّر هذه أن يتذاكروا فيما بينهم الكثير من التفاصيل عن تلك المراحل الصعبة والظروف تلك، الكثير من القصص الحقيقية والواقعية التي عاشوها في واقعهم، كيف كانوا، كيف كانت ظروفهم، أحوالهم في تلك المرحلة، في قضايا معينة، في أحداث معينة؛ **أما** في هذا الزمن فيمكن الإنتاج الإعلامي الذي يوثق لمراحل معينة، ثم يبين الفارق والنقلة التي تحققت من ذلك الظرف إلى ظرف مختلف تماماً، من ذلك الواقع العصيب إلى واقع متمكن ومريح، وحينها يستحي الإنسان من الله ﷻ الذي منَّ بالنصر، منَّ بالسعة في الحال، منَّ بالتأييد، مكَّن في الأرض... أن يتنكر له بعد هذه النعمة، بعد هذه الرعاية، أن تتغير نفسيتك بعد كل الذي قد عشته أنت من تجربةٍ وواقع، وعشت هذه النقلة من ذلك الواقع الصعب، من واقع الاستضعاف، في مراحل معينة قد لا يمثلون أي قوة في الواقع، كانوا مستضعفين بكل ما تعنيه الكلمة ومطاردين ومهددين ومعانين، ولا يستطيعون أن يدفعوا العدو، ثم تأتي مراحل تتغير فيها الأحوال.

نحن في مسيرتنا القرآنية عشنا هذه التجربة، ولربما البعض ممن عاش هذه التجربة وعاش هذه المراحل ينسى، ينسى إلى حدٍ كبير، ينسى تلك المراحل وتلك الظروف، والنسيان هذا يُصيبه بالغرور، يُصيبه بالكفران لنعمة الله، يتنكر للنعمة، فتفسُد نفسيته، تتغير نفسيته، وتتغير اهتماماته وتوجهاته، كما قلنا يتحول في اهتماماته وتركيزه على المنصب، أو على المال والأطماع المادية، أو الأمور الشخصية والمكاسب الشخصية، وقد يطغى، قد يطغى عندما يرى نفسه في موقع القوة وفي موقع المسؤولية، قد يطغى: **فيظلم،** أو يتجبر، أو يتكبر على عباد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو يفرط في المسؤولية، يقسو قلبه، يَفقد التركيز على المسؤولية، على الاهتمامات المهمة، ينسى المستضعفين، ينسى أشياء كثيرة.

فهذه الآية المباركة هي آية مهمة جدًّا، ونرى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قدَّم التحذير والوعيد في: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وأيضاً ذكَّر بالنعمة، إما أن ينفع فيك ذلك التحذير، أو أن تتذكر هذه النعمة إذا كنت ممن قد انطلق وتحرك، وهذا يحصل للبعض، نحن في مسيرتنا القرآنية نرى البعض نسُوا، نرى البعض يتجه للتنصل عن المسؤولية، نرى البعض يجمد، نرى البعض تتغير نفسياتهم، تتغير اهتماماتهم، تتغير توجهاتهم، يفتُرون، أو ينشطون في اتجاه سلبي، هذا فيه تذكيرٌ مهمٌ لكل الذين آمنوا، عندما يعيشون هذه المراحل وهذه النقلات. ٢٣

والخلاصة هي: أهمية أن يبقى الإنسان بشكلٍ مستمر في موقع الاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويرى الفضل لله، لا يصيبه الغرور؛ **لأن** الغرور أيضاً يؤثر عليك في الاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يصيبه الفتور وكأنه قد أكمل وقد أدى ما عليه، الإنسان عليه مسؤولية كبيرة حتى يلقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تؤثر عليه الدوافع الأخرى.

أيضاً من الدروس المهمة في: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾، ما يُستَجد من تحديات قد تضغط على البعض، وتؤثر على البعض، فالإنسان إذا واجه تحديات جديدة؛ تذكَّر التحديات السابقة، والمخاطر السابقة، والتي قد عبرها وتجاوزها بمعونة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بألطاف الله، بنصر الله، بتأييد الله، بفضل الله، فيحافظ على ثقته بالله، أمله بالله، رجائه في الله، لا يتصور أن هذه التحديات الجديدة لا يمكن أن يدفعها الله، الله على كل شيءٍ قدير، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾[١]، ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[٢].

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، وأن يوزعنا شكره، ويلهمنا ذكره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١- آل عمران: من الآية ١٥٠

٢- الأنفال: من الآية ٤٠

يوم الفرقان (٦)

خطورة الفتنة.. ونتائج الخيانة

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُه ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبق في الآيات المباركة التي تحدثنا على ضوئها في محاضرات الأمس وما قبل الأمس مواضيع مهمة، في غاية الأهمية، ولربما نحن في هذه المرحلة في أمسِّ الحاجة إلى الاستفادة من تلك الآيات المباركة، والاهتداء بما فيها من هديٍ عظيمٍ له علاقةٌ بصلاح واقعنا، المسلمون اليوم في أمسِّ

الحاجة إلى إصلاح واقعهم، وإصلاح واقعهم يتطلب أن تكون منطلقاتهم منطلقاتٍ صحيحة، وأن يعتمدوا على رؤيةٍ صحيحة، وأيُّ رؤيةٍ أهدى مما يقدِّمه القرآن الكريم، من منطلق حكمة الله وتعليماته العظيمة!

استعراض لأهم النقاط في محاضرة الأمس

ونجد في الآيات المباركة التي قرأناها وتحدثنا على ضوئها في المحاضرات السابقة ما يلفت نظرنا إلى أن نتوجه بجدية والتزامٍ عملي في التعامل مع توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأتى الحديث عن الطاعة والالتزام العملي؛ **لكي** نتعامل مع أوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع هديه، مع تعليماته وتوجيهاته، بتنفيذٍ والتزامٍ عملي، فنعيش ثمرتها، وتتحقق لنا النتائج التي هي رهنٌ للالتزام العملي، وللتطبيق، وللتنفيذ.

ثم أتى التحذير الشديد من أن تتحول العلاقة مع هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى علاقة استماعٍ روتيني، يتعوَّد الإنسان أن يسمع بشكل عادي **جدًّا**، وبدون أي اهتداء، ولا تأثر، ولا استفادة، ثم بدون أي انطلاقة عملية على ضوء تلك التعليمات والتوجيهات التي سمعها الإنسان من هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه الحالة التي لها آثار ونتائج خطيرة على الإنسان، حيث يصاب بالخذلان، فيتحول في واقعه وكأنه أصم لا يسمع شيئاً، وكأنه أبكم لا ينطق، وكأنه ممن لا يفهمون شيئاً، ولا يعقلون شيئاً، حالة من الخذلان الخطير **جدًّا** على الإنسان.

ثم أتى النداء من جديد بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]، وأشرنا بالأمس إلى أنَّ هذه الآية المباركة تركِّز على التوجيهات التي عادةً ما يتهرب الناس منها، وهي تتجه إلى ما فيه إحياءٌ للإنسان كشخص، تحيي فيه روح العزة والإيمان، روح الشعور بالمسؤولية، تحيي فيه القيم الإيمانية، تحيي فيه وتنمِّي فيه مشاعر الخير، ومشاعر الكرامة، ذات أثر كبير، يدفع الإنسان ليتحرك عملياً في واقع هذه الحياة،

١- الأنفال: من الآية ٢٤

فيما يقابل ذلك الحالة التي هي أشبه بالموت، يموت في الإنسان الخير والرشد والعزة والكرامة؛ **فيجمد** في هذه الحياة، ويكون له دور سلبي في هذه الحياة.

أو على المستوى الجماعي، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ على المستوى الجماعي، تأتي الدعوة من الله ﷻ في مواقف كثيرة، **يعني:** ذات علاقة بالمسؤولية، ذات صلة بالمسؤولية، تحيينا، تحيي فينا العزة والكرامة، تحيي وضعنا وواقعنا وتصلحه، تبنينا لنكون أمةً قويةً، تحركنا لنكون أمةً منطلقةً بشكلٍ عملي، تبني نفسها لتكون قويةً، وتواجه التحديات والأخطار، وتنهض بمسؤولياتها وواجباتها، وتعمل على معالجة مشاكلها، وتصلح الخلل في داخلها، فهذا الجانب العملي الذي فيه حياة الأمة، هو الذي عادةً ما يتهرب منه الناس، والنتيجة هي النتيجة التي يعاني منها مجتمعنا الإسلامي إلى حدٍ كبير.

أتت بعد ذلك التحذيرات الشديدة، منها أول تحذيرٍ وهو قوله -جلَّ شأنه-: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[1]، فيما يعنيه ذلك من خذلان رهيب للإنسان، تفسد نفسيته، تفسد مشاعره، تتغير توجهاته واهتماماته، يُطبَع على قلبه، فيصل إلى مرحلة معينة يفقد فيها كل الدافع للاستجابة، حتى لو تبيَّن له أهمية ذلك الموضوع، أو كان من أهم الأمور، أو كانت مسألة من أهم المسائل، أو خطراً من أكبر الأخطار على الأمة، فهو قد فقد الدافع للاستجابة العملية.

جاء التحذير أيضاً والتذكير بالحشر والرجوع إلى الله ﷻ، وأن تقاعس الإنسان وتخاذله سيحمله أوزاراً خطيرة؛ **لأنه هو من جانب:** تخاذُلٌ، وتنصل عن المسؤولية، وتفريط وعصيان، **وهو من جانبٍ آخر:** إسهام في كل ما يترتب على ذلك من نتائج لصالح أعداء الأمة، أو نتائج سلبية في الواقع، وهذه الآثار والنتائج لموقف الإنسان في تخاذله، في عدم استجابته العملية، هي من أخطر الأشياء على الإنسان؛ **لأنها** تجعل من هذا الذنب ذنباً عظيماً، وتجعل منه

١- الأنفال: من الآية ٢٤

وزراً كبيراً، فليست حدود ذنبك أنك قعدت، تخاذلت، لم تستجب عملياً لهذه الدعوة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما فيه حياة الأمة، قوة الأمة، عزة الأمة، منعة الأمة، صلاح واقع الأمة، انتظام أمر الأمة، أنت ذنبك يتعدى مسألة القعود إلى النتائج، يمثِّل إسهاماً لصالح مَنْ؟ لصالح العدو، ويمثِّل إسهاماً في إماتة الأمة، إضعافها، وتحويل واقعها إلى واقعٍ سلبيٍ متردٍ منهارٍ، ويتحول ذلك الواقع إلى واقع يخدم أعداء الأمة بكل ما تعنيه الكلمة، ويؤثر على الأمة، حينها تكون نتائج هذا العمل محسوبةً عليك وزراً عظيماً، وذنباً فظيعاً يحاسبك الله عليه يوم القيامة، بكل ما يترتب عليه من تداعيات ونتائج خطيرة وسلبية.

للأهمية والتذكير: الفتنة.. وأشكالها ومخاطرها

ثم أتى التحذير من الفتنة، وأنَّ هذا النوع من الناس المتنصلين عن المسؤولية، المتهربين من الاستجابة لما فيه حياة الأمة، لا بدَّ لهم من هذه الفتنة، والفتنة- كما أشرنا في حديثنا بالأمس- لها أشكال كثيرة؛ **وإنما** أعدنا التذكير **لأهمية** هذه المسألة، وللربط ما بينها وبين ما سيأتي في الآية القرآنية التي نتحدث عنها في درس اليوم.

الفتنة لها أشكال متعددة، منها: الزيغ، أن يخذلك الله، وأن يزيغ قلبك نتيجةً لهذا الخذلان- والعياذ بالله- فربما تتغير فكرتك بالكامل، ربما تتحول إلى إنسان مؤيدٍ للباطل، ربما تتحول إلى إنسان معارض للحق، وبالخذلان والزيغ ترى في الحق باطلاً، وفي الباطل حقاً، تميل إلى أعداء الأمة، تنظر نظرةً سلبيةً ومعقدة تجاه الأمة، وتجاه الذين آمنوا، تجاه الذين يتحركون في إطار الاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما فيه حياة الأمة، بل ترى في جهودهم واهتماماتهم وأعمالهم، ترى فيها أعمالاً غير إيجابية، وتنظر إليها بسلبية شديدة، هذا من الفتنة، من الخذلان.

قد تكون الفتنة في الواقع العملي: أن تغرق في مشاكل شخصية وهامشية، تعطيها جهدك، واهتمامك، وتوجهك، في الوقت الذي انصرفت فيه كلياً معرضاً ومتجاهلاً للمسؤوليات الكبرى، وابتعدت عن الاستجابة العملية

لما فيه حياة الأمة، فاتجهت بدافع العقد الشخصية، وبدافع النظرة الأنانية الضيِّقة لاهتمامات أخرى، تثير فيها إشكالات، وتصنع فيها جواً سلبياً، وتساهم فيها سلباً بدورٍ تخريبي في داخل الأمة، وهذه من الفتنة.

أيضاً على المستوى الجماعي، قد تتخاذل منطقة معينة، أو مجتمع معين، فلا يتحركون للاستجابة العملية فيما فيه عزة الأمة، وقوتها، وحياتها، حياة الإيمان والعزة والكرامة، ثم يغرقون في مشاكل اجتماعية، وصراعات تافهة، يمكن حلها بأبسط الأمور: بالصلح والتراضي، أو بالحكم الشرعي (القضاء)، لكنهم غرقوا في هذه المشكلة، وفي هذه المشكلة، واستُنزفوا فيها، وقد يتجه البعض في هذا النوع من الفتن بنشاط، باهتمام، بجد، بجرأة، بشجاعة، بتضحية، ببذل، بتقدِمة، في الوقت الذي هو متكاسل، متخاذل، جامد، بخيل، جبان، تجاه القضايا المهمة والمسؤوليات الكبرى، التي فيها الحفاظ على عزة الأمة، واستقلالها، وكرامتها، وحيويتها، في هذا الاتجاه يفقد كل العناصر اللازمة للتحرك، فلا هو سخيٌّ، ولا هو شجاعٌ، ولا هو جريءٌ، ولا هو نشيط، لكنه في الاتجاهات السلبية يبرز كفارس من فرسان الميدان، وسبَّاق، ومبادر، ونشيط، ومهتم، وتتحرك عنده المشاعر السلبية **جدًّا**: مشاعر الكبر والغرور، فيزداد سوءاً إلى ما هو عليه.

أشكال الفتنة كثيرة وخطيرة، وهي النتائج الحتمية لعدم الاستجابة لله والرسول فيما فيه حياة الأمة، فالإنسان إذا لم يتجه هذا الاتجاه الإيجابي، فيكون هو الذي يعطيه فكره، اهتمامه، جهده، نشاطه، يبني عليه مسيرته العملية؛ فسيتجه الاتجاه السلبي. الإنسان لا يبقى في حالة فراغ، حتى البعض ممن يفكر في مرحلة من المراحل في التقاعد عن واجباته الدينية والإيمانية والجهادية، نتيجة مشاكل معينة، أو عقد معينة، أو ظروف معينة، قد يخيل إليه- في بادئ الأمر- أنه سيجلس بشكل عادي، قد لا يمكن ذلك، قد لا يتهيأ له ذلك؛ **لأنه** سينشغل بتبرير موقفه، عملية التبرير هذه يحتاج فيها

٢٤

إلى سلبيات كبيرة، **إلى ذنوب كبيرة:** يحتاج فيها إلى توجيه الإساءات والتهم إلى الآخرين، تهم ظالمة، وإساءات كبيرة وظالمة، يحتاج فيها إلى تقديم مسوغات للقعود والتنصل عن المسؤولية، وأي مسوغات للقعود والتنصل عن المسؤولية هي تعارض القرآن الكريم؛ **لأن** توجيهاته توجيهات عملية، تحريك، فعندما يتحرك بهذا الشكل هو يتجه بعيداً عن القرآن الكريم، عن هديه ونوره، عن توجيهات الله فيه، ثم يتجه- فيما بعد ذلك- سلباً، مع الفراغ يبدأ يتحرك: **إمَّا** بالتناجي بالإثم والعدوان والمعصية والإساءة، **وإمَّا** بنشر حالة من التذمر والاستياء، ولعب دور تخريبي في الواقع، وهذه من الفتنة التي قد يقع فيها الإنسان عندما يفقد استجابته العملية لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وينصرف ويبتعد عما فيه حياة الأمة، وعزتها، وقوتها، وكرامتها.

تذكُّر ما قبل وما بعد التمكين ودوره في الشد نحو الله

بعد ذلك أتى التذكير للذين آمنوا بما كانوا فيه من ضعف، من قلة، من إمكانيات بسيطة، من معاناة كبيرة، من خوف، ثم النقلة التي تحققت في الواقع، كما أشرنا هناك دروس كثيرة من هذه الآية المباركة:

ما قبل التمكين هي تعطي أملاً في التمكين الإلهي، يعني: عندما يبدأ الناس في مسيرتهم الإيمانية عادةً ما يبدؤون من ظروفٍ كهذه: ظروف فيها قلة، فيها استضعاف، فيها ظروف قاسية وصعبة، وإمكانات مادية بسيطة **جدًّا**، مخاوف كبيرة، وضعية: ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾[1]، يعيش الناس حالة الغربة، يعيش الذين ينطلقون في مسيرتهم الإيمانية في بداية ٢٤
الأمر هذه الحالة من الغربة، في واقعٍ يختلف معهم، يحاربهم، يلومُهم، ينتقدهم، يأتي الأعداء بأشكال وألوان وفئات متعددة، **فالله** سُبحَانَهُ وَتَعَالَى **يعطي أملاً:** إذا انطلق الناس من وضعية كهذه أنهم سيصلون إلى هذه الوضعية

١- الأنفال: من الآية٢٦

المتقدِّمة، وسينتقلون من واقعهم (ذلك الواقع الصعب) إلى واقعٍ آخر يختلف.

ما بعد التمكين- أيضاً- في هذه الآية المباركة تذكيرٌ مهم، تذكيرٌ بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بنعمته التي **يجب** أن تزيدنا انشداداً إلى الله، وأن تزيد في نظرنا وفي نفوسنا من قيمة توجيهات الله وتعليماته، عندما نعيش ثمرتها، وقد عشنا وضعية الانتقال من تلك المرحلة الصعبة **جدًّا** إلى واقعٍ متقدِّمٍ فيه نصر، فيه تأييد، فيه سعةٌ في الحال عمّا كان عليه الوضع السابق، ومقارنةً بما كان عليه الحال السابق، فيه كذلك استجابة واسعة على مستوى المجتمع، ومستوى الناس، فيه إيواء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه الحالة **يجب** أن تزيدنا انشداداً إلى الله، محبةً لله، خوفاً من الله، تعظيماً لله، حياءً من الله، ثقةً بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتوكلاً على الله، وأن تزيد من إدراكنا لقيمة وعظمة التوجيهات الإلهية، التي عندما نسير عليها، ونلتزم بها، ونتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يترتب عليها نتائج في واقع حياتنا، **ونتائج مهمة بالنسبة لنا:** النصر، العزة، التمكين، السعة في الحال، اليسر بعد العسر، الفرج بعد الشدة... كلها أمور مهمة.

الحسابات الشخصية بدل المنطلقات الإيمانية!

الإنسان إذا لم يعد يتذكر هذه النقلة، هذه النعمة، هذه الرعاية؛ **فهو** سيتجه اتجاهاً مختلفاً: سيبطر، يعيش البطر والطغيان، وسيفتر في نشاطه العملي؛ **لأن** البعض من الناس في مثل هذه الظروف يتجه نحو الانشغال بمتع هذه الحياة، نحو الانشغال بتحقيق المكاسب الشخصية والمصالح الشخصية، ويتجه- أيضاً- **بدافعٍ نفسيٍ سلبي ليركز على المواقع المعنوية:** مناصب معينة، إبراز للشخصية، يختل عنده إخلاصه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تأتي الشوائب الكثيرة إلى منطلقاته، يفقد تلك المنطلقات التي كان يتحرك بها في بداية الأمر، كانت منطلقات ودوافع إيمانية خالصة.

بعد التمكين أصبحت الدوافع مشوبةً بالحرص على المناصب، بالحرص على المواقع المهمة في مراتب المسؤولية، بالحرص على المال، بالحرص على الطمع، بالحرص على التوسع في الرفاهية... وهكذا اتجاهات سلبية، في نهاية المطاف لها أثر خطير على مدى استجابتك العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مثل هذا النوع من الناس يغلب عليهم المزاج الشخصي في مدى تفاعلهم مع الأعمال، مع التوجيهات، مع ما يُدعَون إليه مما فيه حياة الأمة، حينها؛ **لأن** منطلقاته قد تغيَّرت؛ **لم** يعد كما كان سابقاً، فحينها يأتي ليتعامل مع الأمور من منطلق مزاجه الشخصي: أعجبه الأمر؛ **استجاب**، لم يعجبه؛ **لم** يستجب.

فيما قبل كان منطلقاً انطلاقةً سليمةً من مثل هذه الشوائب، يتحرك كجنديٍ لله، **فيما بعد** أصبحت عنده الشروط، والمعايير الشخصية، والمطالب الشخصية، والمقاصد الشخصية، والاعتبارات الشخصية؛ **لأنه** فقد منطلقه الإيماني، ربما البعض لم يشعر بأنه قد فقد منطلقه الإيماني، لكنه لو يفكر ويتأمل جيداً، ويقارن بين وضعيته ما بعد التمكين والنعمة والتأييد الإلهي، وما قبل- في بداية الأمور، كيف كان يوم ذاك، يوم كانت منطلقاته صحيحة، هل كان يشترط مثل هذه الشروط؟ هل كان يحسب هذه الحسابات الشخصية الطويلة العريضة؟ أم أنه كان ينطلق من منطلق الحرص على ما فيه رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

هذا درسٌ مهم، وهذه المسألة يمر بها كل الذين ينطلقون في إطار المسيرة الإيمانية في كل زمانٍ ومكان، وتأتي إليهم الكثير من الإشكالات التي أتت حتى في صدر الإسلام، التي وقعت في واقع المسلمين في زمن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وهم أول من ذكِّروا بهذه الآيات، وهم أول من توجهت إليهم هذه الآيات بما فيها من تحذيرات، وبما فيها أيضاً من ترغيب، ومن تنبيه على النعمة الإلهية، والتقدير لها والشكر لها كيف يكون من خلال الاستجابة العملية، وألَّا يفقد الإنسان توجهه الصحيح المبني على الاستجابة العملية؛ **لأن** البعض لم يعد

يستجيب، عندما يصل إلى هذه المرحلة: **إمَّا** أصيب بالفتور، والكسل، والخمول، والتوجه نحو الراحة، والمصالح الشخصية، **وإمَّا** أصيب بالغرور والكبر، وأصبح يرى لنفسه الفضل وليس لله ﷻ، لم يعد يذكر أنَّ الذي آوى، وأنَّ الذي أيَّد، وأنَّ الذي نصر، وأنَّ الذي مكَّن هو الله، وليس أنت، أنت عبد ضعيف عاجز.

﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]، النتيجة الصحيحة في واقع الإنسان الذي يستمر في المسار الصحيح **هي**: الشكر، وحالة الشكر هي حالة عملية، فيها: استمرار في الاستجابة العملية، انشداد إلى الله ﷻ، استشعار لفضل الله ﷻ ونعمته، واستشعار أنَّ الفضل لله، فالإنسان- إذا كان شاكراً- سيزداد في توجهه الإيجابي، في استجابته العملية، في انطلاقته الصحيحة، في اهتماماته العملية في الاتجاه الصحيح.

الخيانة أشكالها ودوافعها ونتائجها السيئة

خيانة الله والرسول!

أتى بعد ذلك الآية القرآنية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢]، هذه آية مهمة **جدًّا**، والإنسان عندما يتأمل فيها يهتز وجدانه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ينادينا الله بانتمائنا الإيماني، يخاطبنا بهذا الانتماء الإيماني، **الذي مقتضاه:** الطاعة لله، الاستجابة لله، الخشية من الله، الوفاء مع الله، الصدق مع الله، **فيقول -جلَّ شأنه-:** ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، الخيانة في طريق الحق، في العمل في سبيل الله، في المسيرة الإيمانية، **هي:** خيانةٌ لله ﷻ، أنت في طريق الحق، في المسيرة الإيمانية، في العمل في سبيل الله، عندما تخون، فخيانتك هي خيانةٌ لمن؟ خيانةٌ لله، أنت تخون الله، وهذا ذنبٌ عظيم،

١- الأنفال: من الآية ٢٦

٢- الأنفال: ٢٧-٢٨

وجرمٌ فظيعٌ شنيع، أن تخون الله، هل أكبر من هذا جرم؟ جرم رهيب **جدًّا.**

الخيانة لله لها أشكال متعددة، الخيانة لله ﷻ عندما تتعامل مع العدو، أنت في المسيرة الإيمانية، في المسيرة الدينية، في مجال العمل في سبيل الله، في إطار موقف الحق، ثم تتعامل مع العدو لصالح العدو، والعدو يعمل للاستقطاب والتأثير والاختراق، من أكبر ما يركز عليه الأعداء **هو:** الاختراق، الاختراق للذين آمنوا في موقفهم الحق، في عملهم في سبيل الله، في إطار ما هم فيه من عمل ومسؤولية، ويستخدمون الكثير من الوسائل لتحقيق هذا الاختراق وللاستقطاب، والبعض من الناس هو معرَّضٌ -أصلاً- أن يتجه هو شخصياً ابتداءً، قبل أن يصل الأعداء إليه بوسيلة من وسائل الاختراق والاستقطاب، عندما يخذل، عندما يفتن، عندما يتجه الاتجاه السلبي، **قد يتجه هو ليعمل لصالح الأعداء: إما** بدافع الانتقام والحقد؛ **بسبب** أمور شخصية، قضايا شخصية، عقد شخصية، **وإما** بدافع الطمع في المادة، **وإما** من واقع الاستهتار بالأمور، والاستهتار بالمسؤولية، وينظر إلى الواقع وإلى الأحداث وكأنها مسألة بيع وشراء، ومواقف وأمور شخصية، ومكاسب شخصية، ويريد أن يفتح له فيها نافذة... دوافع متعددة وكثيرة يمكن أن تدفع الإنسان **للخيانة:** الطمع، المخاوف، العقد الشخصية والضغائن والأحقاد... عوامل أخرى يمكن أن تدفع الإنسان للخيانة، فيقدم شيئاً لصالح العدو، قد يقدم هذا الشيء الذي لصالح العدو ولو لم يكن محباً للعدو، لكن في ذلك الذي قدمه خدمة للعدو، عندما تعمل ما هو خدمة للعدو، **عندما تقدم ما هو خدمةٌ للعدو بأي دافع:** بدافعٍ مادي، بدافع الحقد، بدافع الطمع، بدافع المخاوف... بأي دافع، فأنت هنا تخون الله، تخون الله ﷻ، وتخون الرسول.

٢٤

عندما يتجه الإنسان أيضاً لدورٍ تخريبي يمسّ بالمسيرة الإيمانية والدينية والعمل في سبيل الله ﷻ، وهو يعلم ذلك، يتجه اتجاهاً لذلك

(لهذا الدور التخريبي)، فهو أيضاً يخون الله، هذا من أشكال الخيانة، **يعني** مثلما التعامل لصالح العدو؛ **من** أشكال الخيانة، فالتوجه للعب دور تخريبي داخلي يعد من أشكال الخيانة، وجرمها كبير وعظيم.

الخيانة في المسؤوليات والحقوق العامة

﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، الخيانة للأمانة عنوانٌ واسع يندرج تحته الكثير الكثير من التفاصيل، فما تؤتمن عليه، سواءً عملاً، أو إمكانيات مادية، أو مالاً، أو وديعة.. ما تؤتمن عليه من حقٍ عام، أو من حقٍ خاص، من حقٍ عام يتعلق بحق الأمة، أنت في موقع مسؤولية من المسؤوليات العامة، سواءً على المستوى العسكري، المستوى الأمني، المستوى الاقتصادي، المستوى الإداري، المستوى القضائي... في أي موقع من مواقع المسؤولية كنت، وتؤتمن في هذا الموقع، في هذه المسؤولية، أنت هنا تؤتمن على عملٍ تؤديه، وعلى مسؤوليةٍ تتحملها، وأيضاً قد تؤتمن- إضافةً إلى ذلك- **على إمكانيات مادية في إطار هذه المسؤولية: إما** مالاً نقدياً- مثلاً- **أو** إمكانيات ووسائل تستعين بها في عملك، ما كان ضمن هذه الأمانة عندما تتصرف فيه لمصلحةٍ شخصية خارج إطار المسموح، فأنت تخون، عندما تخون في أدائك العملي بتصرف يخرب هذا العمل، **أو** يسيء إلى هذا العمل، **أو** تفرط عمداً في أشياء تؤثر على هذا العمل، تؤثر على هذه المسؤولية، فهي خيانة في نفس العمل، وأنت اؤتمنت على العمل، اؤتمنت على هذه المسؤولية، أو عندما تتجه خيانتك نحو تلك الإمكانات المادية التي هي لهذا العمل من مال أو غيره، فتأخذ منها، وتصادرها- على حساب هذا العمل- لمصالحك الشخصية، لاتجاهات شخصية، فهذه خيانة.

ويأتي هنا الحديث عن الفساد في الدولة مثلاً، وفي المسؤوليات العامة، وفي المسؤوليات الجهادية، في إطار كل مسؤولية يتحرك الإنسان فيها معتمداً على إمكانات تأتي لصالح هذه المسؤولية، ولدعم هذه المسؤولية، ويطول الحديث

ويكثر الحديث حول خطورة الفساد، الفساد في موقع المسؤولية، سواءً في الدولة، أو خارج الدولة، أنت في أي مسؤولية من المسؤوليات، أنت عندما تقتني إمكانيات معينة لصالح هذه المسؤولية **يجب** أن تحذر من الخيانة، الخيانة ذنبٌ عظيم، وجرمٌ كبير، والخيانة من أخطر الأشياء التي تؤثر سلباً على الأمة في أعمالها، وفي نجاحها، وفي فلاحها، ولها تأثيرات خطيرة **جدًّا**، تأثيرات على المستوى النفسي، الإنسان إذا خان أمانته تتغير نفسيته، يخسر من إيمانه، يخسر في مشاعره، يخسر من زكاء نفسه، من طهارة مشاعره، وتعظم وتكبر هذه الحالة السلبية في واقعه النفسي؛ **حتى** يفقد المشاعر الإنسانية الإيجابية ويكون جريئاً على الخيانة، من المهم أن يتذكر الإنسان عدة أمور:

أولاً: قُبح الخيانة، الخيانة لها قبحها الشنيع، اسمها- بنفسه- يدل على قبحها وشناعتها، الخيانة تعتبر جرماً تسيء فيه إلى نفسك، وأنت - بالخيانة - تخل بإنسانيتك، بكرامتك، بشرفك، بعزتك، وأنت تنزل إلى حالة دناءة في واقعك النفسي والحياتي، الخيانة دناءة، الخيانة انحطاط، الخيانة سرقة- وزيادة، سرقة وأكثر، الإنسان الخائن للأمانة يتحول إلى إنسان سيء **جدًّا**، من أسوأ الناس، مثلما الأمانة والوفاء من أجمل وأرقى القيم، وأعظم القيم؛ **فالخيانة** من أسوأ الجرائم، وأقبح الذنوب، وأسوأ المعاصي، هي دناءة، هي انحطاط، هي خسة، هي لؤم.

تأثير الخيانة على مستوى الواقع العام

والإنسان أيضاً مع ذلك يؤثر سلباً على الواقع العملي، الخيانة تنتقص من فرص النجاح في الأداء العملي، وإذا انتشرت الخيانة، انتشر الفساد، يؤثر هذا على مستوى الواقع العام تأثيراً سلبياً، يستنزف الطاقات والإمكانات التي للأمة، ثم يؤثر على الواقع العملي؛ **تتجه** اهتمامات الناس إلى هذه الجوانب المادية؛ **فيصبح** جاهزاً للإخلال بعمل، أو لتخريب عمل، أو للعب في العمل، تدخل الأطماع والأهواء لتؤثر في نفس أداء المسؤولية، في نفس الأداء العملي؛

فتترك تأثيرها السلبي على فرص نجاح العمل، ويتحول دور الإنسان الخائن إلى دورٍ سلبيٍ يهدد العمل، يهدد المسؤولية، يهدد الأمة، تمتد آثار خيانته لتترك تأثيرات سيئة في واقع الناس، يترتب عليها الظلم، يترتب عليها خلل كبير في العمل، يترتب عليها الفشل، فتمتد آثار عمله إلى الواقع العملي من جوانب كثيرة، ويمتد الذنب ويكبر الوزر بحسب ذلك، فهي مسألة خطيرة **جدًّا**، فخيانة الأمانة منها ما يتجه إلى الحق العام الذي يتعلق بالمسؤولية: في الدولة أو في غير الدولة، في الأعمال الجهادية... في أي مجال من مجالات العمل.

والإنسان إذا انحط ورضي لنفسه بالدناءة؛ فقد يخون في ظروف حتى ظروف عجيبة، ظروف مأساوية، الخيانة والأمة تعاني من ظروف صعبة **جدًّا**، لا يليق بالإنسان فيها أن يفكر حتى التفكير بالخيانة، والأمة تعاني من ظروف صعبة وعصيبة ومعاناة كبيرة **جدًّا**، قد تكون الخيانة على حساب مال تأخذه لنفسك شخصياً، والذي قدمه إنما قدمه من ظروف صعبة؛ **ليساهم** به في موقف الحق، ليساهم به في النصرة للأمة، في دفع الخطر عنها، ليساهم به في سبيل الله سبحانه وتعالى، فتأتي أنت فتأخذ ذلك الحق، تلك المساهمة التي ساهم بها من ساهم من ظروف صعبة، آثر على نفسه، على معيشته؛ **فيكون** هذا جرماً عظيماً وشنيعاً، ووزراً كبيراً.

الخيانة خارج الإطار العام

الخيانة للأمانة أيضاً في خارج المال العام والحق العام، والإمكانات العامة التي تتعلق بالمسؤوليات، والنوع الآخر من الخيانة: هو الذي يتجه إلى حقوق الآخرين، ما هي مستحقات للآخرين، أو ممتلكات للآخرين، ما اؤتمنت عليه من حقٍ شخصيٍ لآخر، هذا أيضاً من الأمانات التي **يجب** صيانتها والوفاء بها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[1]،

١- النساء: من الآية ٥٨

عندما يأتمنك إنسان على مال، أو شيء من الممتلكات، أو شيء من الحقوق، فمن الخيانة أن تأخذه أو تضيعه عليه، وتحاول أن لا تعيده إليه، وأن تخفيه عنه، خيانة شنيعة، وذنب عظيم، وأمر سيء **جدًّا**، ودناءة وانحطاط.

من الخيانة: الخيانة في الأسرار (الأسرار العملية)، عندما يسرُّ بها الإنسان إلى العدو، أو شخص يأتمنك على سرٍ شخصي وتفشيه بغير حق... وما شابه ذلك، مجال الخيانة مجال واسع، وهو مجال خطير **جدًّا** ومجال سلبي **جدًّا** على الناس في حياتهم، في أعمالهم، في علاقاتهم، ويمس بالعدالة، يمس بالقيم يترك تأثيرات سيئة على الناس في واقعهم النفسي تجاه بعضهم البعض، عندما يفقدون الاطمئنان على بعضهم البعض، عندما يسود بينهم الخوف والقلق من بعضهم البعض، وعدم الائتمان لبعضهم البعض، حالة خطيرة **جدًّا**، تترك تأثيرات سلبية حتى على مدى الاستجابة العملية.

البعض من الناس- مثلاً- ما بعد التمكين الإلهي قد يخون؛ لأنه اتجه بحرص نحو التركيز على الرفاهية، على الأطماع المادية، على المقاصد الشخصية، البعض في إطار المسؤولية قد يمكَّن من إمكانات مالية أو مادية فلا يتحمل؛ **عنده** ضعف إيمان، وضعف قيم ووفاء، ضعف إنسانية، فيخون؛ **نتيجةً** للأطماع والأهواء، ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، أنتم تعلمون قبح الخيانة، جرم الخيانة، سوء الخيانة، ذنب الخيانة، وأنها من الجرائم الشنيعة للغاية، وعليها الحساب والعقاب في الدنيا والآخرة. في الدنيا الله قد يصيبك بمصائب كبيرة **جدًّا؛ نتيجةً للخيانة**، وقد تدخل في متاهات لم تكن تتوقعها، وتصل إلى أمور لم تكن تتخيلها؛ **نتيجةً لخيانتك**، وأنت تحبط عملك- إذا كنت ممن له رصيد عملي- تحبط عملك بالخيانة، تورط نفسك بالخيانة، إذا كان دافع هذه الخيانة دافع مادي، أنت تحرص على أن تكون صاحب أموال، وتحوز ممتلكات، واتجهت للخيانة للحصول على ذلك، للحصول على المال وتنمية المال، أو من أجل أولادك

١- الأنفال: ٢٧

وأسرتك تحت عنوان (تأمين مستقبلهم)، فاتجهت للخيانة: **لتجهز لك مثلاً:** بيتاً شخصياً، وتجهز لك ممتلكات شخصية ومكاسب شخصية من خلال الخيانة لهذه الأمانة، **ما كان منها: إما** حقاً عاماً يتعلق بالمسؤولية، **أو** حقاً خاصاً.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، اختبار؛ **تُختبرون** بهما، ولذلك؛ أنت في حالة اختبار، إذا سقطت في هذا الاختبار، واتجهت اتجاهاً خاطئاً، فأنت ستتحمل الوزر والإثم والذنب، وتورط نفسك؛ **بينما** كان بالإمكان إذا كنت ترغب أن تحصل على الخير، أن تحصل على الرعاية الإلهية الواسعة، فالاتجاه لذلك كان عبر الطاعة، عبر الاستقامة، عبر التوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عبر الاعتماد على الوسائل المشروعة والحلال.

الطريق الصحيح لنيل الخير والسعادة

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، والأجر العظيم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يأتي منه جزءٌ في الدنيا، ويوفى الإنسان الجزاء العظيم والأجر الوافي في الآخرة، وهو عظيم، هذا ترغيب كبير في أن الطريق إلى الخير، الطريق إلى الرعاية الإلهية، الطريق إلى الحصول على فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو بطاعة الله، هو بالاستقامة، هو بالوفاء والأمانة، الله سيعطيك الأجر العظيم، الخيانة تفوت عليك بها الجنة بكلها، يفوت عليك بسببها النعيم الأبدي، السعادة الدائمة، يفوت عليك كل ذلك النعيم الذي ذكره القرآن الكريم في الجنة: قصورها، بساتينها، مزارعها، مأكولاتها، مشروباتها، ملابسها، السعادة فيها، الصحة الدائمة، الحياة الأبدية في ذلك النعيم والراحة والرفاهية، كل ذلك تخسره من أجل شيءٍ تافه، والبديل بسبب الخيانة هو النار.

قد تكون الخيانة لصالح أن تبني لك بيتاً شخصياً، فتكون النتيجة بيتاً في جهنم، حالة رهيبة **جدًّا**، مساكن في جهنم، أماكن ضيقة في قعر جهنم، ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[1].

١- الفرقان: ١٣-١٤

قد تكون الخيانة لصالح أن تعيش حياة الرفاهية في طعامك، في شرابك، في ملبسك، ثم يكون البديل عنها تلك الوجبات في جهنم: الزقوم، الضريع، الصديد الذي تسقاه وتشربه، بدلاً عن العصائر والمشروبات التي خنت من أجلها في الدنيا، وأنت تسعى للرفاهية الزائدة في حياتك. **القات الله أعلم ما هو الذي سيكون بديلاً عنه في جهنم!** لكن المسألة خطيرة **جدًّا**.

الخيانة خطيرة جدًّا، ويمكن أن يتعرض لها الإنسان، ويمكن أن يتعرض لها الذين آمنوا بعد التمكين، إن لم يستقيموا، إن لم يحرصوا على الوفاء، إن لم يحرصوا على أن يكون مسارهم العملي مساراً صحيحاً، يؤسس لعلاقة دائمة مع الله، علاقة قائمة على الاستجابة العملية، على الشكر لله سبحانه وتعالى، وبالشكر يتحقق كل خير، الله هو القائل في كتابه الكريم: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، الشكر زيادة في الخير، سعة في الحال، فضل من الله سبحانه وتعالى يعطي الإنسان، والله عنده كما قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

من ثمار التقوى العظيمة: الفرقان والغفران

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2]، فإذا اتجه الإنسان على أساس أن يتقي الله سبحانه وتعالى، فتقوى الله سبحانه وتعالى هي التي يبنى عليها الخير الكبير، في مقابل الخيانة التي هي خطيرة على الإنسان، تقوى الله يترتب عليها هذا العطاء الإلهي العظيم، وجمع كل ذلك عبارة مهمة: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، (**فُرْقَانًا**) يشمل الهداية والتنوير الإلهي، في مقابل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ﴾[3].

١- إبراهيم: من الآية٧
٢- الأنفال: الآية٢٩
٣- الأنفال: ٢١-٢٢

الإنسان في مسيرته العملية: إما أن يتجه اتجاهاً يفقد فيه فهمه، نظرته الصائبة، تفكيره السليم، تصوره الصحيح، تقييمه الصحيح، **ويتحول من تلك الفئة:** الصم البكم الذين لا يعقلون، يصبح إنساناً لا يفهم ولا يعي، إنساناً ينطلق في نظرته للأمور من منطلقات خاطئة، فتكون نظرته خاطئة، ويكون تفكيره خاطئاً، وتكون تقييماته للأمور تقييمات خاطئة؛ **لأن** منطلقاته من الأساس أصبحت خاطئة.

وإما أن يتجه الإنسان اتجاهاً صحيحاً، فيزيده الله هدايةً، وزكاءً، ونوراً، وتوفيقاً، وبصيرةً؛ **فيكبر** وعيه، وتزداد نظرته صواباً، وإدراكه كذلك يكون أكثر دقةً، بهدايةٍ من الله ﷻ، نتيجة التزامه بالتقوى.

فالالتزام بالتقوى له أهمية كبيرة جدًّا في أن يمنحك الله النور، والبصيرة، والفهم الصحيح، **ولهذا أهمية كبيرة في التصرف:** في العمل، في القرار، في السلوك، تأتي هذه الثمرة إلى واقعك العملي، تكون تصرفاتك تصرفات مبنية على رؤية صحيحة، على فهم صحيح، تكون قراراتك قرارات مبنية على رؤية صحيحة وفهم صحيح، وبهداية من الله، وتنوير من الله ﷻ، أعمالك، توجهاتك، خططك، ترتيباتك العملية.

وأيضاً الفرقان في الواقع، فهذا الفرقان هو فرقانٌ في حالكم، في واقعكم، في نظرتكم للأمور، في فهمكم، فرقان تفرق به بين الحق والباطل، بين الصواب والخطأ، بين الاتجاه الصحيح والاتجاه غير الصحيح، التصرف الصحيح والتصرف غير الصحيح، العمل المناسب والعمل غير المناسب، وفرقان في واقعكم، تنتقلون من وضعية إلى وضعية أفضل، إلى واقعٍ أكثر تمكيناً، وأحسن حالاً وسعةً، وعلى مستوى الرزق، والبركات، والخيرات، والتوفيقات العملية، والنجاحات في الواقع العملي، تتحقق لكم المزيد من النجاحات في مسؤولياتكم، وفي أعمالكم، وفي الميدان كذلك.

فهذه الآية الكريمة تقدم لنا ثمرة التقوى، الثمرة العظيمة جدًّا، في مقابل قبح الخيانة، ومساوئ الخيانة، وما يترتب على الخيانة من نتائج خطيرة **جدًّا** تؤثر على الأمة في نفسها وفي واقعها.

﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾؛ **لأن** الإنسان مهما كانت استقامته العملية والتزامه العملي، قد يأتي منه التقصير، قد يأتي منه النسيان، الخطأ، الغفلة، لكن مع التقوى والتوجه الصادق نحو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **فالله** يكفر تلك السيئات، ويمحو تأثيراتها السلبية في الواقع النفسي، وفي الواقع العملي، ويوم القيامة.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، المغفرة من الله مطلب مهم **جدًّا؛ لأن** الإنسان بحاجة إلى المغفرة، إذا لم يغفر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالنتائج على الأخطاء، على الأعمال، على السلبيات، على الزلل؛ **عقوبات** لها تأثيرات كبيرة، لكن عندما يكون الاتجاه- في الأساس- اتجاهاً صحيحاً قائماً على التقوى، والرجوع المستمر إلى الله، والإنابة إلى الله، والتصحيح للخلل؛ **فيأتي** من الله التكفير للسيئات والمغفرة.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، **ولذلك ففضله يسع كل ذلك:** أن يجعل لكم فرقاناً، وأن يكفر عنكم السيئات، وأن يغفر لكم، وإضافات أخرى إلى ذلك، ولا يزال فضل الله أوسع وأعظم، يشمل أشياء كثيرة أخرى يمكن أن تحصلوا عليها، وأن يمنّ الله بها عليكم، إن استقمتم في مساركم العملي على أساس التقوى، والاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والشكر له على تمكينه وتأييده بالنصر، وعلى أرزاقه، وما يمن به من واسع فضله.

٢٤

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

يوم الفرقان (٧)

الخيانة والخائنين وتعنت ومكر الكافرين

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلّا اللهُ الملك الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث على ضوء الآية القرآنية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، وتحدثنا عن بعضٍ مما ينطبق عليه أنه من الخيانة لله، والخيانة للرسول، والخيانة للأمانة، ولا شك أيضاً أنَّ من صور الخيانة ومن أشكالها، من أشكال الخيانة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

١- الأنفال: الآية ٢٧

وللرسول، والخيانة للأمانة مع بعض، الخيانة لذلك كله هو: عندما يخون الإنسان المبادئ والقيم الإلهية، والتمكين الإلهي، الذي كان على أساس التحرك تحت عنوان تلك المبادئ والقيم، فعندما يتحرك الإنسان باسم أنه مجاهدٌ في سبيل الله ﷻ، ويسعى لإقامة الحق والعدل، ويقف بوجه الظلم، ثم عند التمكين الإلهي، وبعد التأييد الإلهي، والذي أتى على أساس التحرك بهذه العناوين، وبهذه المبادئ، وبهذه القيم، وضحى الكثير بأنفسهم في سبيل الله من أجل ذلك، يستغل الإنسان من موقعه في المسؤولية: **إما** كقائدٍ عسكري... **أو** في أي موقع من مواقع المسؤولية، يستغل موقعه في المسؤولية، ومنصبه المعين، والإمكانات التي بيده وهي لسبيل الله، أو هي للحق العام، والموقع الذي وصل إليه بعد تضحيات وجهود كبيرة من أجل قيمٍ عظيمة، من أجل مبادئ عظيمة، **من أجل عنوانٍ عظيم: من** أجل سبيل الله، **من** أجل الله، **من** أجل الحق، **من** أجل دفع الظلم، يستغل موقعه، منصبه، فيمارس الظلم من موقعه: **إمَّا** الظلم للناس٦ في أنفسهم: قتلاً، أو سجناً، أو تعذيباً، أو اضطهاداً، أو إذلالاً، بالقول (بالكلام)، عندما يطلق كلمات من موقع التجبر والاستكبار والإساءة والاحتقار، أو التهديد والوعيد بغير حق... أو نحو ذلك، وبالفعل **مثلما أشرنا:** بقتل، أو بسجن... أو غير ذلك، أو على ممتلكات الناس، أن يقتطع أرضاً لشخص، أو يأخذ حقاً على شخص، أو يبتز إنساناً في ماله، فيأخذ عليه من ماله، وعندما ينطلق مستنداً إلى ما قد بلغ فيه من التمكين ضمن أمة تحركت على أساس مشروعٍ قائمٍ على أساس إقامة العدل والحق، فهو يخون الله، يخون التمكين الإلهي، يخون تلك الأمة، يخون تلك المبادئ، يخون تلك القيم، يخون كل الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الله ﷻ من أجل إقامة الحق، وإقامة العدل، وليس من أجله شخصياً؛ لكي يصل إلى مرحلة من المراحل فيأخذ تلك الأرض، أو يسطو على تلك الممتلكات، أو يبتز ذلك الإنسان ماله، أو يمارس ممارسات إجرامية، وممارسات ظالمة. ٢٥

ضرورة اتخاذ الإجراءات ضد هذه الممارسات

خيانةٌ كبيرة من أي شخص، وخيانةٌ في مسيرتنا القرآنية لهذه المسيرة المباركة من أي شخصٍ كان: قريباً أو بعيداً، في أي موقعٍ من مواقع المسؤولية، أن يستغل موقعه أو منصبه لكي يمارس الظلم، لكي يتجبر، لكي يتحول إلى طاغية، لكي يتفرعن، ثم لا هو يستجيب للتذكير بآيات الله، ولا هو يرتدع عندما يذكَّر، ولا هو ينزجر عندما يذكَّر- أيضاً- بأخذ العظة والعبرة من الطغاة والمجرمين، مثل هذه النوعية لا يجوز السماح لها أبداً؛ **أن** تواصل مشوارها الظالم، وتفلّتها في ممارسة الطغيان والإجرام، **ويجب** التعاون من الجميع لمنع أي إنسان يتحول إلى طاغيةٍ مجرم، ويخون المبادئ والقيم العظيمة، ثم لا يتذكر إذا ذُكِّر بآيات الله، لا يجوز- أبداً- السماح له بمواصلة هذا النوع من الخيانة والإجرام بحق الناس، والخيانة لله، والخيانة للمبادئ والقيم العظيمة.

والمجتمع معنيٌّ، المجتمع المسلم، المجتمع المؤمن، الذين آمنوا معنيون أن يتعاونوا على البر التقوى، وأن يمنعوا العدوان، وأن يمنعوا الإثم، وأن يحاربوا الخيانة، وأن يتصدوا لكل أشكال الخيانة، وأن يعملوا- إضافةً إلى المنهج التربوي والتذكير- إلى منع الخيانة، ومنع الخونة، الإنسان الخائن هو منحط، هو دنيء، نفسيته نفسية فاسدة، لا يصل الإنسان إلى مستوى الخيانة، وإلى مستوى الإصرار على الخيانة، وعدم القبول بالتذكير حتى بآيات الله، **إلَّا** وقد تحول إلى إنسانٍ دنيءٍ منحطٍ مجرمٍ، فقد الخير في نفسه، فقد الإيمان في نفسه، فقد الزكاء في نفسه، إما أنه قد امتلأ بالغرور والكبر والطمع والهوى، وأصبح يتحرك من واقع المزاج الشخصي، وفقد التقوى، لم يعد يتقي الله؛ **حينها يجب** منع هذا النوع من الناس من ممارسة جرائمهم وظلمهم، والاستمرار في خيانتهم. **هذا مما فيه حياة المجتمع المؤمن:** أن يكون مجتمعاً حياً، لا يفتح المجال للذين يتسلَّقون على الأكتاف، والذين يستغلون التضحيات الجسيمة، إذا كان الإنسان

يريد أن ينحو هذا المنحى الإجرامي الطغياني الظالم، فليتحرك كفرد (بمفرده)، لا يستند على ظهور وأكتاف أمة مؤمنة، مضحية، مجاهدة، مقدِّمة، معطاءة، لا يستند إلى ذلك الرصيد من الشهداء، الذين قدَّموا أنفسهم وأرواحهم في سبيل الله، ليس من أجله ليتحول إلى قائد عسكري، أو مسؤول معين، أو في منصب معين، فيمارس ذلك الظلم، ليس من أجل ذلك قدَّموا أرواحهم وحياتهم، وليس من أجل ذلك قدَّم الآخرون معهم المال والغالي والنفيس، والتضحيات الكثيرة.

للمنتمين إلى المسيرة القرآنية.. تذكير وتحذير!

هنا أنتهز هذه المناسبة في الحديث عن هذا الموضوع؛ **لأذكر** كل الذين ينتمون إلى مسيرتنا القرآنية في أي موقعٍ كانوا، في أي منصبٍ كانوا، **وفي أي مستوى كانت صلتنا بهم:** أننا لن نقبل لهم ولن نرضى لهم- أبداً- بأن يستغلوا هذه المسيرة القرآنية، وما فيها من التضحيات والجهود والشهداء، والمسؤوليات الكبرى التي نهضت بها أمة مؤمنة، مضحية، مجاهدة، على رأسها صفوةٌ من عباد الله، ومن الأخيار من أولياء الله؛ **لكي** يتسلقوا ظهر هذه المسيرة وأكتاف هذه الأمة، ثم ليمارسوا الظلم، ثم ليبتزوا هذا ماله، أو ليأخذوا على هذا أرضه، مثل هؤلاء الناس لن نرضى لهم بذلك أبداً، مهما كان، مهما حصل، مهما وقع، مهما كانت صلتهم بنا، أو قرابتهم منا، أو علاقتهم بنا، هذا إنذار تمليه علينا المسؤولية، ويفرضه علينا الواجب، نحن سنسعى بكل جهد إلى أن نحارب كل هذا المستوى من الخيانة، من الظلم، من الإجرام، من أي متسلطٍ أو مجرم، مستعينين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وساعين إلى الحفاظ على نقاء هذه المسيرة العظيمة التي قدَّمت الآلاف والآلاف من الشهداء، من الوفاء لهم، ومن الوفاء لله، ومن الوفاء للمبادئ والقيم العظيمة في هذه المسيرة؛ **أن** نحرص على هذا الموقف، أن نسعى إلى تنقية هذه المسيرة، ألَّا نسمح لهذا النوع من المتسلِّطين المجرمين، الذين يخونون المبادئ والقيم، ويخرجون عنها بممارسة الظلم، والجرائم، والنهب، والابتزاز، وإن شاء الله يعيننا الله على ذلك، ويوفِّقنا في ذلك.

خيانة مال الوقف وتداعياتها الخطيرة

من أشكال الخيانة، والتي باتت في هذا الزمن من الظواهر المنتشرة إلى حدٍ كبير لدى الكثير من الناس، **هي**: خيانة مال الوقف، الأوقاف هي منتشرة إلى حدٍ كبير، هناك الكثير من المزارع، الكثير- أيضاً- من الأراضي التي أُوقفت، المصالح التي أوقفت، إما كانت وقفاً للمساجد، أو كانت وقفاً للفقراء، تكون غلّاتها لصالح الفقراء... أو وقفاً في أي وجهٍ من وجوه القربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وللأسف الشديد مع التقصير في الماضي على مستوى التوعية الدينية والإرشاد الديني من جانب، والتقصير من جانب الجهات المسؤولة، على مستوى الدولة، على مستوى الجهات الحكومية من جانبٍ آخر، **بل في مراحل معينة يتحول الجميع مشتركين في هذه الخيانة**: الجهات المسؤولة في الدولة فيما مضى، والقائمون على تلك الوقفيات، الذين هم شركاء في تلك الأوقاف، الكل يتعاونون أحياناً في خيانة الأوقاف، هذا يأخذ، وهذا يأخذ.

الأوقاف هي من القرب التي يتقرب بها الناس إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعندما يخون الإنسان في مال الوقف، **فهو يخون خيانات متعددة**: هو خان الواقف الذي أوقف ذلك المال، تلك الجربة، تلك المزرعة، تلك الممتلكات، تلك المصالح التي أوقفها، عندما تخون في مال الوقف، أنت تخونه، تخون الواقف، وأنت تخون الموقوف له، الذي إليه هذه المصلحة المعينة، أو الغلات المعينة تتجه إليه، مسجدا، أو فقراء... أو غير ذلك، وفي نفس الوقت هي خيانةٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخيانةٌ للأمانة التي بيدك.

للأسف الشديد قد يغفل الكثير من الناس أنه عندما يُؤَكِّل أسرته مما يخون فيه مال الوقف، من حصة الوقف، الإنسان أحياناً قد يكون شريكاً مع مال الوقف، له حصة وللوقف حصة، **فيأتي ليقتطع: إمَّا** يقتطع حصة

الوقف بالكامل، كما يعمله البعض، **وإمّا** ليقتطع منها أيضاً نسبةً معينة، أو جزءاً معيناً، وقد يُؤَكِّل منه أسرته، وهو يُؤَكِّلهم الحرام، يُؤَكِّلهم الحرام، ثم هو- مع هذه الخيانة- لا تقبل له صلاة، لا يقبل منه أي عملٍ صالح، يفسد إيمانه، يفسد صلته بالله ﷻ، يؤثِّر على وضعه، ويتراكم ذلك كثيراً وكثيراً، مع الاستمرار على أكل هذا المال الحرام من خلال هذه الخيانة الخطيرة يتراكم الوزر ويكبر ويكبر، البعض قد تصل النسبة التي أكلها من أموال الوقف في آخر حياته إلى مبلغٍ كبير، كافٍ لتخليده في جهنم- والعياذ بالله- فهذا يدخل في أكل مال الحرام، في أكل المال بالباطل بغير حق، وفي الخيانة. ومن المهم للناس أن يحذروا من ذلك، أن يتخلَّصوا من ذلك؛ **لأنه** أحياناً مع قلة الضبط في هذا الجانب في كثيرٍ من المراحل الماضية، والبعض من الناس إذا لم يكن فوق رأسه عصا تسوقه إلى دفع الحق؛ **يتجرأ** على الخيانة، ولا يتق الله ﷻ، مع أنَّ المفترض أن يكون الإنسان خائفاً من الله، وخائفاً مما يمكن أن يناله من مصائب من ذلك في الدنيا؛ **لأن** مثل هذا النوع من الخيانة له مصائب في الدنيا، ويترتب عليه عقوبات عاجلة في الدنيا، وله آثار سيئة في نفس الإنسان، وفي أعماله، وفي مسيرة حياته، ثم آثاره السيئة والسلبية في الآخرة.

الموضوع في غاية الأهمية، الموضوع مهم **جدًّا**، وخطير **جدًّا**، ولذلك نحن ننصح، ونذكِّر، ونحث، كما **نؤكِّد على أهمية أن يتعاون الجميع:** الجهات المسؤولة في الدولة، وأيضاً المجتمع من جانبه، أن يتعاون الكل في سبيل دفع هذه الخيانة، منع هذه الخيانة، تصحيح هذه الوضعية، وإصلاح هذه المشكلة، وصولاً بعودة الناس إلى دفع حصص الوقف، والجهات في الدولة كذلك معنية بتطوير آلياتها العملية، بتصحيح وضعها الإداري أكثر فأكثر، بالعمل على إيجاد آلية إدارية جديدة تساعد على استخلاص هذا الحق، والعناية بهذا الجانب بشكلٍ كبير؛ **لأنه** أيضاً جانبٌ مهم في الحقوق الشرعية، مثلما الزكاة، وهي ركنٌ من أركان الإسلام، وشأنها أكبر وأعظم، والأوقاف- أيضاً-

٢٥

لها أهمية كبيرة، وخطورة الخيانة في هذا الجانب والمعصية في هذا الجانب كبيرة **جدًّا** على الناس في حياتهم، وفي واقعهم، على المجتمع بشكلٍ عام.

ويذكّرنا الله ﷻ **بأنَّ نتجه إليه**، أن نأمل فضله، أن نسعى لنيل الأجر منه، عندما قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]، عند الله الأجر العظيم في الدنيا والآخرة، لنعمل من الأعمال ما يقرّبنا إلى الله، ما ننال به الخير من الله ﷻ، **هذا مهم**.

بعد ذلك أتى قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2]، بدلًا من الخيانة، بدلاً من الاتجاه السلبي في عدم الاستجابة لله ﷻ، **الاتجاه الصحيح هو:** اتجاه التقوى (تقوى الله ﷻ)، تقوى الله في الاستجابة العملية لله، تقوى الله في الطاعة الصادقة لله ﷻ، تقوى الله في الاستقامة على منهجه بشكلٍ صحيح، تقوى الله في النهوض بالمسؤولية، والتحرك بما فيه حياة الأمة، بما فيه خيرها وعزها وفلاحها وفوزها، هنا الله يعد هذا الوعد العظيم والواسع والجامع: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، **كما تحدثنا بالأمس تشمل عبارة الفرقان:** التنوير الإلهي والهداية الإلهية، وهذا مكسب كبير **جدًّا** للإنسان، يفرق بين الحق والباطل، والتصرفات الصحيحة والخاطئة، والأعمال المناسبة وغير المناسبة، يمتد هذا إلى واقع الحال، فرقاناً في حالكم، تنتقلون إلى وضعية أفضل في حالكم، في ظروفكم في هذه الحياة، في واقعكم في هذه الحياة، أكثر عزة، أكثر سعة، أوسع يسراً... وهكذا، مع تكفير السيئات، مع المغفرة، ثم عندما أضاف إلى ذلك قوله -جلَّ شأنه-: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾؛ **ليذكّرنا** بأنَّ المجال مفتوح أيضاً لنعمٍ أوسع، هذا من فضل الله العظيم، وأيضاً، يعد بما يمكن أن يكون أكثر ذلك.

١- الأنفال: الآية ٢٨

٢- الأنفال: الآية ٢٩

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾!

ثم يقول -جلّ شأنه-: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1]، يذكِّر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة نبيه صلوات الله عليه وعلى آله، ويبصِّرنا جميعاً نحن كأمةٍ مسلمة الذين **(آمنوا)** بهذه النعمة التي أنعم بها -جلّ شأنه- وبهذه الرعاية، وهذا التأييد الإلهي العجيب، في مرحلة قد كانت- لربما- من أخطر المراحل على مستقبل الإسلام، وعلى مسيرة الإسلام، فهي مرحلةٌ مكر فيها الذين كفروا برسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، وتآمروا عليه، في مرحلةٍ كان لا يزال وضعه من حيث: الأنصار، والإمكانات، والقوة، وضعاً ضعيفاً **جدًّا**، **يعني:** لا يمتلك الإمكانات، ولا القدرات العسكرية، ولا الأنصار الذين يمكنهم أن يتصدوا للأعداء في مكرهم هذا، فهو مكرٌ في مرحلة حسَّاسة وصعبة وخطيرة **جدًّا**، ومكرٌ خطير؛ **لأنه** يستهدف النبي صلوات الله عليه وعلى آله، يستهدف رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بكل ما يمثله من أهمية، ومن ضمانة لتبليغ هذه الرسالة، ولإقامة هذا الدين، فكان هذا الخطر خطراً على الرسالة بكلها، وخطراً على رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله الذي يمثِّل الأهمية الرئيسية؛ **لأنه** هو الحامل لهذا المشروع الإلهي، والمبلِّغ لهذه الرسالة الإلهية، وهو لا يزال أيضاً في مرحلة التبليغ، وفي مرحلة السعي لإقامة هذا الدين، فكانت هذه خطوة بالغة **جدًّا**، تهدف إلى طمس معالم هذا الإسلام، والقضاء عليه، وفي مرحلة حسَّاسة وخطيرة.

مكر هؤلاء الأعداء كان يدور حول دراسة ثلاثة خيارات؛ لاستهداف النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- بواحدٍ منها: ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، **يعني:** التقييد والحبس، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾: القتل، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: الإخراج من مكة. وتروي السِّير، ويروي التاريخ، ويذكر التاريخ أنه استقر خيارهم على عملية القتل، أن يقتلوا رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه

[1]- الأنفال: الآية ٣٠

وعلى آله- وخططوا لتنفيذ هذه العملية خطةً اشتهرت ونقلتها كتب السِّير والتاريخ: أن يجمعوا من كل قبيلةٍ أو بطنٍ من بطون قريش فارساً من أشدائها، ومقاتلاً من أبطالها، ليجتمع الكل فينفذوا هذه العملية لاستهداف النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

﴿وَيَمْكُرُونَ﴾، **قاموا بتجهيز هذه الخطة**، وإعدادها، والسعي لتنفيذها، ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، عندما مكروا مكرهم هذا، ودبَّروا مؤامرتهم هذه، وجهَّزوا هذه الخطة، وسعوا لتنفيذها، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تدخَّل برعايته العجيبة في تلك المرحلة الصعبة والحسَّاسة والخطيرة **جدًّا**، ودبَّر لنبيه صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الهجرة بحفظ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ورعايةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وحمايةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى أنَّ الله أنزل إليه جنوداً من ملائكته لحمايته، كما ذكر ذلك في سورة التوبة.

قصة الهجرة معروفة: أمر الله نبيه بالخروج، وخرج، أبقى الإمام علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ لينام على فراشه كعملية تمويه للأعداء، وخرج من دون أن يشعروا به، واتجه إلى غار في أطراف مكة، في جهة غير متجهة نحو المدينة، في جهةٍ أخرى، وبحثوا عنه، ووصلوا إلى مداخل ذلك الغار، لكن الله أنزل جنوداً من عنده (من ملائكته) لحماية النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ومكّنه من الهجرة، وهيَّأ له مرحلةً جديدة توفر فيها الأنصار الذين تحركوا لرفع راية الإسلام، واستكمل عملية الإبلاغ للرسالة.

التذكير هنا .. درس مهم ومطَمئن

هنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **بهذا التذكير يطمئن نبيه** صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ تجاه ما قد يجده من البعض من تخاذل وعدم استجابة، وتجاه- أيضاً- ما يجده من البعض من خيانة، وفي نفس الوقت يعزز الأمل، ويرسخ الرجاء لدى النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ولدى المؤمنين الصادقين معه؛ **لأن الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي منَّ بتلك الرعاية، بذلك الحفظ، بتلك المعونة في ذلك الظرف الحسَّاس، في تلك المرحلة العصيبة والخطيرة **جدًّا**، فمنَّ فيها بهذه الرعاية، هو سيمن برعايته وتأييده فيما بعد ذلك، في المراحل القادمة، في مواجهة التحديات القادمة، في مواجهة الأخطار الآتية، فهذا يطمئن ويعزز

الأمل للنبي صلى الله عليه وعلى آله، وللذين آمنوا في عصره وما بعد عصره، في كل زمن، **وهو درسٌ لنا في هذا العصر:** أنَّ هذه الرسالة الإلهية هي عنصر قوة، هي سبب خيرٍ ونصرٍ وعزٍ وفلاحٍ، هي صلةٌ مع الله سبحانه وتعالى لنيل تأييده، لنيل معونته، لنيل نصره، للحصول على رعايته؛ **لأنها** مدعومةٌ من الله سبحانه وتعالى، مؤيدةٌ من الله سبحانه وتعالى، إذا سارت عليها الأمة، إذا تمسكت بها الأمة؛ **كان** الله معها، ومعية الله سبحانه وتعالى سببٌ للنصر والعز مهما كان مكر الأعداء، مهما كانت مؤامراتهم في خطورتها، أو في دقتها، أو في نوعها، فالله سبحانه وتعالى هو خير الماكرين؛ **لأن** مكره بالحق، ولأن مكره بالعدل، ولأن مكره فاعل ومؤثِّر، ويحبط مكر الأعداء، ويطيح بمؤامراتهم مهما كانت في تعقيداتها، في أساليبها، في وسائلها، ومهما كان لديهم من إمكانيات لتنفيذ تلك المؤامرات وذلك المكر، وهذا درسٌ مهمٌ ومطمئن.

الله -جلَّ شأنه- قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]، هذه مسألة مهمة **جدًّا**، تساعد الناس على الاطمئنان عندما يسيرون في طريق الحق، عندما يستجيبون الاستجابة العملية، أنَّ النتائج هي نتائج مهمة؛ **لأن** الله سبحانه وتعالى يأتي بنصره، بمعونته، بتأييده؛ **مع ذلك** (مع الاستجابة العملية).

الكفار.. المناورة الإعلامية والتعنت الشديد!

ثم يقول -جلَّ شأنه-: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[2]، كان موقفهم من الرسول صلى الله عليه وعلى آله موقفاً معادياً، وحاولوا أن يستهدفوه، وحاولوا أن يقتلوه، وكان موقفهم من القرآن الكريم كذلك موقفاً معادياً، فكانوا إذا تتلى عليهم آيات الله سبحانه وتعالى من القرآن الكريم لا يؤمنون بها، ولا يقبلون بها، ولا يتفاعلون معها، ولا يتأثرون بها، بل كانوا

١- التوبة: الآية ٣٣

٢- الأنفال: الآية ٣١

يواجهونها بهذا الكفران، بهذا الجحود، بهذه العقد: ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾، بدون تفاعل مع ما سمعوه من هذه الآيات المباركة، التي لو أنزلها الله على جبل لخشع ولتأثر، فيما يعبِّر عنه هذا من طغيان، من كفر، من جحود، من استكبار.

ثم قولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾، مجرد كلام للاستهلاك الإعلامي، وليس ذلك بصحيحٍ- أبدًا- النبي صلوات الله عليه وعلى آله تحداهم، فلم يأتوا ولا بمثل آيةٍ من آيات الله سبحانه وتعالى، كانوا عاجزين؛ **إنما** للمكابرة، وحسب المصطلح الإعلامي في هذا الزمن: للاستهلاك الإعلامي، والمناورة الإعلامية.

ثم قولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، يريدون أن ما يقدِّمه القرآن الكريم من قصصٍ تاريخي، ومن حقائق، ومن مفاهيم، ومن عقائد، أنه مجرد أسطورة، ما يقدِّمه القرآن: أسطورة، **يعني:** لا حقيقة له، ليس صحيحاً، وكان بعد الأولين، كمثل ما كان عند الأولين من أساطير وقصص خيالية لا صحة لها، فهم كفروا بالرسول وكفروا بالقرآن، وواجهوا القرآن الكريم بمثل هذا النكران، وبمثل هذا الرفض، حرب إعلامية كانوا يشنونها لمعارضة الإسلام، ولمعارضة الرسالة الإلهية، حاربوا بكل الوسائل، ومكروا بكل الوسائل، وتحرّكوا بكل الأساليب.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، هذا الموقف من جانبهم يوضِّح ما بلغوه من التعنت والاستكبار والجحود، عندما وصلوا إلى هذه الدرجة، فهم يحاولون أن يُبدوا موقفاً نهائياً في جحودهم لهذه الرسالة ولهذا الدين، إلى هذه الدرجة؛ أنهم يقولون وكأنهم يتظاهرون بأنهم يدعون: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، بدلاً من أن يقولوا: فاهدنا إلى هذا الحق، فاشرح صدورنا

١- الأنفال: الآية ٣٢

لتقبل هذا الحق، كانوا يقولون هكذا؛ تعبيراً عن مدى تعنتهم، وتظاهراً بثقتهم بما هم عليه من الباطل، وتظاهراً بثقتهم أنَّ هذا ليس هو الحق.

الاستكبار والتعنت.. الأسباب والنتائج

هذه الحالة من الطغيان والتعنت يصل إليها الإنسان، يصل إليها الإنسان حينما لا يقبل بالحق، يذكَّر بآيات الله فلا يقبل بالحق، يصل إلى هذه الحالة السلبية **جدًّا**، قد يتمنى الهلاك والعذاب ولا يقبل بالحق؛ **لشدة** تعنته وعناده، وهذا التعنت والعناد نهايته جهنم، وهي التي سيقف الإنسان فيها بين استعار نيرانها وحرارتها، بين قيودها وأثقالها، بين جحيمها وحميمها، بين شرابها الصديد، وطعامها الزقوم، وهو يحترق فيها خاشعاً، خاضعاً، خانعاً، ذليلاً، مقهوراً، هي نتيجة هذا التكبر: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، مع ما يمكن أن يأتي الإنسان في الدنيا. هؤلاء الذين تعنتوا هذا التعنت، الذين وقفوا هذا الموقف؛ **أذلهم** الله وكسر شوكتهم في الدنيا، في معركة بدر نفسها، البعض منهم ممن كانوا في منتهى الطغيان والاستكبار والتعنت، قهرهم الله سبحانه وتعالى وقتلهم في غزوة بدر، والبعض منهم فيما بعد ذلك، والبعض منهم دخلوا في الإسلام يوم الفتح طلقاء، مرغمين أذلاء مستسلمين.

﴿أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، تأخير العذاب عنهم بعد قولهم هذا؛ **ليس** لأنهم ليسوا في مستوى أن يُعذبوا، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]، أما هم فيما هم عليه فهم يستحقون العذاب، ولكن سنة الله سبحانه وتعالى أن يجعل مرحلةً معينة للتبيين وإقامة الحجة، فتلك المرحلة التي كان النبي صلوات الله عليه وعلى آله متواجدا فيما بينهم، كان يبين لهم، وكان يقيم عليهم الحجة، بعد استتمام الحجة، واكتمال إقامة الحجة، واكتمال التبيين، وإذن الله سبحانه وتعالى بالهجرة؛ **يتغير** الحال.

١- الأنفال: الآية ٣٣

ماذا يعني الاستغفار؟

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، هنا يقدم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طريقاً للنجاة من عذابه، هي الاستغفار، **يعني:** طلب المغفرة، طلب المغفرة عنوان واسع، لا يقتصر فقط على قولنا (نستغفر الله)، أو (أستغفر الله)، بل أن نسعى لكل ما وعد الله بالمغفرة عليه.

لاحظوا مثلاً: في الآية المباركة التي سبقت، وهي قوله -جلَّ شأنه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، **لاحظوا**، هنا قدم المغفرة ضمن المكافآت والعطاءات التي يمنُّ الله بها بناءً على تقواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لاحظوا، في الحديث- مثلاً- عن الإيمان والجهاد في سورة الصف، عندما قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[1]، **لاحظوا**- أيضاً- في ما تحدث به القرآن الكريم عن الصدقات، وذكر في إخفائها وإيتائها الفقراء سبباً للمغفرة وتكفير السيئات، وهكذا يأتي في القرآن الكريم الإرشاد إلى الأعمال التي ينال بها الإنسان مغفرةً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومع ذلك كله لا بدَّ من التوبة، لا بدَّ من الرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الرجوع العملي، رجوعاً عملياً، **يعني:** تعود للالتزام بتوجيهات الله، بطاعة الله، بتقبل توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والسير وفق هديه ومنهجه، وتستغفره، تطلب أيضاً منه المغفرة، وتأخذ بأسباب المغفرة، فمن أهم أسباب النجاة من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو: الاستغفار وطلب المغفرة، والسعي لنيل المغفرة بأسبابها، ومن العجيب في القرآن الكريم أن بعض المواضع يقدم فيها- أيضاً- بالمناسبة؛ **لأن** الحديث أتى عن العذاب، فأتى الحديث عمَّا يدفع العذاب، وهذه من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **هذه من أبلغ مظاهر رحمة الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أنه عندما تحدث عن العذاب تحدث عمَّا يقي من العذاب، وعمَّا يدفع العذاب؛ **ليرشد** عباده برحمته إلى ما يقيهم من عذابه.

١- الصف: من الآية ١٢

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

يوم الفرقان (٨)

قوى الشرك والإجرام والصد عن المسجد الحرام

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُـوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل اللهُ منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث على ضوء الآيات القرآنية في سورة الأنفال، ووصلنا إلى قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]، وهذا بعد أن طلبوا العذاب، بعد قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا

١- الأنفال: الآية ٣٣

﴿هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، فهم كانوا يتظاهرون بأنهم على ثقةٍ مما هم عليه من باطل، إلى درجة أن يقولوا هكذا، أن يطلبوا هذا الطلب: إذا كان الحق مع رسول الله، فلتمطر عليهم حجارة من السماء، أو يأتيهم العذاب الأليم، وقد يعيشون مثل هذه الحالة سواءً أهل الباطل في ذلك العصر، أو في كل عصر، في ما هم عليه من باطل، في ما هم عليه من طغيان، فيما هم عليه من ظلم، فيما هم عليه من إجرام، فيحاولون أن يقدِّموا عدم نزول العذاب فوراً بعد طلبهم، أو في ظل ما هم عليه من محاربةٍ للحق، يقدِّمونه كشاهدٍ لهم على أنهم ليسوا في باطل، وإلَّا لو كانوا على باطل، فلماذا لا ينزل عليهم العذاب.

وأحياناً لدى بعض أهل الحق، بعض المنتمين إلى الحق ممن قد يكون لديهم قصورٌ في وعيهم، **قد يتساءل هذا التساؤل:** إذا كان هؤلاء على باطل، وما يفعلونه هو محاربة للحق، وظلم للناس، فلماذا لا ينزل عليهم العذاب؟ لماذا يتأخر عنهم العذاب؟ هذه قد تكون مرحلة معينة، ولكنها ضمن التدبير الإلهي: **إمَّا** لأن فيها استكمال لإقامة الحجة وللتبيين، **أو** لعوامل تعود إلى جانب أهل الحق في مدى اهتمامهم بواجبهم، بمسؤولياتهم، في مستوى استجابتهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في واقعهم العملي، فيكون لتقصيرهم كذلك تأثير على بعض الأمور.

والمسألة- على كل حال- هي مسألة مرحلة، ثم يأتي العذاب، لا بدَّ من العذاب، العذاب في الدنيا: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2]، والعذاب في الآخرة لأهل الباطل الذين يحاربون الحق، ويظلمون عباد الله، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر هنا في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، أن تأخير العذاب ليس لأنهم ليسوا مستحقين للعذاب؛ **وإنما لأن** رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ هو لا يزال فيهم، قبل هجرته

١- الأنفال: من الآية ٣٢

٢- الرعد: من الآية٣٤]

من مكة إلى المدينة، ووجوده كان أماناً لهم، ووجوده أيضاً كان لاستكمال الحجة، ولاستكمال التبيين، ثم بعد أن انتقل لم يبق لديهم هذا الأمان.

ثم- أيضاً- ذكر الله ﷻ مع الحديث عن العذاب، والعذاب خطير **جدًّا،** من أكبر الخسارة على الإنسان أن يسبب لنفسه عذاب الله في الدنيا أو في الآخرة، هذا أمر رهيب **جدًّا،** فذكر الله ﷻ- بالمناسبة- وسيلةً للوقاية من العذاب، وسيلةً مهمة، عندما قال -جلَّ شأنه-: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فالطريقة التي أرشد الله إليها لدفع العذاب، وللسلامة من عذاب الله، والناس في أمسِّ الحاجة إليها، هي طلب المغفرة من الله ﷻ بالاستغفار، بالدعاء، بالعمل، بالالتزام، بالإنابة إلى الله ﷻ، بالإتِّباع لأحسن ما أنزل الله ﷻ، بالاهتداء بهدي الله ﷻ، الأخذ بكل أسباب المغفرة.

استغلال المقدسات للتضليل

ثم يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

تاريخياً: كان المشركون (قريش) يسيطرون على مكة، وعلى المسجد الحرام، ويديرون هم شعائر الحج، والحج كان موجوداً؛ **لأنه** إرث ورثه العرب من بعد نبي الله إبراهيم ونبي الله إسماعيل عليهما السلام وأيضاً التقديس للبيت الحرام كمعلم للعبادة، والتعظيم لله ﷻ كان لا يزال متوارثاً في واقع العرب عبر الأجيال، فكانت قريشٌ والمشركون من قريش يسيطرون على مكة، ويسيطرون على البيت الحرام، والمسجد الحرام، ويسيطرون على شعائر الحج، ويتولون هم إدارتها بطريقتهم غير الصحيحة وغير السليمة، وخلافاً للمشروع وللطريقة التي أرادها الله ﷻ، وكانوا يستغلون سيطرتهم على مكة، وإدارتهم

١- الأنفال: الآية ٣٤

لشعائر الحج، وسيطرتهم على المسجد الحرام، يستغلونها في حربهم ضد رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، في عدائهم للإسلام، يقدِّمون أنفسهم بأنهم أهل الحق، والمسجد الحرام تحت سيطرتهم، وهم الذين يديرون شعائر الحج، وهم أهل مكة، فكانوا يجعلون منها وسيلةً دعائيةً واستقطابية، وكانوا يستغلون ثقلهم نتيجةً لذلك، وتأثيرهم في بقية القبائل العربية، التي كانت تنظر إليهم **هذه النظرة:** أنهم هم الذين يديرون الحج، وهم المسيطرون على المسجد الحرام، وهم الذين يقدِّمون الخدمات للحجاج، وهم الذين يتولون الشعائر هناك، فإذاً هم أهل الحق، واستخدمت هذه الدعاية واستغلت مثل هذه العناوين الدينية على مدى التاريخ بشكل كبير في أزمنة كثيرة، وفي مناطق كثيرة، وتؤثِّر على الكثير من السذج، على الكثير من الأغبياء، **ينظر- بالفعل- هذه النظرة:** أنه ما دام وهم المسيطرون على مكة، والذين يديرون شؤون المسجد الحرام وشعائر الحج، فلا بدَّ أنهم على الحق، وما داموا يقدِّمون بعض الخدمات للحجاج، فأكيد أنهم الذين هم على الحق، ثم يستغلون سيطرتهم هذه في مشكلتهم مع الآخرين، حتى مع رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وكأن رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ يشكِّل خطراً على مكة، وعلى الحج، وعلى المسجد الحرام، وعلى شعائر الحج، هو والمسلمين، وكأنهم هم المؤتمنون على ذلك، والذين يقومون بواجبهم في الدفاع عن المسجد الحرام من خطر رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ومن معه من المسلمين، هكذا هو الأسلوب التضليلي، وهكذا هو الاستغلال من جانب قوى الضلال والباطل، التي تعمد إلى الاستغلال لعناوين معينة، أو مقدسات معينة بوسيلة تقدِّمهم وكأنهم أهل الحق، وكأن موقفهم ضد الآخرين منطلقٌ مما هم عليه من الحق.

تعطيل دور المسجد الحرام!

فالله ﷻ يقدِّم حقيقة واقعهم، الحقيقة أنهم يصدون عن المسجد الحرام، وهذه جريمة من أكبر الجرائم على الإطلاق؛ **لأن** أعظم قدسيةٍ في الدنيا هي لبيت الله الحرام، وللمسجد الحرام، في كل المقدسات، في كل المساجد، في كل الأماكن المقدسة، أول وأكبر وأعظم قدسية هي للمسجد الحرام، ودوره مهم، سواءً فيما يتعلق بالعبادة فيه لله، والتعظيم لله ﷻ، أو بشعائر الحج، أو بأدائه الدور المطلوب في أن يكون مركز إشعاعٍ للهداية للناس إلى الله، وأن يكون محطةً لتزود التقوى؛ **لأن** الهدى والتقوى هما الثمار الأساسية التي ينبغي الحصول عليها من خلال هذا الدور للمسجد الحرام ولشعائر الحج، فتكون محطة للتزود بالتقوى، وتكون- أيضاً- منبراً لهداية الناس إلى الله ﷻ، الهداية الإرشادية، والهداية العملية من خلال الدفع العملي، والتحريك العملي وفق منهج الله ﷻ.

هذا الدور عطّله المشركون في سيطرتهم على المسجد الحرام، وسيطرتهم على مكة، وإدارتهم بالسيطرة والاستحواذ على شعائر الحج، فلم يبق شيءٌ من ذلك، لا محطةً للتزود بتقوى الله ﷻ، ولا منبر هداية إرشادية وعملية لتحريك الناس في طريق الله ﷻ في صراطه المستقيم في الموقف الحق، وتذكيرهم بمسؤولياتهم وواجباتهم، وجمع كلمتهم في المواقف الحق، هذا الدور تعطل، تعطيل هذا الدور للمسجد الحرام، لشعائر الحج، للأماكن المقدسة في مكة، والمعالم والشعائر التي هناك، يعد بذاته جرماً عظيماً، وذنباً كبيراً، وجنايةً على المسجد الحرام، على شعائر الحج والمشاعر المقدسة هناك، يعد جرماً كبيراً بحد ذاته.

الصد عن المسجد الحرام وأشكاله المتعددة

ثم الصد، الصد له أشكال متعددة: من الصد المنع للبعض من الحج، المنع للبعض من الذهاب إلى المسجد الحرام، مثلما كانوا يمنعون رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- ولذلك رسول الله ﷺ من

بعد هجرته من مكة، إلى حين فتحه لها لم يحج ولا مرةً واحدة، ممنوع من الحج، رسول الله منعوه من الحج، ومنعوا معه المسلمين، وسمحوا لبقية الناس بالحج، لكنه كان ممنوعاً على رسول الله صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وعلى من معه من المسلمين، لا يسمحون لهم بالحج كما يسمحون لبقية الناس، هذا شكل من أشكال الصد، عندما يمنعون البعض، لهم مشكلة مع البعض، لهم مشكلة مع أهل الحق فيمنعونهم من الحج؛ **لمشكلتهم معهم.**

الشكل الآخر من أشكال الصد عن المسجد الحرام هو: عندما توضع قيود وإجراءات غير مشروعة، ولا سليمة، ولا صحيحة، ولا لزوم لها، تحول عملية الحج إلى حالة لا يستطيعها الكثير من الناس، مثلما يعمله النظام السعودي في هذا العصر، يضع قيوداً وإجراءات، ويحدد التزامات مالية تحول فريضة الحج إلى عملية معقدة **جدًّا** لا يستطيعها أكثر الناس، والذي يستطيعها يستطيعها بصعوبة كبيرة، وبتكاليف مرهقة، وتكاليف زائدة على الاحتياج الحقيقي للإنسان، زيادة على ما تحتاجه أنت في سفرك لغذائك، لنفقاتك، **زيادة على ذلك:** (إتاوات)، والتزامات إضافية ترهقك، وتحول المسألة إلى مسألة معقَّدة، فيصدون الكثير من الناس ممن لولا تلك الإجراءات، لولا تلك القيود، لتمكنوا من الحج، ولتمكنوا من أن يؤمُّوا بيت الله الحرام وأن يقصدوه، هذا نوعٌ من أنواع الصد عن المسجد الحرام، وعن شعائر الحج، وعن العمرة.

شكلٌ آخر من أشكال الصد هو: عندما يمنعون في المسجد الحرام، وفي شعائر الحج، وفي العمرة، يمنعون أداء هذه الفرائض وفق توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتعليماته، ووفق ما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في مقاصد الدين لهذه الفريضة، كيف تكون، كيف تجتمع عليها الأمة، كيف يكون أثرها في الناس، كيف يستفاد منها في تعزيز وحدة المسلمين وتآخيهم وتعاونهم، كيف يستفاد منها في ترسيخ مبادئ الدين والموقف من أعداء هذا الدين، وهذا- أيضاً- شكلٌ آخر من أشكال الصد عن

المسجد الحرام، كل هذا الصد بكل أشكاله كان موجوداً- في التاريخ- في عصر رسول الله ﷺ، أثناء ما كان يسيطر المشركون على مكة وعلى المسجد الحرام.

تعتبر هذه جريمة بحق تلك المقدسات، ومن أكبر الجرائم. وللمقدسات أهمية كبيرة في الإسلام؛ **لأن** الله أراد لها أن تكون معالم لعباده، تؤدي هذا الدور الكبير في حيوية الدين، في هداية الناس، في تزكية نفوسهم، في العمل على جمع كلمتهم، في توجيههم في طريق الحق، وأن تكون أيضاً منابر إشعاع بالهداية الربَّانية للناس، فيأتي منها الهدى، يأتي منها التوجيه الصحيح الذي يدفع الناس في الاتجاه الصحيح، في الموقف الصحيح، في العمل الصحيح، وفق توجيهات الله سبحانه وتعالى ومنهجه العظيم.

المقدسات بين التهديد الوجودي وإلغاء الدور

فالإساءة إلى المقدسات، واحتلال المقدسات، والسيطرة عليها من الأعداء يشكِّل خطورةً كبيرةً على دورها الحقيقي، والتهديد إما تهديد وجودي بالكامل عليها، مثلما يفعله البعض من أعداء الأمة، ومثل الخطر الصهيوني على مقدسات الأمة في فلسطين، حيث يتعرض المسجد الأقصى الشريف للخطر، واحتمال مساعيهم لهدمه بالكامل، وتدميره بالكامل، فتهديد وجودي، وتهديد للدور نفسه، وأحياناً قد يكون التهديد لطبيعة هذا الدور الذي أراده الله لتلك المقدسات ولتلك المعالم التي جعلها في أرضه، مثلما يفعل النظام السعودي، الذي يحول هذا الدور إلى دور محدود ويؤطره، ثم يحول المسألة إلى مسألة استغلالية، **فيستغلها لأشياء كثيرة:** استغلال سياسي، وإعلامي، وتضليلي، واستغلال اقتصادي من خلال الدخل والعائد المادي الهائل **جدًّا** الذي يأتي له من خلال تلك المقدسات.

القرآن الكريم عندما يحدد الدور الحقيقي للمقدسات الإسلامية، وفي مقدمتها وأكبرها قداسةً، وأعظمها أهمية وهو المسجد الحرام، هو يعطينا وعياً؛ **لأن** القرآن كتاب هداية، وعياً يحصننا فلا نُستغل، ولا نتأثر تجاه عملية الاستغلال التي تُستغل في عملية التضليل للناس، تقديم صورة غير صحيحة، **مثلاً:** البعض ينظر للنظام السعودي مهما فعل، مهما كان ولاؤه لأمريكا، مهما كانت علاقته مع إسرائيل، مهما اعتدى، مهما ظلم أبناء الأمة وتآمر عليهم في أقطار كثيرة، مهما فعل في عدوانه على اليمن، أنه طبيعي كل ذلك، وأنه مغفورٌ له كل ذلك، وأنه على الحق في كل ما يفعل، لماذا؟ لأنه مسيطر على المسجد الحرام وعلى مكة المكرمة؛ **وبالتالي** فليفعل ما يريد، ومن يعارضه فهو معارضٌ للإسلام، هذه الدعاية التضليلية يفنِّدها القرآن الكريم وينسفها نسفا؛ **لأنه** يقدِّم لنا رؤيةً صحيحة، ويبين لنا كيف كان المشركون قبل النظام السعودي، وقبل غيره من قوى الضلال.

قوى الشرك والنظام السعودي.. وحدة الهدف والأسلوب

قوى الشرك كانت تسيطر على المسجد الحرام، وكانت تجعل منه منطلقاً في معركتها ضد رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- يجهِّزون الجيش في مكة، وسينطلق لمحاربة محمد الصابئ وأصحابه، هكذا كانوا يصورون المسألة، وأنهم حماة للمسجد الحرام ولمكة، وأنهم يدافعون عن مكة (لا يقتحمها محمد عسكرياً)، هكذا يصورون معركتهم مع رسول الله، وكأنها معركة للدفاع عن مكة، للدفاع عن المسجد الحرام، كما يصور النظام السعودي اليوم معركته في عدوانه على الشعب اليمني، على يمن الإيمان والحكمة، **ثم يفتري افتراءً من أعظم ما افتراه:** [أنه يدافع عن مكة من الشعب اليمني، وأن الشعب اليمني يمثل خطورة على مكة، وأنه يستهدفها بالصواريخ لولا اعتراض الباتريوت]، افتراءً، عظيماً، وبهتاناً، عظيماً، وزوراً فظيعاً، يعمل في ذلك بنفس ما كان يعمله المشركون في أسلوبهم باستغلال البيت الحرام، والمسجد الحرام، وشعائر الحج،

والمقدسات في مكة، دعايةً يستغلونها ضد رسول الله، وفي حربهم ضد الإسلام.

فهذا القرآن الكريم يقدم الوعي بأن أولئك فيما يفعلونه، وفي طريقتهم في إدارة المسجد الحرام والسيطرة على مكة، إنما هم يصدون، والذي يستحقونه على ذلك هو العذاب، ليس التقدير، وليس الاحترام، وليس الأجر، وليس الثواب؛ **لأنهم** يستغلون أعظم مقدسات الأمة- في مساجدها- استغلالاً للتضليل، واستغلالاً للدعاية، واستغلالاً في حربهم على الإسلام، وهم يسيطرون عليه ويديرونه وفق طريقتهم الخاطئة، فهم أهل ضلال، وما هم عليه يستحقون به العذاب، العذاب الذي توعدهم الله به، **عندما قال:** ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾، **يعني:** لا بدَّ من أن يعذبهم، وفعلاً عذبهم.

الولاية على المقدسات للمتقين حصرياً

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾، هم سيطروا على مكة لسنوات طويلة، وسيطروا على المسجد الحرام، وسيطروا على شعائر الحج، لكنها سيطرةً ظالمة، لا مشروعية لهم فيها، ليس لهم الولاية على بيت الله الحرام، ولا على شعائر الحج، ولا على مكة، ليس لهم أي ولاية مشروعة؛ **أبداً.**

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾، وهنا يقدم القرآن الكريم حصر الولاية للمتقين، حصر الولاية المشروعة على المسجد الحرام، وعلى إدارة شؤون الحج والمشاعر المقدسة هناك، حصرياً على من؟ المتقين، فهم من لهم الولاية المشروعة فقط المتقون.

أما غير المتقين إذا سيطر، فسيطرته باطلة وظالمة، وليس له أي ولاية شرعية، أبداً، مهما قدم نفسه، مهما حمل من عناوين، مهما فعل وصنع؛ **لأنه** ليس من المتقين، المتقون معروفون في القرآن الكريم بمواصفاتهم، بمواقفهم، بأعمالهم، بتوجهاتهم، وهم الذين يمتلكون الجدارة لهذه الولاية؛ **لأنهم** هم الذين سيحركون ويديرون هذه المقدسات وهذه الشعائر وفق

توجيهات الله ﷻ بما يحقق التقوى، بما يؤدي منها دورها المنشود والمأمول، وثمرتها المطلوبة في تحقيق التقوى في واقع الأمة، وفي تحقيق الهداية للأمة.

فالكافرون، والمشركون، والظالمون، والمفسدون، والضالون... كل الذين هم خارج عنوان التقوى في مفهومه الحقيقي لا ولاية لهم، مهما كانوا مسيطرين على المسجد الحرام، هم غاصبون، هم بحسب التوصيف القرآني غاصبون، ليس لهم ولاية؛ **إنما** اغتصاب، اغتصبوا المسجد الحرام، واغتصبوا شعائر الحج، واغتصبوا تلك المشاعر، واستغلوها، وظفوها وأداروها بطريقتهم، وبما يحلو لهم، وبما يناسبهم، وليس وفق منهج الله ﷻ.

فالولاية الشرعية الحصرية في ذلك هي للمتقين حصراً، وأما الآخرون من كل الفئات الأخرى، خارج عنوان التقوى، فليس لهم أي ولاية شرعية، لا على المسجد الحرام، ولا على مساجد الأمة، ولا على مصالح الأمة الدينية، ولا على الأمة بكلها، لا شرعية لهم في ولايتهم على الناس.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، **هناك جهل بهذه الحقيقة**، حتى جهل بمن له الولاية الشرعية على المسجد الحرام، على المصالح الدينية، على المساجد، هناك جهل لدى كثير من الناس، ولدى كثير من المسلمين، لا يفهمون هذه الحقيقة، ولا يحملون هذا الوعي، وليس لديهم هذه النظرة الصحيحة، وهذا الفهم الصحيح، فهم بحاجة إلى أن يستفيدوه من القرآن الكريم؛ **حتى** لا تبقى لديهم أفكار خاطئة وتصورات مغلوطة.

مساجد الضرار ومخاطرها على الأمة

٢٦

وهذا يجرُّنا إلى الحديث عن موضوع المساجد بشكلٍ عام؛ لأن هذا المسجد الحرام هو أعظم المساجد حرمةً وقدسيةً عند الله، فما بالك ببقية المساجد، المساجد بشكلٍ عام يمكن أن يستغلها الآخرون، يمكن أن يستغلها منافقون،

ويمكن أن يستغلها ضالون مضلون، وأن يتظاهروا بعمارتها، وإحيائها وتفعيل دورها، ولكن ما يأتي منهم في ذلك من تضليل للناس هو أمرٌ خطيرٌ **جدًّا**، وهذا ما نبه عليه القرآن الكريم، نجد في سورة التوبة قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[1]، **لاحظوا** كيف فعَّلوا دور المسجد في أربع كوارث: **(ضِرَارًا، وَكُفْرًا، وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ).**

فيمكن أن يأتي باسم الدين من يستخدم المسجد ليضارر به، ليجعل منه مسجداً يضر بأهل الحق، يؤثر سلباً في الناس لإبعادهم عن الحق، يسعى ليجعل من منبر المسجد، من طريقته في إحياء المسجد وسيلةً يعارض بها الحق وأهله، ووسيلة مخادعة للكثير من السذج والبسطاء من الناس ممن لا يمتلكون الوعي ولا الفهم الصحيح، فيذهبون إلى ذلك المسجد، ويرتبطون بذلك القيِّم، وبذلك يبتعدون عن طريق الحق، وعن أهل الحق، وعن موقف الحق، وعن عمل الحق.

﴿وَكُفْرًا﴾، **يمكن للمسجد أن يصدِر كفراً**، ولكنه ليس كفراً بالمفهوم السائد في ذهنية الناس، **يعني:** خروجاً عن الملة. |الا| **هناك كما يقولون:** [كافر مسبِّح]، كفر في العمل، كفر في الموقف، كفر في انعدام الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كفر يتمثل برفض توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أمور من أهم الأمور، ومسائل من أهم المسائل، وقضايا من أكبر القضايا، **هذا من النوع الذي يقولون في المثل الشعبي:** [كافر مسبح]، الكفر الذي يصدره مسجد؛ **لأنه** يتمثل برفض جزء من الدين، **مثلاً: برفض** الجهاد في سبيل الله، **برفض** الإنفاق في سبيل الله، **برفض** الموقف الحق ضد الطغاة المعتدين المتسلطين الظالمين الجبابرة، **برفض** جملة واسعة من هذه المسؤوليات المهمة في الدين، **برفض** الاعتصام بحبل الله جميعاً، **بهدم** الإيمان فيما يعطيه

١- التوبة: الآية ١٠٧

من تأثير نفسي في الثقة بالله، والتوكل على الله ﷻ وهكذا أشياء كثيرة.

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يمكن أن يؤدي المسجد هذا الدور، أن يستخدم المسجد من أجل أن يفرق بين المؤمنين؛ **حتى** لا تجتمع كلمتهم في موقفٍ واحد، ولا يتجهوا إلى حيث يمكن أن يكون اجتماعهم مفيداً مثمراً، يجتمعون لموقف معين. أحياناً بعض المساجد تؤدي دوراً عظيماً، اجتماع الناس فيها اجتماع على الهداية، لموقف الحق، لتعزيز موقفهم في طريق الحق...إلخ. ومسجد الضرار قد يأخذ البعض من الناس الذين لا يمتلكون الوعي الكافي ليذهبوا إليه، فلا يذهبون إلى حيث يستفيدون أكثر، ينتفعون أكثر، يهتدون أكثر، ويسعى إلى تفريقهم؛ **حتى** لا تبقى كلمتهم واحدة، وتوجههم واحداً.

هناك أيضاً كما قال تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، **(إِرْصَادًا):** تهيئةً وإعداداً ودعماً ومساندةً، فيتحول المسجد إلى مسجد يهيئ لأعداء الأمة، يمهِّد لأعداء الأمة أن يسيطروا على الأمة، عملية أن يتحول المسجد إلى أن يقدم هذه الخدمة لأعداء الأمة من أكبر الجرائم على الإطلاق، **لاحظوا** في المسجد الذي يثبط، يخذل، الذي يميت ذكر الجهاد في سبيل الله والمسؤولية في العمل في سبيل الله، الذي يميت أي حديث لتوعية الأمة عن أعدائها وعن خطورتهم، المسجد الذي يتبنى قيّمه، خطيبه، إمامه، القائم فيه، إلغاء وشطب المسؤوليات من الإسلام بكلها، وتدجين الأمة لأعدائها؛ **هو** من المساجد التي تؤدي هذا الدور السلبي، وتستغل استغلالاً سيئاً للغاية لأداء دورٍ يدجّن الأمة لأعدائها.

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1]، حصل هذا -تاريخياً- في عصر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه، ورسول الله موجود، وهم يستخدمون مساجد لهذا الدور

١- التوبة: الآية ١٠٧

التخريبي في عصر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، بل أرادوا منه أن يفتتح المسجد؛ **ليستغلوا** افتتاحه للمسجد دعايةً لاستقطاب الناس للحضور إلى ذلك المسجد، والصلاة فيه، ودعوا رسول الله لافتتاحه، فماذا قال الله له؟ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، نهى نبيه من أن يستفتح ذلك المسجد؛ **لأنهم** سيستغلون حتى افتتاحه لذلك المسجد دعايةً استقطابية لدفع الناس للصلاة فيه، ومرادهم من صلاة الناس فيه، أن يجعلوا من ذلك وسيلةً لتجميع الناس لهم؛ **حتى** يضلوهم، حتى يؤثروا عليهم، **ولاحظ** كيف كان النهي: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، نهائياً، نهي شديد، تحذير شديد.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾، **(التَّقْوَى)، لاحظ** كيف التقوى هناك وهنا هي عنوان أساس، وعنوان بارز؛ **لأنها** الثمرة المطلوبة، مطلوب أن يفعَّل المسجد بشكلٍ يحقق التقوى، يهيئ الظروف الملائمة لصناعة التقوى، للتزود بالتقوى، فيكون- في واقع الحال- محطةً لتزود التقوى، محطةً للهداية، محطةً للتذكير بالمسؤولية، وهذا مما **يجب** أن يكون لدى الناس وعيٌ عنه.

ثم يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[1]، **يعني:** حسب التعبير في هذا الزمن ظاهرة صوتية، ضجيج لا قيمة له، كانت صلاتهم عند البيت ضجيجاً لا فائدة له، لا ثمرة له، لا نتيجة له، ضجة وصجة، وأصوات لا قيمة لها، ظواهر صوتية لا قيمة لها، لا تثمر تقوى، ليست مقبولةً عند الله سبحانه وتعالى، وشبَّهها بالمكاء، والمكاء هو: صفير لطائر اسمه (المُكّاء) يصدر صفيراً، وشبهها بالتصدية: مثل التصفيق والضجة التي لا قيمة لها، فهكذا حال صلاتهم في أنها غير مقبولة، وأنها ليست إلا مجرد ظاهرة صوتية وضجيجاً لا قيمة له، وليست مقبولة.

١- الأنفال: الآية ٣٥

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، أتاهم العذاب من بعد، كيف أتاهم؟ أتاهم العذاب في معركة بدر، وأتاهم العذاب فيما بعد في حروبهم مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ عندما نزل قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾[1]، وعذاب آخر، **يعني**، كم مصائب أتت لهم: كم عقوبات أتت لهم، الجدب، الشدة... عقوبات متنوعة، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١- التوبة: من الآية ١٤

الصادون عن سبيل الله.. الأهداف والوسائل والمصير

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

تحدثنا في محاضرة الأمس على ضوء الآية القرآنية المباركة: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وعلى ضوء هذه الآية المباركة تبين لنا أشكال الصد

١- الأنفال: الآية ٣٤

عن المسجد الحرام، والأسلوب الذي يعتمد عليه الكافرون والمنافقون والمضلون في الاستغلال للعناوين الدينية، والاستغلال للمقدسات، والاستغلال للمساجد.

وتحدثنا على ضوء ذلك بما يفيدنا- إن شاء الله- في صناعة وعيٍ عن هذه المسألة، التي لا يعي الكثير ما ورد في القرآن الكريم حولها، وينخدعون، المسألة عندهم مسألة مسجد أي مسجد، وخطيب أي خطيب، ومنبر أي منبر، ومتحدث أي متحدث، وتأثروا به، فالقرآن الكريم هو يرفع مستوى الوعي لدى الإنسان، ويعطيه البصيرة الكافية؛ حتى يكون حذراً من كل مصادر الضلال، ومن كل أساليب الضلال والخداع.

المعايير المهمة لمن يعمر مساجد الله

والله ﷻ قال- أيضاً- في القرآن الكريم: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۝١٧ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾[1]، فنلاحظ هنا أنه قدَّم معايير مهمة عن الذين يعمرون مساجد الله بشكلٍ صحيح، وفق توجيهات الله ﷻ، وبما يتطابق مع تعليمات الله ﷻ، ويؤدِّي الدور المطلوب لبيوت الله ﷻ من خلال هذه المواصفات.

أمَّا الآخرون فأعمالهم قد حبطت، لا أجر لهم عليها، ولا فضل لهم فيها؛ **لأنها** مجرد أعمال استغلالية، وأعمال غير مقبولة عند الله ﷻ، مهما فعلوا، مهما قدَّموا، **مهما كانت: سواءً** عمارة على المستوى المادي، **يعني:** قاموا ببناء مساجد ضخمة، ببنية ضخمة، بفراش وأثاث ممتاز، وخدمات معينة، **أو** كذلك قاموا بعمارتها بالتظاهر بأنها عمارة من خلال تفعيلها، ولكنها لا تخرج عن إطار الاستغلال الذي يساهم في المزيد من التضليل.

١- التوبة: ١٧-١٨

فالذي يعمر مساجد الله وفق توجيهاته وتعليماته، ويجعل لها الدور الذي أراده الله لها، هو من يمتاز بهذه المواصفات القرآنية المهمة: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾، هذه العبارة القرآنية: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾، من أهم المواصفات التي ستميز من يعمر مساجد الله بالشكل الصحيح من غيره، فالذي يخشى غير الله، **مثلاً:** في هذا الزمان من يخشى أمريكا، من يخشى إسرائيل، من يخشى عملاء أمريكا وعملاء إسرائيل، سيحرص على أن يترك الكثير فلا يقدِّمه في بيتٍ من بيوت الله، بل يمنع البعض من الأشياء في بيتٍ من بيوت الله؛ **لأنها** قد تغضب أمريكا، أو قد تغضب إسرائيل، أو قد تغضب عملاء أمريكا وعملاء إسرائيل، فمثل هذا سيجعل من دور المسجد: **إمَّا** دوراً منقوصاً، **وإمَّا** دوراً سلبياً بشكلٍ أكبر، دوراً يدعم فيه الضلال والباطل بشكلٍ مباشر، وإما يدعمه بشكلٍ غير مباشر، من خلال هذا الانتقاص من الدور المطلوب لبيوت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالله -جلَّ شأنه- قال عن هذه النوعية ذات المواصفات المطلوبة: ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[1]، فإذا كانوا من المهتدين فسيقدِّمون الدور المطلوب للمسجد (لبيت الله)، من خلال ما يقدِّمونه من هدى في بيت الله، يجعلون من منبره منبراً للهداية، يجعلون منه مسجدًا يؤدِّي دوره في تحقيق التقوى، في العمل على هداية الناس، في دفع الناس عملياً للاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[2]؛ **لأن** تلك الممارسات ممارسات غير مقبولة، ممارسات أصبحت جزءاً من صدهم، ومن عصيانهم، ومن أعمالهم السلبية التي يذوقون عليها العذاب، ويعذِّبهم الله عليها.

١- التوبة: من الآية ١٨
٢- الأنفال: الآية ٣٥

الصد عن سبيل الله في مقدمة الجرائم الكبرى

ثم يقول -جلَّ شأنه-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[1]، **يتحدث في هذه الآية المباركة أنهم:** ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وتعتبر جريمة الصد عن سبيل الله من أكبر وأخطر الجرائم على الإطلاق، ومن أكبر جرائم الذين كفروا، وجرائم المنافقين، وجرائم الضالين... كل أولياء الشيطان تعتبر من أكبر جرائمهم وأفظعها هي: جريمة الصد عن سبيل الله.

وطبعاً في الذهنية العامة للناس لا يتصورون هذا التصور، بل بعضهم لا يدرك، لا ينتبه، **لا يسمع حتى ولا يثقف بهذا التثقيف:** أنها جريمة كبيرة، وهي في مقدِّمة الجرائم الكبرى، والذنوب الرهيبة، جريمة الصد عن سبيل الله.

ما هو الصد عن سبيل الله؟ هو ثني الناس وصرفهم عن الاهتداء بهدى الله، والتمسك به، والاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن يسعى لثني الناس، لصرفهم، لردهم عن الاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عن الاتِّباع لهديه، والتمسك بهديه، فهو يصدهم عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سواءً كان جملةً أو تفصيلاً، كان على المستوى الجملي، **يعني:** بشكلٍ عام، يسعى لصرف الناس كلياً عن نهج الله وهديه، وعن الاستجابة العملية له، **أو جزئياً:** أشياء أساسية من الدين، تفاصيل معينة من نهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من تعليماته، من هديه المبارك، ويسعى لصرف الناس عنها، فهذا من الصد عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والصد له أساليب كثيرة، قد يكون الصد بالطريقة العسكرية: بمحاربة من يسعى لاتِّباع هدى الله، والتمسك بهدى الله، والاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قد يحارب عسكرياً، فيتجهون لتمويل عمل عسكري لاستهدافه، من

٢٧

١- الأنفال: الآية ٣٦

خلال المال الذي يقدِّمونه لتجنيد الناس للحرب العسكرية، وشراء السلاح، وتمويل مثل كل تلك الإجراءات والعمليات التي يتحركون فيها عسكرياً. وقد يكون- أيضاً- بأساليب أخرى، **قد تكون عملية الصد من خلال:** النشاط التضليلي، الحملات الدعائية، نشر الشبه، وهذا كانوا ينشطون فيه حتى في محاربة رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، كانوا يشكِّلون نشاطاً واسعاً على المستوى الدعائي والإعلامي والتثقيفي، فينشرون الدعايات التي تقدِّم صورة مشوهة للحق وللقرآن، **ويقدِّمون الردود على العقائد الأساسية في الإسلام:** على عقيدة التوحيد، على عقيدة البعث... على كثيرٍ من العناوين المهمة في الإسلام، وأحياناً عن الرسالة بكلها، وعن الرسول صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ومصداقيته في الرسالة.

ثم يستمر هذا العمل عبر الزمن في كل جيل، وهو كان كذلك- يعني- في عهد الأنبياء السابقين، ما قبل رسول الله محمد صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

أصناف الصادين عن سبيل الله

الكفار وأهل الكتاب والمنافقون

فمن أبرز الجرائم الكبرى التي يتحرك فيها الذين كفروا وغيرهم- سيأتي الحديث على نحوٍ تفصيليٍ أوسع- هي جريمة الصد عن سبيل الله، يتحركون عملياً بكل الوسائل وبكل الأساليب، وينفقون المال في تمويل أعمال كثيرة، **الهدف منها:** الصد عن سبيل الله، ثني الناس عن الاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعن الاتِّباع لهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهم يتحركون في ذلك حركةً واسعة، وهذه جريمة خطيرة **جدًّا**، يأتي القرآن الكريم يتحدث عنها في آيات كثيرة؛ منها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[1]، ضلال بعيد، زادوا في ضلالهم، وابتعدوا في ضلالهم إلى درجةٍ كبيرة، عندما صدوا عن سبيل الله؛ **لأنهم** أضافوا إلى جريمة

١- النساء: من الآية ١٦٧

كفرهـم جريمـة الصـد عـن سـبيل اللـه بـكل فظاعتهـا وقبحهـا وعظيـم جرمهـا.

يقـول في آيـةٍ أخـرى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾[١]، فاللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعتـبر صدهـم عـن سـبيل اللـه جريمـةً إضافيـةً كبـيرةً **جـدًّا** تعادل كفرهـم، فيقـول أيضـاً: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾؛ **لأن** هـذا مـن الإفسـاد، الصـد عـن سـبيل اللـه يعتبر من الإفسـاد.

في القـرآن الكريـم تحـدث أيضـاً عـن هـذه الجريمـة فيـما يتعلـق بأهـل الكتـاب في آيـاتٍ متعـددة، منهـا قولـه -جـلَّ شـأنه-: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[٢]، ﴿لِمَ﴾، تعتـبر هـذه جريمـة رهيبـة **جـدًّا** يسـتنكرها عليهـم اسـتنكاراً كبـيراً، ويعتبرهـم في ذلـك متعمِّديـن، يريـدون الاعوجـاج، يريـدون التحريـف والتزييـف والصـد عـن سـبيل اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مـن الجرائـم البـارزة والشـنيعة جـدًّا للمنافقـين، ومـن أسـوأ مـا يعملونـه: جريمـة الصـد عـن سـبيل اللـه، قـال عنهـم في القـرآن الكريـم: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣]، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، مـن أسـوأ أعمالهـم، المنافقـون مـن أسـوأ أعمالهـم أنهـم يصـدون عـن سـبيل اللـه؛ **لأنهـم** يصرفـون النـاس ويثنونهـم ويثبطونهـم عـن الجهـاد في سـبيل اللـه، عـن الإنفـاق في سـبيل اللـه، عـن العمـل لإعـلاء كلمـة اللـه، عـن إقامـة الحـق والعـدل... عـن أعـمال مهمـة، يتجهـون لـصرف النـاس عنهـا، وثنيهـم عنهـا، وتثبيطهـم فيهـا، بـل قـال عنهـم في آيـةٍ أخـرى بأنهـم: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾[٤]، وهـذا مـن الصـد عـن سـبيل اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١- النحل: الآية ٨٨
٢- آل عمران: من الآية ٩٩
٣- المنافقون: الآية ٢
٤- التوبة: من الآية ٦٧

وهكذا يأتي الحديث عن هذه الجريمة الشنيعة الخطيرة، التي هي بنظر الكثير من الناس شيئاً طبيعياً، ليس في عداد الجرائم، في ذهنية الناس قائمة معينة للجرائم، **مثلاً:** القتل ظلماً، الزنا، شرب الخمر، الظلم، السرقة... جرائم معينة، في ذهنية الناس قاموس معين تحددت فيه مجموعة من الجرائم، وغابت مجموعة أخرى من أخطر وأسوأ الجرائم، **ومن أهم ما نهتدي فيه بهدى الله** ﷻ: أن تكون لدينا فكرة متكاملة، ونظرة صحيحة، وأن يكتمل هذا القاموس، تضاف إليه هذه الجرائم الخطيرة؛ **ليحذرها** الناس، وليدركوا قبحها وجرم من يفعلها؛ **لأن** البعض من الناس قد يكون ممن يمارس هذه الجريمة: جريمة الصد عن سبيل الله، وقد يكون بنظر الناس إنساناً محترماً.

الأحبار والرهبان.. الصد الأخطر

لاحظوا في القرآن الكريم- ومن أعجب ما يتفاجأ به الإنسان، ويستغرب منه الإنسان- يقول الله ﷻ فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يخاطب مَنْ؟ الذين آمنوا: أنا، وأنت... كل الذين آمنوا، كل هذا المجتمع المسلم، ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1]، **ثم يقول عن هؤلاء بكلهم:** الأحبار، الرهبان، الذين يمارسون هذه الجريمة، **والكانزين للأموال:** أصحاب رؤوس الأموال الضخمة، الذين يمارسون هذه الجريمة، ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

نتأمل قليلاً في هذه الآية المباركة، الأحبار من هم؟ يعني: الذين هم بصفة علماء دين، من أسمائهم الأحبار، **يعني:** كبار علماء، وبصفة علماء دين، هذا الوصف خاصٌ بهم، من هم بصفة علماء دين، **ثم يقول:** ﴿وَالرُّهْبَانِ﴾، من هم الرهبان؟ **يعني:** العبَّاد، الذين يتظاهرون بالنسك والعبادة، يحكي القرآن لنا ويؤكِّد لنا، ﴿إِنَّ﴾ هذه للتأكيد، معروف في اللغة العربية أنها

١- التوبة: من الآية ٣٤

للتأكيد، ﴿إِنَّ﴾، ثم يقول: ﴿كَثِيرًا﴾، وليست يعني حالات نادرة، بل هي حالة واسعة كثيرة، فالكثير من الأحبار، كثير ممن هم بصفة علماء دين، **وكثير من العبَّاد:** ممن هم يتظاهرون بالنسك والعبادة، هم على هذا النحو: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، يتحيَّلون لها بعناوين وأساليب؛ **لكي** يحصلوا عليها، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، صدهم عن سبيل الله، **يعني:** يثنون الناس عن أعمال مهمة من دين الله، من تعليمات الله، من توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من هدي الله -تبارك وتعالى- فيثنون الناس عنها، ولربما صدهم هو من أخطر أنواع الصد؛ **لأنه** يأتي باسم الدين، صدٌ عن سبيل الله باسم الدين، وباسم التدين، وباسم العلم الديني والشرعي، وبالفلسفة الدينية، وبالخطاب الديني، وهذه قضية خطيرة **جدًّا**، تتطلب وعياً عالياً لدى الناس، لدى الذين آمنوا؛ **حتى** يتحصنوا، لماذا يقول الله هكذا؟ **لأنه** -جلَّ شأنه- الذي يهدي إلى سواء السبيل، هو الذي يريد لكل الذين آمنوا أن يكونوا على درجةٍ عاليةٍ من الوعي، فلا يتأثروا بكل أساليب الصد عن سبيل الله، مهما كانت هذه الأساليب، ومهما كان مصدرها؛ **لأن** المصدر هنا- بحد ذاته- مصدر يشوش في الذهنية العامة، المصدر الذي هو عبارة عن عالم دين يمارس هذه الجريمة، بصفته عالم دين يؤثِّر على الكثير من الناس، يتقبل منه الكثير من الناس، قد يقدَّم على أنه من هيئة كبار العلماء، قد يقدَّم بعنوان معين من العناوين، وقد يأتي من يطبل له، من يمجده، من يعظمه، من يمدح علمه، وأنه كبير العلماء، وأنه يحوي ويحوز حصيلة علمية كبيرة، وقد يكون لديه مكتبة ضخمة، ويحمل الكتب، ويتحرك تحت عنوان عالم دين، وباسم العلم والعلماء، ثم يتحرك وهو يصد الناس، يثنيهم ويصرفهم عن أشياء مهمة من دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو يعارضها، **له موقفٌ منها: إمَّا** لأنه يقف في صف الباطل، **أو** لأنه لا ينهض بهذه الأعمال والمسؤوليات، ولا يتحرك فيها، ثم يسعى لتبرير موقفه بتخذيل الناس وصرفهم عن الاستجابة العملية

لله ﷻ في ذلك، **أو** لأن لديه تأثيرات أخرى: حسد- مثلاً- وهم يتحدثون عن الحسد بين الأحبار، الحديث عن حسد العلماء هو من العناوين البارزة في الكتب، وطبعاً لا نعني بذلك العلماء الربَّانيين، العلماء الصالحين، العلماء المتقين، العلماء المؤمنين، الذين أوتوا العلم ورفع الله لهم الدرجات، |إلا **لكننا نعني هذه المساحة الأخرى:** الكثير الذين لهم اتجاهات مختلفة.

وكذلك الرهبان، البعض من الناس قد يكون متظاهراً بأنه يواظب على العبادة، وعلى صلاة الجماعة، ولديه مسبحة، ويتظاهر بالتدين والتعبد، ولكنه يثني الناس ويصرفهم عن أعمال أخرى من دين الله، أعمال مهمة، ويمارس التضليل في تقديم صورة مزيفة ومنقوصة عن هدى الله ﷻ، عن دين الله، عن تعليماته -جلَّ شأنه- وهو بذلك يقدِّم- من حيث لا يشعر- خدمةً كبيرةً لأعداء الأمة، يقدِّم صورةً ناقصةً عن الإسلام، فالكثير كما في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ كَثِيرًا﴾، كما قلنا ليست حالةً نادرة؛ **ولذلك** تستوجب أخذ الحيطة والحذر والانتباه، فلا ينخدع الإنسان **لمجرد عنوان:** عنوان عالم دين، أو هيئة كبار العلماء، أو عنوان العلماء؛ **لأن** الكثير يتحرك تحت هذا العنوان، لا يكفي العنوان، الكثير يتحرك تحت هذا العنوان لممارسة الصد عن سبيل الله باسم الدين، فقد يبررون باطلاً، وقد يصرفون الناس عن حق، وقد يخذلونهم عن مسؤولية مهمة من أهم مسؤولياتهم، يأتي في القرآن الكريم المئات من الآيات في الحديث عنها، فيصرفونهم عنها.

الصادون عن سبيل الله.. الوسائل والأهداف

فجريمة الصد عن سبيل الله هي من أفظع وأخطر وأسوأ الجرائم، ولها تأثيراتها السيئة لدى الكثير من الناس، الذين يتأثرون بهذا الصد، فينصرفون، ويتجهون اتجاهات أخرى، ويتركون الكثير مما يأتي الصد عنه، والصد- كما قلنا- **يأتي** عسكرياً، **يأتي** أيضاً بوسائل الترهيب، يأتي

أيضاً بوسائل التضليل، وسائل التضليل هي من أخطر وسائل الصد عن سبيل الله، الصد بوسائل التضليل، بالحملات الدعائية؛ **لتشويه** الحق، لتشويه المنهج الحق، لتشويه المسؤوليات المهمة، لتشويه الأعمال العظيمة، لتشويه من يتحرك ويدعو إليها، **يأتي** أيضاً النشاط التضليلي بالطابع الفكري والتثقيفي والتعليمي، **يأتي** أيضاً بطابع الخطاب الديني.

كم هناك اليوم في هذا العصر من قنوات مخصصة للصد عن سبيل الله: بعضٌ منها بأسلوب الخطاب الديني، بعضٌ منها بأسلوب الإفساد والتمييع، شيءٌ منها بأسلوب... ببرامج متنوعة ومتعددة تستهدف الإنسان، وتأتي له عن يمينه وشماله، ومن خلفه ومن أمامه، بكل أنواع الخطاب، وبكل وسائل التأثير، فجزء كبير ينصب في اتجاه صد الناس وصرفهم عن أعمال مهمة، ودفعهم في اتجاهٍ آخر؛ في الأعمال والمنهجية الأخرى التي هي خارج إطار منهج الله ﷻ وهديه، **ولماذا؟** لماذا ينفقون أموالهم (أموال هائلة **جدًّا**)، ويمولون بها أعمالاً للصد عن سبيل الله بكل أشكالها وبكل وسائلها، **لماذا؟** لأن الذين كفروا هم يرون في سبيل الله وسيلةً تُحرر الناس من سيطرتهم، ومن استغلالهم، ومن استعبادهم، تُعبِّد الناس لله، وتُحرِّك الناس في إطار منهج الله ﷻ، وتحررهم، وتنقذهم، وتخرجهم من حالة العبودية والاستغلال والهيمنة لأعداء الحق، لأعداء الله، للذين كفروا، وفي نفس الوقت هي تعارض ما هم عليه من ممارسات ظالمة، من باطل، من طغيان، من إجرام، من إفساد؛ **لأن** طريقة وسياسات ومنهجية الذين كفروا في هذه الحياة في كل زمن وفي كل عصر، **هي:** منهجية استعباد، واستغلال، وهيمنة، وسيطرة، ونشر للفساد، وممارسة للظلم والطغيان.

والذي يحرر الناس من كل ذلك هو سبيل الله، هو هديه ونوره، وبالاستجابة العملية له، فهم ينزعجون من ذلك، إذا اتجهت الأمة على هذا الأساس: على أساس سبيل الله، إذا سارت في هذا الطريق؛ **تحررت**

منهم، من هيمنتهم، من استغلالهم، ولم تعد مذعنةً لهم، وخانعةً لهم، وخاضعةً لهم، وتحررت من كل وسائل سيطرتهم؛ **لأن** لهم وسائل للسيطرة على الناس، **هي عبارة عن سياسات على كل المستويات:** سياسات في الجانب الاقتصادي، سياسات في الجانب السياسي، سياسات في الجانب الاجتماعي، وممارسات وتوجهات تساعدهم على السيطرة على المجتمع.

فسبيل الله هو سبيل يحرر الأمة، يحرر الناس، يحرر المجتمع البشري، وينقذهم من هيمنتهم، من هيمنة الطاغوت، من الاستعباد للطاغوت، من السيطرة والاستغلال من جانب الطاغوت، ويبني المجتمع البشري، يبني أي مجتمعٍ يتحرك على أساسه ليكون مجتمعاً حراً بكل ما تعنيه الحرية، **يعني:** لم يعد متأثراً، ولا خانعاً، ولا يعيش حالة التبعية للطاغوت ولأعداء الأمة في أي شأنٍ من شؤون حياته، يتحرر من التبعية لهم في كل وضعه، في كل واقعه، ويتجه لبناء واقع حياته في كل المجالات على أساسٍ من تعليمات الله، من هدي الله، من القيم والمبادئ الإلهية العظيمة، التي هي لصالح الناس أنفسهم.

لماذا غابت الصورة الحقيقية لمفهوم (هدي الله)؟

للأسف الشديد غابت الصورة الحقيقية لمفهوم (في سبيل الله)، لمفهوم (هدي الله)، لمفهوم (منهج الله)، الصورة الجميلة والعظيمة والرائعة عن ذهنية الناس؛ **لأننا** أصبنا باتجاهين، بمصيبتين، بحربين، لتشويه هذه الصورة:

جانب الذين كفروا وهم يحاربون الأمة، ويقدِّمون في كل حربهم: الثقافية، والإعلامية، والتضليلية، بكل أشكالها، بكل وسائلها، بكل مناهجها؛ **صورة تشويهية** تهاجم هدى الله ﷻ، تقدِّم صورةً عنه أنه حالة من التخلف، أنه حالة من الضعة والسقوط، أنه لا علاقة له بالحياة، ولا يصلح هذه الحياة، وليس في مستوى أن يبني هذه الحياة، وأن يعالج مشاكل هذا الإنسان، وأن يصلح واقع هذا الإنسان.

وصورة من الجهات التي تتحرك باسم الدين نفسه، لكنها تشوه هذا الدين، تشوه منهج الله ﷻ، كما يفعله التكفيريون، وكما يفعله أمثالهم ممن يتجهون هذا الاتجاه التشويهي، الذي يقدِّم مفاهيم مغلوطة، وناقصة، وقاصرة، وملتبسة، ومتجزئة، ويحذف كل الجانب الحضاري من الإسلام، كل الجانب الحضاري والبنَّاء في هذه الرسالة الإلهية، في هذا المنهج الإلهي العظيم، ثم يقدِّمون صورةً متوحشة، وصورةً سلبية.

إنَّ سبيل الله، وإنَّ منهجه العظيم، وإنَّ هديه المبارك، هو أسمى وأعظم ما يمكن أن يعتمد عليه البشر لصلاح حياتهم، وأسمى وأعظم ما يمكن أن تُبنى عليه أرقى حضارة في الواقع البشري، ولا يماثله شيءٌ لصلاح حياة الناس، ولحل مشاكلهم في كل المجالات: على المستوى السياسي، على المستوى الاقتصادي، على المستوى الاجتماعي... في كل واقع حياتهم، وفي كل مجالات حياتهم، ثم هو أعظم ما يمكن أن يترك أثراً إيجابياً في الإنسان نفسه، في تزكية نفسه، في تنويره، في تزويده بالمفاهيم الصحيحة، بالرؤى الصحيحة، بالفهم الصحيح، بالنظرة الصائبة، بالحكمة، كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم.

وإنَّ الأعداء من الطواغيت، من الذين كفروا، من الضالين، من المفسدين، يرونه يعارض ممارساتهم الظالمة، يعارض هيمنتهم الاستكبارية، سيطرتهم واستغلالهم للناس بما فيه ظلمٌ للناس، بما فيه إفسادٌ للناس؛ **ولذلك** هم ينزعجون منه، وينزعجون بشكلٍ أكبر من الجوانب الرئيسية الحسَّاسة في هذا المنهج الإلهي العظيم، في هذا الهدي المبارك في سبيل الله ﷻ؛ **فلذلك** يحاربون تلك الأشياء الأساسية الرئيسية، ويحاولون- على الأقل- أن يحتووا هذا المنهج الإلهي، وأن يبغوه عوجاً، كما يتحدث في القرآن الكريم، أن يتحول إلى معوج، بعد أن يُدخلوا من خلال عملية التحريف والتزييف مفاهيم معوجة محسوبةً عليه، على أنها منه، وليست منه، هي معوجة، ثم قد

يتقبلها الناس على أنها منه، وليست منه؛ فيعظم الاعوجاج، ويحصل الخلل، وتتم لهم عملية الصد بأساليب كثيرة، ممن يتفاعل معهم، يتقبل منهجهم.

لكن عندما يكون هناك من يتحرك، من يجد، من يعمل في الاتجاه الصحيح، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد تكفل بأن يفشل وأن يبطل كل مساعي كل أولئك الصادين عن هذا المنهج الإلهي المبارك، فإنَّ الله سيفشل كل مؤامراتهم وكل مساعيهم.

النتيجة الحتمية للإنفاق في الأعمال التخريبية

في عصر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أنفقوا الكثير من الأموال، وتحركوا بكل الوسائل، وحاربوا، وجنَّدوا، ونشروا الشائعات، وتحركوا بكل وسائل التضليل، ولكنهم فشلوا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾، سينفقون ويمولون الكثير من الأعمال لهذا الهدف، ولهذا الغرض: للصد عن سبيل الله، ليجنِّدوا من سيتجند معهم على المستوى العسكري، على المستوى الإعلامي... في وسائل كثيرة، للأنشطة الاستقطابية، وأموالاً هائلة يقدِّمونها في ذلك.

﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾، **هم كانوا يؤملون فيها**، ويراهنون عليها، ويعتمدون عليها، ويظنون ويتوقعون أنها ستحسم المعركة لصالحهم، مستندهم واعتمادهم وارتكازهم على ما يمتلكونه من إمكانات مادية، فهم يتوقعون أنها ستضمن لهم أن يكسبوا معركتهم ضد سبيل الله؛ **لأنهم** يعتبرونها مصدر قوة، مصدر تأثير، فهم يراهنون عليها، يراهنون على ما بأيديهم من إمكانات مادية ضخمة، وأموال هائلة، ويعوِّلون عليها في كسب هذه المعركة، ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾، ويبددونها هنا وهناك، ويموِّلون هذا العمل، وهذه الخطة، وهذه الوسيلة، وهذا الأسلوب، تمويلاً هائلاً، ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾، ثم بعد أن ينفقوا الكثير، ويبددوا الكثير، ويخسروا الكثير؛ **يفشلون**، ولا يصلون إلى نتيجتهم المرجوة، ويرون أنَّ كل مؤامرتهم باءت بالفشل، ويرون أنَّ كل مخططاتهم ورهاناتهم سقطت وفشلت،

فحينها يتحسَّرون على تلك الأموال الهائلة التي قد أنفقوها، تلك الميزانيات الضخمة التي رصدوها لصالح تلك المؤامرات، وتلك الخطط، ويرون أنَّ كل تلك الجهود تبددت وتلاشت وفشلت، يشعرون بالحسرة والندم والأسف.

ليس هذا فحسب، أكثر من ذلك: ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾، بعد الفشل، بعد سقوط تلك المؤامرات، بعد ضياع تلك الأموال الضخمة والميزانيات الهائلة: ﴿يُغْلَبُونَ﴾، فيكون فشلهم مضافاً إليه الهزيمة وأن يغلبوا، كارثة عليهم، ومصيبة كبيرة! وأكثر من ذلك: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾، وبعد ذلك جهنم؛ **إنما** في الدنيا أن يتحسروا، ويشعروا بالخسارة فيما قد قدَّموه من أموال هائلة **جدًّا**، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ على المستوى العسكري وغيره، ويفشلون فشلاً كاملاً، ويهزمون، **وبعد ذلك في الآخرة:** يحشرون إلى جهنم- والعياذ بالله! **لأنهم** ارتكبوا هذه الجريمة **وهي:** الصد عن سبيل الله، جريمة رهيبة **جدًّا**، عن منهج الله الحق، الذي له الأولوية أن يتَّبعه العباد، وأن يهتدي به العباد، وأن يتمسك به الناس، فأتوا بباطلهم، بجرائمهم، بفسادهم، بظلمهم، بطغيانهم ليعملوا أن يحل هو محل سبيل الله، وبدلاً عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الإنفاق في سبيل الله.. ثوابه ونتائجه في واقع الأمة

عندما نلاحظ هنا في سياق الحديث عما ينفقه الذين كفروا من أموالهم، إنفاق وبسخاء، أموال كبيرة وكثيرة، وميزانيات ضخمة، لماذا؟ ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، هنا نعود إلى واقع الذين آمنوا والمسؤولية عليهم أن ينفقوا في سبيل الله، فإذا كان ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، بكل ما لذلك من آثار سلبية عليهم، بكل ما لذلك من نتائج وخيمة عليهم، وهي مجرد خسارة، ويتحمَّلون بها الوزر والإثم والذنب العظيم، فلماذا لا ينفق الذين آمنوا أموالهم في سبيل الله، بعد أن وعد الله بالأجر المضاعف، والفضل الكبير، والخير الكبير، وبما لذلك من نتائج

مهمة في واقع حياتهم في الدنيا، وعواقب إيجابية وعظيمة في الدنيا والآخرة.

الله ﷻ **قال في كتابه المبارك:** ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]، أنفقوا في سبيل الله، ولا تبخلوا وتمسكوا هذا المال عن الإنفاق، فيكون هذا البخل سبباً لأن تلقوا بأنفسكم إلى الهلاك، الأمة إذا بخلت ولم تنفق، وعطّلت العمل في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله، والتحرك في سبيل الله؛ **فهي** تهلك نفسها، هي تمكِّن أعداءها منها؛ **لأنها** عندما تنفق في سبيل الله ﷻ، فهي تنفق فيما فيه عزتها، وكرامتها، وقوتها، وفيما يساهم في دفع الخطر عنها، ودفع الشر عنها، ودفع الظلم عنها، وإنقاذها من هيمنة وسيطرة الطغاة والمجرمين والمستكبرين والظالمين.

الذين آمنوا لماذا لا ينفقون في سبيل الله، والله ﷻ قد وعد بالأجر العظيم، وقدَّم أعظم ضمانةٍ على أن يعوِّضهم، على أن يخلف لهم، على أن يبارك لهم، عندما يقول -جلَّ شأنه-: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]، **هل بعد هذا ضمانة:** أن يسمي الله ﷻ الإنفاق في سبيله قرضاً؟ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾، **(يُقْرِضُ اللَّهَ)** وهو الغني -جلَّ شأنه- ﴿قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، يعوضك الله ﷻ عوضاً مضاعفاً كثيراً وكثيراً في الدنيا وفي الآخرة، يعوضك الله حتى مادياً في الدنيا، وبأجرٍ واسع أهم حتى من الجانب المادي، في جوانب كثيرة، في نفسك وفي حياتك؛ **أما** في الآخرة فالجنة. الله ﷻ حث على الإنفاق في سبيله حثاً واسعاً في القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة، وما بعد هذا التعبير من ضمانة يقدمها الله ﷻ للذي ينفق في سبيله، وكأنه أقرض الله، وكأنه قدم مبلغاً قرضاً لله ﷻ سيبدله الله له، وسيعوضه الله له،

١- البقرة: من الآية ١٩٥

٢- البقرة: الآية ٢٤٥

قال -جلَّ شأنه-: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1]، قال -جلَّ شأنه-: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾[2]، **لاحظوا** جعل الأجر هنا، وجعل حجم ومستوى الإنفاق في سبيله بسبعمائة ضعف كحد أدنى، سبعمائة ضعف كحد أدنى، وإلَّا يمكن أن يضاعف الله أكثر، عندما قال: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾، يمكن أن يزيد أكثر وأكثر، بل قال -جلَّ شأنه-: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[3].

فالذين آمنوا عندما ينفقون أموالهم في سبيل الله فهم ينفقون فيما هو في سبيل عزهم، وكرامتهم، وقوتهم، وحياتهم، ودفع الظلم عنهم، ودفع الشر عنهم، ودفع الهوان عنهم، وينفقون في سبيل من يضاعف لهم، من يجزيهم خير الجزاء، من يبارك لهم، من يعوضهم بأضعاف مضاعفة في الدنيا والآخرة، من يعطهم في مقابل ذلك الجنة، لا يليق بالذين آمنوا -ولإنفاقهم هذا الأجر وهذا الفضل، وله نتيجة تتحقق في الدنيا ببركةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نتيجة عظيمة فيها الخير، والفلاح، والقوة، والكرامة، والعزة، والخير المضاعف في الدنيا والآخرة- لا يليق بهم أن يمسكوا، أن يبخلوا، لا يليق بهم أن يقبضوا أيديهم، في الوقت الذي ينفق الذين كفروا أموالهم بسخاء فيما هو ظلم، فيما هو صد عن سبيل الله، فيما هو إفساد، فيما هو نشر للضلال، فيما هو نشر للباطل، فيما هو دعم للشر، لا يليق بالذين آمنوا أن يكونوا أقل سخاءً في الإنفاق **من أولئك**: الذين ينفقون ليصدوا عن سبيل الله؛ **لأن** عاقبة ما ينفقه الذين آمنوا عاقبةٌ حسنة، ليس حسرة، فوز، سعادة، عندما ترى ما أعد الله لك في الجنة، عندما تصل إلى ما جزاك

١- الأنفال: الآية ٦٠
٢- البقرة: من الآية ٢٦١
٣- التوبة: من الآية ١١١

الله به من الخير في الجنة، كيف ستكون سعادتك؟ تربح الجنة، تنفق وتربح الجنة، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.

تمييز الخبيث من الطيب.. سنة إلهية

ثم يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1]، تأتي الآخرة، ويأتي اليوم الآخر، ويأتي الحساب في الآخرة، ويميز الله الخبيث من الطيب، كما أماز الخبيث من الطيب في الدنيا، فالخبيث في الدنيا صد عن سبيل الله، الخبيث في الدنيا أعرض عن نهج الله، الخبيث في الدنيا اتجه اتجاهاً آخر. والطيب هو الذي تمسك بسبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. يأتي ما يميز الخبيث من الطيب في الدنيا؛ **لأنها** سنة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال -جلَّ شأنه-: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[2]، فالله يميز الخبيث من الطيب في الدنيا، ويتبين من يتجه في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفق منهج الله وهديه، ومن يتجه اتجاهاً آخر، ومن يتجه للصد عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم يكون ما يميزهم به يوم القيامة هو المصير الذي يصير إليه كل طرف، مصير الخبيث مصيرٌ سيئٌ **جدًّا**، مصير الخسارة الكبرى، يخسرون في الدنيا، ثم مصيرهم في الآخرة الخسارة الكبرى.

الفرز في الدنيا من خلال الاختبار، الغربلة للناس في مواقفهم، في أعمالهم، في سلوكياتهم... وفي الآخرة الفرز من خلال الفصل بينهم والحكم بينهم، ثم من خلال الجزاء، قائمٌ على هذا التصنيف: ﴿الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، وهو عنوانٌ مهم، هذا التصنيف فيه عنوانان مهمان **جدًّا**:

١- الأنفال: الآية ٣٧
٢- آل عمران: من الآية ١٧٩

كيف يخبث الإنسان؟

عنوان الخبيث: كيف يخبث الإنسان؟ الإنسان يخبث عندما يتلوث بما يدنس فطرته، بما يلوث زكاء نفسه وصلاحها، يخبث الإنسان، حينئذ، يمكن أن تتلوث بما يدنس فطرتك بما تتقبله من ضلال، وبما تعمله من أعمال سيئة، وتصرفات سيئة، ومواقف سيئة، تعزز وترسخ الخبث في نفسك؛ **لأن** كل ضلالٍ يتقبله الإنسان يترك خبثاً في نفسه، وكل عملٍ سيءٍ يعمله الإنسان، وكل كلامٍ سيءٍ يتكلم به الإنسان، يعزز في نفسه الخبث، يترك في نفسك نسبةً من الخبث، فإذا اتجه الإنسان الاتجاه السلبي في هذه الحياة، فالخبث يتراكم في نفسه، خبث على خبث على خبث؛ **حتى** يفقد زكاء نفسه، ويفقد الطيبة في نفسه، ويتحول إلى خبيث بشكل كامل، بعد أن فقد الخير في نفسه، فقد الصلاح في نفسه، فقد الزكاء في نفسه، يتحول إلى خبيث؛ **لأن** الخبث تراكم في نفسه، بأعماله المتراكمة من الأعمال السيئة، بالضلال المتراكم الذي تقبله، فزادت نسبة الخبث حتى طغت عليه في واقعه وفي نفسه؛ **فيتحول** إلى خبيث. بعد أن يصل إلى هذه المرحلة، ويصل إلى هذا المستوى من الخبث الذي يتحول فيه إلى خبيث، يصبح من أهل جهنم، ويصبح بعيداً- بشكلٍ كبير- بعيداً **جدًّا** عن العودة إلى طريق الحق، لا يتقبلها، لم يعد عنده قابلية حتى في نفسه، يكره الحق، يكره أهله، يبغضهم، يكره الأعمال الصالحة، يتعقد منها ويبغضها، لا يطيقها نفسياً؛ **لأن** نفسه قد خبثت، لم تعد تنسجم مع الحق وأهله، ولم تعد تنسجم مع الأعمال المهمة، والأعمال العظيمة، الإنسان إذا خبث يصبح من حصة جهنم.

ولهذا كما قرأنا في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، يميز الخبيث من الطيب **من أين؟** من بين الذين آمنوا، بين الذين انتموا للإيمان، وقدموا أنفسهم على أنهم مؤمنون، وفيهم الخبيث، الذي نفسه خبيثة، أعماله خبيثة، أقواله خبيثة،

تصرفاته خبيثة؛ **فخبثت** نفسه، الخبث يأتي حتى إلى الكلمة، يمكن أن يكون هناك كلمة خبيثة، قال الله في القرآن الكريم ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[1]، الخبث قضية خطيرة على الإنسان، وهو يحدث نتيجةً للانحرافات في واقع الإنسان، عندما ينحرف حتى لو كان في صف الذين آمنوا، ومحسوباً منهم، لكن يتهاون، يستهتر؛ **فيعمل** الأعمال السيئة، فأعماله السيئة، أو خياناته إذا كان يخون، هي تترك نسبةً من الخبث في نفسه، تكثر هذه النسبة وتتعاظم حتى يتحول إلى خبيث.

في يوم القيامة يأتي التصنيف للبشر على أساس طيبٍ وخبيث، كيف يطيب الإنسان؟ بأعماله الزاكية، بأعماله الصالحة، باستجابته العملية لله ﷻ، بتزكية النفس من خلال هدى الله ﷻ، الذي ينقي ويطيب مشاعرك من كل تلك المعاني السلبية: من حالة الحسد، من حالة الحقد، من حالة الكبر، من حالة الغرور، من حالة العجب، من حالة الميول للفساد... يزكي نفسك ويطيبك، تتحول نفسك إلى نفس زاكية، **وتتحول أنت إلى طيب:** أعمالك طيبة، كلماتك طيبة، تصرفاتك طيبة؛ **تبتعد** عن الأعمال الخبيثة، عن الكلمات الخبيثة، عن التصرفات الخبيثة، تتجنبها وتتركها.

المصير الأليم للخبيثين

في يوم القيامة يميز الله الخبيث من الطيب، كما قال هنا: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ﴾، يأتي الحشر، ويأتي الحساب، ويأتي الجزاء، ويجعل مصير الذين كفروا ومن سيلحق بهم ممن صد عن سبيل الله، أو سار في طريق الصد عن سبيل الله، ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾، **يجمع في يوم القيامة كل الخبيث:** خبيث الذين كفروا، وخبيث المنافقين، والخبيث من الذين آمنوا الذي لم يَزكُ ولم يَصلحُ وكان منتسباً إليهم، كله،

١- إبراهيم: الآية ٢٦

﴿بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ﴾، يجعل الخبيث ﴿بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾، نعوذ بالله من سخط الله! هذا يعبر عن سخط كبير من الله، حيث يجمع الكل، كل الخبثاء يوم القيامة يجمعهم جميعاً، ويلقي بهم إلى جهنم بهذه الطريقة الرهيبة: ﴿فَيَرْكُمَهُ﴾، يلقى ذلك الخبيث إلى جهنم مركوماً بعضه فوق بعض، ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ ليحترق بكله في نار جهنم؛ **لأنه** لا يمكن أن يدخل الخبيث إلى الجنة، حتى لو كان منتسباً للذين آمنوا، الجنة عالم للطيبين، لمن قد طابوا، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[1]، ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[2]، فالطيبون الذين قد زكوا في هذه الدنيا، صلحوا في هذه الدنيا، زكت نفوسهم في هذه الدنيا، يحق لهم أن يدخلوا الجنة، لو دخل الخبيث إلى الجنة لأفسد في الجنة، أفسد في الدنيا والدنيا ليست كالجنة، الأرض ليست في تصميمها، فيما فيها من الخيرات والمغريات كالجنة، لو دخل الخبيث إلى عالم الجنة وفيها المغريات العجيبة، كيف سيكون فساده، كيف سيكون سوؤه؛ **ولذلك** الخبيث يتجه إلى النار.

﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، نعوذ بالله، خسارة في الدنيا وخسارة في الآخرة، خسروا جهدهم، حياتهم، أعمالهم، ما عملوه وما أنفقوه في هذه الدنيا تحول إلى وبالٍ عليهم، وخسروا مستقبلهم الدائم والأبدي في الآخرة، وخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، واتجهوا إلى جهنم للعذاب فيها- للأبد- والعياذ بالله!

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

٢٧

١- الزمر: من الآية ٧٣

٢-

يوم الفرقان (١٠)

حتمية الصراع مع قوى الشر والضلال

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل اللهُ منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

تحدثنا على ضوء الآيات المباركة في المحاضرة بالأمس عن الذين كفروا كيف يعتمدون على إمكاناتهم المادية، ويراهنون عليها، ويعتبرونها مرتكزاً لقوتهم، في سعيهم، ومؤامراتهم، ومكائدهم، واهتماماتهم العملية الواسعة، التي يريدون من خلالها صد الناس عن سبيل الله، ثني

الناس وصرفهم ومنعهم عن الاهتداء بهدى الله، وعن الاستجابة العملية لله ﷻ، وعن التحرك في هذه الحياة على أساس منهج الله ﷻ.

فالذين كفروا هم يسعون إلى السيطرة على الناس، على المجتمعات البشرية، والتحكم بالناس، وفرض بدائل عن سبيل الله، بدائل عن منهج الله الحق، بدائل عن هدى الله ﷻ في كثيرٍ من الأمور التي يرون سبيل الله فيها عائقاً يحول دون تمكُّنهم من التغلب على الناس، والاستعباد للناس، والظلم للناس، وحائلاً يحول بينهم وبين الفساد، وبين الظلم، وبين المنكر، وبين الباطل، وبين الاستغلال للعباد، فهم ينظرون إلى كثيرٍ مما في هذا الدين من الأشياء الأساسية، مما في هدى الله ﷻ وفي منهجه الحق من الأشياء التي تكفل للمجتمع البشري أن يتحرر- بما تعنيه الكلمة- من كل سيطرةٍ للطاغوت، من كل استحواذٍ لقوى الشر والإجرام والفساد، **فيرون في كل ذلك:** كل تلك التعليمات، المبادئ، القيم، الفرائض التي لها هذه الثمرة في الواقع، لها هذا الأثر في الحياة، ينظرون إليها كمشكلة، ويسعون إلى صد الناس عنها بكل الوسائل: وسائل عسكرية، وسائل أمنية، وسائل سياسية، وسائل إعلامية، وسائل تثقيفية وتضليلية، وتقديم ما يساهم في التأثير سلباً على الناس، من خلال كل ما يساعد من الأساليب والوسائل على إفساد الناس وتضليلهم، فهم لا يألون جهداً في صد الناس عن سبيل الله، عن هديه، عن منهجه الحق، وعن التأثير على الناس بالتضليل من جانب، بتقديم بدائل، مفاهيم أخرى، وتصورات أخرى، وأفكار أخرى؛ **لمحاولة** أن تصنع قناعة لدى الناس بكل ما من شأنه أن يساعد أولئك على السيطرة عليهم، والاستحواذ عليهم.

وأيضاً ما يساهم على إفساد نفوس الناس؛ حتى تنسجم معهم، تنسجم مع فسادهم، تنسجم مع منكرهم، مع باطلهم، فبالتضليل والإفساد وما يساهم في ذلك، وما يساعد على ذلك، يتحركون بشكلٍ واسع، يمولون تمويلاً

واسعاً الكثير من البرامج، والأنشطة، والأعمال التي تساعد على تحقيق ذلك.

وأيضاً بالسطوة والجبروت؛ حتى يتمكنوا من إخافة الناس، البعض من الناس لا يرتبطون بهدى الله على النحو الذي يحميهم من هذه المخاوف، يدفع عنهم هذه المخاوف؛ **فيتأثرون**، ومن جانبٍ آخر بالإغراء المادي للبعض من الناس، لشراء الذمم، ولاستقطاب الناس، ولتجنيدهم في صف الطاغوت، في صف الباطل، عن طريق الإغراء المادي، فهم يمولون من خلال مالهم وإمكاناتهم المادية التي يعتمدون عليها للصد عن سبيل الله الكثير من الأعمال، والكثير من الأنشطة في كل المجالات، ويتحركون بكل الوسائل وبكل الأساليب لتحقيق هذا الهدف، **مما هو** صد للناس عن سبيل الله.

الموقف الحق ضد الصادين عن سبيل الله

وهم- في موقفهم هذا- في موقفٍ عدواني، لا حق لهم في ذلك؛ **إنما** يسعون إلى السيطرة على عباد الله، والتحكم بهم، والهيمنة عليهم، وفرض باطلهم الذي يخضع الناس لهم، وفرض طغيانهم وفسادهم ومنكرهم بغير حق، هذا- بحد ذاته- يمثل عدواناً على الناس، وتحركاً عدائياً لا مبرر له، ولا مشروعية له، مهما حاولوا أن يطبعوه بطابعٍ لشرعنته، أو بعناوين وتبريرات واسعة يقدِّمونها للتضليل والكذب والتزييف للحقائق فهم- في واقع الحال- المعتدون بغير حق، هم الظالمون، هم المجرمون، هم المعتدون، هم في موقفٍ غير مبرر، ولا مشروع، ولا ضرورة له، فليسوا في حالة نقول عنها: أنها حالة دفاعية، أو أنهم في وضعٍ يدفعون عن أنفسهم ظلماً أو عدواناً، ليسوا في حالٍ كهذا؛ **إنما** هم في الموقف العدواني هم.

والموقف منهم في العمل على التصدي لهم في عدوانهم، وفي موقفهم الظالم، هو الموقف الصحيح، وهو لا ينطلق من حالة عدوانية وظالمة؛ حتى يبرر لهم ما يفعلونه، هم من صد، من اعتدى، من ظلم، هم من ابتدأ الحرب؛

ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[1]، بما يوضح أنَّ الموقف الحق، الموقف القرآني لم يكن عدوانياً، ولم يكن ليجعل الذين آمنوا في موقع الظالمين لهم، والمعتدين عليهم، إلا إنما هم أولئك الأعداء الذين هم في موقف العدوان والظلم، فإن ينتهوا عمَّا هم عليه من صد، من ظلم، من عدوان، فالموقف الحق، الموقف القرآني ليس موقفاً عدوانياً ولا ظالماً؛ **وبالتالي** لا ينطلق من منطلق الروح الانتقامية، ولا تصفية الحسابات الشخصية؛ **بالنسبة** للماضي: كان موقفاً لدفع عدوانهم، وكان موقفاً لمنع صدهم، وكان موقفاً لدفع ظلمهم، ودفع شرهم، ودفع فسادهم، ودفع باطلهم؛ **ولذلك**: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾، كما قال هنا في هذه الآية المباركة: ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[2]، فليس هناك استمرارية لتصفية الحسابات على الماضي، ولا هناك عداء شخصي يستمر كعداء شخصي، الموقف منهم في مقابل موقفهم، الموقف منهم في مقابل عدوانهم، في مقابل صدهم، في مقابل ظلمهم، في مقابل طغيانهم؛ ولذلك فهو موقفٌ عادل، وموقفٌ صحيح، وموقفٌ مشروع، وموقفٌ إنسانيٌ ومنطقي، ليس فيه أي ظلم، ليس فيه أي طغيان، ليس فيه أي عدوان، بل إنه على هذا المستوى، لدرجة أنه لا ينطلق من منطلق تصفية حسابات شخصية، أو حسابات على الماضي، أو يحمل طابعاً شخصياً، فتستمر المعركة حتى لو توقفوا، لو كفوا، لو انتهوا عن عدوانهم، عن صدهم؛ **فلذلك** نجد هنا كيف يتميز الموقف القرآني بأنه موقفٌ محق، وكيف يكشف حقيقة الآخرين وما هم عليه، وهذا فعلاً ما تجسَّد في تاريخ الإسلام في سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ كمواقف عملية واضحة.

في يوم الفتح (فتح مكة) في السنة الثامنة للهجرة، وبعد الكثير من الحروب، وبعد تاريخ طويل لأكثر من عشرين عاماً من حرب قريشٍ ضد الإسلام،

١- الأنفال: من الآية ٣٨
٢- الأنفال: من الآية ٣٨

وعدائهم للرسول ﷺ، وما فعلوه في كل ذلك الزمن الطويل بحق الإسلام، بحق الرسول، بحق المسلمين، ما ارتكبوه من جرائم، من إساءات، من تكذيب، من محاربة بكل أشكال المحاربة، عندما دخل النبي ﷺ إلى مكة فاتحاً، وجُمِعُوا أمامه، وقال لهم في خطابه الشهير والتاريخي العظيم: **ماذا تظنون أني فاعلٌ بكم؟ يعني:** بعد كل الذي قد فعلوه من قتل، من ظلم، من إجرام، من محاربة، من صد، من تكذيب، من عداء، من إساءة، **ماذا تظنون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا:** أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، **لاحظوا** كيف هم في قرارة أنفسهم، بالرغم من أنهم كانوا- فيما سبق- يقولون أسوأ الكلام بحق رسول الله ﷺ، يسيئون إليه، ويحاربونه، ويوجهون إليه الاتهامات، ويطلقون عليه الدعايات، لكنهم في قرارة أنفسهم وعندما حصحص الحق نطقوا بالنظرة الصحيحة الواقعية الحقيقية، والتقييم الصحيح، فقال كلمته الشهيرة: **أقول كما قال أخي يوسف، يعني:** نبي الله يوسف عليه السلام، **أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء، اذهبوا فأنتم الطلقاء**، كلمة شهيرة وتاريخية، وموقف تاريخي عظيم **جدًّا.**

ففي طريق الحق ليس هناك استمرارية في حمل روح انتقامية وتصفية حسابات على الماضي، وهذا يعطي الفرصة للآخرين أن يراجعوا حساباتهم، ونجد كيف توجه الدعوة لهم لمراجعة حساباتهم، وللحث لهم على أن يتوقفوا، وأن يكفوا، وأن ينتهوا عن عدائهم، عن بغيهم، عن عدوانهم، نجد في هذه الآية المباركة، ونجد في الآية المباركة التي قد سبقت عندما قال: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1]، تقدَّم في الآية السابقة: ﴿وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فالله سبحانه وتعالى يوجِّه هذه الدعوة، **ويجب** أن توجَّه دائماً؛ **لأنه** هنا يقول: ﴿قُل﴾ **يجب** أن توجه من الذين

١- الأنفال: من الآية ١٩

آمنوا، أن توجه إلى الأعداء، **وأن يقال لهم:** من الأفضل لكم أن تكفوا، أن تنتهوا، نحن لسنا أصحاب تصفية حسابات على الماضي، إذا توقفتم، إذا انتهيتم عمَّا أنتم عليه من العدوان، من الظلم، من الصد، فلن نستمر معكم، ونصر على الاستمرار في حربنا معكم من باب تصفية الحسابات على الماضي، ومن باب الروح الانتقامية عمَّا قد مضى. فهذه فرصة لهم، هم المعنيون بمراجعة حساباتهم هم؛ **لأنهم** هم في الموقف الظالم، هم في الموقف العدواني، هم في موقف البغي، هم الذين عليهم أن يراجعوا حساباتهم.

مهما تكن مؤامراتهم فمآلها الفشل الذريع

﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾[1]، وإن يعودوا إلى الحرب من جديد، يعودوا إلى الصد من جديد، يعودوا إلى البغي والعدوان والظلم من جديد، فلا قلق، لن يربحوا المعركة؛ **لأنهم** عادوا من جديد، معركتهم في الصد عن سبيل الله، في منع الذين آمنوا عن التحرك في حياتهم هذه على أساس منهج الله، في صدهم للناس عن التمسك بهدى الله، وعن الموقف الحق، معركتهم خاسرة، خاسرة، ومآلاتها وعواقبها عليهم- كذلك- وخيمة وسلبية، فإذا عادوا وأصروا على المواصلة، أصروا على الاستمرار، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾، فلله سنة من سننه المستمرة؛ **لأن** سنن الله هي ثوابت مستمرة في تدبيره -جلَّ شأنه- وكانت سنته أن يخذلهم، أن يكسر شوكتهم، أن يجعل مآل أمرهم إلى الخسران، وإلى الهزيمة، فإذا استمروا وواصلوا، فمواصلتهم واستمرارهم، والجديد من مؤامراتهم ومخططاتهم لن يوصلهم إلى نتيجة؛ **إنما** ستكون عاقبتهم الخسارة، **لن** يوصلهم إلى النتيجة التي يرجونها، ولن يكون لصالحهم، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾، التي ستجري عليهم، فينهزمون كما هُزِم من قبلهم من قوى البغي والعدوان والاستكبار والظلم التي تسعى لصد

١- الأنفال: من الآية ٣٨

الناس عن سبيل الله، قد فشلت بالرغم من إمكاناتها المادية الضخمة، بالرغم من حجم مؤامراتها ومكائدها، وحجم بغيها وعدوانها وممارساتها الظالمة، كل ذلك لم يُجْدِها شيئاً أمام بأس الله وجبروته، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾.

ونجد كما قال أيضاً في الآية السابقة: ﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فهم مهما حشدوا، مهما جنَّدوا، مهما كانت مؤامراتهم، مهما كانت خططهم، فهم لن ينجحوا، ليست هي- بحد ذاتها- الكفيلة بنجاحهم، لا إمكانياتهم المادية، ولا تعنتهم وإصرارهم واستمرارهم يمكن أن يفيدهم بعامل الزمن، **مثلاً:** أنها طالت الأحداث من عام إلى عام، **يعني: لاحظوا**- مثلاً- من بعد غزوة بدر إلى السنة الثامنة للهجرة، استمرت حالة الصراع، والمعارك، والأحداث، والمؤامرات، استمرت، لكنها- في نهاية المطاف- أوصلت أولئك البغاة، المعتدين، المجرمين، الصادين عن سبيل الله، إلى الخسران، وفشلوا في نهاية المطاف، بعد أن تكبَّدوا خسائر كبيرة وعلى المستوى المادي والبشري، وبعد أن سقطت وفشلت الكثير من مؤامراتهم، فهم في كل زمان يسعون فيه للصد عن سبيل الله، سواءً الذين كفروا، أو حلفاؤهم، أو عملاؤهم، أو أنصارهم، أو من يقف في صفهم من المنافقين، الذين يمارسون نفس الدور في الصد عن سبيل الله، من الأحبار والرهبان الذين يمارسون أيضاً هذه الجريمة (الصد عن سبيل الله)... من غيرهم.

المهم هو:- إذا استمر العدو، إذا أصر على تعنته، وواصل مشواره الخاطئ- أن يتحرك الذين آمنوا بمسؤولياتهم وواجباتهم كما ينبغي، هذه هي المسألة الأهم، بتوكلٍ على الله ﷻ، واعتمادٍ على الله ﷻ، وثقةٍ بالله -جلَّ شأنه-.

١- الأنفال: من الآية ١٩

الصراع مع قوى الشر.. طبيعته ومساره

ولذلك يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1]، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، في مقابل أنهم يقاتلون، ويصدون، ويتآمرون، ويمكرون، ويعتدون، الموقف الصحيح تجاه ذلك **هو:** ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾، طالما هم يواصلون صدهم، وعدوانهم، وبغيهم، وفتنتهم، ومساعيهم للسيطرة على الأمة، ومنعهم للناس عن الاهتداء بهدى الله، وعن الاستجابة العملية لله، وعن التحرك في طريق الحق، طالما وهم يسعون إلى فرض باطلهم، وفرض هيمنتهم، وفرض نفوذهم وسيطرتهم على الناس، ودفع الناس بالاتجاه الذي يريدون، ويصرفونهم فيه عمَّا يوجههم الله، عمَّا يهديهم إليه، عمَّا يأمرهم به، فهذه الحالة تستدعي الوقوف بجد في مواجهتهم، وبالقتال في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، القتال لمواجهة شرهم، لمواجهة عدوانهم، لمواجهة فتنتهم وبغيهم، لمنع هذه السيطرة التي يريدونها، لمنع هذه الحالة التي يريدون فرضها على الناس.

﴿قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، لا يتمكنون من فتنة الناس، من السيطرة عليهم، من فرض ما يريدونه من باطلهم عليهم، من ثنيهم عن الموقف الحق، وردهم عمَّا يأمرهم الله به، ويوجههم إليه، حتى تمنعوهم من الإجبار للناس والدفع للناس في المواقف الباطلة التي يريدون أن يدفعوا بالناس إليها.

وهذا يبين لنا طبيعة المعركة، أولاً: أين يجب أن نكون؟ مسارنا الذي **يجب** أن نتحرك فيه **هو:** التحرك على أساس هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والاستجابة العملية لله -جلَّ شأنه- وأن نقف المواقف التي يأمرنا الله بها، هنا عندما يحاولون أن يفرضوا علينا مواقف أخرى، عندما يحاولون أن يفرضوا علينا بدائل أخرى، توجهات أخرى، مسارات أخرى، ولاءات أخرى، لا يجوز

١- الأنفال: ٣٩-٤٠

أن نقبل تحت عامل الضغط والحرب والعدوان، لا يجوز أن نستسلم لهم، وأن ننقاد لهم، وأن ننحني لهم، وأن نخضع لهم، لا يجوز ذلك، بل **يجب** علينا أن نقاتلهم، عندما يقاتلوننا لإخضاعنا لسياساتهم المنحرفة عن منهج الله الحق، ليفرضوا علينا توجهاتهم المنحرفة عن منهج الله الحق.

عندما يحاولون مثلاً في هذا الزمان أن يفرضوا علينا كأمةٍ مسلمة أن نخضع بالولاء لأمريكا، بالولاء لأعداء الأمة من اليهود والنصارى (لأمريكا وإسرائيل)، هذه حالة تمثِّل صداً- بكل ما تعنيه الكلمة- عن سبيل الله، تمثِّل صرفاً عن الموقف الحق الذي يأمرنا به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تمثِّل تهديداً لنا في قيمنا ومبادئنا الدينية، والتزاماتنا الإيمانية؛ **لأنه** يدخل ضمن ذلك الكثير من البدائل التي تأتي لإفسادنا وتضليلنا، الذي يعمله الأمريكي ليس فقط سيطرةً عسكرية، الذي يسعى له الإسرائيلي ليس فقط سيطرةً عسكرية؛ **إنما** سيطرة يتجهون فيها لمسخ الأمة، لإغواء الأمة، لإضلال الأمة، يتجهون فيها لإفساد الأمة، فكم يأتي من صدٍ عن سبيل الله في كثيرٍ من الأمور ذات العلاقة بالإنسان في سلوكه، في أعماله، في واقعه الاجتماعي، في حياته، في مواقفه، في مسؤولياته... صرف عن جملة كبيرة من توجيهات الله، من تعليمات الله، من أوامر الله، وصد عنها، وثني للناس عن الالتزام بها.

يصبح البديل عن التوجيه الإلهي: التوجيه الأمريكي، السياسات الأمريكية، السياسات الإسرائيلية، تصبح هي التي يتحرك الناس على أساسها، هي التي تدخل إلى المناهج الدراسية، هي التي تدخل إلى السياسات العامة في الدولة، إلى الواقع الاجتماعي للناس، إلى الواقع السلوكي للناس، وكلها إفساد، وكلها تضليل، وكلها عملية صرف عن الاتِّباع لتعاليم الله، وتوجيهات الله، والالتزام بهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **والهدف منه:** السيطرة على الناس، هم بإضلال الناس وإفسادهم يتمكنون من السيطرة التامة والكاملة والحقيقية عليهم، أكبر وسيلة للسيطرة

الفعلية على الإنسان، على فكره، على قناعاته، على ولاءاته، على مواقفه، على أعماله، على تحركاته، **هي:** بإضلاله وإفساده، هذه أخطر وسيلة للسيطرة، وهي تعتمد على الصد عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويشتغل عليها الذين كفروا، والمنافقون الذين يوالونهم، ويشتغلون من داخل الأمة لمصلحتهم، وفقاً لسياسات ومواقف وخطط مشتركة معهم، فيصبح توجههم توجهاً مشتركاً، ما بين الكافرين والمنافقين، فتصبح خطة المنافقين هي الخطة التي يريدها الذين كفروا، ويسعى لها الذين كفروا؛ **إنما** أولئك يعملون على تنفيذها في داخل الأمة، ومن واقع انتمائهم للإسلام يخادعون الكثير، ويغررون على السذج والبسطاء الذين لا يمتلكون الوعي الكافي، ولا يستنيرون بنور الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالفتنة التي يفتنون بها الناس هي هذه الفتنة التي يصرفونهم بها عن اتباع هدى الله، عن الاستجابة العملية لله، عن الالتزام بتعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويصرفونهم إلى بدائل، إلى توجهات أخرى، إلى مواقف أخرى، حالة من الانحراف، سواءً وصلت هذه الحالة من الانحراف إلى الارتداد الكلي عن الإسلام، وهذا يحصل للبعض، يحصل للبعض أن يصلوا إلى هذا المستوى من الارتداد الكلي عن الإسلام والخروج منه، أو الارتداد عن جملةٍ مهمةٍ من الإسلام، سواءً التعاليم ذات العلاقة بالشأن الأخلاقي للإنسان والسلوكي، أو الشأن الاجتماعي، أو المواقف... أو أي مسائل أو قضايا مهمة؛ **لأن** المطلوب التزام تام بتعليمات الله وتوجيهاته في كل مجالات الحياة، هذا هو المطلوب، هذا هو التوجه الصحيح، ولهذا قال: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

التصدي لأئمة الكفر حتمي ولا مجال لاسترضائهم

الحالة السائدة التي تعم، والتي يجب أن يتحرك عليها الذين آمنوا: أن يسود منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعليماته الحق، ومنهجه العظيم، وأن لا يتمكن الآخرون من منع ذلك، لا يتمكن الذين كفروا من منع الأمة، من منع الناس من ذلك،

إذا سعوا لمنع الناس من ذلك عن طريق الحرب والعدوان والصد بكل الوسائل، فأن يتم التصدي لهم، تعتبر هذه مسؤولية والتزاماً إيمانياً، ضمن الالتزامات الإيمانية الدينية، **يعني:** ليست المسألة مبنية على أننا سنلتزم بالإيمان، سنلتزم بمنهج الله، سنتبع من تعليمات الله، لكن بالقدر الذي يسمح به الذين كفروا؛ **أما** بالمقدار الذي لا يسمحون به **فسنقول:** [خلاص، ليس له لزوم، نشطبه من الإسلام، ونلغيه من قائمة الدين]، **نقول:** [صح الجهاد في سبيل الله، العمل لإعلاء كلمة الله، العمل لإقامة الحق، العمل لإقامة العدل... هذه صح من الإسلام، لكن لن يسمح بها الذين كفروا، إذاً نشطبها ونلغيها ونعتبرها غير ممكنة التطبيق؛ **نظراً** لاعتراضهم عليها]، ليست المسألة متوقفة على مقدار ما يسمحون به، وإلغاء ما لا يسمحون به. من هم حتى يكون لهم هذا الحق؟ لو نظر الإنسان هذه النظرة فهي نظرة خطيرة **جدًّا** على إيمانه، لو نظر إلى أننا سنأخذ من الإسلام ما تسمح به أمريكا، وسنعدل من الإسلام ما تريد منا أمريكا أن نعدله، وسنعدل من الإسلام ما ترغب إسرائيل بتعديله، مفاهيم إسلامية نغيرها على النحو الذي يرضي إسرائيل، توجيهات من توجيهات الله سبحانه وتعالى تعارضها إسرائيل نشطبها، تعارضها أمريكا نلغيها، أو نجمدها.

إذا اتجهت الأمة هذا التوجه، فهي جعلت طاعتها للذين كفروا أكبر وأقدم من طاعتها لله سبحانه وتعالى، جعلت فيتو أمريكي وفيتو إسرائيلي مقدَّماً على ما هو مهمٌ من الإسلام، فتلغيه، أو تجمده، أو تغيره وتحرِّف فيه؛ **استرضاءً لهم**، ولهذا لم يكن مسموحاً حتى في عصر النبي صلوات الله عليه وعلى آله بذلك، لم يكن مسموحاً بذلك، والذين يكونون على هذا النحو لديهم خلل كبير في مصداقية انتمائهم الحقيقي للإيمان، الحالة التي يتحول فيها التوجه بكله محكوماً بسياسات الذين كفروا، الذين كفروا في زماننا في طليعتهم أمريكا، وفي طليعتهم إسرائيل، هم أئمة الكفر في هذا الزمن، هم الذين يحملون راية الطاغوت في هذا العصر، هم الذين يسعون إلى أن يتحكموا بنا، والتحكم بنا يتم بفرض

سياسات وإملاءات تأتي إلى واقع حياتنا، حتى على حساب المفاهيم الدينية، والمبادئ الدينية، والقيم الدينية، والأخلاق الإسلامية، والمواقف الدينية.

ثم يأتي البعض بدافع الاسترضاء لهم إلى عملية تغيير وتحريف وتبديل لكثير من المفاهيم الدينية، والالتزامات الدينية، وفرض سياسات تفسد المجتمع، تنشر الفساد في أوساط المجتمع، تضل الناس، وتؤثر على كل واقع حياتهم، تضعفهم، سياسات في الواقع الاقتصادي تدمر اقتصادهم، تحول اقتصادهم إلى اقتصاد ضعيف، يخدم الأعداء، اقتصاد قائم على استهلاك بضائع الأعداء، وليس على الإنتاج، سياسات وبدائل تضعف الأمة في كل مجالات حياتها، وتكفل للأعداء السيطرة عليها، وهذا يأتي إلى كل واقع الحياة، إلى الواقع الاقتصادي، إلى الواقع العسكري للأمة... إلى كل مجالات الحياة؛ **لأن** المسألة ليست مسألة عقائدية فقط، فتكون المشكلة معهم فقط أنهم يريدون أن يجبروا الناس- مثلاً- على أن يكفروا كفراً صريحاً بالله ﷻ، على أن يرتدوا عن الشهادتين- مثلاً- لكنه سيسعى إلى أن يجردك من كل المضمون الذي يبنى على الشهادتين؛ **حتى** تصبح الشهادتان مجرد كلمتين تقولها بلسانك، لا تبني عليها شيئاً في واقع الحياة، تصبح مقولة (لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله) مقولة تنطق باللسان، أو تكتب في العلم، أو تكتب في الورق، ولكن لا يبنى على أساسها شيءٌ في واقع الحياة، هذا ما تسعى له أمريكا، ما تسعى له إسرائيل، **تقول: (لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله)**، لكن وتجعل من نفسك جندياً تبذل كل مالك، وكل جهدك، وكل طاقاتك، وكل أعمالك في خدمة أمريكا، هل هذا هو المضمون الذي يبنى على أساس الشهادتين؟ [لا].

(أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) يبنى عليها مضمون، مضمون أن تعبد نفسك لله، أن تتحرك في هذه الحياة على أساس هدى الله، مضمون أن تتحرك في هذه الرسالة التي آمنت برسولها

محمد -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- محمدٌ رسول الله، إذاً أقتدي به، أتبعه، ألتزم بتعليماته، بتوجيهاته، أحذو حذوه، أسير في طريقه.

ولذلك البدائل التي يحاولون فرضها، هم يحاولون فرضها حتى بالقوة العسكرية، يحاولون فرضها بكل الوسائل، بسياسات وأعمال واسعة وأساليب خطيرة **جدًّا**، فالأمة عليها أن تتمسك بموقفها الحق، وتستمر في منهجها الحق، وأن تواجه جبروت الأعداء الذي يستخدمونه كوسيلة رئيسية لإخضاع الناس؛ **لأنهم** عندما يفشلون في وسائلهم الأخرى، يضيفون إلى ذلك وسيلةً أخرى هي الحرب العسكرية، فإذا اتجهوا بالحرب العسكرية، **يجب** أن يواجَهوا أيضاً بالحرب العسكرية، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، لم يقل الله ﷻ: [ما دام والمسألة قد تحتاج إلى قتال فاستسلموا لهم، واتركوا المشاكل، واجلسوا في بيوتكم، واتركوا لهم المجال فليسيطروا، وليهيمنوا، وليتحكموا]!

متى يتجهون للحرب العسكرية؟ نموذج شاهد

هم عندما يلحظون توجه الأمة توجهاً صادقاً وقوياً يقطع نفوذهم، وينهي آمالهم بالاستمرار في سيطرتهم على الأمة بأساليبهم الأخرى، يتجهون إلى الحرب العسكرية.

لاحظوا، في واقع شعبنا اليمني، في ثورة الحادي والعشرين من سبتمبر، عندما لحظ الأمريكيون توجهاً سائداً في هذه الثورة يمنع نفوذهم وسيطرتهم، ألم يهربوا من صنعاء؟ ألم يهرب المارينز من صنعاء- آنذاك- وهربت السفارة الأمريكية، وهرب السفير، وهرب من معهم، هربوا من صنعاء ورحلوا من صنعاء؛ **لأنهم** أدركوا أن هذا الواقع قد تغير عليهم، لم يعد لهم فيه أي نفوذ، ولا أي سيطرة، وأنه واقعٌ مختلف، واقعٌ يتجه اتجاهاً تحررياً بكل ما تعنيه الكلمة، قائم على أساس العبودية لله، والحرية التامة من الطاغوت، فلذلك انهزموا وهربوا، وتركوا هذه الساحة وغادروها، ولم يجرؤوا حتى على البقاء،

أصبحوا أجبن من أن يواصلوا بقاءهم، وأن يواصلوا ما كانوا عليه فيما قبل، يوم كان المسؤولون يذهبون إليهم من موقع أنهم هم الأعلى، أنهم هم أصحاب القرار، أنهم من يوجهون الإملاءات والتوجيهات، يوم كان السياسيون- الكثير منهم في الأحزاب السياسية- يذهبون إليهم على هذا الأساس، يتحدثون معهم عن شؤون البلد، عن واقع البلد، يتحدثون معهم في كل القضايا التي تعنينا نحن كيمنيين، وعندما يُوجهنا الأمريكي في شيءٍ منها هل يوجهنا على أساس هدى الله؟! هل سيتحدث على ضوء تعليمات الله وتوجيهات الله؟! أولسنا شعباً يمنياً مسلماً؟ أولسنا يمن الإيمان والحكمة؟ يذهب في يمن الإيمان والحكمة المسؤولون- آنذاك- وقادة الأحزاب السياسية- آنذاك- إلى السفير الأمريكي؛ **ليقدم** لهم التعليمات والتوجيهات، وقد تحصن بقوة عسكرية من المارينز أتى بها إلى صنعاء، وأصبح في موقع السيطرة والإملاءات والتوجيهات.

لكن عندما أتى هذا التوجه، ورأى واقعاً مختلفاً، هرب، وهرب معه المارينز، فلجأوا إلى ماذا؟ إلى فتح حرب عسكرية أُعلنت من واشنطن، هذا العدوان أعلن علينا من واشنطن، ما هو الهدف الرئيسي من هذا العدوان؟ السيطرة علينا كشعبٍ يمني، السيطرة علينا من جديد- كما كان في الماضي- في توجهاتنا، في مواقفنا، في أعمالنا؛ **حتى** يتحول الإنسان اليمني إلى مجرد إنسان خاضع وخانع للأعداء، يتقبل منهم إملاءاتهم، توجيهاتهم، تعليماتهم التي تصب لخدمتهم، ولمصالحهم هم، تكون أهم مسألة تراعى في السياسات والمواقف والتوجهات، وكل الترتيبات في البلد في كل المجالات **هي**: المصلحة الأمريكية.

المنهج الإلهي وأثره في حياة الأمة

هذا الواقع الذي يراد له أن يفرض علينا، أن نكون أمةً تفرض عليها في حياتها في كل شؤونها: سياسات، وتوجهات، وإجراءات، ومواقف، لصالح الأمريكيين والإسرائيليين، لصالح الذين كفروا، ولخدمتهم، ولما يعزز نفوذهم،

وهـذا يدمر علينـا الديـن والدنيـا، يمثِّـل خسـارةً رهيبـةً علينـا في حياتنـا في ديـنٍ ودنيـا؛ **لأن** فائـدة منهـج اللـه ﷻ وفائـدة سـبيل اللـه أنه يحـرر الأمة تعتز بـه الأمة، أنـه يحقـق للأمـة الكرامـة، أنـه يصلـح واقـع الأمـة، ليـس شـيئاً هنـاك يمثـل عبئاً إضافيـاً عـلى الأمـة لا أثـر لـه في واقـع حياتهـا عـلى المسـتوى الإيجـابي، كلـه لصلاح الحيـاة، كلـه مـن أجـل أن نكـون أمـةً قويـةً، صالحـةً، مفلحـةً، فائـزةً، أمـةً راقيـةً، أمـةً عظيمـةً، أمـةً مهمـةً، وكلـه لصـلاح حياتنـا ولمسـتقبلنا- أيضـاً- عنـد اللـه ﷻ.

لأنـه في الخطـاب الدينـي، وفي المفاهيـم السـائدة في المجتمع، أصبح الحديث عن الديـن وكأنـه خطـاب عـن شيء ثانـوي، وكأنـه مجرد خطـاب عن الطقـوس والشـعائر، الطقـوس والشـعائر جـزء مـن العمليـة الدينيـة التربويـة، جزءٌ لا بـدَّ منه، جـزءٌ مهم، ولكنـه إذا فصـل عـن الجوانـب الأخـرى ذات العلاقـة بالشـأن الاقتصـادي للأمـة، والشـأن السـياسي للأمـة، والشـأن العسـكري للأمـة، والشـأن الأمنـي للأمـة، والشـأن الاجتماعـي للأمـة؛ **يُفـرَّغ** ويصبـح عديـم الجـدوى وفاقـد الأثـر؛ **لأن** المنهج الإلهي والهـدى الـذي أتى بـه اللـه ﷻ **الغايـة منه:** أن يبنينا أمـةً عظيمـةً حـرةً، تصلح حياتنا.

هـذه الأرض، اللـه هـو الـذي خلقهـا، وكل مـا فيهـا مـن الماديـات هـي مـن اللـه ﷻ، ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[1]، والإنسـان هـو مخلـوقٌ مـن مخلوقـات اللـه، وعبـدٌ للـه ﷻ، واللـه ﷻ خلـق الإنسـان، وخلق لـه هذه الحيـاة، وخلق هـذا العالم، وقَـدَّم للإنسـان أرقـى وأسـمى تعليـمات يسـير عليهـا في هـذه الحيـاة، فهـي أرقـى وأسـمى مـا تصلـح بـه حيـاة الإنسـان، وهـي التـي تنسـجم مـع الفطـرة الحقيقيـة لهـذا الإنسـان التـي فطـره اللـه عليهـا. مـا هـو أسـمى مـا يمكـن أن يطمـح إليـه الإنسـان في هـذه الحيـاة؟ أليـس أن يكـون حـراً، كريمـاً، عزيـزاً؟ أليـس هـو أن يدفـع عـن نفسـه الـشر والظلـم والفسـاد؟ فتـأتي التعليـمات مـن اللـه ﷻ بمـا يصلـح حياة الإنسـان، **والـذي مثَّـل طامـة كبـيرة علينـا نحـن المسـلمين:** أنـه غيِّبـت مـن هـذا الديـن

١- الرحمن: الآية ١٠

الجوانب ذات الأهمية الكبيرة في واقع الحياة، التي يصلح بها اقتصاد المجتمع، التي يصلح بها الواقع الاجتماعي للناس، التي يتحقق بها العدل للناس، التي يتحقق بها العزة للناس، التي يتحقق بها الكرامة للناس، ثم بقيت البعض من الشعائر والطقوس، وقليل من الالتزامات الأخلاقية والدينية محدودة، فإذا بالأمة تظن وتتوهم أن هذا هو كل ما مع الإسلام وأتى به الإسلام. هذا شيء.

الشيء الآخر: يأتي البعض الآخر من الناس على أساس أنه يريد أن يكمل، فيتحرك تحت العناوين الأخرى: عنوان الجهاد في سبيل الله، وإقامة دولة إسلامية، وتحت هذه العناوين، ولكن بأي حالٍ يأتي؟ بالمصيبة الكبرى، بأسوأ عملية تشويه للدين، فيقدم سلوكيات وممارسات، ويتحرك في الساحة بكل ما **يخدم الأعداء من جانبين:** من جانب التشويه، كتشويه فظيع وشنيع **جدًّا**، بممارسات لا تمت إلى قيم الإسلام بأي صلة أبداً، بل هي معارضة كلياً للإسلام، لا تمت للإسلام بصلة، من مثل ما يفعله التكفيريون والدواعش، فيأتون تحت عنوان الشريعة الإسلامية، والجهاد في سبيل الله، والدين، والدولة الإسلامية، ولكن بممارسات وسياسيات وخطوات تشوه الإسلام، ولا تمت لتعاليمه بصلة، وتخدم أعداء الأمة؛ **لأن** معركتهم دائماً تكون حيث تريد لهم أمريكا أن يكونوا، وحيث تريد منهم إسرائيل أن يكونوا، وهذا أمرٌ واضح، لو حاولوا في بعض الأحيان أن ينكروه، أو أن يتهموا غيرهم به، فالمسألة باتت في غاية الوضوح ومنتهى التجلي، انظروا إليهم بكل وضوح، أوليس السعودي والإماراتي على ارتباط واضح ومكشوف وعلني بأمريكا وإسرائيل، وبالتوجهات الأمريكية والإسرائيلية؟ أوليس التكفيريون على هذا النحو في هذه الساحة الإسلامية؟ هم على هذا النحو، فهم مرتبطون بالذين كفروا، والذين كفروا يتحركون بالفتنة في الأمة، وبالصرف للناس عن المنهج الحق، عن حقيقة تعاليم الإسلام البناءة المصلحة في واقع هذه الحياة، عن كل ما يبنينا أمةً قويةً، أمةً حضاريةً، أمةً عزيزةً، عن كل ما يبني لنا اقتصادنا، وعن كل ما يبني لنا

واقعنا؛ **لنكون** أمةً قويةً على كل المستويات وفي كل المجالات، عن كل ما يزكي النفوس ويصلح أخلاق المجتمع، عن كل ما يساهم في تعزيز الأُخوة بين أبناء المجتمع، والتعاون بين أبناء المجتمع، والحكاية تطول، الحكاية تطول كثيراً.

حتى يكون الله مولانا وناصرنا

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، **{فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** تجاه بقية دسائسهم، مؤامراتهم، مكرهم، وما قد عملوه في الماضي، هو الذي سيحاسبهم على ذلك، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾، وإن تولوا وأصروا على المواصلة في عدوانهم، وعلى المواصلة في صدهم وبغيهم، وسياساتهم العدائية، فتوكلوا على الله، واجهوهم، جاهدوهم بكل وسائل الجهاد المشروعة على كل المستويات: عسكرياً؛ **للتصدي** لعدوانهم العسكري، إعلامياً؛ **للتصدي** لحربهم الإعلامية، اقتصادياً؛ **لتخوضوا** معهم المعركة الاقتصادية، اجتماعياً... وهكذا نازلوهم في كل ميدان، اتجهوا للتصدي لهم في كل مجال، واعتمدوا على الله في ذلك.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾[1] **يتولى أموركم**، يتولى النصر لكم، يتولى التأييد لكم، **ولاحظوا** كيف تأتي هذه: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾، في سياق أن تكونوا متحملين لمسؤولياتكم، وليس يترتب عليها: [فارقدوا، واجلسوا، واخنعوا، واجمدوا، واكسلوا، وَافْتُروا، واقعدوا، ولا تعملوا شئياً، والله مولاكم سيدفع شرهم]. لا! تأتي: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ في سياق تحملكم للمسؤولية، في سياق عملكم، سعيكم الدؤوب للتصدي لهم في كل المجالات، وأنتم تخوضون معهم المعركة في كل ميدان من ميادين الحياة، في كل مجال من مجالات الحياة، وأنتم تنازلونهم في الميدان العسكري بالقتال، وأنتم تنازلونهم في الميدان الاقتصادي بالخطوات والأعمال والاهتمامات، والسياسات الاقتصادية البناءة التي تفشل مؤامراتهم، التي تحولكم إلى أمةٍ منتجة،

١- الأنفال: من الآية ٤٠

وتحسـن إنتاجهـا، وتجيـد إنتاجهـا، وتبنـي عـلى الأمانـة والإتقـان في إنتاجهـا، التـي تجعلكـم أمـةً عمليـةً، نشـيطةً، قويـةً، فاعلـةً، متحركـةً، تسـتجيب للـه فيـما يحييهـا، ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]، مولاكـم ينصركـم وأنتـم تنازلونهـم في كل الميادين والمجالات والمواقع، مولاكـم ينصركـم، يؤيدكـم، يمنحكـم عونـه وتأييـده، يسـقط مؤامراتهـم، يبطـل كيدهـم، يقـذف الرعـب في قلوبهـم.

﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾؛ **لأنـه العظيـم،** الرحيـم، القديـر، وهـو رحيـمٌ بكـم أنتـم، وقـادرٌ عـلى نصركـم، وعـلى عونكـم، وعـلى دعمكـم، وعـلى مسـاندتكم، وعـلى رعايتكـم، وعـلى إمدادكـم، لـن ينقصـه شيء، لـن يعجـز عـن شيء، لـن يغفـل عـن شيء، لـن يجهـل شـيئاً، وهـو الحكيـم في تدبـيره وتوجيهـه وتعليمـه.

﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾، **فهـو نعـم المـولى فيـما يتولاكـم بـه مـن رعايتـه،** ونعـم النصير فيـما ينصركـم بـه، أنتـم تعتمـدون عـلى القـوي العزيـز، ليـس ضعيفـاً، ليـس عاجـزاً، ليـس انهزاميـاً، ليـس ملـولاً، يمكـن أن يمـل منكـم، **يقـول:** [طالـت الحـرب، طالـت المشـكلة، إلى هنـا ويكفـي، كـم عـليَّ أن أقـف إلى جانبكـم]، إلا هـو القـوي، العزيـز، المقتـدر، القهـار، الجبـار، المهيمـن، المتكـبر، المتعـال -جـلَّ شـأنه- العـلي العظيـم، فهـو أعظـم مـن ينصركـم، وخـير مـن ينصركـم، وخـير مـن تعتمـدون عليـه لنصركـم، وللحصـول عـلى النصـر لـن تحتاجـوا إلى الالتجـاء إلى جهـات أخـرى خـارج اتجاهكـم الصحيـح؛ **لـكي** تنصركـم، ولـكي تمدكـم، ولـكي تقـف إلى جانبكـم، يكفـي أن يكـون هـو معكـم، يكفـي أن يكـون هـو معكـم، فكونـوا معـه؛ **حتـى** يكـون معكـم.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسـأل اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرحـم شـهداءنا الأبـرار، وأن يشـفي جرحانـا، وأن يفـرِّج عـن أسرانـا، وأن ينصرنـا بنـصره، إنـه سـميع الدعـاء.

والسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١- الأنفال: من الآية ٢٤

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

تحدثنا بالأمس في مناسبة يوم القدس العالمي عن الخطر الأمريكي والإسرائيلي، وعن مسؤوليتنا -كأمةٍ مسلمة- في التصدي لهذا الخطر الرهيب، الذي يمس بنا في انتمائنا الإيماني والديني، ويمس بمبادئنا، ويشكِّل تهديداً علينا في قيمنا وأخلاقنا، ومستوى التزامنا الإيماني والأخلاقي، **وتحدثنا**

أيضاً عن خطورة التفريط في ذلك على ضوء الآيات القرآنية المباركة.

ولأن هذه المسألة مما فيها انقسامٌ وخلافٌ وجدلٌ كبيرٌ بين أبناء الأمة، فهي من المسائل التي يحتاج فيها الإنسان إلى وعيٍ عالٍ، وإلى بصيرةٍ ويقين؛ **حتى** يتحرك على بيِّنةٍ من الله ﷻ، لا يتأثر بأي دعايات، ولا شائعات، ولا أي شبهات، ولا أي تشكيك في محاولة صده عن اتخاذ الموقف الصحيح المسؤول الذي يوجِّه إليه الله ﷻ في كتابه الكريم.

وكما قلنا بالأمس: إنَّ هذه المشكلة مما يقصِّر فيها الكثير من الناس، فلا يلتفت إليها بجدية، ولا يتجه بجد واهتمام لمعرفة ما ينبغي عليه من خلال القرآن الكريم، من خلال توجيهات الله ﷻ، وليس وفقاً لأي آراء، أو ترجيحات شخصية، أو أهواء نفسية، أو أهواء للآخرين، أو تعامل بقصور نظر، وبدون اهتمام، وبشكلٍ ارتجالي من دون تأمل، ومن دون تفهم.

القرآن والواقع يوضح مستوى عدائهم للأمة

ومن العجيب جدًّا أن تكون مسألة بهذا الحجم، وبهذا المستوى الكبير من الوضوح، هي في غاية الوضوح؛ أن تكون محل انقسام وخلاف وجدل في داخل الأمة؛ لأنها من أوضح القضايا على مستوى الواقع، وعلى مستوى القرآن الكريم:

على مستوى الواقع: الكل يعرف بأنَّ العدو الإسرائيلي هو عدوٌ حقيقيٌ وفعليٌ للأمة، وأنه معتدٍ على أبناء هذه الأمة، وما فعله بشعبنا الفلسطيني الذي هو جزءٌ من هذه الأمة، وما احتله من مقدسات وأرض هي جزءٌ من مقدسات وأرضي وبلدان هذه الأمة، هذا أمرٌ معروف، قد يكون هناك قصور كبير في تقييم وتشخيص مستوى الخطورة، ومجالات هذا الخطر، وامتدادات هذا الخطر من جانب العدو الإسرائيلي، لا شك أنَّ هناك قصوراً في الوعي والاستيعاب لذلك، ولكن إجمالاً هناك وضوحٌ تام في المسألة.

كذلك العدو الأمريكي عدوٌ واضحٌ وصريحٌ للأمة، ودوره مع إسرائيل دورٌ مرتبط، ودورٌ مقترن، ودورٌ متلازم، فهما وجهان لعملةٍ واحدة، وهو أكبر داعم وحاضن وراعٍ للعدو الإسرائيلي، ويقف إلى جانبه بكل وضوح، **ويتآمر معه في كل المجالات:** على المستوى السياسي، يدعمه عسكرياً، يدعمه اقتصادياً، يتبناه بشكلٍ كامل، ويوفر له دعماً مفتوحاً، وفي نفس الوقت آخر ما قدَّمه هو ما عرف بصفقة القرن، التي هي في غاية الاستهتار والسخرية بالأمة الإسلامية جمعاء، وما فعله الأمريكي في العراق، في أفغانستان... في مناطق أخرى من الأمة، في مؤامراته على شعوب هذه الأمة، مسألةٌ في غاية الوضوح.

ثم على مستوى القرآن الكريم: عندما نعود إلى القرآن الكريم في حديثه عن أعدائنا من أهل الكتاب، هم من يتجلى في واقعهم- على أوضح ما يكون، وعلى أبين ما يكون- أنهم تنطبق عليهم تلك المواصفات القرآنية في عدائهم الشديد للأمة، في مؤامراتهم ضد هذه الأمة، أنهم من يتجهون في هذا الزمن كفريقٍ هو فريق الشر من أهل الكتاب، فريق الغدر، فريق المكر، الفريق الذي يعادي هذه الأمة، ويستهدف هذه الأمة، ويتآمر بكل أشكال وأنواع المؤامرات على هذه الأمة، ويستهدف هذه الأمة في كل المجالات، له برنامج كبير، وأعمال واسعة، واهتمامات كثيرة، **وأنشطة واسعة:** على المستوى السياسي، على المستوى الإعلامي، على المستوى الاقتصادي... يشتغل بوضوح، هو حاضر في ساحتنا الإسلامية بشكلٍ مباشر، وعبر أدواته من الموالين له، الذين يستغلهم ويستخدمهم كأدوات؛ **لتنفيذ** الكثير من مؤامراته، التي لا يتمكن من تنفيذها بشكلٍ مباشر، أو لا يحتاج إلى تنفيذها بشكلٍ مباشر.

فالقرآن الكريم في حديثه الواسع عن هذا الفريق (فريق الشر والغدر والمكر والكفر من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى)، قد قدَّم ما يكفي لهذه الأمة لتكون على أعلى درجةٍ من الوعي، وعلى أعلى مستوى من استشعار المسؤولية،

وعلى وضوحٍ تام فيما ينبغي عليها أن تفعله لتواجه هذه الحرب، التي هي حرب قائمة- بالفعل- عليها في كل المجالات، ولكنه المرض، المرض الذي يجعل البعض من الناس لا ينفع فيهم هذا الواقع الواضح، وهذه الأحداث البينة، أحداث كبيرة، وأحداث مستفزة، وأحداث مؤلمة، عداءٌ فيه إضرارٌ واضحٌ بالأمة، فيه استهدافٌ واضحٌ للأمة، **بكل أشكال الاستهداف:** القتل اليومي، الإذلال لهذه الأمة، الظلم، الاضطهاد، القهر، الاحتلال، المصادرة للممتلكات، الاستهداف على المستوى القيمي والأخلاقي، على المستوى الثقافي والفكري، ما ينبغي أن تكون الأمة مستفزَّة تجاه عدوٍ يفعل كل هذا بها، حادثة واحدة كان يفترض أن تكون مستفزة لهذه الأمة، العمل بشكلٍ واضح للاستهداف لهذه الأمة في رموزها الدينية، حتى وصل ذلك إلى درجة الإساءة المعلنة والصريحة إلى رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، السخرية من القرآن الكريم، السخرية من الإسلام جملةً وتفصيلا.

فمستوى العداء من الإسرائيلي ومن الأمريكي، وما فيه من تحركٍ واسع، ومؤامراتٍ واضحة، واستهدافٍ جليٍ وواضح على كل المستويات، هو بالشكل الذي يُفترض بهذه الأمة أن تكون في غاية الاستفزاز، وأن تتحرك بكل جدية، وباستشعارٍ عالٍ للمسؤولية في التصدي لعدوٍ بهذا المستوى. ثم- كما قلنا- النصوص القرآنية، والآيات الواضحة، والتوجيهات من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم، يفترض أن تكون كافيةً في أن يندفع الإنسان، وأن يستشعر هذا الخطر، وأن يستشعر مسؤوليته في مواجهة هذا العدو.

أهل الكتاب وخطرهم على الأمة من الداخل

والقرآن الكريم قدَّم تشخيصاً عجيباً، وبياناً عجيباً، يعني: عندما نرى أنَّ القرآن الكريم- وبالخصوص تجاه هذا العدو: العدو من أهل الكتاب- ركَّز بشكلٍ كبير على توجيه خطابه إلى الأمة فيما يتعلق بواقعها الداخلي، نجد هذا من الشواهد التي تزيد الإنسان إيماناً بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإيماناً بكتابه، وإيماناً

بأنَّ القرآن وآياته البينات وهديه العجيب أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، ويعلم الغيب والشهادة، ويعلم ما في الصدور، يعلم بذات الصدور، يعلم بخفايا النفوس؛ **لأن** القرآن الكريم جعل حديثه بشكلٍ رئيسي في هذا الموضوع يتوجه إلى الأمة في واقعها الداخلي محذراً لها وفق عنوانين: **من التولي لهذا العدو**، **ومن الطاعة لهذا العدو**، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[1]، وكان هذا من العجيب، في بداية الأمر عندما تلحظ هذه النصوص القرآنية كيف **(الَّذِينَ آمَنُوا)** ويفترض بهم أن تكون منطلقاتهم في هذه الحياة على أساس هدي الله وتوجيهاته، أن يكونوا مطيعين لله ﷻ، أن يترسخ عندهم مبدأ الطاعة لله فوق كل شيء، وأن يبنوا مسيرة حياتهم على هذا الأساس، أن يكون ولاؤهم لله ﷻ، وأن يؤمنوا بولايته، فيكون التولي لله ﷻ بالنسبة لهم التزاماً عملياً في مسيرة حياتهم، يبنون عليه مواقفهم، يبنون عليه توجهاتهم، يبنون عليه أعمالهم... يبنون عليه كل ما يتعلق بمسؤولياتهم في هذه الحياة، فكيف يأتي التحذير لهم من أن يطيعوا مَنْ؟ يطيعوا فريق الشر، فريق الغدر، فريق الكفر من أهل الكتاب، من أن يتخذوا اليهود والنصارى أولياء بدلاً عن الله ﷻ، في الوقت الذي لا يزالون يعتبرون أنفسهم من الذين آمنوا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وفي الوقت الذي تعتبرون أنفسكم لا زلتم فيه أنتم (الذين آمنوا) تتجهون هذا الاتجاه: بالطاعة أو بالولاء لأهل الكتاب، لهذا العدو، ولفريق الشر من أهل الكتاب، ويقدِّم المسألة بأنها في غاية الخطورة، في الوقت الذي يحذِّر منها، يقدِّمها بأنها في غاية الخطورة، إلى درجة أنها ستمس بانتمائك الإيماني، بمصداقيتك في إيمانك؛ **لأن هناك يقول:** ﴿يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾، وهناك في الآية الأخرى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[2]، بعد أن قال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[3].

١- آل عمران: الآية ١٠٠
٢- المائدة: من الآية٥١
٣- المائدة: من الآية ٥١

ولاحظوا، حتى في قوله -جلَّ شأنه-: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، فهم في واقع الحال يتولون بعضهم بعضاً، في الوقت الذي لا يزال اليهودي يهودياً، والنصراني نصرانياً، من حيث الانتماء العقائدي، لكنه التوجه في الموقف، والتوجه في العمل، والتوجه في المؤامرات ضد هذه الأمة، وغير غريبٍ في واقعهم ذلك؛ **لأنها** تشابهت قلوبهم، أهدافهم، نواياهم، توجهاتهم، وكذلك لما عندهم هم في واقعهم من الخلل الكبير، ليس عندهم تركيز- أصلاً- على الالتزام الإيماني، والإنساني، والأخلاقي، والقيمي، منطلقاتهم منطلقات أخرى، بعيداً عن أي التزام ديني، أو أخلاقي، أو إنساني، أو قيمي بالنسبة لهم.

لكنَّ حالنا كمسلمين، حال الذين آمنوا، يفترض أن يكون مختلفاً عنهم، حيث المنطلقات تبنى على أساس أن تكون منطلقات محسوبة بحساب الإيمان، بحساب القيم، بحساب الأخلاق، بحساب المبادئ الإلهية، وهذا ما يفترض أن ندرك به أننا نختلف عنهم؛ **وبالتالي** لا يمكن أن نجتمع معهم في موقف، في توجه، في مسار عملي، في سياسات واحدة، في توجهات واحدة؛ **لاختلاف** المواقف في منطلقاتها؛ **وبالتالي** في أهدافها وغاياتها ونتائجها، وهذا ما **يجب** أن يجعلنا في اتجاه مختلف عنهم.

أمَّا هم فمن الطبيعي، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، من الطبيعي أن يكونوا كذلك، فهم متشابهون في السوء، في المكر، في الكفر، في الغدر، في الشر، في الفساد، في الإجرام، في الأطماع، في النزعة الاستعمارية... إلى غير ذلك.

النتيجة الحتمية لموالاة أهل الكتاب!

ولكن الحال بالنسبة لنا عندما يحدث مثل هذا الانحراف، فهو يدل على انحرافٍ خطيرٍ **جدًّا**، وهو- في واقع الحال- يعتبر جرماً عظيماً؛ **ولذلك** قدَّم توصيفاً لهذا الجرم في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وقدَّم توصيفاً في الآية الأخرى: ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾، **فهذا- بحد ذاته- يبين مستوى الخطورة.**

لو أتى الإنسان ليقدِّم وجهة نظرٍ أخرى: فيعتبر أنه من الممكن الطاعة لهم، دون أن يكون لهذه الطاعة أي تأثيرات على انتمائك الإيماني، ويمكن التولي لهم، والوقوف معهم في موقفهم، والتحالف معهم، دون أن يحصل عليك هذا التوصيف، دون أن تتحول إلى هذا المستوى في بُعدك عن انتمائك الإيماني إلى درجة أن يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، فإنَّ هذا كفرٌ بالقرآن، ردٌّ لآيات الله ﷻ. الذي يتصور أنَّ بإمكانه الطاعة لهم، وأن يبقى مؤمناً كامل الإيمان، ويطيعهم ولو في بعض الأمر، والذي يتصور أن بإمكانه أن يتحالف معهم، وأن يواليهم، وأن يقف معهم في مؤامراتهم ضد أبناء الأمة، وبتصوره أنَّ هذه مسألة تصفية حسابات مع هذا الطرف أو هذا أو ذاك الطرف من أبناء الأمة، فهو هنا هو يتصور أنه سيبقى سليم الولاء لله ﷻ، وأنه سيبقى أيضاً على مصداقيةٍ في انتمائه للأمة؛ **فهو** يكفر ويجحد بقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

هذه النتائج التي تترتب على مسألة الطاعة، وتترتب على مسألة الموالاة لهم، هي نتائج حتمية، لا شك فيها، لا مرية فيها، فلا يمكن أن يتجه الإنسان هذا الاتجاه، **إلَّا** وتكون النتيجة هي هذه النتيجة؛ **لأن** الذي يقول لنا ذلك ليس محللاً صحفياً، وليس زعيماً سياسياً، إنَّ الذي يقول لنا ذلك هو الله ﷻ في محكم آياته، في كتابه المبارك، في كتابه (القرآن الكريم) الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[1]، **أفلا ندرك خطورة هذا الأمر؟** أفلا ندرك

١- فصلت: من الآية ٤٢

خطورة هذه المسألة؟ فكيف تتحول هذه المسألة إلى جدل كبير، وانقسام واضح في واقع الأمة، فيتجه البعض من أبناء الأمة في تحالفات واضحة مع أمريكا ومع إسرائيل، ويتجه البعض من أبناء الأمة إلى التنصل عن أي موقف تجاه هذا الخطر، وإلى معارضة ومعاداة من يتبنى موقفاً على ضوء آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على ضوء توجيهات القرآن الكريم، على ضوء هدي الله المبارك، معارضته، والإساءة إليه، والتشكيك في موقفه، والمعارضة الصريحة والواضحة له.

ولاحظوا لأن المسألة هي- بالفعل- ليست مجرد موقفٍ عارض، بل مسألة تُبنى عليها التوجهات، تُبنى عليها المسارات العملية، تُبنى عليها المواقف المستمرة، تتحول إلى منهجية عمل، وإلى مسارٍ في الطريق إلى نهايته، إلى آخره، ليست المسألة مسألة مجرد موقفٍ محدود، فالبعض من أبناء الأمة الذي يتجه في اتجاه المسارعة في الموالاة لهم عن طريق التولي المباشر، والعمل المباشر بالتحالف معهم، بالتأييد لهم، بالوقوف في موقفهم ضد أبناء الأمة، بالتحرك ضمن مؤامراتهم على أبناء الأمة، هو يبني على ذلك سياساته الإعلامية، مواقفه السياسية، تحركاته العسكرية، نشاطه الثقافي والفكري، ويتحول هذا كبرنامج رئيسي يتحرك على ضوئه في واقع الحياة، وليس مجرد موقفٍ هامشيٍ عارض تحدَّثوا عنه في صحفية مرةً واحدة، أو قالوا عنه شيئاً، بل يتحول هذا الولاء إلى برنامج عملي **يحكم بقية الأمور**: يحكم الثقافة، يحكم المناهج، يحكم السياسة الإعلامية، يحكم الخطاب الديني، يؤقلم معه الخطاب الديني حتى في خطب الجمعة، حتى فيما يركز عليه في تلقين وتثقيف الناس، فتتحول المسألة بكلها إلى مسألة تحكم المسار العملي لذلك الطرف الذي يتجه هذا التوجه السلبي.

الورطة الكبرى للمتنصلين ومرضى القلوب!

كذلك من يختارون الطاعة من خلال موقفٍ أو بشكلٍ آخر، بطريقةٍ أخرى، وهي: أن يتخذوا قراراً بأن لا يكون لهم أي موقف، أي موقف صريح وواضح ضد أمريكا وضد إسرائيل، ضد فريق الشر والكفر والعداوة للأمة من أهل الكتاب، ثم يحرصون على ألّا يكون في كل اهتماماتهم العملية، وفي كل مسيرة حياتهم، في طريقتهم في التعليم، في طريقتهم في الخطاب الديني، في طريقتهم العملية، في مواقفهم الكثيرة، حتى في التفاصيل الدقيقة، يحرصون على ألّا يكون فيها بكلها ما يعبِّر عن موقفٍ ضد أمريكا أو ضد إسرائيل، ضد ذلك الفريق (فريق الشر والكفر من أهل الكتاب)، وهذا يؤثِّر على برنامجهم بكله، فيحكم هذا موقفهم، عملهم، مسيرة حياتهم، منهجيتهم العملية، طريقتهم في التعليم، خطابهم الديني، يحاولون أن يؤقلموه كله بما لا يسخط أمريكا، بما لا يسخط إسرائيل، بما لا يرون فيه أنه يستثير أمريكا أو يستثير إسرائيل، أو يستفز ذلك الفريق (فريق الكفر والشر من أهل الكتاب)، فيصبح هذا الموضوع- بنفسه- هو الأساس الذي يبنون عليه مسيرتهم العملية، وتوجهاتهم العملية في كل تفاصيلها، ثم يحرصون على أن يكونوا متميزين أمام العدو بموقفهم هذا، فنراهم- في نهاية المطاف- في موقف؛ يحرصون دائماً على أن يكونوا على النحو الذي يظهرون فيه أن ليس لهم موقف من الأمريكي والإسرائيلي معادٍ، وأنهم ليسوا مع أولئك الذين لهم موقف واضح وصريح، يتحركون فيه وفق توجيهات الله ﷻ، ووفق ما تمليه الفطرة الإنسانية في مواجهة هذا الخطر وهذا الشر من أعداء الأمة، فهم يحرصون على أن يكونوا متمايزين، فيحرصون على أن تكون مواقفهم في التدجين لأهل الكتاب (لأعداء الأمة) مواقف واضحة وصريحة، أنهم لا يؤيِّدون الجهاد، بل يعارضونه، أنهم لا يؤيِّدون أي موقف يعبِّر عن العداء لإسرائيل، أو يعبِّر عن العداء والمناهضة لأمريكا، أن موقفهم مختلفٌ عن ذلك، يحرصون على أن يكون هذا واضحاً حتى للعدو، يحرصون

على ذلك: أن يكون موقفهم هذا واضحاً حتى للعدو، ويحرصون على أن يكون لهم مواقف مباينة ممن يتجه الاتجاه القرآني، الاتجاه الصحيح الذي تفرضه علينا آيات الله ﷻ، وتوجيهاته، وتعليماته، في المباينة لأعداء الأمة، في التحرك ضد خطرهم، في التحرك في سبيل الله ﷻ، في عنوان الجهاد بمفهومه القرآني الشامل والواسع، الذي نناهض فيه أعداء الأمة، ونتصدى لخطرهم في كل مجال من المجالات، فيظهرون هم بشكل معارضة واضحة، بشكل تثبيط، تخذيل.

ففي نهاية المطاف هم يعملون أعمالاً هي لصالح ذلك العدو، هم في موقع الطاعة، يطيعون ذلك العدو، يطيعونه في معارضة ما يريد معارضته، أوليس يريد معارضة أن تتحرك الأمة ضده؟ بلى، بكل وضوح. أوليس يريد من الأمة أن تشطب هذه المسؤولية من قاموس التزاماتها الدينية والإيمانية، أن تلغي الجهاد، أن تلغي مسألة المباينة لأعداء الأمة، أن تسكت عن الحديث عن خطره، وعن شره، وعن فساده، وعن ضلاله، وعن منكره، أن تخنع له، ألَّا تتحرك ضد مؤامراته، ألَّا تقف بوجه مخططاته؟

الذين يريدون من الأمة ألاّ تقف أمام هذا العدو، وأن تفسح له المجال ليفعل ما يشاء ويريد دون أي معارضة، ودون أي موقفٍ مناهضٍ ومعادٍ لتحركات العدو، أليسوا يقدِّمون خدمةً للعدو؟ أليسوا في موقع الطاعة للعدو؟ بلى، المسألة واضحة.

فلاحظوا كيف كان هذا- وبالذات في هذا الزمن- أكبر اختبار تمر به الأمة، وأكبر فرز في واقع الأمة، عندما اتجهت البعض من قوى هذه الأمة، عندما اتجه البعض من أبناء الأمة في هذه **الخيارات المعوجة:** في خيار الموالاة الصريحة للعدو، **بالرغم** من كل ما يفعل، **بالرغم** من سوئه، **بالرغم** من مؤامراته على هذه الأمة، **بالرغم** من جرائمه الشنيعة والفظيعة بحق هذه الأمة، وعندما اتجه البعض للتدجين للأمة، ومعارضة أي موقف يقف بوجه هذا العدو أو يباينه، على مستوى شعار يُهتَف به؛ **يعارضون** ذلك، يغضبون

مـن ذلـك، ينـددون بذلـك، يسـتاؤون مـن ذلـك، يؤلمهـم ذلـك، لا يطيقـون ذلـك.

عـلى مسـتوى خطـوات عمليـة، في الدعـوة إلى مقاطعـة البضائـع الأمريكيـة والإسرائيليـة، يـأتي ليعارضـك، وليسـوغ للموضـوع، **وليـبرر لـه:** [أنـه لا مشـكلة فلتسـتمر الأمـة في التعامـل معهـم]، وقـد يحـاول أن يدافـع عـن ذلـك حتـى باسـم الخطـاب الدينـي... **وهكـذا في أي موقـف:** في التوجـه لبنـاء الأمـة في قدراتهـا العسـكرية، في إحيـاء الروحيـة الجهاديـة، في الاستشـعار للمسـؤولية، في الحديـث عـن هـذا العـدو في فضـح مؤامراتـه، في كشـف مخططاتـه، يـأتي ليعـارض، ليحـاول أن- عـلى حسـب التعبـير المحـلي- [يطنـش] الموضـوع، يشـطب هـذه المسـألة، لا يريـد حتـى الحديـث عـن هـذا الموضـوع، يعـارض حتـى الـكلام عـن هـذه المسـألة، يريـد للنـاس أن يصمتـوا، أن يسـكتوا، أن يقعـدوا، أن يجمـدوا، أليـس هـذا مطيعـاً لأهـل الكتـاب؟ أم أنـه مطيـعٌ للـه؟ هـل توجيهـات اللـه هـي بالسـكوت؟ هـل أوامـره هـي بالقعـود؟ هـل توجيهاتـه هـي بالجمـود؟ [لا].

فـإذاً مـن يتجـه هـذا الاتجـاه هـو في موقـع الطاعـة لأهـل الكتـاب، الطاعـة لهم وهـو يعـصي اللـه ﷻ، ويسـكت عـمَّا أمـر اللـه ﷻ بالـكلام فيـه، ويقعـد عـمَّا أمـر اللـه بالعمـل فيـه، ويشـطب مسـؤوليات مـن مسـؤوليات الأمـة الكـبرى في التصـدي لهـذا الخطـر ولهـذا العـدو، ويطيعهـم وهـو يدجِّـن الأمـة لهـم، وهـو يسـعى لأن تكـون الأمـة في موقـعٍ لا تقـول فيـه شـيئاً، ولا تعـارض فيـه شـيئاً مـن مؤامراتهـم ولا مخططاتهـم، أراد للأمـة أن تستسـلم لهـم، ألَّا تعارضهـم، ويعـارض مـن يعارضهـم، ويعـادي مـن يعاديهـم، أليـس في موقـع الطاعـة لهـم وهـو يعـادي مـن يعاديهـم؟ قـد لا يكـون بينـه وبينـه أي مشـكلة شـخصية، أو أي قضيـة عـلى خـلاف شـخصي أو خـلاف آخـر، لكـن المشـكلة الرئيسـية التـي بنـى عليهـا موقفـه السـلبي **مـن أولئـك:** أنهـم تحرَّكـوا في موقـفٍ مبايـنٍ وصريـح ضـد أعـداء الأمـة؛ **فيكرههـم**.

فلهذا يوصِّف القرآن الكريم هذه الحالة بأنها حالة مرض، عندما قال الله -جلَّ شأنه-: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾[1]، فهم من هذه الحالة التي هم فيها لا يعيشون السلامة الإيمانية، السلامة الفطرية، لا سلمت لهم فطرتهم، لو سلمت لهم فطرتهم؛ **لكان** العدو الواضح أمامهم في وضعٍ لا يحتاجون فيه، بل لا يندفعون فيه أبداً- تحت أي دافع- لخدمته، **أو التحالف معه، أو القعود عن الموق**ف منه، ومعاداة من يقف بوجهه، **لكنها حالة المرض الذي قد يكون: إمَّا** شكاً، **أو** عدم ثقةٍ بالله ﷻ، **أو** نقص وعي، **أو** جبناً، **أو** بخلاً، **أو** حقداً... أو أي مرضٍ من الأمراض المعنوية، التي تعني مشكلةً في السلامة الإيمانية على المستوى النفسي، على مستوى المشاعر والوجدان، قد يكون كبراً، قد يكون حقداً، قد يكون جبناً، قد يكون طمعاً، قد يكون ميولاً فاسدةً، قد يكون...إلخ. العوامل والأسباب كثيرة **جدًّا**.

المسارعون والقاعدون.. خذلان رهيب!

ثم نجد في الآية المباركة في قوله -جلَّ شأنه-: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾، ما يمثله هذا الموضوع من خطورة كبيرة على الإنسان، فكما قلنا تتجه الكثير من الآيات المباركة لتحصين الأمة من الداخل، هنا تجد ما يتوجه إلى تحصين الإنسان- نفسه- من الداخل؛ **لأنه** عندما يحصل هذا المرض في قلبك، الذي قد يكون أي نوع من أنواع الخلل في إيمانك، في واقعك النفسي والداخلي، وفي مشاعرك ووجدانك، عندما تحصل أي حالة نفسية سلبية **ترسخ في وجدانك: إما** كانت انعدام ثقة بالله ﷻ وشك في وعده، **إما** كانت جبناً، **إما** كانت أطماعاً، **إما** كانت ميولاً فاسدةً... أي مرضٍ من الأمراض التي تعني حالة من انعدام السلامة الإيمانية في نفس الإنسان، قلبه لم ينطبع بهدى الله، لم يستنر بنور الله، لم يزك بهدى الله ﷻ، فهذه الحالة قد تدفع بك، وتؤثر عليك وتهيؤك إلى أن تتجه وبمسارعة،

[1] ١- المائدة: من الآية ٥٢

تتحرك بنشاط وجد ومبادرة، ومن دون أي تكاسل وتخاذل، وتكون في اتجاهك المسارع (**فِيهِمْ**) **يعني:** فيما هو خدمةٌ لهم، فيما هو طاعةٌ لهم، فيما هو استرضاءٌ لهم، تتجه بجدية ومبالغة في ذلك، **ونحن نجد أن كلا الطرفين الذَين وقفا هذا الموقف المنحرف:** موقف الطاعة، موقف الاسترضاء، سواءً بالولاء المباشر، أو من خلال القعود والجمود، والقعود والجمود- بحد ذاته- كان بهدف الاسترضاء؛ **لأن** البعض يرى في قعوده وجموده أنه يمثِّل استرضاءً لأمريكا وإسرائيل، وأنه سيتجنب استثارتهم واستفزازهم، فلا يحسب أنه عدوٌ لهم، أو أنه يقف بوجه مؤامراتهم ومخططاتهم، أو أنه يعاديهم.

فكل الذين اتجهوا اتجاه الاسترضاء هم يبالغون في استرضائهم، يدخلون حتى في مواقف- لربما- غير متوقعة من جانب الأمريكي والإسرائيلي، لربما لم يكن يتوقع في بعض الأمور أن يستجيب له فيها النظام السعودي، أو الإماراتي، أو أشباههم ممن ينطلق في هذا الاتجاه المنحرف، أو ربما لم يكن يتوقع أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من المبالغة في استرضائه، من تقديم أعمال، وخطوات، ومواقف كبيرة **جدًّا** مفاجئة، في بعضها قد تكون مفاجئة حتى له، لم يكن يتوقع، وأحياناً يعبرون عن أنهم لم يكونوا يتوقعون بعض الخطوات، بعض المواقف، ويستغربون.

الذين اتجهوا- أيضاً- اتجاه الاسترضاء بقعودهم، بجمودهم ومعارضتهم لمن يتحرك، لمن ينهض بالمسؤولية، لمن يقوم بالواجب، لمن يتحرك وفق توجيهات الله سبحانه وتعالى، **نجد مبالغتهم أيضاً في عملية الاسترضاء للعدو:** جمود عن كل شيء، صمت عن كل شيء يتوقعون فيه أو يحتملون فيه- بأدنى نسبة من الاحتمال- أنه سيكون مستفزاً لأمريكا، أو مستفزاً لإسرائيل، أو محسوباً على أنه مجرد تقارب مع من له موقف ضد أمريكا وإسرائيل، فهم يبالغون في ذلك، يبالغون في الاسترضاء مبالغة عجيبة **جدًّا**، ويحرصون على أن يتمايزوا حتى في أبسط المسائل، حتى في الشكليات، حتى في قضايا عادية **جدًّا**، أن يتمايزوا في كل شيء،

حتى- بنظرهم- لا يحسب عليهم أي شيءٍ مهما كان بسيطاً أنهم تقاربوا فيه مع الذين لهم موقف ضد أمريكا وضد إسرائيل، وأنهم موقفهم مختلف ومنحاز بشكلٍ آخر، وأنهم لا يتبنون أي موقف مهما كان بسيطاً، يحسب فيه أنه معادٍ لأمريكا وإسرائيل، أو يستفز أمريكا وإسرائيل، فتتحول الحالة بالنسبة لهم إلى حالة غريبة **جدًّا** من الخذلان، مبالغة وجد عجيب، واهتمام كبير، ونشاط كبير، ومبادرة ومسارعة، وانتباه وملاحظة، ودقة في أمورهم هذه، وهذا من الخذلان الكبير، من الخذلان الرهيب **جدًّا**، من أعجب الأمور في واقع هذه الأمة.

يفترض بنا جميعاً، كل الذين آمنوا، كل الذين ينتمون هذا الانتماء أن يسارعوا في الابتعاد عن أهل الكتاب، عن اليهود والنصارى، عن أمريكا وإسرائيل، وأن يتجهوا بكل جديةٍ ومسارعةٍ إلى ما فيه مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أن يسارعوا في الخيرات، أن يسارعوا في الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس في كل مجالات هذه الحياة، أن يتحركوا عملياً للتصدي لهذا الخطر الكبير وهذا الشر الفظيع، الذي يصل في خطورته إلى أن يمسَّ بإيمانهم، بأخلاقهم، بمبادئهم، بقيمهم، بتعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في واقع التزامهم بها، أن يتحركوا بمسارعةٍ في ذلك، مسارعة في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المسارعة إلى الخيرات.

فيبين القرآن أنها حالة رهيبة جدًّا؛ حالة المرض التي ينبغي أن يتحصَّن الإنسان منها، كما تأتي التوجيهات التي تحصِّن الأمة من الداخل، تأتي التوجيهات والتوصيفات والتنبيهات التي تذكِّر الإنسان كيف يحصِّن نفسه حتى على المستوى الشخصي، كيف تحصِّن قلبك، كيف تحصِّن داخلك مما يسبب لمثل هذا الانحراف الرهيب والخطير **جدًّا**.

المبررون والساعون لاسترضائهم.. نهايتهم المُخزية

عندما تأتي التبريرات من جانبهم: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[1]، **يعني:** يبررون موقفهم بأنه إيمان بأن العدو أصبح حالة قائمة لا يمكن التصدي لها، ولا يمكن التغلب عليها، ولا يمكن دفع خطرها، وأنه لم يبق أمامهم إلا الانحياز في صفه بشكلٍ مباشر، أو القعود عن أي تحرك بوجه مؤامراته ومخططاته، وللتصدي له.

حالة تبرير غير مقبولة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن الله -جلَّ شأنه- يربينا إيمانياً، ويعلمنا أن نثق به، وأن نتوكل عليه، وأن نثق بوعده الصادق بالنصر، إذا تحركنا كما ينبغي، وقمنا بمسؤولياتنا.

ثم يؤكد القرآن الكريم على أن مآلات هذه المواقف المنحرفة هي الخسارة والندم، فيقول: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾[2]، فيؤكد هذه الحقيقة القاطعة، **الحتمية أيضاً:** أن الذين يتجهون هذا الاتجاه المنحرف في الطاعة للأعداء، في التولي لهم، في المسارعة في الاسترضاء لهم، أن عاقبتهم هي الندم والخسران، وهذا ما نؤمن به، وهذا ما نثق به، وهذا ما نقطع به ونتيقنه أنها نتيجة حتمية لهم، عاقبة أمرهم أن يندموا، وعاقبة أمرهم أن يخسروا، وكل جهودهم في استرضاء العدو التي أسخطوا بها الله ستكون- في نهاية المطاف- وبالاً عليهم، وهم يخسرون، هم يخسرون على ما يفعلونه يحملون به الوزر عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي نهاية المطاف لن تتحقق لهم أهدافهم من وراء ذلك؛ **لأن** العدو إنما يستغلهم، العدو حتى هو لا يرضى عنهم، لا يودهم، لا يحبهم، لا يرى

١- المائدة: من الآية ٥٢

٢- المائدة: ٥٢-٥٣

لهم قيمةً عنده، مثلما قال الله -جلَّ شأنه-: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾[١]، هذا فيمن يحبهم حتى، لا يبادلونه نفس المشاعر، يبقى الحب من طرف واحد؛ **أما** هم فلن يكون لهم عنده أي قيمة على الإطلاق.

ثم من يسعى بهدف الاسترضاء لهم، والطاعة لهم، ويعطِّل توجيهات الله وتعليماته، ويتجاهلها، بل يعارض من ينفذها، ومن يسعى للالتزام بها، ومن يتوجه بها، مثل هذا النوع أيضاً- ممن يسعون لاسترضائهم- يخسر، وعاقبة أمره- أيضاً- الخسارة، وقد يصل إلى مواقف سلبية **جدًّا**، قد يحارب من أجلهم، قد يفعل الشيء الكثير من أجلهم، ثم- في نهاية المطاف- لن يكون لجهوده أي قيمة عندهم، ويضرب، يضرب من جانب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو من جانبهم، ولا تتحقق له النتيجة التي أمَّلها، أمَّل في ذلك السلامة، أمَّل في ذلك العزة، أمَّل في ذلك الاستقرار، أمَّل في ذلك أن يبقى خارجاً عن المشاكل التي يتوقعها للذين يتحركون في الاتجاه الصحيح.

مفهوم الارتداد في هذه الآية

ثم يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]، (الارتداد) **يعني**: التراجع، التراجع عن الدين في مبادئه، في أخلاقه، في قيمه، في مسؤولياته، في مواقفه، هذا هو الارتداد المقصود في هذه الآية المباركة، مع أن البعض قد يصلون إلى حد الارتداد الكلي عن الإسلام، ولكن الآية هي تتحدث عن هذا الارتداد، عن هذا التراجع؛ **لأن** عملية الاسترضاء لليهود والنصارى، لفريق الشر والغدر من أهل الكتاب، لأمريكا وإسرائيل، لن تكون

١- آل عمران: من الآية ١١٩
٢- المائدة: الآية ٥٤

إلا على حساب مبادئ، وقيم، وأخلاق، وتعليمات من الله سبحانه وتعالى، ومسؤوليات من هذا الدين، الاسترضاء لهم في أي عمل، في أي موقف، في أي خطوة، سيقابله تراجعٌ عن شيءٍ من أخلاق هذا الدين، أو مبادئه، أو قيمه، أو مسؤولياته، أو تعليماته؛ **لأن** اتجاههم- هم- هو اتجاه متناقض مع مبادئ ديننا، مع قيمه، مع أخلاقه، مع المسؤوليات فيه، اتجاههم- هم- اتجاه ظالم ومفسد في هذه الأرض، اتجاه طغيان، اتجاه عدوان، اتجاه فساد ومنكر وباطل وشر.

ولذلك أي مسارعة للاسترضاء لهم في عملٍ تعمله، أو في شيءٍ تتخلى عنه، فأنت- في المقابل- تقدم شيئاً على حساب ما يقابله من موقفٍ ديني، أو أخلاق، أو قيم، أو مبادئ من تعاليم هذا الدين، وهذه- أيضاً- من الأمور الحتمية والمؤكدة، الذين يسترضونهم بأعمال يتحركون فيها يرون فيها أنها تعجبهم، وأنها استرضاء لهم، **وكذلك الذين يؤقلمون أعمالهم، ومسيرتهم العملية،** وحتى تديُّنهم، بالشكل الذي يرونه مرضياً لأولئك وغير مستفز لهم، هذا وذاك، أولئك وأولئك، الكل منهم- هم- يفعلون ذلك على حساب تراجع؛ **تراجع** عن مبادئ من مبادئ هذا الدين، تراجع عن قيم من قيم هذا الدين، تراجع عن أخلاق من أخلاق هذا الدين، تراجع عن مسؤوليات وواجبات من مسؤوليات وواجبات هذا الدين، تراجع أيضاً عن التزامات عملية أمر الله بها في كتابه الكريم.

ولذلك ما الذي قابل في هذه الآية حالة الارتداد والتراجع؟ هل قابلها بحالة الإسلام؟ **هل قال:** [فسوف يأتي الله بقومٍ يسلمون]؛ **لأن** المسألة مسألة مثلاً ارتداد كلي عن الملة الإسلامية؟ لو كانت المسألة مجرد حديث عن الارتداد عن الملة الإسلامية، لقابل هذا **بقوله:** [فسوف يأتي الله بقومٍ يسلمون]، وانتهت المسألة، لكنه قابل حالة الارتداد والتراجع بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾، فقابل تلك الحالة بهذه

الحالة المناقضة لها، فارتداد أولئك (الصنف الآخر الذي يتراجع) هو ارتداد- في مقدمته- عن هذه القيم المذكورة، من أبرز ما فيه غياب هذه القيم.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾.. مواصفاتهم المباركة

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ يناقضون في حالهم، في ثباتهم، في وفائهم، في التزامهم الإيماني والديني، ما عليه حالة أولئك المتراجعين، هؤلاء قوم يقول الله عنهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ هذا- بحد ذاته- شرفٌ عظيم وفضلٌ كبير، والمفترض في الإنسان أن يسارع لأن يكون من هؤلاء القوم، أن يحرص على أن يكون منهم، وسماهم قوماً؛ **لأنهم** سيتحركون بشكل أمة تجتمع على هذا المنهج، تجتمع في هذا المسار، تتحرك جماعياً على أساس هذه المواصفات القرآنية، **يعني:** ليسوا مُبَعثَرين: هذا لوحده، وهذا لوحده، وتحركهم تحركٌ فرديٌ، بل تحركٌ جماعيٌّ، **يأتي الله بهم وهم يتحركون في إطار هذه المواصفات المباركة:**

أولها: يتحدث عن طبيعة علاقتهم بالله ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، ولذلك هم موالون لله ﷻ، وهم يحبون الله، والله يحبهم؛ **لما** هم عليه من مواصفات راقية، ووفاء وثبات على منهج الله ﷻ، وتجد الحالة تختلف عند الذين يتجهون لموالاة أعداء الأمة، حتى لو وصلوا إلى درجة المحبة لأعداء الأمة، فأولئك لا يبادلونهم المحبة، ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾؛ **أما** الله -جلَّ شأنه- **فهو يقول ابتداءً:** ﴿يُحِبُّهُمْ﴾، **حتى قبل أن يقول:** ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾.

علاقتهم هذه في المحبة لله ﷻ أكثر من أي شيءٍ في هذه الحياة، يبنى عليها منطلقاتهم العملية، فهم الذين يتحركون في سبيل الله، وفي الطاعة لله، وفي الموقف مع الله ﷻ بكل رغبة، ولا يؤثرون على ذلك أي اعتبارات أخرى، هم ذائبون في الله، يتحول هذا الحب لله ﷻ إلى دافعٍ قويٍ **جدًّا** للعمل بكل رغبةٍ، وبكل جدٍ، وبكل اعتزازٍ، وبكل شوقٍ، ومن دون أي تراجع

لأي اعتبارات أو حسابات شخصية، لا يخضعون لأي حسابات شخصية، أو أي اعتبارات شخصية من هنا أو من هناك، ولذلك فسيكون هو الضمانة التي ستجعلهم ينطلقون ولا يتراجعون، أبداً، الذي يتراجع هو الذي تدخل في نفسه، في دوافعه، اعتبارات شخصية: إما مصالح شخصية، أو مكاسب شخصية، أو دوافع شخصية، الذي يحمل الاعتبارات الشخصية هو من يمكن أن يتراجع.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، **هم في واقعهم الداخلي أذلة على بعضهم** البعض، لدرجة أن حالة التواضع فيما بينهم والاحترام المتبادل فيما بينهم، والمودة فيما بينهم، والأخوة فيما بينهم، توصَّف بهذا التوصيف: (أَذِلَّةٍ)، ليسوا جريئين في الإساءة إلى بعضهم البعض، على العكس من غيرهم، تجد الآخرين الذين اتجهوا اتجاهاً آخر كيف هم جريؤون في الإساءة إلى المؤمنين، وفي نفس الوقت أذلاء أمام الأعداء، لا جرأة عنده في الكلام والموقف ضد إسرائيل، ضد أمريكا، لكنه سيكون جريئاً في الإساءة والكلام، ولربما الموقف- بأكثر من ذلك- ممن يعادي أمريكا وإسرائيل.

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ **لأنهم يحملون العزة الإيمانية، فهم جريؤون، تتجلى هذه العزة في كل مواقفهم، في كلامهم، في فعالهم، في حركتهم، في مواقفهم بكلها.**

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فليسوا ممن يتبنى القعود والجمود، والتخاذل والتكاسل، ليسوا ممن يشطب هذه المسؤولية بكلها، ويلغيها نهائياً وكأنه لا أساس لها من الدين، فهم يتحركون لبذل الجهد في كل المجالات؛ **لإقامة** دين الله ﷻ، فيتحركون وفق الطريقة التي رسمها الله ﷻ في كل مجالات هذه الحياة: على المستوى العسكري، على المستوى الأمني، على المستوى الاقتصادي، على المستوى الإعلامي، مواقفهم واضحة، يتصدون للعدو في كل مجال وفي كل ميدان، ويتصدون لمؤامراته وخططه في كل المواضيع وفي كل القضايا

التفصيلية، هم الحاضرون في كل ميدان للتصدي للعدو، للتصدي لمؤامراته، للتصدي لخططه، للتحرك وفق توجيهات الله ﷻ، ومن أجله -جلَّ شأنه-.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾؛ **لأن** الزمن الذي تدخل فيه الأمة في حالةٍ من الانقسام والاختلاف على هذه القضية سيكثر فيه اللوم، اللوم بشكل كبير لمن يتجه هذا التوجه، لمن يتحرك على هذا الأساس، سيلقى اللوم من القاعدين الجامدين، المسترضين للعدو بقعودهم وجمودهم، وما تخلَّوا عنه من المسؤوليات والواجبات، وما قصروا فيه من توجيهات الله ﷻ استرضاءً لأمريكا وإسرائيل، استرضاءً لفريق الشر والغدر والمكر والكفر من أهل الكتاب، وسيلقون اللوم بأشده ممن تحرك بشكل موالاة صريحة وتحالف واضح مع أعداء الأمة، الكل سيلومهم، **وسيأتي اللوم بكل أشكاله وأنواعه:** اللوم الذي هو بطابع ديني وعناوين دينية، واللوم الذي سيأتي- أيضاً- بشكل إعلامي وسياسي، واللوم الذي سيأتي إليهم لانتقادهم على كل موقف، على كل حركة، على كل عمل، للتشكيك بنواياهم، للتشكيك بهم، هكذا سيكثر اللوم، سيكون من أكثر ما يتجلى فيه اللوم هو **هذا الموقف:** اللوم لهم، ولكنهم على درجة عالية من الوعي، واليقين، والبصيرة، والإيمان؛ **فلا يكترثون،** ولا يبالون، ولا يخافون من لوم اللائمين بكل أشكالهم، بكل أنواعهم، بكل خطاباتهم وأساليبهم، بكل العناوين التي يعتمدون عليها في توجيه اللوم.

هؤلاء الذين يمنحهم الله هذا الفضل الكبير، قال -جلَّ شأنه-: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، فضل من الله وشرف عظيم أن يكون الإنسان ممن يدخل في إطار هؤلاء القوم، ممن يحمل هذه المواصفات، نعمة عظيمة وفضل وشرف كبير؛ **بينما** اللوم- في واقع الحال- ينبغي أن يتوجه تجاه الذين يتخذون مواقف منحرفة.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، فليسعَ الإنسان إلى أن يكون ممن يؤتى هذا الفضل، وليسعَ لأن يكون ممن يلتزم بهذه المواصفات: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1]، وهؤلاء بمواصفاتهم هذه يلتزمون بالتولي العملي لله ولرسوله ولأوليائه وللإمام علي عليه السلام، ولذلك فبتوليهم العملي الذي يبنون عليه حركتهم، مواقفهم، مسيرتهم العملية، يتحقق لهم هذا الوعد الإلهي في نهاية المطاف: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

فنجد أن هذه المسارات في واقع الأمة لها عواقبها المرسومة من قبل الله سبحانه وتعالى: مسار عاقبته الندم والخسران، هو مسار من يسعى لاسترضاء أولئك من أعداء الأمة. ومسار نتيجته: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، من يتحرك ضمن هذه المواصفات والطريق التي رسمها الله سبحانه وتعالى.

لا يفوتنا- في نهاية المطاف- أن نؤكد على أن هذه المسألة من أهم المسائل التي ينبغي أن يتعامل الإنسان معها بالتزام واستشعار للمسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى، وأن يحرص أيضاً عندما يتوجه أن يتوجه بجد وصدق، ضمن هذه المواصفات القرآنية، ألّا يتراجع في منتصف الطريق، ولا في بعضٍ من المراحل المعينة، وأن يحرص على أن يبقى في واقعه الشخصي، في التزامه، ملتزماً بهذه المواصفات، وضمن هؤلاء القوم الذين يحملون هذه المواصفات، والتي بها الشرف الكبير.

نسأل الله سبحانه وتعالى، أن يوفقنا وأياكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١- المائدة: ٥٥-٥٦

الاستقامة والحفاظ على الرصيد الإيماني

أُعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ وَرَسُـوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وتقبَّل الله منَّا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال.

اللهم اهدنا وتقبَّل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

بمحاضرة اليوم نختتم المحاضرات الرمضانية، ونرجو من الله ﷻ أن يوفقنا وإيَّاكم للاستفادة من هديه المبارك، والاهتداء به، والاستنارة به؛ **لأنه** النور، **ومن أهم ما ينبغي أن نأخذه بعين الاعتبار في ختام شهر رمضان المبارك:** أن نحرص على أن تكون هذه المحطة التربوية الإلهية قد تركت أثرها الكبير في أنفسنا، **من**

خلال: الاستعانة بالله، والالتجاء إليه، والدعاء، وطلب الهداية والتوفيق من الله ﷻ، **ومن خلال**: التركيز على هديه المبارك، والاستشعار لقيمة هذه الفريضة المهمة التي هي صيام شهر رمضان المساعدة- إلى حدٍ كبير- في اكتساب التقوى.

شهر رمضان بصيامه وقيامه، وبصالح الأعمال فيه، وبما فيه من الأجر والبركة والفضل- وأيضاً- بما يمد الله ﷻ فيه عباده المؤمنين من الهداية والتنوير، وأيضاً بما يستفيد الإنسان من خلال إقباله بشكلٍ أكبر إلى القرآن الكريم، وإلى هدي الله ﷻ، في ظل الظروف الإيجابية والمناخ الإيجابي والمساعد على الاستفادة والانتفاع والتأثر بشهر رمضان المبارك، كل هذا يمثل فرصةً مهمةً للإنسان لتعزيز علاقته بالله ﷻ، وللتحرك عملياً وفق توجيهات الله ﷻ، ولتحصيل التقوى والاهتداء بهدى الله ﷻ.

كيف نحافظ على المحصلة المستفادة من الشهر الكريم؟

فالمحصلة المهمة لعلاقة الإنسان بهذا الشهر المبارك، لاستفادة الإنسان من هذا الشهر المبارك **بكل ما فيه من**: صيام، وقيام، وأعمال صالحة، وقربة إلى الله ﷻ، وتفهم لهدى الله ﷻ، **الحصيلة المهمة والرئيسية هي: التقوى والهدى:**

التقوى؛ لأن الله -جلّ شأنه- قال في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]، هذه الثمرة المرجوة التي ينبغي أن نحرص- مع الاستعانة بالله والدعاء- أن نقتطفها من هذا الشهر المبارك، من هذه الفريضة المباركة، نقتطف ثمرةً مهمةً هي التقوى.

والاهتداء بهدى الله ﷻ من خلال ما استفدناه في هذا الشهر المبارك، من خلال عودتنا إلى القرآن الكريم، سماعنا لهدى الله، أن نحرص أيضاً على أن نكتسب المزيد من الوعي، والفهم الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والتأثر

١- البقرة: الآية ١٨٣

الإيجابي في أنفسنا، وأن نستوعب التعليمات الإلهية التي سمعناها، ثم نحرص ما بعد شهر رمضان المبارك على أن نكون في واقعنا العملي منطلقين على هذا الأساس، هذه مسألة مهمة؛ **حتى** لا نتنكر فيما بعد ذلك لكل ما قد سمعناه من الهدى، لكل ما سمعناه من توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكل ما عرفناه من خلال اطلاعنا على هدى الله، من خلال تلاوتنا لكتاب الله.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **قدَّم في القرآن الكريم التحذير** من طريقة التعامل مع هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بلا اهتمام، بلا قيمة، بلا التزام عملي، بلا تفهم، بلا إصغاء، بلا تركيز، بلا استفادة في الواقع العملي نفسه، ولذلك قال -جلَّ شأنه-: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1]، في هذه الآية المباركة يبيِّن الله حال من لم يتفاعل مع هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **من بداية الأمر** لم يكن يركِّز، لم يكن يصغي، لم يكن يتفهم، لم يكن يحرص على أن يستوعب وأن يفهم، وفيما **بعد ذلك** في واقعه العملي- بالتأكيد- ينطلق بعيداً عن هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ينطلق وقد وصل إلى حالة من الخذلان، أن يطبع الله على قلبه؛ **فيتحرك** في مواقفه، في تصرفاته، في سلوكه، في أعماله، من منطلق هوى النفس، والمزاج الشخصي، المزاج النفسي.

وهذه حالة خطيرة على الإنسان، حالة رهيبة جدًّا، إذا لم يكن مركزاً على هدى الله، لا يعطي هدى الله قيمته، أهميته، ثم في واقعه العملي يخذل- والعياذ بالله؛ **فيتحرك** وفق المزاج الشخصي، وهوى النفس، وبحالته الغريزية، في انفعالاته عند الغضب يتصرف بأي تصرف، وفقاً لتلك الانفعالات، يندفع وراء الشهوات، وراء الرغبات النفسية حتى فيما هو معصية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يتقاعس ويتخاذل عن القيام بمسؤولياته التي فرضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه في كتابه

١- محمد: ١٦-١٧

الكريم بكل استهتار، وبلا مبالاة... وهكذا لا يتحرك بناءً على هدى الله ﷻ.

نجد في نفس سياق هذه الآية المباركة يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾، الذين اهتدوا عندما سمعوا هدى الله، تفهَّموا، كانوا مصغين، كانوا مركزين، كانوا حريصين على أن يفهموا؛ **ليلتزموا**، ليعملوا، فبإصغائهم وتركيزهم استفادوا، وفهموا، واستوعبوا من هدى الله ﷻ، فالله -جلَّ شأنه- يزيدهم هدايةً، يزيدهم تنويراً، يزيدهم فهماً، يزيدهم بصيرةً، ومع ذلك كما قال -جلَّ شأنه-: ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾؛ **لأن** الله يهدينا إلى ما تتحقق لنا به التقوى بمفهومها الواسع، إلى ما يقينا من النار، ما يقينا من سخط الله، ما يقينا من عذاب الله في الدنيا والآخرة، ما يقينا من الهوان، ما يقينا من الخزي، ما يقينا من تسلط أعدائنا علينا، ما يتحقق لنا به الخير في الدنيا والآخرة، ثمرة كبيرة، ونتيجة عظيمة لهدى الله ﷻ **في أثره** في الإنسان في نفسه، **وفي أثره** في واقع حياة الإنسان، كشخص وكمجتمع.

الأمة التي تتحرك على أساس هدى الله ﷻ أياً كان حجم هذه الأمة: عدد كبير، أو عدد محدود، الله ﷻ يحقق لها نتائج- في واقع حياتها- مهمة **جدًّا**، هو وعد بالنصر، بالعزة، بالكرامة، وعد -جلَّ شأنه- بالتمكين، بالتأييد، بالفلاح، بالخير في الدنيا والخير في الآخرة؛ **أمَّا** في الآخرة- أيضاً- فرضوان الله ﷻ، والجنة، والوقاية من عذاب الله.

فثمرة أن يكون الإنسان مصغياً لهدى الله، ومتفهماً، ومركزاً، وحريصاً على أن يفهم، أن يستوعب؛ **ليلتزم**، دافعه أن يفهم بهدف الالتزام، لديه هذا الدافع، لديه هذا الهدف؛ **فالله** ﷻ يزيده هدايةً.

النتيجة الخطيرة لعدم الإصغاء لهدى الله

أمَّا الآخر الذي لم يكن يصغي، لم يكن يتفهم، لم يكن يركز، لم يكن عازماً على العمل، لم يكن جاداً في الالتزام؛ **فإنَّ** الله يطبع على قلبه، **لاحظوا هذه النتيجة الخطيرة جدًّا:** يطبع على قلبه، إذا طَبَع الله على قلبك؛ **فقدت** تفاعلك مع هدى الله، قسا قلبك، غاب عنه النور الإلهي والهداية الإلهية، فقدت التوفيق من الله في أعمالك، في تصرفاتك، في قراراتك، في مواقفك، أو في الكثير منها، حالة خطيرة للغاية أن يصل الإنسان إلى هذا المستوى.

وقرأنا التحذيرات- أيضاً- في ما يتعلق بهذا الجانب: إذا لم يتجه الإنسان على أساس هدى الله في الواقع العملي، وفي الالتزام العملي، وفي الطاعة، قرأنا الآيات المباركة من سورة الأنفال، من مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[1].

فنلاحظ هنا كيف أكَّد القرآن الكريم على أن تكون النتيجة لما نسمعه من هدى الله سبحانه وتعالى هي الطاعة، هي الالتزام العملي، **وإلَّا** كانت النتيجة خطيرة علينا، النتيجة هي هذه **التي حكاها في القرآن الكريم:** أن يخذل الإنسان، أن يكون من شر الدواب على هذه الأرض، إنساناً فقد حتى الاستفادة مما مكَّنه الله به، من المدارك التي تساعده على أن يكون على درجة عالية من الوعي، والفهم الصحيح، والنظرة الصائبة، والتمييز، والإدراك، إذا تفاعل مع هدى الله.

يفقد حتى الإدراك الطبيعي، حتى النظرة الطبيعية في مستواها العادي كإنسان بحجم ما مكَّنه الله، وما أعطاه وزوَّده به من مَلَكَة معرفية، ملكة

١- الأنفال: ٢٠-٢٣

معينة للمعرفة، من وسائل تساعده على المعرفة، فلا يستفيد من سمعه، ولا من بصره، ويكون كأنه أصم، وكأنه أعمى، وكأنه أبكم، حالة رهيبة **جدًّا**.

كما لاحظنا- أيضاً- التحذير الشديد ما بعد هذه الآيات المباركة في قوله -جلَّ شأنه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، تحذير رهيب **جدًّا** في هذه الآيات المباركة؛ **لأن** ما يدعونا إليه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيه الحياة لنا على المستوى الشخصي، وعلى المستوى الجماعي، فيه الحياة لنا، **حتى على مستوى تربية هذا الإنسان:** في تزكية نفسه، في رفع مستوى الإنسانية لديه، في مستوى فهمه، معرفته، نظرته الصائبة، حكمته، رشده، **هذه ثمرة مهمة جدًّا تتحقق من خلال العلاقة الإيجابية مع هدى الله:** الاسماع، الالتزام، الطاعة، الاستجابة العملية، ثمرة مهمة، بركة كبيرة في نفس الإنسان، تنمو فيه كل مكارم الأخلاق، تتجذر جذورها في مشاعره ووجدانه، تسمو نفسه، وتزكو، يصبح في اهتماماته يحمل اهتمامات عالية، ونفساً عظيمة، ومشاعر إيجابية، ويمتلك المزيد من الوعي، والفهم، والإدراك الصحيح، والنظرة الصائبة، والحكمة، والرشد، هذا مكسب كبير **جدًّا** على مستوى نفس الإنسان.

وأمتنا الإسلامية هي في أمسِّ الحاجة إلى ذلك، الخسارة كبيرة **جدًّا**، كثير من الناس يعيشون حالة أن يطبع الله على قلوبهم، أن يكونوا في نظرتهم وفهمهم متخبطين، لا يمتلكون رؤيةً صائبة، ولا نظرةً صحيحة، **المشاكل الكبيرة التي يعاني منها الناس في واقعهم النفسي:** عندما ينقص زكاء النفس، عندما تفسد النفسيات، عندما تمتلئ النفوس بالأنانيات، والهوى، والمزاج الشخصي، عندما يتحول الإنسان إلى إنسان غريزي، يتحرك بالغريزة كما الحيوان، وفقاً لمزاجه الشخصي:

١- الأنفال: ٢٤-٢٥

لغضبه، لانفعاله، لرغباته، لشهواته، لمخاوفه، يفقد الرشد، فالقرآن الكريم هو يربينا تربيةً عظيمة، تربيةً مهمة، وفيه الحكمة، وفيه النور، وفيه الهداية.

ما بعد الشهر الكريم.. الحرص على الاستقامة

فالمحصلة التي ينبغي التركيز عليها هي: التقوى والهدى، وأن نحرص ما بعد شهر رمضان على الاستقامة لما نكون قد استفدناه في هذا الشهر المبارك من التزام عملي، وتقوى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الاستقامة، الاستمرارية بشكل صحيح، بالتزام، فيما بعد شهر رمضان المبارك، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[1]، ضيافة إلهية، الجنة وما فيها من النعيم العظيم الدائم والأبدي: ثمرة للاستقامة.

يقول الله -جلَّ شأنه- أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، فليحرص الإنسان على الاستقامة فيما بعد، وأن يكون منيباً إلى الله عند كل زلل، عند كل تقصير، عند كل خطأ، وأن يكون مهتماً بالاستغفار والعودة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يسعى للحفاظ على ما قد استفاده من هدى الله من أثر إيجابي في زكاء نفسه، وفي استقامته العملية، وفي الاستشعار للمسؤولية؛ **لأن** من أهم ما يتركه هدى الله فينا من أثر هو في هذه الجوانب: **أثر** في زكاء النفس، والاستقامة العملية والسلوكية والأخلاقية، **وأثر** في استشعارنا للمسؤولية، وهذا من أهم الجوانب التي يغفل عنها الكثير من الناس: مسؤوليتنا في هذه الحياة، كيف يكون الإنسان مجاهداً

١- فصلت: ٣٠-٣٢
٢- الأحقاف: ١٣-١٤

في سبيل الله، مساهماً بشكلٍ حقيقي في العمل على إقامة الحق، وإقامة العدل، ومواجهة الطغيان، والظلم، والباطل، والعدوان، هذا جانب مهم **جدًّا**.

من الأشياء التي ينبغي أيضاً العناية بها والاستمرار في الاهتمام بها ما بعد شهر رمضان المبارك: الحفاظ على الصلاة: البعض- مثلاً- في شهر رمضان يحافظون على الصلاة، ويهتمون بها، ما بعد شهر رمضان خصوصاً بعض الفرائض مثل صلاة الفجر البعض ينام عنها، ومثل صلاة المغرب والعشاء، البعض قد يؤخرها، ويدمن على تأخيرها لغير ضرورةٍ ملجئة، تصبح عادةً يستمر عليها؛ **من أجل** القات مثلاً عندنا في اليمن، وهذه قضية خطيرة.

الصلاة مهمة جدًّا، ولها أثرها العظيم والتربوي في تزكية النفس، وفي شدنا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتذكيرنا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي أول ما في هذا البرنامج: برنامج تزكية النفس، وجعلت محطةً متكررةً على مدى اليوم والليلة في أوقات متعددة بشكلٍ إلزامي؛ **لكي** تقدِّم هذا العطاء للإنسان في تزكية نفسه، وتطهير نفسيته، وتذكيره بالله؛ **لحاجتنا** إلى ذلك، أخطر حالة علينا هي الغفلة عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي التراكم لما يؤثِّر على زكاء النفس من أعمال سيئة وتأثيرات سيئة، عندما يتراكم يترك تأثيره الكبير على المستوى النفسي.

فريضة الزكاة والاهتمام بالتكافل الاجتماعي

من الأشياء المهمة التي ينبغي العناية بها ولها أهمية كبيرة على المستوى التربوي، وعلى مستوى تزكية النفس، وعلى المستوى الاجتماعي... وعلى مستويات واسعة **جدًّا: الزكاة**. والزكاة كما الصلاة ركنان من أركان الإسلام، وعادةً يقرنهما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كثيرٍ من الآيات في القرآن الكريم: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، **يتكرر الأمر بهذا:** بالاقتران بينهما **(أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)**- أيضاً- أتى التأكيد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أنها: **(لا تقبل صلاةٌ إلا بزكاة)**، فمن يفرط في هذا الحق الشرعي ممن عليه هذا الحق، ممن تلزمه زكاة،

لا تقبل منه صلاته، لا تقبل منه صلاته أبداً، بل يعتبر من أكبر المذنبين، مخلاً بركنٍ من أركان الإسلام، ومرتكباً لجرمٍ عظيم، وللأسف البعض من الناس يتهاونون في ذلك، أو البعض يأخذ قسطاً من الزكاة، ويدفع قسطاً منها، ويأكل القسط الآخر، وهذا جرمٌ عظيم، يتحمل الإنسان به الوزر والإثم، ولا يقبل الله منه أي عملٍ من أعماله، حتى الصلاة لا تقبل منه كما أكد النبي صلوات الله عليه وعلى آله، وكما في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

الزكاة لها أهمية كبيرة على مستوى تزكية النفوس، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[2]، لتطهير نفسية الإنسان، ولها أهمية كبيرة في البركة والرزق والخير من الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى، ولدفع الكثير من المصائب والنقم، ومع أن الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى أنعم علينا بنعم كبيرة والأمطار الغزيرة، فمن الشكر أيضاً لنعمة الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى أن تخرج الزكاة، ألَّا تبخل بها، ومن التنكر والكفران لنعمة الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى أن تبخل حتى بالزكاة، بعد أن يمنَّ الله بالأمطار الغزيرة والنعمة الكبيرة.

الزكاة لها أهمية كبيرة جدًّا على المستوى الاجتماعي فيما بين الناس، ما بين الأغنياء والفقراء، ولها أهمية كبيرة؛ **لأنها** في مقدمة ما يفيد في التكافل الاجتماعي ومعالجة مشكلة البؤس والفقر، والمعاناة التي يعانيها الفقراء، نحن كررنا في كثير من المحاضرات أننا على يقين أن الناس إذا أخرجوا زكاتهم، وأدوا هذا الواجب كما ينبغي بشكلٍ تام، فإن الله سيغني هذا الشعب عن الحاجة إلى المنظمات وما تقدمه، سيغني الله هذا الشعب، وسيتوفر للفقراء ما يسد خلَّتهم، ما يسد حاجتهم الضرورية، بدلاً عمَّا تقدمه المنظمات بمقابل شروط وبإجحاف، وباستغلال كبير **جدًّا**، وبأهداف سلبية للغاية، لا يجوز أبداً، التفريط في هذا الركن العظيم من أركان الإسلام، المعصية في هذا تعتبر من أكبر المعاصي والذنوب، قد تسبب للإنسان مصائب كبيرة في حياته، وخذلاناً كبيراً،

١- المائدة: من الآية ٢٧
٢- التوبة: من الآية ١٠٣

وعقوبات كبيرة، ثم وراء ذلك جهنم- والعياذ بالله- جهنم، قضية خطيرة للغاية.

ثم أكثر من الزكاة، مسألة الصدقات، التكافل الاجتماعي: الصدقات، والعناية بالفقراء، والمواساة للفقراء والمحتاجين، من أسباب الخير والبركة والفضل والأجر والقربة إلى الله ﷻ، وتكفير السيئات، ودفع المصائب، لها فوائد كثيرة **جدًّا**، فينبغي العناية بذلك، والاستمرار في الاهتمام بذلك.

الالتزام بالتقوى والحذر من المعاصي

ثم أيضاً مما ينبغي الانتباه إليه فيما بعد شهر رمضان المبارك: الحذر من الفساد والمعاصي: ومن المهم أن يسعى الناس إلى معالجة مشكلة صعوبة الزواج، بسبب التكاليف المرهقة، ينبغي أن يتعاون الناس في مختلف المناطق على تخفيض هذه التكاليف، وعلى ضبط هذه التكاليف؛ **حتى** تكون في مقدور الشباب؛ **ليتزوج** الشباب والشابات، وهذا يساهم في دفع الكثير من الفساد.

وفي نفس الوقت لا بدَّ من الالتزام بتقوى الله، والحذر من خطوات الشيطان التي تساعد على الفساد: منها الدخول في علاقات محرمة، منها ما قد يحصل أحياناً عبر المراسلات بالجوالات، أو في مواقع التواصل الاجتماعي، من مغازلة، من دخول في ارتباطات وعلاقات محرمة، تصل إلى درجة الوقوع في الفساد- والعياذ بالله- هذا مما ينبغي الحذر منه.

القرآن الكريم حذَّر من اتباع خطوات الشيطان، وهذا ما يسد الطريق على الشيطان في تأثيره على الإنسان، إذا لم يدخل الإنسان في الخطوات التي تأخذ بالإنسان، وتنزلق به- في نهاية المطاف- وتوقعه في الفساد، الإنسان ليحذر من البداية.

كذلك في واقعنا الاجتماعي الحذر- بالنسبة للنساء- من التبرج، السفور، محاولة الإغراء، كل الأساليب التي تساعد على الوقوع في الفساد، **يجب** الحذر منها وتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مسؤوليتنا في التصدي للعدوان على كل المستويات

مما ينبغي- أيضاً- الالتفات إليه: فيما يتعلق بمسؤوليتنا في التصدي للعدوان: نحن شعبٌ نواجه عدواناً ظالماً، عدواناً بإشرافٍ أمريكي، وتعاونٍ إسرائيلي، ومباركةٍ إسرائيلية، والموقف الأمريكي والإسرائيلي واضحٌ وصريحٌ ومعلنٌ، وهو قولٌ، وهو فعلٌ- أيضاً- بالقول وبالفعل، والأدوات التي تنفذ هذا العدوان، سواءً على مستوى النظام السعودي، أو النظام الإماراتي، أو المرتزقة الخونة من أبناء البلد، هم أدوات تنفيذية، هم يعملون لخدمة الأعداء، وهم يرتكبون أبشع الجرائم بحق هذا الشعب، ويرتكبون أكبر المنكرات، واجبنا الإيماني، والديني، والأخلاقي، والإنساني، والفطري، والوطني، **بحساب الوطنية أيضاً:** أن نتصدى لهذا العدوان بكل ما أوتينا من قوة، بكل جد، بكل عزم، وأن نحذر من التقصير في ذلك، وأن نتحرك على كل المستويات:

على المستوى العسكري: لدعم الجبهات بالرجال وبالمال، وأن تكون وتيرة التحشيد وتيرة نشطة وقوية. **على مستوى القوافل والدعم المادي:** أن نبذل كل ما نستطيع مما رزقنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. **على مستوى الوضع الاقتصادي:** أن يهتم الناس في هذا الجانب بالإنتاج الداخلي، وأن يسعوا إلى جودة المنتج الداخلي، الاهتمام المستمر بالزراعة، وعدم استهلاك ما بقي من المزارع في القات، الحرص على زراعة المحاصيل (الحبوب) بشكلٍ أكبر، والتفاعل مع كل ما من شأنه **أن يساهم في زيادة المحصول الزراعي:** التنسيق مع وزارة الزراعة، مع اللجنة الزراعية- أيضاً- المبادرات الذاتية، التعاونيات التي تنشط بهدف تحقيق نشاط كبير وعمل منظم للنهضة بالجانب الزراعي.

كذلك فيما يتعلق بالصناعة: التجار الذين يستوردون كل شيء للمجيء به إلى هذا البلد بالدولار من خارج البلد، حتى الملخاخ، حتى الصلصة... حتى أبسط الأشياء، عليهم أن يراجعوا حساباتهم، أن يفكروا وأن يستشعروا المسؤولية أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يتجهوا للتصنيع في البلاد، وللإنتاج في البلاد، هذا له مزايا كبيرة **جدًّا**، هو أقل كلفة، وأقل تعباً، وخروج عن تعقيدات الاستيراد مع الحصار، ومع مشاكل الحصار، ثم هو الذي سيساهم على النهضة بالبلد.

المزارعون عليهم أن يتقوا الله، وأن يحذروا من المبيدات والمكافحات الضارة والمهلكة والمدمرة، التي لها آثار سلبية حتى على الزراعة فيما بعد، البعض قد يفيد لوقت محدود، قد يساهم مثلاً في زيادة وتيرة المحاصيل الزراعية، لكن لفترة مؤقتة، ثم هو يلوث الزراعة نفسها (الأشجار، النباتات)، ويلوث التربة، فيما بعد يؤثر حتى على التربة، أن يحذروا من ذلك، وأن يهتموا، وأن يجدوا فيما يتعلق بالجودة في الإنتاج الزراعي، أن يلحظوا ذلك في كل المراحل، منذ المراحل الأولى، سواءً على مستوى المحاصيل الزراعية، كالفواكه- مثلاً- أو غيرها كالحبوب وغيرها من المحاصيل والطماطم، والبطاط... وغيرها، من البقوليات، كذلك. أن يحرصوا على الجودة في الإنتاج، وأن يحسنوا عملية جمع هذه المحاصيل، جني هذه المحاصيل، تسويق هذه المحاصيل بطريقة تساعد على سلامتها، وأن يحرصوا على أن تكون قد نضجت، قد أصبحت جاهزة، هذا الاتقان هو من العمل الصالح، وهو مسؤولية إيمانية ودينية، وفي نفس الوقت عامل في النهضة الاقتصادية.

وهكذا في كل ما يتعلق بالسياسات الاقتصادية، نحتاج إلى عناية وجد، وأن نجعل هذا جزءاً من جهادنا، جزءاً من عملنا الصالح، جزءاً مما نتقرب به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **حتى** نكون أمةً قويةً، لديها اقتصاد قوي، لديها إنتاج، تسعى لتحقيق الاكتفاء الذاتي، وليس فقط أمةً مستوردة ومستهلكة، هذا ما يريده

أعداؤنا، وهذا أيضاً هو من الغبن والخسران: أن نكون فقط معتمدين على أن نستورد ونستهلك، لا ننتج. لا بدَّ من الاهتمام في الجانب الاقتصادي بالإنتاج.

سلبيات الهجرة من الأرياف والتكدس في المدن

-وأيضاً- على المستوى الزراعي والمستوى العملي: أن نتنبه من خطورة التكدس والهجرة من الريف إلى المدن: من أكبر المشاكل، ومن أكبر السلبيات أن يهاجر الناس من الأرياف لغير ضرورة، وأن يتكدسوا في المدن، وفي المقدمة صنعاء، لربما الملايين قد هاجروا خلال هذه السنوات إلى صنعاء وقطنوا فيها، **ربما البعض لهم عذرهم:** من محافظات محتلة، من مناطق قد تكون في مناطق الاشتباك والقتال، لا يستطيعون الاستقرار فيها، لكن البعض قد يكون أيضاً ذهب هكذا لمجرد الراحة (طلب الراحة في المدينة)، وترك منزله في الريف، وترك مزارعه في الريف، ليس هناك ظروف عسكرية، أو لظروف الحرب أجبرته مثلاً على أن يهاجر، وليس هناك أيضاً ظروف عملية فرضت عليه أن يستقر في منطقة معينة أو في مدينة معينة، وترك المزارع، والبعض ترك الثروة الحيوانية، واستقر داخل صنعاء في شقة.

هذه قضية خطيرة على الناس، لها أضرار كبيرة؛ **لأن لها** أعباء اقتصادية، أنت عندما تهاجر من منزلك إلى شقة في صنعاء- مثلاً- تتحمل عبء الإيجار، أضفت عبئاً اقتصادياً، التزاماً مالياً إضافياً على نفسك، أو حملته الآخرين إذا كان على غيرك، على حساب أشياء أخرى ستكون مهمة ومفيدة، في نفس الوقت أنت تعطل دورك الإنتاجي، لا تشتغل في مزرعة، **لم يبقَ لديك ثروة حيوانية:** لا أغنام، ولا أبقار، ولا حتى الدجاج، وأصبحت فقط تعيش التزامات مالية وكلفة في المعيشة؛ **لأن** كلفة المدينة في المعيشة أكبر من الكلفة في الريف، فهذا له تأثيرات سلبية **جدًّا**، هذا يقلل من الإنتاج، يتحول الملايين من الناس إلى غير منتجين، إلى عبء على أنفسهم وعلى غيرهم، وتصبح حياتهم حياة صعبة، وقد

يلجأ البعض إلى أسباب محرمة، أو وسائل غير مشروعة، بهدف الحصول على المال؛ **ليغطي** التزاماته المعيشية، احتياجاته لأسرته، وهذه قضية خطيرة **جدًّا**.

يمكن للبعض- إذا اضطروا للهجرة- أن يهاجروا إلى أماكن يتاح لهم فيها أن يواصلوا نشاطهم الزراعي، أو نشاطهم في تربية الثروة الحيوانية، ومن المهم العناية بتربية الثروة الحيوانية، للأسف الشديد هناك تقصير كبير في هذا الجانب، في الماضي كنا أكثر وأحسن حالاً من الآن بكثير، كانت الكثير من الأسر تمتلك الدجاج، البقر، الغنم، هذه ثروة مهمة، من أهم الثروات، والآن الكثير لم يعد لديه لا أبقار، ولا أغنام، ولا دجاج، ويصبح حتى توفير البيض من المتطلبات التي لا بدَّ منها من الخارج بالدولار، وكأننا شعب لا يمكن أن يربي حتى بقرة، ولا دجاجة، ولا ينتج حتى أبسط متطلبات الحياة.

من العار، ومن الإثم، ومن التقصير، ومن الغبن أن يتجه الناس بهذا الشكل بشكل مستمر، أن يتحولوا إلى أمة غير منتجة، لا تنتج حتى البيض، لم تعد تمتلك حتى الدجاج، ولا أغنام، ولا أبقار، ولا تنتج زراعة... ولا أي شيء، هذه قضية خطيرة **جدًّا**، لنحرص على أن نبقى أمةً منتجةً، وأن يكون هذا جزءاً من اهتماماتنا الدينية، كما قلت: من جهادنا، من عملنا الصالح الذي نتقرب به إلى الله؛ **لكي** نكون أمةً قوية، لربما كل ما تقوى الإنتاج الداخلي كل ما قل احتياجنا إلى الشراء من الخارج (إلى الاستيراد)، هذا يخفف حتى من الضغط على العملة، من ارتفاع الدولار، من ارتفاع الأسعار، وفي نفس الوقت له آثار وأهمية، وهو مسألة استراتيجية، يجعل منَّا أمةً قويةً في موقفها، وفي مواجهة أعدائها، وفي تحملها للصراع، ولأعباء هذا الصراع، هذه من المسائل المهمة.

الاستفادة من الأمطار في زراعة الحبوب: هذه مسألة مهمة **جدًّا**، وسيقدم علينا، أو قد أتى- أصلاً- الموسم، وربما في بعض المناطق سيأتي قريباً موسم ووقت البذر للذرة، وهذه فرصة كبيرة **جدًّا**، على

نعمة المطر، هذا شيء مهم **جدًّا**، والعناية به مسألة مهمة **جدًّا**.

الاهتمام على المستوى الثقافي والتوعوي مهم جدًّا، وأن يتحرك المعنيون بذلك بشكلٍ مستمر في الريف، في المدن، العناية بهذا الجانب مسألة مهمة، والتربويون كذلك.

مما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار في هذا الظرف بالتحديد: الحذر من وباء كورونا: وباء كورونا الذي دخل إلى البلد، لم تتم عملية الضبط للمنافذ والدخول والخروج بالشكل المطلوب، كان هناك ضغط كبير **جدًّا**، كان هناك حتى عملية تهريب، ووصل هذا الوباء إلى البلد، ينبغي أخذ الحيطة والحذر، ومن دون فزعٍ وترويع؛ **لأن** الحالة المعنوية من أهم متطلبات مواجهة هذا الوباء، **يجب** أن تكون الحالة المعنوية عالية **جدًّا**، مع الالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع العمل بطاعة الله، وتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والالتزام العملي، والحذر من المعاصي، والحذر من الفساد، وفي نفس الوقت الأخذ بعين الاعتبار البعض من الإجراءات المطلوبة في التوقّي والحذر من هذا الوباء.

نصل- في نهاية المطاف- إلى الحث على إخراج الفطرة (فطرة العيد): فطرة العيد هي من الواجبات المهمة **جدًّا**، ولها أهمية كبيرة في ألّا يكون أحدٌ من الفقراء جائعاً في يوم العيد؛ **لأنه** من البؤس الشديد، وممّا يعبِّر عن ضعف في التكافل فيما بين أبناء المجتمع المسلم، عندما يكون البعض يعيشون في يوم العيد وحاجتهم متوفرة وزادهم متوفر، والبعض لا يمتلك حتى القوت، حتى ما يأكل، فإخراج الفطرة هي مسألة مهمة **جدًّا**، ولها علاقة مهمة **جدًّا** بتكفير ما قد يكون الإنسان قصَّر فيه في شهر رمضان، لها إيجابية على هذا المستوى، وزيادة لتطهير نفسية الإنسان، وتتمة مباركة لفريضة الصيام، فليحرص الجميع على إخراج الفطرة؛ **لمواساة** الفقراء في يوم العيد.

كذلك الفهم لمعنى العيد، وأنه ابتهاج، واحتفاء بتوفيق الله ﷻ لإكمال هذه الفريضة المهمة **جدًّا**، وهو شكر لله ﷻ على ما هدى إليه، ولذلك تأتي صلاة العيد وفيها التكبير المتكرر، وفقاً لقول الله ﷻ في آيات الصيام: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، فنحن في العيد نبتهج بأن الله وفقنا لأداء هذه الفريضة ومنَّ علينا بذلك، ومنَّ علينا بهذه الفريضة المباركة، وبصيام شهر رمضان وقيامه، وما فيه من البركات والخيرات، والآثار الإيجابية النفسية والمعنوية.

ختاماً نتوجه إليكم جميعاً أيُّها الإخوة والأخوات، إلى كل أبناء أمتنا الإسلامية، إلى المجاهدين المرابطين في الجبهات بالتهاني والتبريك بقدوم عيد الفطر المبارك...

ونسأل الله ﷻ أن يبارك لنا ولكم في يوم عيدنا وفطرنا، وأن يتقبل منا ومنكم صيام هذا الشهر وقيامه، إنه سميع الدعاء، ونسأل الله ﷻ أن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

***

١- البقرة: من الآية ١٨٥

فهرس محتويات الكتاب

المحاضرة الأولى .... ص ١

رقم الصفحة

شهر رمضان

الرؤية المتكاملة والمعطيات الكبرى

١. لنستوعب الرؤية المتكاملة عن الشهر المبارك ٣
٢. من معطيات الشهر الكريم (التقوى) ٥
٣. الشهر الكريم موسم تجارة رابحة مع اللّه ٨
٤. إذاً كيف نتعامل مع هذ الشهر المبارك؟ ١١

المحاضرة الثانية .... ص ١٧

رقم الصفحة

هدى اللّه

أهم ما نحتاج إليه في الحياة

أهم الاحتياجات الضرورية لنا في الحياة ١٨
٥. حاجتنا للعودة العملية الصحيحة إلى اللّه تعالى ٢١
٦. التزكية والهداية.. جانبان يتوقف عليهما صلاح الإنسان ٢٢
٧. لتكن أفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا قرآنية ٢٣
٨. كيف نصحح علاقتنا بالقرآن الكريم؟ ٢٥
٩. لكي نتفاعل مع هدى اللّه ٣٠

المحاضرة الثالثة .... ص ٣٣

رقم الصفحة

بين الحياة الأولى والحياة الآخرة

مقارَنة ونتيجة

ليكن التركيز في حساباتنا على الحياة الآخرة ٣٥
١٠. ولنأخذ الدرس والعبرة ٣٦
١١. هذه الحياة مؤقتة فتزود قبل الرحيل ٣٧
١٢. الإيمان بالجزاء هو الدافع الكبير للتقوى ٣٩
١٣. القيامة.. الحدث الرهيب والمهول!! ٤٠
١٤. النفخة الأخرى والحضور الإجباري لساحة الحساب ٤٢

المحاضرة الرابعة .... ص ٤٥

رقم الصفحة

يوم الحساب

التجميع والتنظيم وعملية التوزيع

١. ضرورة اليقظة واستشعار قرب لقاء اللّه ٤٦
٢. عملية الحشر والتجميع والتنظيم في ساحة المحشر ٤٨
٣. ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.. أول إجراءات الحساب ٥٠
٤. ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾.. التمهيد ثم بداية عملية التوزيع ٥٢
٥. الخسارة العظمى! ٥٥
٦. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾.. الفصل بين العباد ٥٨

المحاضرة الخامسة .... ص ٦١

رقم الصفحة

حسم مسألة الحساب . . وتقرير المصير

١. النظرة التجزيئية للدين.. مشكلة كبيرة وخطيرة! ٦٤
٢. الخاسرون في موقف الحسرة والندامة ٦٥
٣. المستضعَفون والمستكبرون.. الخصام وتبادل اللوم ٦٨
٤. مصير الشيطان وحزبه ٧١
٥. وينطلق موكب النور إلى العالم العجيب! ٧٣
٦. الجنة.. عالم واسع بلا حدود ولا قيود! ٧٤
٧. الجنة.. أنهار جارية من المشروبات الراقية! ٧٦
٨. الجنة.. سعادة دائمة.. وانسجام.. ونعيم تام ٧٧
٩. الجنة.. عالم النعيم والتكريم العظيم! ٧٩

المحاضرة السادسة .... ص ٨٣

رقم الصفحة

﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾

تفاصيل مهولة عن عذاب جهنم !!

١. ويصدر الأمر بعملية النقل إلى جهنم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ! ٨٥
٢. لا مجال للإنكار فالشهود: الجلود والأسماع والأبصار! ٨٨
٣. وفتحت الأبواب الجهنمية والدخول بلا تزاحم! ٨٩
٤. دع الغفلة وانتبه الآن قبل: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ ! ٩١
٥. ثياب جهنم وطعامها وشرابها والغسل فيها! ٩٢
٦. ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾.. لا مجال للدعاء أبداً!! ٩٥
٧. الموت مستحيل والخروج مستحيل! ٩٧
٨. تقدم التحذير.. الإنذار.. فلا حجة للمجرمين ٩٨

٩. الخوف من عذاب الله من أهم عوامل الاستقامة ١٠٠

المحاضرة السابعة .... ص ١٠٣

رقم الصفحة

المعاصي وآثارها المدمرة

ووجوب التوبة قبل الندم

١. المعاصي وآثارها الخطيرة على الفرد والمجتمع ١٠٥
٢. الآثار الطيبة للعودة إلى الله ١٠٧
٣. التحذير مما حل بالأمم ووجوب التوبة قبل الندم ١٠٨
٤. نداء للمؤمنين: توبوا إلى الله ١١١

المحاضرة الثامنة .... ص ١١٣

رقم الصفحة

مساوئ الذنوب ووسائل نيل المغفرة

١. أقل ما يلزمنا لله: ألا نستخدم نعمه في معاصيه ١١٤
٢. ضبط الغريزة بضابط الأخلاق والقيم ١١٦
٣. في الحلال ما يشبع الغريزة ويغني عن الحرام ١١٧
٤. الفرق بين المحسن والمسيء مقتضى حكمة الله ١١٨
٥. التوبة.. الطريق الوحيد للنجاة من سخط الله ١٢٠
٦. وجوب المبادرة.. وخطورة الإصرار ١٢١
٧. من مواصفات عباد الله المتقين ١٢٣
٨. الاستغفار.. ختام مواصفاتهم العظيمة ١٢٥
٩. كلما عظم إيمانك- استشعر التقصير ١٢٦
١٠. العجب والغرور من أهم عوامل الإصرار ١٢٨
١١. من أعظم موجبات الغفران ١٣٠
١٢. خطورة التسويف بالتوبة ١٣١

المحاضرة التاسعة .... ص ١٣٣

رقم الصفحة

في ظلال سورة الناس

حول خطر الوساوس والوَسواس

١. صيغة الاستعاذة في السورة ودلالاتها ١٣٥
٢. المفهوم الصحيح للاستعاذة ١٣٦
٣. الوساوس مصدر الشرور والمشاكل ١٣٧
٤. الوساوس وأثرها السيئ على العلاقات والمواقف ١٣٩
٥. دور الوساوس في الصد عن الحق ١٤٠
٦. الوساوس.. عندما تلامس الرغبات! ١٤١
٧. انعكاس الوساوس على الحالة النفسية ١٤٢
٨. نوع الموسوس ومنطقة تأثيره ١٤٤
٩. كيف نتفادى تأثير الوساوس؟ ١٤٥
١٠. كيف نميز الأفكار الصحيحة عن الوساوس؟ ١٤٧

المحاضرة العاشرة .... ص ١٤٩

رقم الصفحة

الجانب الصحي وموقعه في الإسلام

١. من أعظم النعم: حِلّ الطيبات وتحريم الخبائث ١٥١
٢. استساغة الخبائث.. مضرة وانحطاط ١٥٢
٣. اللحوم المستوردة وآثارها السيئة ١٥٤
٤. أهمية التغذية الصحية وتحريم المضارّ ١٥٥
٥. الإفراط في تناول القات وأضراره المختلفة ١٥٦
٦. محترفو تخازين الليل.. النتائج السلبية الخطيرة ١٥٧
٧. دعوة للمفْرِطين.. من ناصح أمين ١٥٩

٨. النظافة وموقعها في دين الإسلام ١٦٠
٩. طهارة ونظافة البدن ١٦٠
١٠. طهارة ونظافة الملابس ١٦٢
١١. نظافة الطعام والشراب ١٦٢
١٢. نظافة الأسواق والأفنية والساحات ١٦٣
١٣. قيمة التغذية الصحية والرياضة البدنية ١٦٤
١٤. الحرب البيولوجية.. خطرها وطرق انتشارها ١٦٥
١٥. الطريق الصحيح للوقاية من الأوبئة ١٦٦

المحاضرة الحادية عشرة .... ص ١٦٩

رقم الصفحة

من وحي سورة العصر (١)

معيار الربح والخسارة

١. الخسارة في مفهومها الشامل والواسع ١٧١
٢. الخسارة الحتمية الرهيبة! ١٧٢
٣. الطريق الحصري للنجاة من الخسارة العظمى ١٧٣
٤. الإيمان بمفهومه القرآني ١٧٥
٥. العمل الصالح وعناصره الأساسية ١٧٧
٦. ليكن الإتقان ثقافة في أدائنا العملي ١٧٩

المحاضرة الثانية عشرة .... ص ١٨٣

رقم الصفحة

من وحي سورة العصر (٢)

التواصي بالحق وبالصبر

١. الحق.. العنوان البارز في تعليمات الله تعالى ١٨٥

٢. التواصي بالحق وآثاره الإيجابية الكبرى ١٨٦

٣. لهذا كان التواصي عنصراً لازماً للنجاة والفوز! ١٨٨

٤. ضرورة التواصي على مستوى الالتزام العملي ١٨٩

٥. لنتقبل النصيحة ونخلص في النصح ١٩٠

٦. التواصي بالصبر لمواجهة كل الصعاب والتحديات ١٩٣

٧. لندرك قيمة الصبر وأثره وموقعه في الإسلام ١٩٥

٨. الصبر على الموقف الحق وقيمته في العاجل والآجل ١٩٨

المحاضرة الثالثة عشرة .... ص ٢٠١

رقم الصفحة

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (١)

نافذة ومدخل

١. الله تعالى لا يريد الظلم ولا يرضاه لعباده ٢٠٢

٢. مما ورد في القرآن من الوعيد الشديد على الظلم ٢٠٤

٣. ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾.. درس مهم! ٢٠٧

٤. العبرة بما حصل للأمم والقرى نتيجة ظلمهم ٢٠٩

٥. من أهم مسؤوليات المؤمنين: دفع الظلم وإقامة العدل ٢١١

المحاضرة الرابعة عشرة .... ص ٢١٣

رقم الصفحة

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢)

مع قائمة (الأظلم) التضليل باسم الدين

١. جريمة افتراء الكذب على الله ٢١٥
٢. نموذج من الواقع: التضليل باسم الدين ٢١٦
٣. شطب مسؤولية الأمة في إقامة العدل.. كارثة كبرى! ٢١٨
٤. من أشد الناس ظلما: المثبطون عن الموقف الحق ٢٢٠
٥. المعرضون عن آيات الله ومصيرهم المخزي! ٢٢٢
٦. التكذيب والصد عن آيات الله.. العقوبة الأليمة ٢٢٤
٧. المنهج الإلهي.. من أجل العدل لتستقيم الحياة ٢٢٦

المحاضرة الخامسة عشرة .... ص ٢٢٧

رقم الصفحة

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٣)

افتراء الكذب على الله أشد وأسوأ الظلم

١. لماذا صار الافتراء على الله أشد وأسوأ الظلم؟ ٢٢٨
٢. الافتراء على الله بوابة ضلال الأمم ٢٣٠
٣. المفترون وتعطيل فريضة الجهاد لإقامة القسط ٢٣١
٤. المفترون وتبرير الطغيان باسم الدين ٢٣٣
٥. تأمل جيداً: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾! ٢٣٤
٦. تنبه.. قد تكون متولياً لأمريكا وإسرائيل! ٢٣٥
٧. الركون إلى الظالمين.. مفهومه ونتائجه ٢٣٧
٨. التنصل عن المسؤولية وانعكاساته السيئة ٢٣٩
٩. المثبطون وورطتهم الرهيبة! ٢٤١

المحاضرة السادسة عشرة .... ص ٢٤٣

رقم الصفحة

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٤)

الظلم من موقع المسؤولية.. من أخطر الظلم

١. كيف نصحح النظرة للمسؤولية؟ ٢٤٥

٢. نماذج قرآنية في تحمل المسؤولية ٢٤٧

٣. النبي سليمان نموذج العدل والرفق ٢٤٧

٤. النبي سليمان.. التفقد وحسن الإدارة ٢٤٩

٥. ذو القرنين.. حسن التعامل والاهتمام بأمور الناس ٢٤٩

٦. درس مهم وعبرة لكل مؤمن ٢٥٠

٧. وجوب الاستقامة مهما كان المنصب ٢٥٢

٨. من أخطر الحالات: التمحور حول الذات ٢٥٤

٩. المشاعر الإيمانية وثمرتها الطيبة ٢٥٥

المحاضرة السابعة عشرة .... ص ٢٥٩

رقم الصفحة

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٥)

الظلم في التعامل على المستوى الاجتماعي

١. التعاون على الإثم والعدوان.. مخاطره وعواقبه ٢٦٠

٢. التناجي بالإثم والعدوان وأضراره ٢٦١

٣. من مساوئ العصبية المقيتة ٢٦٣

٤. ظلم النساء في الميراث ٢٦٦

٥. ظلم النساء في المهور ٢٦٧

٦. أكل أموال اليتامى من أبشع الظلم ٢٦٧

٧. الطمع من أكبر عوامل الظلم ٢٦٨

٨. الظلم بالكلام.. أنواعه ومساوؤه ٢٦٩
٩. مخاطر السخرية والاستهزاء والاحتقار ٢٧١
١٠. حرمة اللمز والتنابز بالألقاب ٢٧٢
١١. سوء الظنّ وآثاره المدمرة ٢٧٣
١٢. الغيبة معول هدم ٢٧٤
١٣. جريمة البهتان ونشر وتقبّل الشائعات ٢٧٥
١٤. خطورة التهاون والاستهتار بهذه الأمور ٢٧٦

المحاضرة الثامنة عشرة .... ص ٢٧٩

رقم الصفحة

يوم الفرقان (١)

عطاء متجدد عبر الزمن

١. التحديات تحيط بحركة الرسول الأكرم ٢٨٠
٢. الثقة بالله في مواجهة كل التحديات ٢٨٢
٣. حتمية الصراع مع قوى الطاغوت ٢٨٤
٤. لليائسين ومن يرى الجهاد عبثاً! ٢٨٧
٥. يوم الفرقان.. وعطاؤه الممتد عبر الأجيال ٢٨٨
٦. الرسالة الإلهية مشروع متكامل لإنقاذ البشرية ٢٩٠

المحاضرة التاسعة عشرة .... ص ٢٩٣

رقم الصفحة

يوم الفرقان (٢)

الركائز الأساسية للمسيرة الجهادية

١. في المسيرة الجهادية لا مكان للأطماع الشخصية ٢٩٥
٢. ركائز أساسية للعمل في سبيل الله ٢٩٧

٣. التقوى وصلاح ذات البين ٢٩٨
٤. الطاعة في مفهومها الصحيح ٢٩٩
٥. المواصفات الإيمانية للمنتمين للمسيرة الجهادية ٣٠٠
٦. من مواصفات المؤمنين حقاً ٣٠١
٧. ضرورة الاستقامة على المواصفات الإيمانية ٣٠٣
٨. العطاء الإلهي للمؤمنين حقاً! ٣٠٥
٩. التحرك وفق توجيهات الله وتعليماته ٣٠٦
١٠. حتى لا يبقى الحق مجرد عنوان! ٣٠٨
١١. لكي يحق الله الحق لا بد من التحرك ٣٠٩

المحاضرة العشرون .... ص ٣١١

رقم الصفحة

يوم الفرقان (٣)

التعزيزات والمدد الإلهي .. كيف . ولمن؟!

١. حالة إيمانية.. الاستغاثة واللجوء إلى الله ٣١٢
٢. الدروس المهمة من الآيتين المباركتين ٣١٤
٣. العامل المعنوي ودوره في تحقيق النصر ٣١٥
٤. في مختلف الظروف يبقى الرهان على الله وحده ٣١٦
٥. الدعم الإلهي الخاص والمتميز ٣١٨
٦. الرعاية الإلهية تواكب المعركة ٣٢١
٧. الدعم الكبير والحاسم.. متى وكيف؟ ٣٢٢
٨. لِمَ كل هذا التدخل الإلهي في قمع الطغاة؟ ٣٢٣
٩. على ضوء الأحداث.. تعليمات ودروس مهمة ٣٢٤
١٠. هذا الوعيد ممن. ولمن. ولماذا؟! ٣٢٦

المحاضرة الحادية والعشرون .... ص ٣٢٩

رقم الصفحة

ليلة القدر وأهميتها

ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام

١. ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ .. عظمتها وأهميتها ٣٣١
٢. ما الذي ينبغي التركيز عليه في ليالي القدر؟ ٣٣٢
٣. الليلة المباركة في القرآن الكريم ٣٣٣
٤. الدعاء الذي نركز عليه في ليلة القدر ٣٣٥
٥. ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ٣٣٧
٦. استشهاد الإمام علي وأثره في واقع الأمة ٣٣٨
٧. النموذج الأصيل والحقيقي والسليم عن الإسلام ٣٣٩
٨. حلقة الوصل والامتداد الأصيل للرسول الأكرم ٣٤٠
٩. المعيار لتمييز المؤمن من المنافق ٣٤١

المحاضرة الثانية والعشرون .... ص ٣٤٥

رقم الصفحة

يوم الفرقان (٤)

الاعتماد على الله والتنكر للذات

١. ثمرة الاعتماد والتوكل على الله تعالى ٣٤٧
٢. ابتعد عن الغرور واستشعر فضل الله عليك ٣٤٨
٣. الغرق في الذات من أعظم الآفات! ٣٤٩
٤. كيف يكون التأييد والتسديد. ومتى؟ ٣٥١
٥. لكي يوهن الله كيد الكافرين ٣٥٢
٦. إنذار للمشركين. وطمأنة للمؤمنين ٣٥٣
٧. هذه هي القضية المحورية والرئيسية! ٣٥٥

٨. المعيار المهم لصدق الانتماء الإيماني! ٣٥٦
٩. الاستهانة بالتوجيهات الإلهية ونتائجها الكارثية ٣٥٨

المحاضرة الثالثة والعشرون .... ص ٣٦٣

رقم الصفحة

يوم الفرقان (٥)

﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

١. لماذا التنصل عن الموقف الحق رغم وضوحه ٣٦٤
٢. التوجيهات الإلهية لمعالجة الخلل في واقع الأمة ٣٦٥
٣. المستهترون بدعوة اللّه والمدجِنون للأمة ٣٦٧
٤. تحذير شديد للمتنصلين عن المسؤولية ٣٦٨
٥. الإنسان بين الاستجابة وبين الرفض لتوجيهات اللّه ٣٧١
٦. العقوبة الأخروية للمتنصلين عن المسؤولية ٣٧٣
٧. الفتنة للمتخاذلين.. أشكالها وأنواعها ٣٧٤
٨. ﴿وَاذْكُرُوا﴾ .. درس للأمة على مدى الزمن ٣٧٧
٩. فوائد التذكر.. وعاقبة النسيان ٣٧٩

المحاضرة الرابعة والعشرون .... ص ٣٨٣

رقم الصفحة

يوم الفرقان (٦)

خطورة الفتنة.. ونتائج الخيانة

١. استعراض لأهم النقاط في محاضرة الأمس ٣٨٤
٢. للأهمية والتذكير: الفتنة.. وأشكالها ومخاطرها ٣٨٦
٣. تذكُر ما قبل وما بعد التمكين ودوره في الشد نحو اللّه ٣٨٨
٤. الحسابات الشخصية بدل المنطلقات الإيمانية! ٣٨٩

٥. الخيانة أشكالها ودوافعها ونتائجها السيئة ٣٩١
٦. خيانة الله والرسول ﷺ ٣٩١
٧. الخيانة في المسؤوليات والحقوق العامة ٣٩٣
٨. تأثير الخيانة على مستوى الواقع العام ٣٩٤
٩. الخيانة خارج الإطار العام ٣٩٥
١٠. الطريق الصحيح لنيل الخير والسعادة ٣٩٧
١١. من ثمار التقوى العظيمة: الفرقان والغفران ٣٩٨

المحاضرة الخامسة والعشرون .... ص ٤٠١

رقم الصفحة

يوم الفرقان (٧)

الخيانة والخائنين وتعنت ومكر الكافرين

١. ضرورة اتخاذ الإجراءات ضد هذه الممارسات ٤٠٣
٢. للمنتمين إلى المسيرة القرآنية.. تذكير وتحذير! ٤٠٤
٣. خيانة مال الوقف وتداعياتها الخطيرة ٤٠٥
٤. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾! ٤٠٨
٥. التذكير هنا .. درس مهم ومطمئن ٤٠٩
٦. الكفار والمناورة الإعلامية والتعنت الشديد! ٤١٠
٧. الاستكبار والتعنت.. الأسباب والنتائج ٤١٢
٨. ماذا يعني الاستغفار ٤١٣

المحاضرة السادسة والعشرون .... ص ٤١٥

رقم الصفحة

يوم الفرقان (٨)

قوى الشرك والإجرام والصد عن المسجد الحرام

١. استغلال المقدسات للتضليل ٤١٧
٢. تعطيل دور المسجد الحرام! ٤١٩
٣. الصد عن المسجد الحرام وأشكاله المتعددة ٤١٩
٤. المقدسات بين التهديد الوجودي وإلغاء الدور ٤٢١
٥. قوى الشرك والنظام السعودي.. وحدة الهدف والأسلوب ٤٢٢
٦. الولاية على المقدسات للمتقين حصرياً ٤٢٣
٧. مساجد الضرار ومخاطرها على الأمة ٤٢٤

المحاضرة السابعة والعشرون .... ص ٤٢٩

رقم الصفحة

يوم الفرقان (٩)

الصادون عن سبيل الله.. الأهداف والوسائل والمصير

١. المعايير المهمة لمن يعمر مساجد الله ٤٣٠
٢. الصد عن سبيل الله في مقدمة الجرائم الكبرى ٤٣٢
٣. أصناف الصادين عن سبيل الله ٤٣٣
٤. الكفار وأهل الكتاب والمنافقون ٤٣٣
٥. الأحبار والرهبان.. الصد الأخطر ٤٣٥
٦. الصادون عن سبيل الله.. الوسائل والأهداف ٤٣٧
٧. لماذا غابت الصورة الحقيقية لمفهوم (هدي الله)؟ ٤٣٩
٨. النتيجة الحتمية للإنفاق في الأعمال التخريبية ٤٤١
٩. الإنفاق في سبيل الله.. ثوابه ونتائجه في واقع الأمة ٤٤٢

١٠. تمييز الخبيث من الطيب.. سنة إلهية ٤٤٥
١١. كيف يخبث الإنسان؟ ٤٤٦
١٢. المصير الأليم للخبيثين ٤٤٧

المحاضرة الثامنة والعشرون .... ص ٤٤٩

رقم الصفحة

يوم الفرقان (١٠)

حتمية الصراع مع قوى الشر والضلال

١. الموقف الحق ضد الصادين عن سبيل الله ٤٥١
٢. مهما تكن مؤامراتهم فمآلها الفشل الذريع ٤٥٤
٣. الصراع مع قوى الشر.. طبيعته ومساره ٤٥٦
٤. التصدي لأئمة الكفر حتمي ولا مجال لاسترضائهم ٤٥٨
٥. متى يتجهون للحرب العسكرية؟ نموذج شاهد ٤٦١
٦. المنهج الإلهي وأثره في حياة الأمة ٤٦٢
٧. حتى يكون الله مولانا وناصرنا ٤٦٥

المحاضرة التاسعة والعشرون .... ص ٤٦٧

رقم الصفحة

واقع الأمة تجاه أهل الكتاب

المسارات والعواقب الوخيمة

١. القرآن والواقع يوضح مستوى عدائهم للأمة ٤٦٨
٢. أهل الكتاب وخطرهم على الأمة من الداخل ٤٧٠
٣. النتيجة الحتمية لموالاة أهل الكتاب! ٤٧٣
٤. الورطة الكبرى للمتنصلين ومرضى القلوب! ٤٧٥
٥. المسارعون والقاعدون.. خذلان رهيب! ٤٧٨

٦. المبررون والساعون لاسترضائهم.. نهايتهم المخزية ٤٨١
٧. مفهوم الارتداد في هذه الآية ٤٨٢
٨. ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾.. مواصفاتهم المباركة ٤٨٤

المحاضرة الثلاثون .... ص ٤٨٩

رقم الصفحة

مسك الختام

الاستقامة والحفاظ على الرصيد الإيماني

١. كيف نحافظ على المحصلة المستفادة من الشهر الكريم؟ ٤٩٠
٢. النتيجة الخطيرة لعدم الإصغاء لهدى اللّه ٤٩٣
٣. ما بعد الشهر الكريم.. الحرص على الاستقامة ٤٩٥
٤. فريضة الزكاة والاهتمام بالتكافل الاجتماعي ٤٩٦
٥. الالتزام بالتقوى والحذر من المعاصي ٤٩٨
٦. مسؤوليتنا في التصدي للعدوان على كل المستويات ٤٩٩
٧. سلبيات الهجرة من الأرياف والتكدس في المدن ٥٠١

***